مكتبة
Telegram Network

سلسلة تاريخ الحضارات
History of Civilizations

الحضارة السومريّة

الدكتور خزعل الماجدي

الطبعة الثالثة

منشورات تكوين
TAKWEEN PUBLISHING

«مكتبة ♔ النخبة»

الحضارة السومرية

الدكتور خزعل الماجدي

Sumerian Civilization

By Khazal Al-Majidi

الطبعة الثانية (مزيدة ومنقّحة)، أغسطس ـ آب، 2020 (1000نسخة)

بيروت ـ بغداد

أيقونة تاريخ الحضارات: رمز الحضارة

أيقونة كتاب الحضارة السومرية: رمز الحضارة السومرية، الإناء الفوار (رمز الحكمة السومرية) الخالد حيث يظهر نهرا دجلة والفرات يفيضان من الإناء النذري الذي تمسك به يدا العاهل السومري الشهير(جوديا) أمير لجش.

Copyrights@Dar Al-Rafidain & Takween Publications 2020

(C) جميع حقوق الطبع محفوظة.

حقوق النشر تعزز الإبداع، تشجع الطروحات المتنوعة والمختلفة، تطلق حرية التعبير، وتخلق ثقافةً نابضةً بالحياة. شكراً جزيلاً لك لشرائك نسخةً أصليةً من هذا الكتاب ولاحترامك حقوق النشر من خلال امتناعك عن إعادة إنتاجه أو نسخه أو تصويره أو توزيعه أو أياً من أجزائه بأي شكلٍ من الأشكال دون إذن. أنت تدعم الكتّاب والمترجمين وتسمح للرافدين أن تستمرّ برفد جميع القراء بالكتب.

منشورات تكوين للنشر والتوزيع
الكويت ـ الشويخ الصناعية الجديدة
تلفون: 96598810440 +
بغداد ـ شارع المتنبي، بناية الكاهجي
تلفون: 9647811005860 +
الموقع الالكتروني:
www.takweeen.com
البريد الالكتروني:
Publishing@takweeen.com

لبنان ـ بيروت / الحمرا
تلفون: 345683 1 961+ / 541980 1 961+
بغداد ـ العراق / شارع المتنبي عمارة الكاهجي
تلفون: 9647714440520+ / 9647811005860+

info@daralrafidain.com
daralrafidain@yahoo.com
www.daralrafidain.com
dar alrafidain
Dar alrafidain
دار الرافدين@daralrafidain

تنبيه: إن جميع الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبّر عن رأي كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي الناشر.

ISBN: 978 - 9922 - 623 - 71 - 9

الحضارة السومريّة

الدكتور خزعل الماجدي

منشورات تكوين | تساؤلات
TAKWEEN PUBLISHING

المقدمة

الفصل الأول
سومر وعلم السومريات

المبحث الأول: ما هي سومر؟

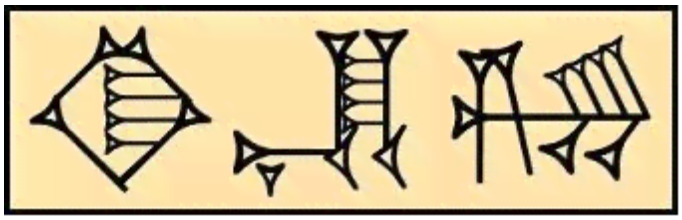

ki-en-gi (Sumer)

المبحث الثاني: فرضيات أصل السومريين
The sumerian problem

موقع ثقافة سامرا على نهر الفولغا

القفقاس الشمالي في قمة المنطقة الحضارية لعصور ما قبل التاريخ

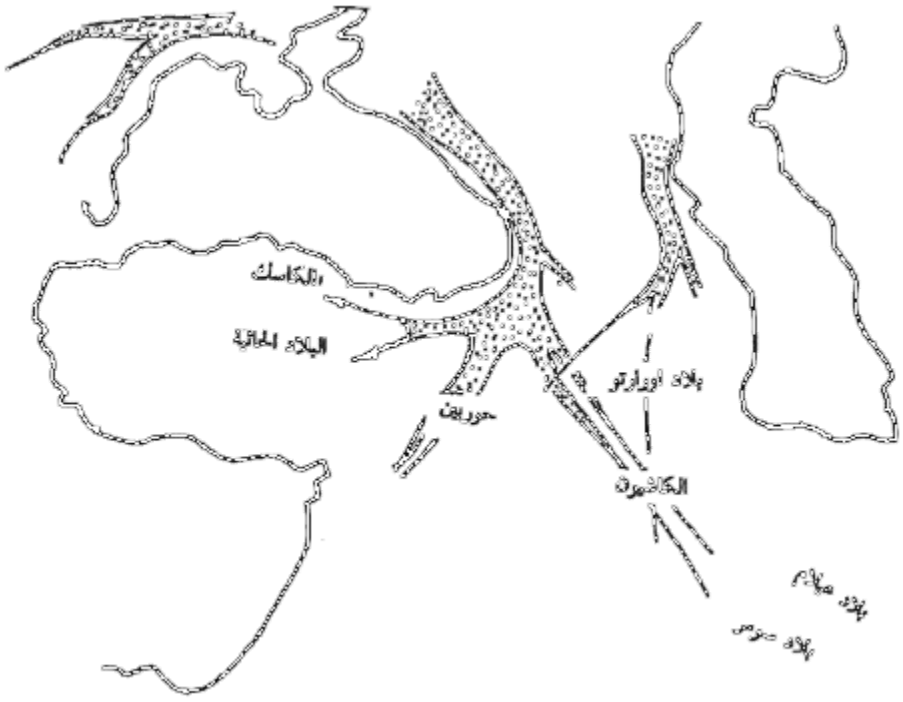

اتجاهات الاستيطان المبكر وهجرات الشعوب القفقاسية في النيوليت وما بعده

3. الأصل الأرميني:

الهلال الخصيب في عصر النيوليث (حوالي الألف الثامن ق. م)

المربعات تشير إلى المواقع الأثرية المكتشفة المهمة، ومنها جايونو وكوبكلي تبه

التعويذة الطينية من ألواح تارتاريا Tartaria التي هي جزء من ثقافة فنكا (5300-5500) ق. م.

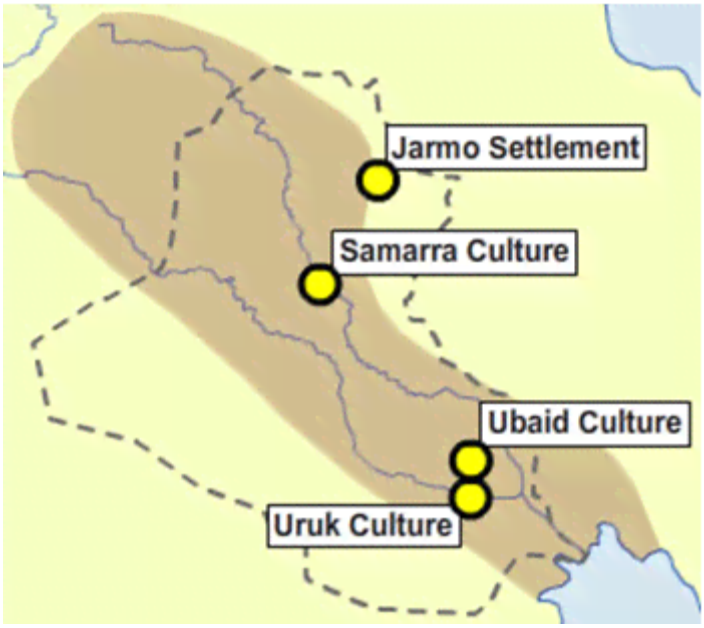

العلاقة بين ثقافات شمال وجنوب ميزوبوتاميا النيوليتية والكالكوليتية

http://www. worldology. com/Iraq/ancient_mesopotamia. Htm

المبحث الثالث: علم السومريات (سومرولوجي) وعلماء السومريات (Sumerology)

علماء السومريات

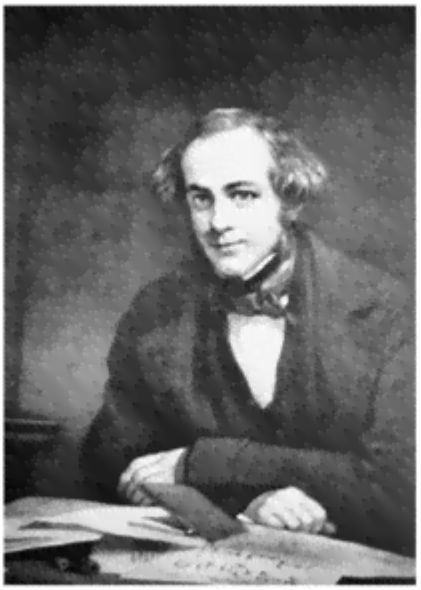

هنري رولنصن أول من اكتشف الكتابة السومرية

يوليوس أوبرت (1825 ـ 1905) مكتشف الحضارة السومرية

السير ليونارد وولي	هنري فرانكفورت

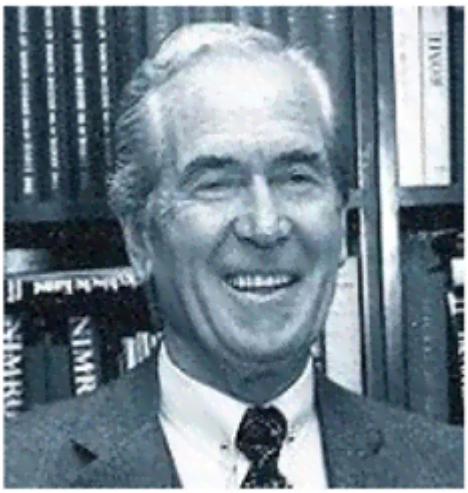	
صموئيل نوح كريمر (1897 ـ 1990)	ثوركليد جاكوبسون (1904 - 1993)

فرانسوا ثورو دانجن	آدم فالكينشتاين

	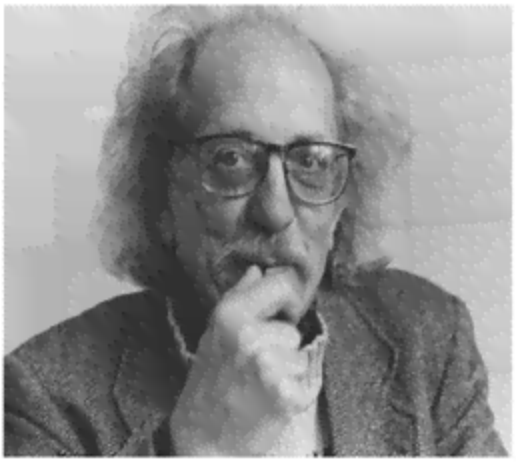
ستيفن هربرت لانجدون	ميجويل سيفل

د.فوزي رشيد	د.فاضل عبد الواحد علي

الفصل الثاني
المظهر الجغرافي

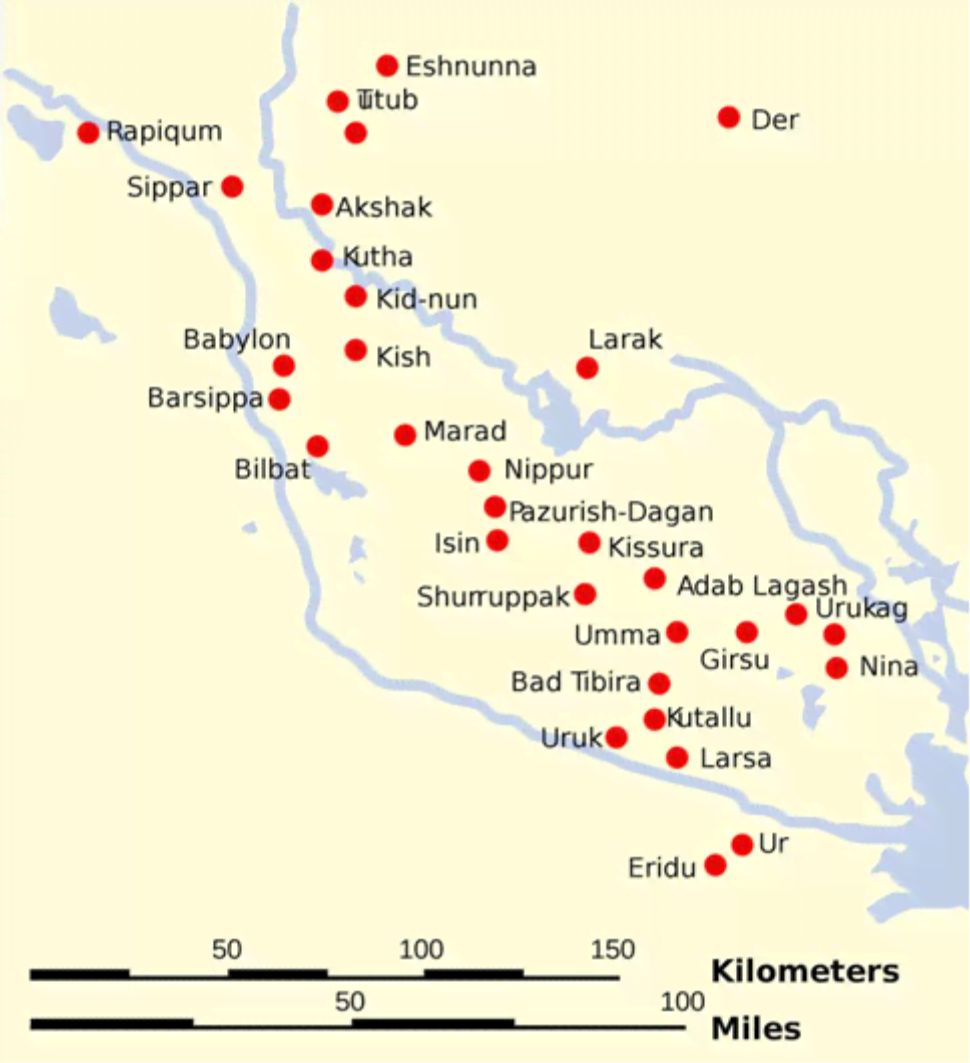

المبحث الأول: جغرافيا سومر

أولاً: طبيعة سومر

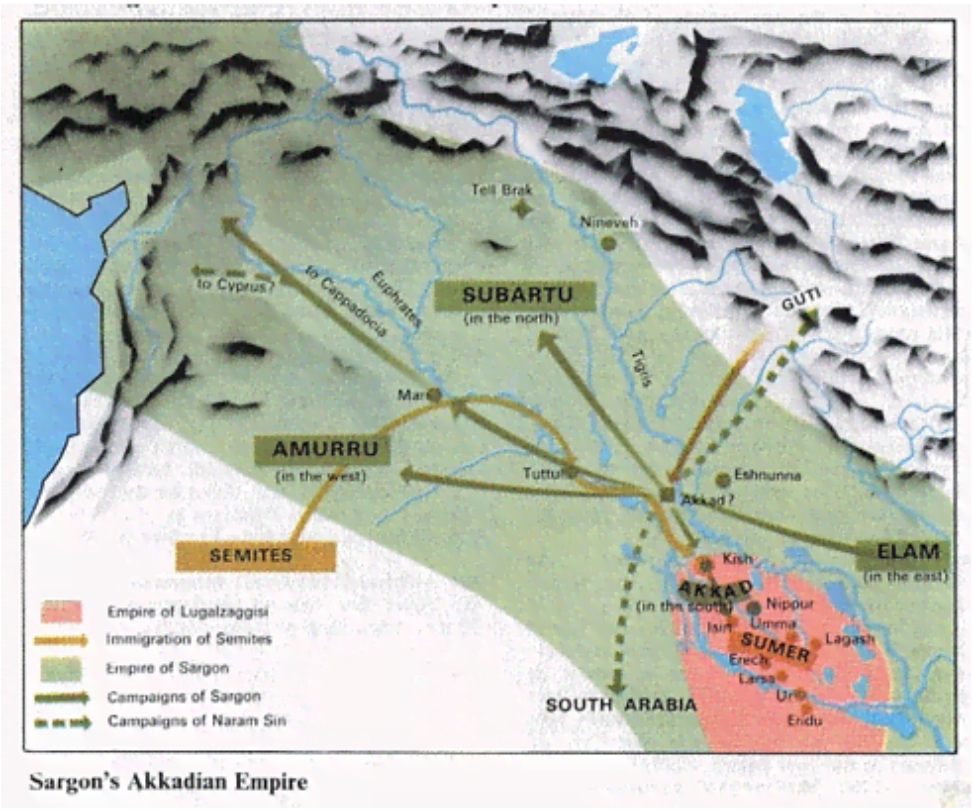

Sargon's Akkadian Empire

سومر وما حولها من الشعوب والبلدان (أكد، سوبارتو، عيلام، أمورو)

ثانياً: المدن السومرية

جدول بأهم المدن السومرية وأسمائها الحالية وإلهها الخاص ووظيفته. وضع: المؤلف

الخارطة: المدورة	أهم آثارها: زقورة آن متوجة بـ المعبد الأبيض
	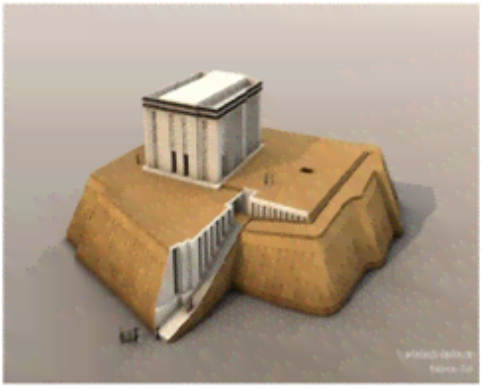
إله المدينة ورمزه: آن	أهم ملوكها: كلكامش

الاسم	الحالي: نِفـرّ أو نـُفـرّ

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها:
إله المدينة ورمزه:	الكاهنة العليا: توتا- نابشتم Tuta-napshum
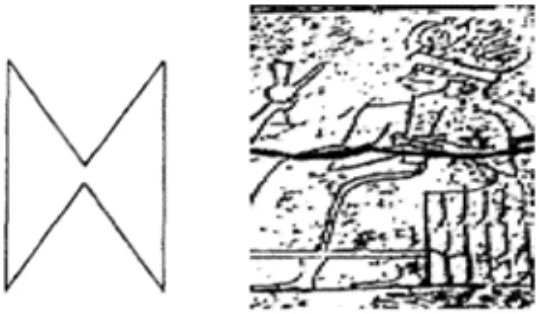	

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها: مسلة الموسيقى لجوديا2100 ق. م
إله المدينة ورمزه: ننجرسو(ننورتا)	أهم ملوكها: جوديا

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها:
إله المدينة ورمزه: إنليل إله الهواء	أهم ملوكها:2350 ق. م حكمها إيناتم العظيم لوكال زاكيزي. بوزور نيراه هو مؤسس سلالة أكشاك، وهو زوج الملكة كوغ-باو ملكة كيش.

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها:
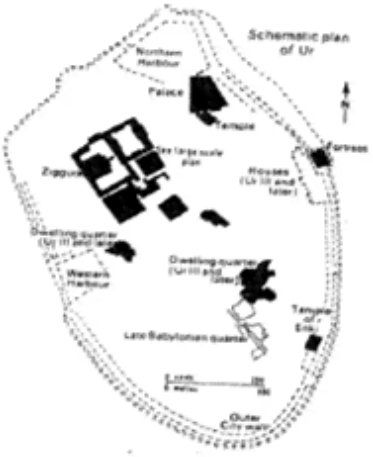	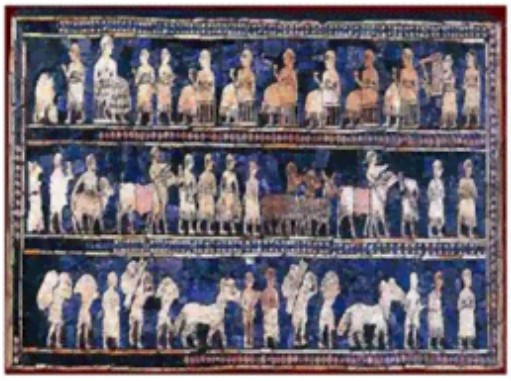
إله المدينة ورمزه: نانا، سين، ننار	أهم ملوكها: أورنمو

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها: معبد أريدو
إله المدينة ورمزه:	أهم ملوكها: ألولم، ألجار الصورة لعاهل سومري قديم وليس لملك في أريدو

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها:
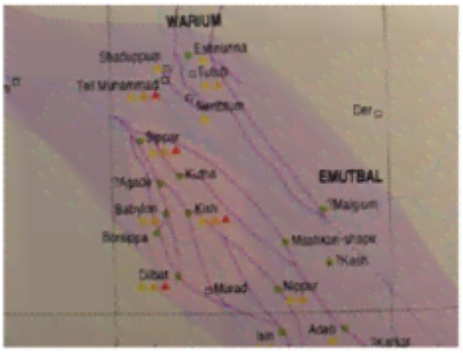	رأس من المرمر لرجل يرتدي عصابة ، من أدب ، من العهد الأكدي ، حوالي القرن 24 ق.م ، في المعهد الشرقي ، جامعة شيكاغو .
إله المدينة ورمزه: ننخرساج وابنتها لسن	أهم ملوكها: إيماخ، داؤدو

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها:
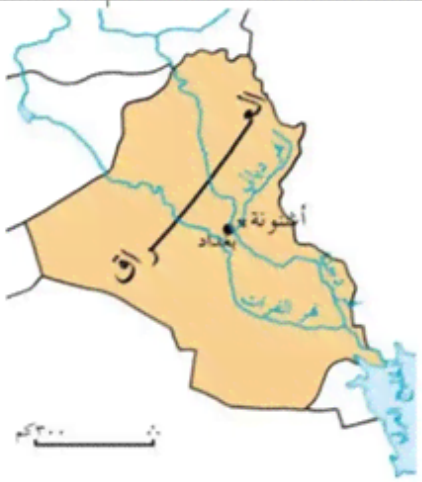	 تماثيل وجدت في تل الأسمر ، أوائل السلالة الثانية ، (حوالي 2775 - حوالي 2650 ق.م) ، في المعهد الشرقي ، جامعة شيكاغو .
إله المدينة ورمزه: آبو	أهم ملوكها: أورجودينا، كلامو 2000 ق. م

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها: معبد العيون 3500 - 3300 ق. م.
إله المدينة ورمزه: إلهة العيون	أهم ملوكها: أور نمّو، تمثال (مانهير) من تل براك

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها: رقيم إنليل
إله المدينة ورمزه: ننتود (ننليل شروباك، ننخرساج)	أهم ملوكها: أوبارتوتو، شروباك، زيوسيدرا

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها: مخطط مدينة أوما
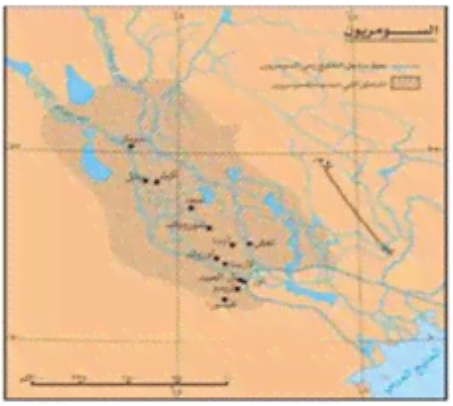	
إله المدينة ورمزه: نانشه	أهم ملوكها: أوشومجال – أنّا (مسلة) كاهن الإله شارا

الخارطة الموقع المدينة	أهم آثارها: مسلة ماري3000 ق. م، نموذج بيت في ماري2400 ق. م
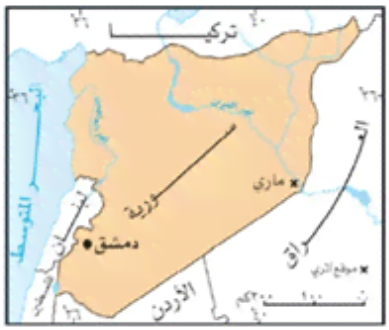	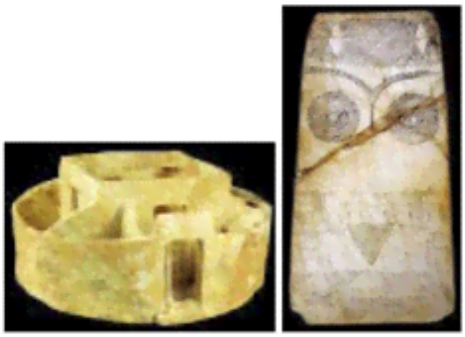
إله المدينة ورمزه: شارا	أهم ملوكها: إكو – شاماجان 3000 ق. م

خارطة وادي الرافدين ومواقع أهم المدن السومرية

المبحث الثاني: المناخ والسكان وإثنياتهم

أولاً: مناخ سومر

كان العراق القديم يتكون من ثلاثة أقسام هي (الجبلي، والصحراوي، والرسوبي). وكان القسم الرسوبي من حصة سومر الذي كان يسوده المناخ الصحراوي المعتدل ويبلغ معدل الأمطار في السهل الرسوبي نحو 20 إلى 5 سم.

أما الرياح السائدة فهي الرياح الشمالية والشمالية الغربية التي تهب في أغلب أيام السنة وتزداد ما بين شهر أيار وشهر تشرين الأول وتكون باردة.

الرياح الثابتة هي الجنوبية الشرقية (التي تسمى الشرجي) وهي سريعة وقوية ودافئة ورطبة لأنها تهب من الخليج والأهوار وترافقها الأمطار والغيوم، وتلتقي بالرياح الشمالية الغربية الباردة فتسقط أمطارها.

ثانياً: سكان سومر (ديموغرافيّاً، إثنوغرافيّاً)

أغلب سكان سومر كانوا من السومريين الذين لهم لغة مقطعية وهبطوا من مناطق سامراء التي استقر فيها أجدادهم (سومارتو)، وهم شعب مسالم ودؤوب ومبتكر، وربما كان ينتمي للعرق القوقازي الذي هو عرق متوسطي، ونحن نرى أنهم أصحاب لغة قديمة تعود لعصر النيوليث وهي لغة مقطعية نشأت في عصر الزراعة عند أغلب الشعوب التي عرفت اكتشاف الزراعة الأول، لكن مجيء عصر النحاس (الكالكوليت) وحصول الانقلاب الذكوري ونشوء الشعوب السامية (السارية)، في شمال وادي الرافدين وسوريا، التي سادت العصر الحجريّ النحاسي والتي كانت تتكلم لغة أبجدية اضطرها للحفاظ على لغتها

والتعايش مع الجموع الهائلة الجديدة للساميين (الساريين) الذين وسعوا انتشارهم انطلاقاً من منطقة حلف – الأربجية وغمروا بلاد النهرين. وقد أوضحنا ذلك مفصلاً في فرضيتنا الجديدة عن أصل الساميين.

تعايش السومريون مع الساميين في مدنه وفي المدن التي تحيط به، وكان الساميون عرقاً متوسطيّاً أيضاً لكنهم يمتازون بلغةٍ أبجدية الطابع ولكلماتها جذر ثلاثي، وأغلب الظن أنّ الساميين كانوا قد أنشؤوا ثقافات أريدو والعبيد التي سبقت سومر وساهموا في اختراع الكتابة، لكن الكتابة طوّعت، أولاً، للغة السومرية فكان هذا السبق الحضاريّ مدعاة لتصدر سومر كأول حضارة رافدينية، بل وأول حضارة في العالم القديم.

ينتمي السومريون إلى جنس أبيض اللون وتكون رؤوسهم، في الغالب، مستديرة ووجوههم عريضة وهم لا يفضلون وجود الشعر في رؤوسهم ووجوههم، فكان الرجال يحلقون الشعر.

السومريون بعيدون عن الجنس الآريّ تماماً لغة وتكويناً، وكذلك يختلفون عن الجنس السامي. وهم أقرب إلى ما يمكن أن نسميه بالجنس القوقازي الذي يعتبر الجنس الأقدم والذي ظهر في العصر الحجريّ الحديث واستوطن المناطق الزراعية الأولى في العالم ومنها مناطق شمال العراق من جرمو إلى سامراء. أما الآريون والساميون فهم ينتمون إلى العصر الحجريّ النحاسي (كالكوليت) الذي ظهر بعد العصر الحجريّ الحديث وسيطر على مواطن القوقازيين في العالم كله.

وكان نصيب وادي الرافدين باعتباره أول بلدان الزراعة أن سكن فيه الجنس القوقازي مبكراً ممثلاً بالسومريين والحوريين، والعيلاميين إلى الشرق منه، ثم سكنه الساميون ممثلاً بالسوبريين والأكديين والأموريين وغيرهم. أما الآريون فكانوا غزاة لوادي الرافدين على مدى التأريخ.

سومر وأكد وسوبارتو (آشور) وبابل وعيلام

htm .http://www. transanatolie. com/english/turkey/anatolia/babylonia

المبحث الثالث: التخطيط الحضريّ في سومر

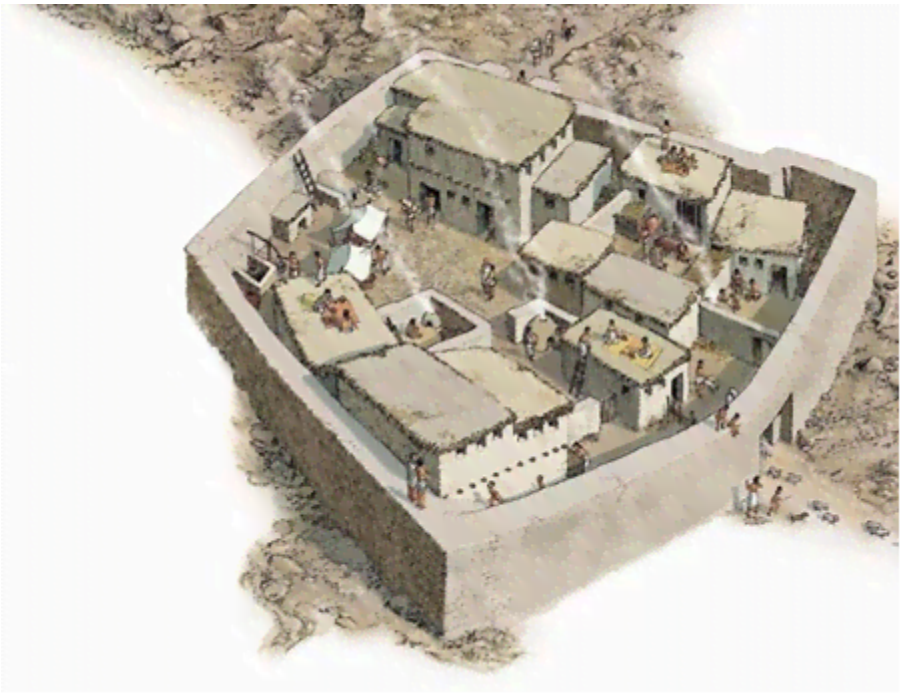

نموذج مصوّر لقرية سومرية صغيرة

/https://nl. pinterest. com/pin/4929331216930605 92

أوروك أول المدن والعواصم السومرية قبيل التاريخ(حوالي3500 ق. م)

http://www. mrmarks6. com/lectures/Mesopotamia/

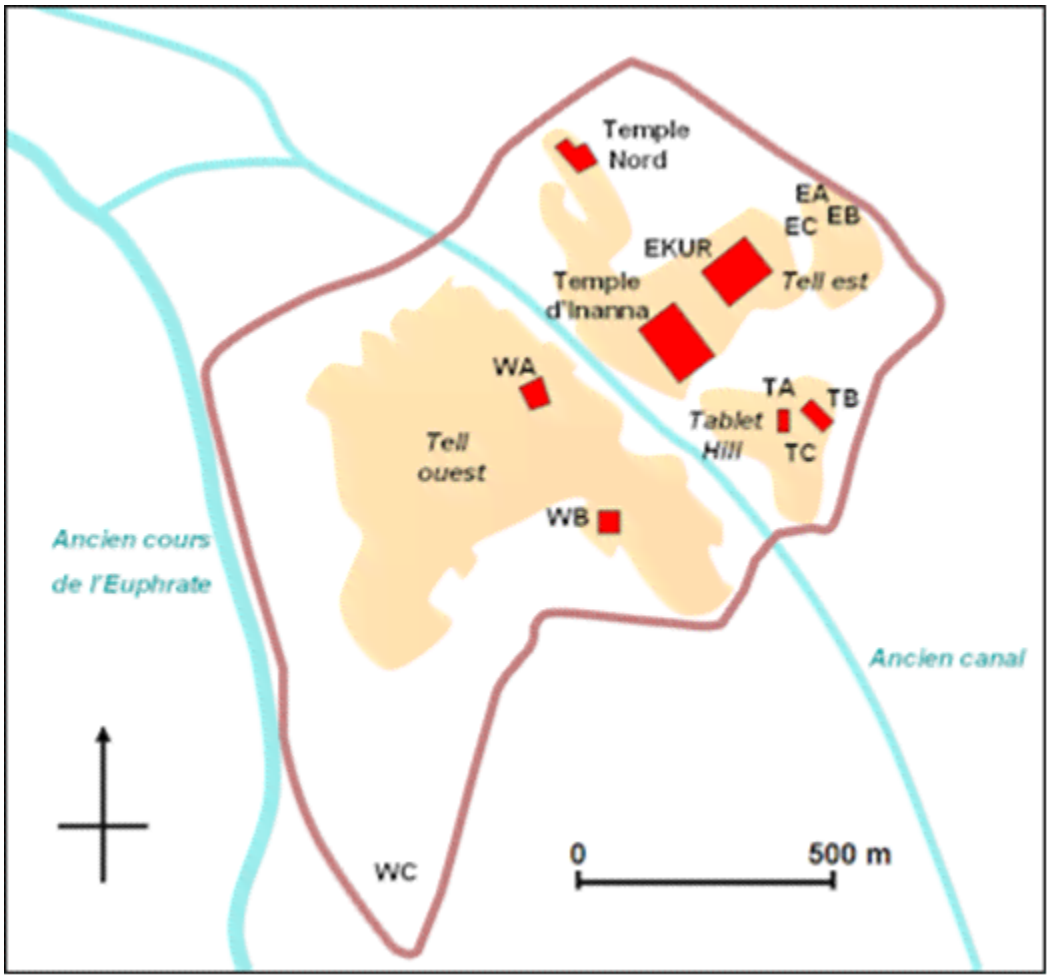

التخطيط الحضريّ لمدينة أوروك

أور ثاني عاصمة سومرية حوالي 2000 ق. م

https://www. slideshare. net/lovinitwithhim/unit-3-part-1-the-first-civilization-sumer

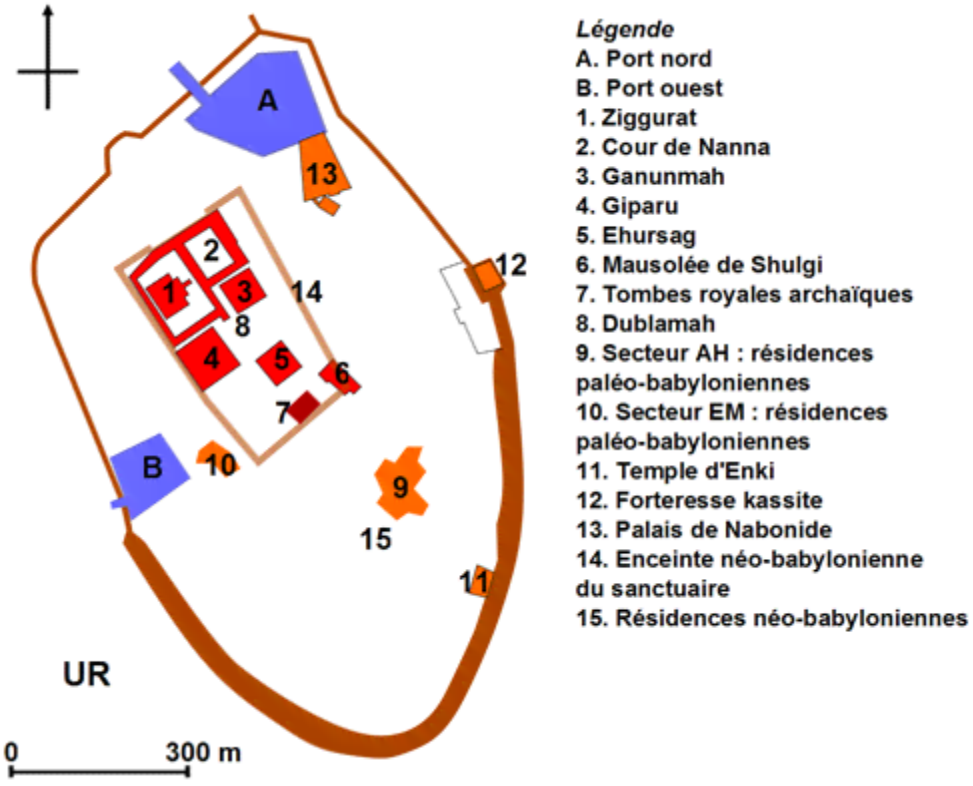

التخطيط الحضريّ لمدينة أور

خارطة نيبور السومرية على لوح طيني: أول خارطة تخطيط حضريّ في العالم

cities-and-kings/-http://www. mesopotamiangods. com/ancient

حفريات نيبور: العاصمة الدينية لسومر

http://archive. archaeology. org/1103/reviews/archaeologists_travelers_ottoman_lands_nippur. html

فلّاحة نيبور

http://www. mesopotamiangods. com/ancient-cities-and-kings/

الفصل الثالث
المظهر التاريخي
(موجز التاريخ السومري)

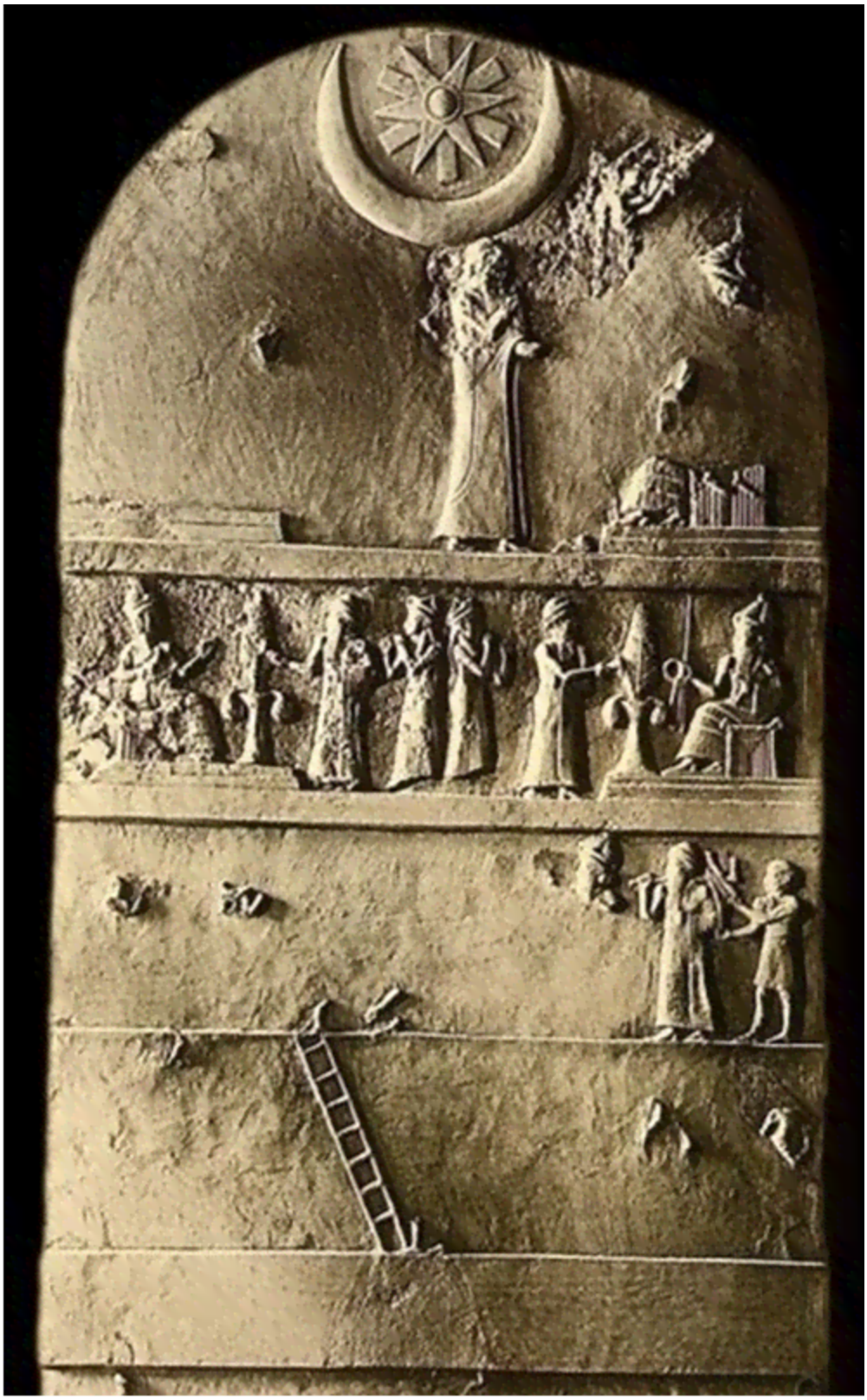

كان التطور الحثيث الذي جاءت به الزراعة في شمال العراق مفتتحة به عصر النيوليت (العصر الحجريّ الحديث Neolithic) مدعاةً لظهور ثقافات أو حضارات عراقية شمالية أربع، هي (جرمو، والصوان، وحسونه، وسامراء). وقد استغرق ظهور هذه الحضارات حوالي ثلاثة آلاف سنة (8000 - 4900) ق. م وكانت جميعها ذات طبيعة زراعية فلاحية سادت فيها المرأة كزعيمة وعبدت فيها الإلهة الأم. ثم جاءت الانعطافة النوعية الثانية التي جاء بها اكتشاف المعادن وبدء عصر الكالكوليت (العصر الحجريّ النحاسي Calcolithic) الذي انتقل مسرحه إلى جنوب العراق وظهرت خمس ثقافات أو حضارات كالكوليتية هي (حلف، وأريدو، والعبيد، وأوروك، وجمدت نصر). وقد استغرق ظهور هذه الحضارات حوالي ألفي سنة (4900 - 3100) ق. م وكانت جميعها ذات طبيعة مدينية حرفية إضافة لاهتمامها بالزراعة ساد فيها الرجل كزعيم للقوم وظهر الإله الذكر ثم الآلهة المتعددة، وخصوصاً تلك المرتبطة بالطبيعة.

هاجر أجداد السومريين من سامراء وحضارتها بحثاً عن مصادر الماء واستوطنوا في جنوب العراق في حدود 3500 ق. م وحلّت حضارتهم محل الحضارة العبيدية، وسرعان ما اكتشفوا الكتابة في 3200 ق. م فظهرت على يدهم أول حضارة تاريخية، وبدأت نواميسها في مختلف شؤون الحياة بالتشكّل والبناء، وهكذا تكونت الحضارة السومرية. ينقسم تاريخ السومريين إلى المراحل الآتية:

أهم الملوك والأحداث	المراحل وزمنها	العصر وزمنه	ت
أصل وأسلاف السومريين	1. أصل السومريين (عصر الكالكوليت)	العصر العتيق(ماقبل التاريخ) (5000 - 2900)ق. م	1
1. أوروك 2. جمدت نصر	2. السومريون في جنوب وادي الرافدين (عصر البروتولتريت)		
المدن الخمس (أريدو،	1. ملوك ما قبل الطوفان	العصر القديم	2

وبادتبيرا، ولرك، وسبار، وشروباك) حكم فيها ثمانية ملوك		(عصر فجر السلالات ودويلات المدن) (2900-2370) ق. م	
زيوسيدرا: نوح السومري	2. الطوفان		
أبطال سومر ومنهم كلكامش	3. سلالة أوروك الأولى		
مقبرة أور وحاشية الملكة بو آبي	4. سلالة أور الأولى		
سلالة أورنانشه	5. سلالة لجش الأولى		
لوكال زاكيزي: الدولة السومرية	6. سلالة أوما		
هيمنة السوبريين الأكديين على بلاد سومر والرافدين وغرب آسيا	1. الدولة الأكدية وخضوع سومر لها (2370-2160) ق. م	العصر السومري الوسيط (2370 - 2112) ق. م	3
شعب الجبال المتوحش الذي أنهى الحكم الأكدي، وحكم سومر	2. الغزو الكوتي (2160 - 2112) ق. م		
سلالة الأمير جوديا	3. سلالة لجش الثانية		
البطل أتوحيكال وتحرير سومر	4. سلالة أوروك الخامسة		
أور نمّو وشولجي يوصلان سومر إلى قمة مجدها	سلالة أور الثالثة	العصر السومري الحديث (2112 - 2006) ق. م	4
العيلاميون والأموريون يسقطون سومر ويبدأ عصر إيسن ولارسا	نهاية السومريين ومصير لغتهم	العصر السومري المتأخر الألف الثالث ق. م	5

1. العهد العتيق: عصور ما قبل التاريخ (5000-2900) ق. م

أ. هجرة السومريين من شمال وادي الرافدين إلى جنوبه (5000 - 3500) ق. م

اختلط السومريون، أثناء هجرتهم من شمال العراق في سامراء تحديداً إلى جنوبه، مع أقوام أخرى وهم ينـزحون إلى الأرض الجديدة في السهل الرسوبي الجنوبي للعراق كالفراتيين الأوائل والدجلويين الأوائل والساميين. «وكان هناك ما يعرف بالأقوام العبيدية (العبيديين) الذين أحدثوا انعطافاً نوعيّاً في صناعات الفخار والحرف اليدوية وتطوير الطرز المعمارية، وخصوصاً المعابد وإنتاج الأختام المنبسطة (المستديرة والبيضوية)، وظهرت الفؤوس النحاسية، وتطور فنّ النحت المجسم للإنسان والحيوان، وقد انتشرت مستوطنات عصر العبيد في مواقع كثيرة شمال ووسط وجنوب السهل الرسوبي، وأشهر مستوطناته تل العبيد الذي يقع على بعد 8 كم غرب أور، وتل العقير الذي يقع إلى الجنوب من بغداد وأور وخفاجة وتل أسمر في منطقة ديالى وتلّو (لكش القديمة) شمال شرق مدينة الشطرة والوركاء، وبسماية (أدب القديمة) شمال غرب تلّو ومطارة ونوزي وبعض مواقع منطقة حمرين وتبه كورا. وقد انتشرت حضارة العبيد خارج العراق بواسطة الطرق التجارية والنهرية والبحرية فوصلت إلى سوريا وآسيا الصغرى وإيران وإلى بعض جهات شبه جزيرة العرب والأجزاء الساحلية من الخليج العربي». (الدباغ 1983: 60 - 61)

كانت الثقافة العبيدية هي أول ثقافةٍ، منذ النيوليت، تنتشر إقليميّاً، بهذه السعة، حاملة معها نظامها الثقافي الخاص بها، وكانت الثقافة الممهدة لظهور الحضارة السومرية التي سيبدأ نبضها من نسيج الثقافة العبيدية وسيشتد هذا النبض وتسمع أصواته واضحة بعد أفول العبيديين في حدود 3500 ق. م.

ب. السومريون في جنوب الرافدين (3500-2900) ق. م

رغم أن هناك مايشير إلى وجود ملوك قبل الطوفان، أغلبهم من ذوي الأسماء السومرية، في مدن أريدو ولارسا وبادتبيرا ولاراك وسيبار وشروباك، وهو مايؤشر الوجود السومري المبكر منذ حوالي 4900 ق.م، لكن ملامح الوجود السومري تتضح منذ منتصف الألف الرابع قبل الميلاد في جنوب العراق. وكانت أول ثقافة سومرية هي ثقافة أوروك الأولى التي شكلت آخر

حلقة من حلقات الثقافات الكالكوليتية. ويعود تميزها إلى نوع الفخار المصنوع بالدولاب وأشكاله المتميزة وصناعاته الجديدة.

إن الحلقة الفاصلة بين عصور ما قبل التاريخ (العصور الحجرية) والعصور التاريخية تسمى العصر الشبيه بالكتابي أو الشبيه بالتاريخي (البروتولتريت protolitrate) وقد استغرق هذا العصر حوالي مئتي عام (3100 - 2900) ق. م وشمل ثقافتين متميزتين هما (ثقافة أوروك الثانية وثقافة جمدت نصر). وهذا العصر هو عصر سومري أيضاً أنجز فيه السومريون أعظم اختراعاتهم الحضارية، وهو اختراع الكتابة التي كانت أثناء هذا العصر في أولى مراحلها الصورية. وكانت أولى الرقم التي تحمل هذا النوع من الكتابة قد جاءت من الوركاء (الطبقة الرابعة). وكانت الكتابة في مرحلتها الصورية.

فى حدود 3200 ق. م ظهرت أول أشكال الكتابة التصويرية في معابد أوروك وسميت مرحلة الكتابة هذه بالمرحلة الصورية (pictographic).

وكانت الحياة الاجتماعية والاقتصادية تشير إلى تبدلات نوعية كبيرة. وانتشر فن النحت، ونقشت الألواح من الحجر، وصنعت الأختام الأسطوانية وكان فن العنارة راقياً جدّاً، فقد زينت بالفسيفساء المتكون من مسامير ملونة من الفخار أو الحجر.

وبعد ثقافة أوروك السومرية بدأت ثقافة جمدت نصر التي تصاعدت فيها الإنجازات السومرية، وتقدمت فنون الحضارة السومرية وأُسست أغلب نواميسها. ويذكر أنه قد عثر فيها على مسلة صيد الأسود والإناء النذريّ ورأس القناة الرخامي وتمثال امرأة عارية، ومجموعة من الأختام المسطحة والأسطوانية والأسلحة والفسيفساء، وتطورت الصناعات المعدنية كثيراً.

أما الكتابة فقد انتقلت من طورها الصوريّ إلى الطور الرمزي (Ideographic) حيث أصبح يمكن التعبير عن الأشياء والأفكار المتعلقة بها أو التي يمكن أن توحي بها، فصور المحراث يمكن أن تعبّر عن الفلاح أيضاً، وصورة الفم ومعه صورة الماء تعبير عن الفعل (شرب) فإذا كان معه قطعة خبز تعبر عن الفعل (أكل)... وهكذا.

وتطورت الكتابة المسمارية بعد ذلك إلى الطور الصوتي (Phonetic) حيث أصبح الاهتمام بالعلامات المسمارية، دون معانيها التي تعبر عنها الصورة في الأصل، لتكتب بواسطة الأصوات، فمثلاً كلمة (السهم) ترسم بعلامة معينة تلفظ بـ(تي)، ولكن لفظ (تي) يعني في الوقت نفسه كلمة (حياة)... لذلك أصبحت كلمة حياة وسهم تكتبان بالعلامة نفسها دون أن يكون بينهما علاقة.

أما المرحلة الرابعة فهي المرحلة أو الكتابة المقطعية (Agglutinative) التي مهدت لها المرحلة السابقة، حيث أصبح الاعتماد كليّاً على الألفاظ الصوتية دون المعاني. فبدأ دمج العلامات ليدل على كلمات مادية ومعنوية جديدة، وأصبح مع هذه المرحلة كتابة الأسماء سهلاً، فمثلاً إذا كان اسم الشخص (كيتي ti – Ki) فيتمّ رسم علامة Ki التي تدل على المكان أو الأرض، ثم بعدها علامة Ti التي تدل على السهم أو الحياة دون أن يعني بالضرورة معنى اسم الشخص (مكان أو أرض الحياة) مثلاً... وهكذا، وقد انتشر الخط المسماريّ في مرحلته الصورية في جميع بلاد سومر، بل ويظن أنه قد انتشر إلى خارج سومر باتجاه الشرق نحو الصين، ومن الشكل الصوريّ للكتابة المسمارية السومرية ظهرت الكتابة الصينية القديمة المسماة (كو – ون). (انظر Bali, Litt 1913).

وكذلك نرى أنه من انتشار الحضارة السومرية والسومريين وكتابتهم في المرحلة الصورية غرباً باتجاه البحر المتوسط ومصر، نشأت الكتابة الهيروغليفية المصرية القديمة وانتشرت معها نواميس حضارية سومرية كثيرة. (انظر Waddell 1930).

وانتشر الخط المسماريّ السومري ومعه اللغة السومرية إلى منطقة (عيلام) جنوب إيران... وبدت منطقة عيلام وكأنها امتداد لأرض سومر، لا يفصل بينهما سوى مياه الأهوار (انظر Hinz 1972) حيث ظهرت أواخر العصر الشبيه بالتاريخي حوالي 3000 ق. م الكتابة العيلامية الأولى (Elamit – Proto) وفي مثل هذه المرحلة بدأت الحضارة والكتابة السومرية بالانتشار باتجاه الخليج العربي ووصلت إلى دلمون (البحرين)، وقد عثر على آثار تشير إلى ذلك. (بيبي 1985).

إن الانتشار الواسع والكبير للكتابة المسمارية حصل مع ظهور الأكديين واستعمالهم الكتابة المسمارية لتدوين لغتهم التي حملوها معهم مكتوبة بالمسماري إلى أطراف الإمبراطورية الأكدية، وبذلك صار استعمال الخط المسماري عالميّاً منذ ذلك الوقت.

ومع الكتابة ظهرت مظاهر حضارية أخرى مثل ظهور المعابد المشيدة على مصاطب اصطناعية (معبد إنانا ومعبد آن في أوروك، معبد إنانا في نفّر، والمعبد الأبيض في أوروك، ومعبد الإله القمر في خفاجي، ومعبد تبه كورا) ثم ظهرت الزقورات أو المعابد العالية المكونة من طبقات مثل زقورة العقير وزقورة أوروك.

ومن هذا العصر ظهرت لأول مرة الأختام الأسطوانية، واستعمل دولاب الخزف السريع في صنع أوانٍ فخارية لها طلاء إجاصي اللون وأوانٍ فخارية ملونة بعدة ألوان. وتقدم فن التعدين وانتشر استعمال المعادن وظهرت المدن وصنعت قطع فنية رائعة من النحت البارز والمجسّم مثل مسلة صيد الأسود والإناء النذريّ ورأس المرأة المنحوت من المرمر، واستمر استخدام الزخارف الجدارية المؤلفة من المخاريط الطينية الملونة الرؤوس. (الدباغ: 1983: 29).

وقد انتشرت ثقافة البروتولتريت في أنحاء العراق كافة، كما أنها انتشرت كثقافة إقليمية واسعة أيضاً خارج العراق فقد وجدت منجزاتها الحضارية في عيلام وفي سوريا أعالي مناطق الفرات الأعلى والخابور ووصلت إلى مصر حيث وجدت أختام أسطوانية من طراز هذا العصر إضافة إلى الكتابة والمنحوتات والأدوات والرسوم. ويعتقد أنّ الطوفان حدث في نهاية هذا العصر في حدود (3000 ق. م) بعد أن كانت الملوكية قد نزلت من السماء إلى أريدو السومرية كما تقول الألواح الخاصة بثبت الملوك السومريين. (انظر باقر 1973: 252).

الكاهن الملك، والملك من أوروك 3500 ق. م

htm .http://realhistoryww. com/world_history/ancient/Sumer_Iraq_1

2. العهد السومري القديم (عصر فجر السلالات السومرية2900 - 2370) ق. م

1. ملوك ما قبل الطوفان

حكم في هذه المدن الخمس بعد الطوفان ثمانية ملوك أعطت لهم ألواح ثبت الملوك سنوات حكم خيالية بلغت حوالي (241200) سنة «وأغلب

الظن أنّ مثل هذا الرقم الخيالي إنما يعكس فكرة شائعة عند أكثر الأمم القديمة وهي أنّ الإنسان كان – في قديم الزمان- يتمتع بعمر طويل وصفات جسدية خارقة. ومن غير المستبعد أيضاً أنّ جامع الأثبات السومرية لم يكن في حوزته غير أسماء ثمانية ملوك من قبل الطوفان فاضطر إلى تطويل سنوات حكم كل منهم ليغطي الحقبة الزمنية التي تصورها واسعة جدّاً والتي تفصل بين ظهور أول سلالة حاكمة وبين حدوث الطوفان». (علي 1973: 96 - 70).

شهدت مرحلة الظهور السومري تأسيس المدن السومرية الكبرى، وظهرت في هذه المدن حكومات وأنظمة سياسية ودينية ومتطورة. وتخبرنا قائمة الملوك السومريين قبل الطوفان، الذي يخمن الباحثون أنه حدث في حدود (2900 ق. م) وربما قبل ذلك بقليل، أنّ ثمانية ملوك حكموا في فترة ما قبل الطوفان التي قد تقع ضمن فترة الظهور السومري، حيث نزلت الملوكية من السماء إلى المدينة السومرية (أريدو) التي كانت تسمى (نون كي)، ثم توالى انتقال الملوكية إلى المدن السومرية الخمس حكم فيها ثمانية ملوك لمدة ربع مليون سنة (في مقاييس ذلك الوقت من السنين) ثم حدث الطوفان، وهذه المدن وملوكها كما يلي:

1- أريدو: حكم فيها ألولم، ألاكار.
2- بادتبيرا: حكم فيها أنملو أنا، أنمنكال أنا، دموزي الراعي.
3- لاراك: حكم فيها أنسيبازي.
4- سبار: حكم فيها أنميندر أنا.
5- شروباك: حكم فيها أوبارتوتو.

وإذا استثنينا اسم (ألولم) ذات الطبيعة السامية، فإن بقية الملوك ذو طبيعة سومرية، وقد ارتبطت بهؤلاء الملوك أحداث وأفكار أسطورية ونسبت لبعضهم المعجزات والخوارق. ومعروف أنّ الطوفان ربما يكون قد حصل في حدود 2900 ق. م في منطقة محدودة من الجزء الجنوبي لنهر دجلة وأغرق المدن والقرى المحيطة به، وهو ما جعل السومريين يدونون الحادثة كفيضان ساد الأرض كلّها، خصوصاً أنهم يستخدمون كلمة الأرض للدلالة على بلادهم وهي سومر أو جزء منها وليس لكل الأرض والبشرية، وتكمن أهمية الأمر

وانتشاره لا بسبب الطوفان نفسه، بل بسبب انتشار حكاية الطوفان لدى كل الشعوب القديمة واستذكارهم لها على أنها حادثة شملت الأرض كلها. وهذا ما يبدو من الناحية الشكلية، ثم جاءت الرواية التوراتية لتعيد إنتاج حكاية الطوفان السومرية وتعممها في الأديان الشمولية الكبرى (كالمسيحية والإسلام) وتجعل الأمر يبدو راسخاً ومحسوماً.

3. عصر فجر السلالات

عاش السومريون لما يقرب من خمسة قرون في نظام سياسي مبتكر وجديد (ساد بعدهم الشرق الأدنى كله) وهو نظام دولة المدينة City state حيث لكل مدينة استقلال ذاتي وحاكم خاص وإله خاص، لكن هذه المدن يجمعها تفاهم سياسي وحضاريّ وديني واضح. وقد كان ظهور هذا النظام المتحضر سبباً في دفع التطور الإنساني وابتكار المجالس البرلمانية وممارسة نوع من الديمقراطية.

لقد ظهرت المدينة في جنوب العراق مع بداية الألف الخامس قبل الميلاد، لكن نظام دولة المدينة لم يظهر إلّا في بداية الألف الثالث قبل الميلاد مع السومريين.

أهم المدن السومرية

وقد ظهرت في المدن السومرية سلالات حاكمة كثيرة في هذه الفترة وعلى الشكل الآتي (أوروك: 3 سلالات، أور: سلالتان، وسلالة واحدة لكل من لكش، أوما، إكشاك، أوان، أدب، ماري، حمازي). وهناك مدن سومرية أخرى لم تظهر فيها سلالات حاكمة إلّا أنها كانت تتمتع بمركز ديني هام مثل نفّر المدينة السومرية المقدسة كونها مدينة الإله القومي السومري إنليل. ومدينة أريدو ومدينة الإله إنكي ومدن أشنونا وخفاجي وإيسن ونينا وكرسو... إلخ.

احتضنت مدينة كيش أول السلالات السوبرية بعد الطوفان ويتضح أنّ أسماء ملوك هذه السلالة كانت توحي بأصلهم السامي (مثل إيتانا ومسيلم) وهذه إشارة لبدء ظهور النفوذ السامي في بلاد سومر، الذي نرى أنه يمثل ظهوراً واضحاً للحضارة السوبرية، والذي سيصل إلى ذروته مع المرحلة الأكدية ثم يسود البلاد، ولكن حضارة كيش في هذه المرحلة كانت مترادفة مع

الحضارة السومرية. ولعلّ أشهر ملك من هذه السلالة هو الملك (إيتانا) الذي تذكره إثباتات الملوك السومريين على أنه كان راعياً وأنه صعد إلى السماء ووطد جميع البلاد وقد وصلت عنه أسطورة جميلة حول صعوده إلى السماء للحصول على نبات النسل الذي يساعد على الإنجاب لأنه كان عقيماً، وكان صعوده على ظهر نسر.

ومن السلالات السومرية الشهيرة سلالة أوروك (الوركاء) الأولى التي تعتبر بحق سلالة عصر البطولة السومري. فقد ظهر فيها أبطال سومريون نسجت حولهم القصص والملاحم وهم (ميسكي كاشر) الذي ذهب إلى البحر وارتقى الجبال، ثم ابنه (أنمركار) الذي بنى أوروك وخاض صراعاً مع (أرتا)، ثم جاء ابنه (لوكال بندا) الذي تذكر عنه القصص حكايات تشبه حكايات السندباد، ثم جاء ابنه البطل العظيم (كلكامش) وهو خاتمة وقمة عصر البطولة السومري والذي اشتهر بملحمته المعروفة وقصص بطولته النادرة التي صارت بذرة لبطولة الكثيرين من أبطال الزمن القديم.

وفي أور حكمت سلالة سومرية في حدود 2650 ق. م التي وصلت كتابات عن بعض ملوكها إضافة إلى ما كشفت عنه (المقابر الملكية في أور) «والتي تحتوي ضمن أشياء كثيرة أخرى على آثار ذهبية وفضية تتمثل في الأقداح والخناجر والخوذ والقلائد والدبابيس، وتماثيل بعضها مصنوع من الذهب الخالص وبعضها من الفضة والأحجار الكريمة. كما عثر على قيثارات أشهرها تلك التي كان لها بالأصل أحد عشر وتراً، وعلى رسم مدينة أور الذي يصور مشهداً لمعركة يشترك فيها المشاة والعربات، وآخر يصور الاحتفال بتحقيق النصر على الأعداء من خلال مشاهد توزيع الشراب وعزف الموسيقى». (علي 1983: 71)

وفي نهاية عصر فجر السلالات تفجر صراع اقتصادي سياسي بسبب مياه الريّ والأرض الزراعية والحدود بين سلالتين متنافستين في لكش وأوما وفي نهايته استطاع ملك أوروك الذي كان أصله من أوما، (لوكال زاكيزي) القضاء على سلالة لكش وملكها أورو أنيمكينا (أوروكاجينا) ثم قام لوكال زاكيزي بتوحيد المدن السومرية في دولة سومرية واحدة ومدّ نفوذها من

الخليج العربي جنوباً حتى البحر الأبيض المتوسط شمالاً ولقب نفسه (ملك سومر). وكان ذلك بين(2400 - 2371) ق. م.

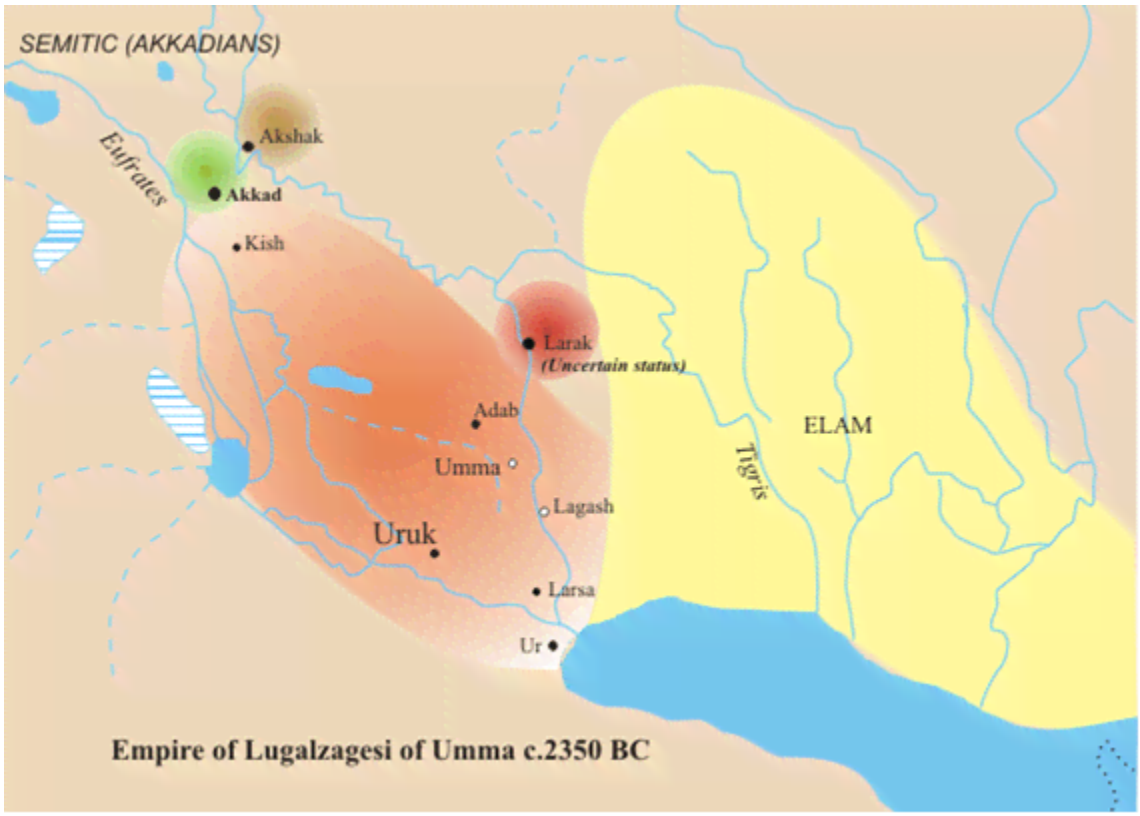

دولة (إمبراطورية) لوكال زاكيزي حوالي 2350 ق. م إلى اليسار وبلاد عيلام إلى اليمين

www. allempires. com/forum/forum_posts. asp?TID=1529//:http

3. العهد السومري الوسيط (عصر الهيمنة الأكدية والكوتية) (2371 - 2120) ق. م

يمكننا تقسيم التاريخ الوسيط للسومريين إلى ثلاث مراحل أساسية هي:

أ. الهيمنة الأكدية:

انحسر، مؤقتاً، النفوذ السياسي للسومريين عندما استولى سرجون الأكدي على بلاد سومر مستغلاً النفور الذي ساد البلاد من حركة لوكال زاكيزي

الذي وضعت سومر في دولة مركزية واحدة. لكن سرجون الأكدي حافظ على هذه الدولة وأعطى حكمه الطابع السامي ثم إنه وسّع دولته إلى إمبراطورية كبيرة شملت أجزاء كبيرة من سوريا وآسيا الصغرى وإيران والخليج العربي، وهذا يعني أنها اتسعت في الجهات الأربع... وتعتبر الإمبراطورية الأكدية أول إمبراطورية حقيقية في التاريخ(2371 - 2154) ق. م. وكانت عاصمتها مدينة (أكد). وجاء بعد سرجون ولده نرام سين الذي حكم طويلاً وكان زمانه مليئاً بالفتوحات، وخصوصاً مع الأقوام الجبلية المتوحشة المسماة (لولوبو) والتي كانت تهدد الإمبراطورية. وهو أول ملك يلقب نفسه بـ(ملك العالم) ويضع علامة الألوهية قبل اسمه.

الإمبراطورية الأكدية وسومر في داخلها

com/forum/forum_posts. asp?TID=1529 .http://www. allempires

ب. الغزو الكوتي:

بعد هذا الملك جاء ملوك أكديون ضعفاء استنـزفتهم حركات التمرد في الداخل وفي الأقاليم التابعة، حتى استطاع الكوتيون وهم من القبائل المتوحشة التي كانت تستوطن أواسط زاكروس في منطقة همذان من إسقاط الإمبراطورية الأكدية واحتلال بعض بلاد سومر وأكد لمدة تقرب من قرن (2211 - 2120) ق. م وتعتبر فترتهم أول فترة مظلمة في تاريخ وادي الرافدين.

كان الكوتيون يديرون حكمهم لوادي الرافدين من مدينة أرابخا (كركوك الحالية) وكانوا يركزون على المدن الأكدية، ولذلك ظلت المدن السومرية، وخصوصاً الجنوبية بعيدة عن تأثيرهم المباشر وتتمتع بشيء من الحرية السياسية والتجارية.

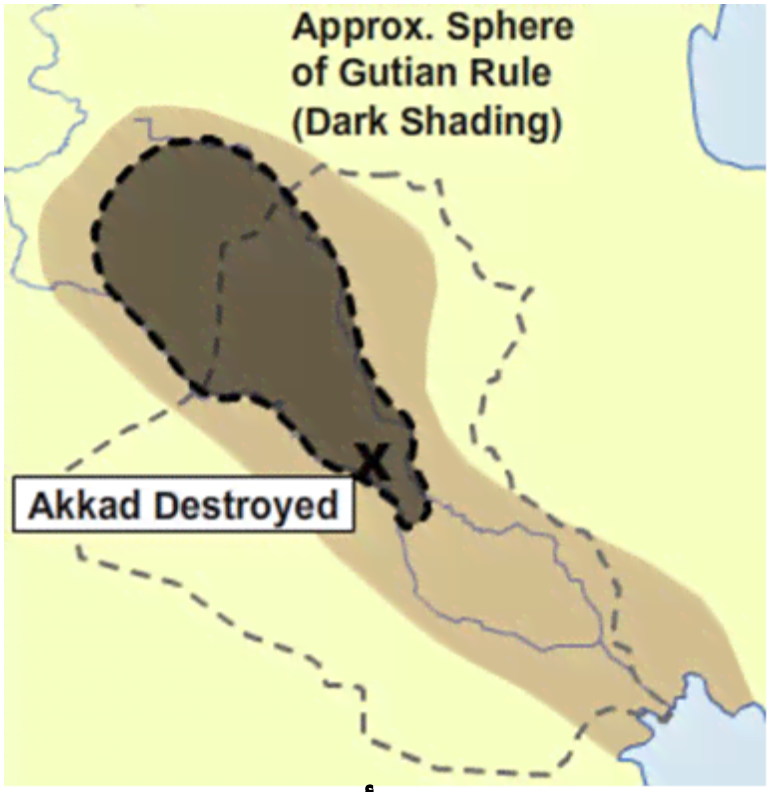

الغزو الكوتي وأراضي حكمه
http://www. worldology. com/Iraq/ancient_mesopotamia. Htm

ج. اليقظة السومرية:

1. سلالة لجش الثانية: ظهر فيها الأمير (جوديا) الذي كان عصره مأثرة من مآثر البناء والتحضر السومري.

الأمير كوديّا (جوديّا) من لجش

2. سلالة أوروك الخامسة: ظهر زعيم سومري هو (أوتو حيكال) الذي نهض بدور بطولي وقام بطرد وهزيمة الكوتيين من كل بلاد الرافدين. ويبدو أنّ انتصار أوتو حيكال على أول غزاة وادي الرافدين تزامن مع كسوف القمر في البلاد، وقد حدث ذلك في الرابع عشر من شهر تموز، وقد اتخذ المنجمون والعرافون هذا الحدث التاريخي فاصلاً ودوّنوه في ألواح العرافة، حيث جاء في أحد ألواح العرافة السومرية: (إذا خسف القمر في اليوم الرابع عشر من شهر تموز فهذا نذير للملك الكوتي: سوف يسقط الكوتيون في المعركة وتتحرر البلاد). وتعتبر معركة أوتو حيكال مع الكوتيين ودحرهم أول معركة تحرير في التاريخ. بالإضافة إلى ذلك فقد ترك لنا الملك أوتو حيكال نصّاً تاريخيّاً فريداً على رقيم سومري يشرح فيه قصة انتصاره على الكوتيين وهذه ترجمة لبعض فقراته:

«فوض الإله إنليل ملك البلدان، الرجل العظيم أوتو حيكال ملك أوروك ملك جهات العالم الأربع، الملك الذي لا يخالف أحدٌ أمره أن يحطم اسم (كوتي) أفعى وعقرب الجبال الذي رفع يده ضد الآلهة، والذي نقل ملوكية سومر إلى بلاد أجنبية، وملأ بلاد سومر بالعداوة، والذي أبعد الزوجة عمّن كانت له زوجة، وأبعد الطفل عمّن كان له طفل والذي أقام العداوة والعصيان في البلاد.

آنذاك ذهب أوتو حيكال إلى ملكته الإلهة إنانا ودعاها قائلاً:

يا مليكتي، يا لبوة الحرب التي تهاجم البلدان الأجنبية، لقد فوضني الإله إنليل أن أسترجع ملوكية سومر، فكوني حليفتي في ذلك. ثم سار أوتو حيكال الملك الذي منحه إنليل القوة والذي اختارته الإلهة إنانا إلى قلبها، الرجل العظيم، إلى المعركة من أوروك ضد (تريكان)... وعندئذٍ تملك الفرح أهالي أوروك وأهالي كولاب وتبعه رجال مدينته كأنهم رجل واحد.

وفي اليوم السادس وصل أتوحيكال إلى (كاركار) ووقف أمام الإله أشكور ودعاه قائلاً:

أيها الإله أشكور، لقد أعطاني الإله إنليل السلاح فكن عوني في المهمة.

وكان الكوتيون قد جمعوا قواتهم في ذلك المكان... غير أنّ أوتو حيكال، الرجل العظيم، تمكن من دحرهم وأسر قائدهم. وعندئذٍ فرّ (تريكان) والتجأ إلى مدينة (دبروم)، ولكن رجال (دبروم) ألقوا القبض على تريكان وعائلته ووضعوا القيد في يديه... ولما جُلب تريكان أمام أوتو حيكال ألقى بنفسه عند قدميه... فوضع أوتو حيكال قدمه على رقبته... وهكذا أعاد الملوكية إلى بلاد سومر». (انظر علي 1983: 80)

4. العهد السومري الحديث (سلالة أور الثالثة)(2113 - 2006) ق. م

حاول أوتو حيكال بعد انتصاره توحيد المدن السومرية وجمعها تحت حكمه، وكان قد نشب نزاعٌ بين مدينتي لكش وأور التابعتين له فحاول تسوية هذا النزاع، لكن حاكم مدينة أور المسمى (أورنمّو) لم يقبل بهذه التسوية

فانفصل عن حكم أوتو حيكال، ثم قامت بينهما حرب انتهت بانتصار (أورنمّو) الذي أسس سلالة سومرية جديدة هي (سلالة أور الثالثة) التي قدر لها أن تبعث المجد السومري وتوحد سومر ثم تحولها إلى إمبراطورية جديدة ورثت أغلب ما كان تحت نفوذ الإمبراطورية الأكدية.

«شكلت سلالة أور الثالثة منذ بدايتها إمبراطورية بكل معنى الكلمة أديرت بإحكام، وأولى الملوك بعض المقاطعات اهتماماً خاصّاً لأهميتها. ومن أجل تنفيذ مشاريع الدولة الكثيرة في التوسع والإعمار طبق شولكي منذ سنة حكمه الواحدة والعشرين سياسة جديدة لزيادة دخل الدولة لتمكينها من المضيّ قدماً في خططها فسيطرت الدولة فيها على موارد الإنتاج وصارت المالكة للأراضي والمحتكرة لها وللصناعات إلى جانب المعابد». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2، سامي سعيد الأحمد 1985: 22).

حكم في هذه الإمبراطورية خمسة ملوك هم (أورنمّو، شولكي، أمارسين، شوسين، أبي سين).

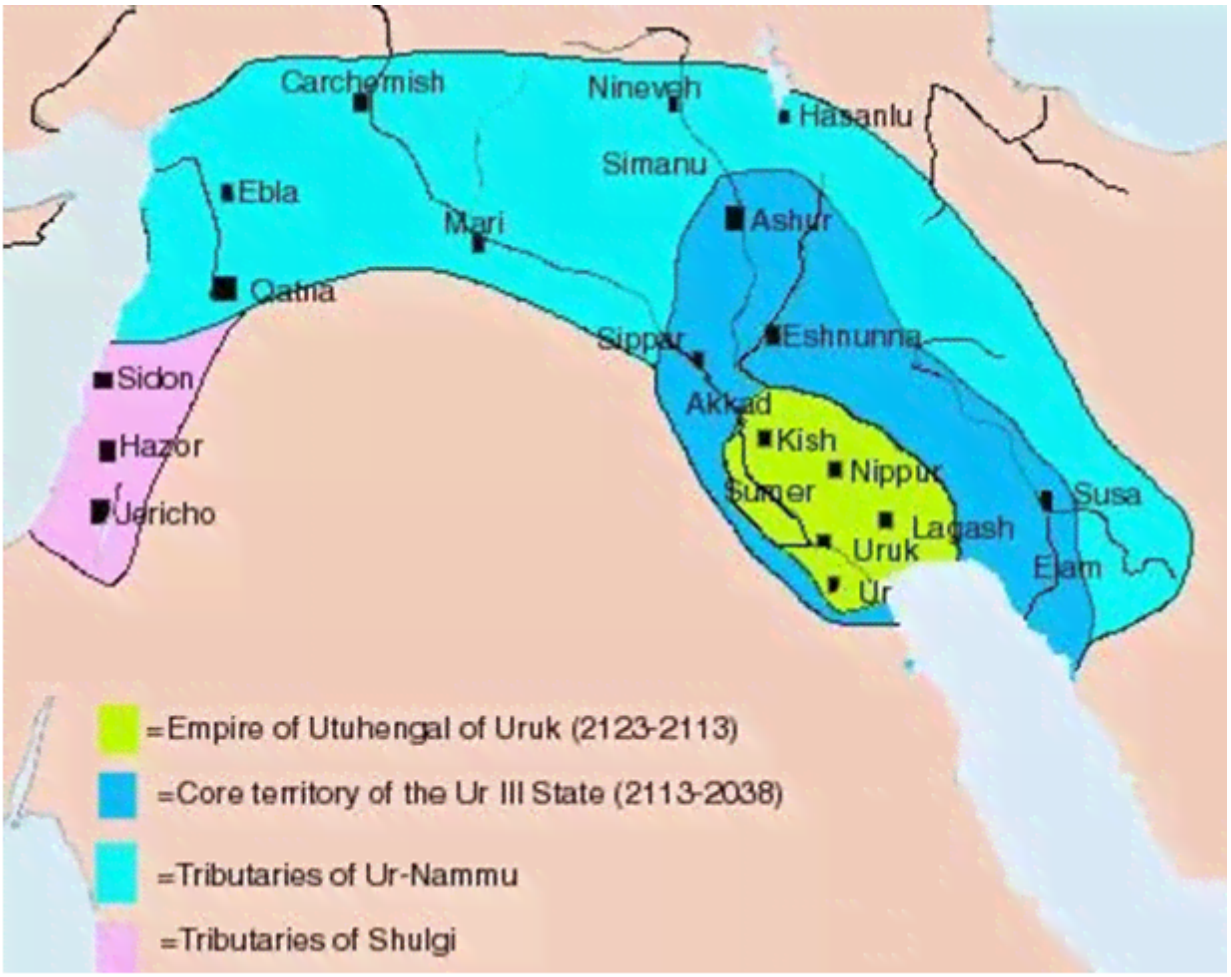

الدولة (الإمبراطورية) السومرية منذ أوتو حيكال إلى شولجي / عهد سلالة أور الثالثة حوالي 2100 ق. م

وخلال القرن الذي حكمت فيه هذه الإمبراطورية أنجز السومريون أعظم نواميسهم الحضارية في جميع المجالات وثبتوا أركان حضارة كبيرة ستكون منطقة إشعاع لكل العالم القديم.

ويعتبر الملك أورنمّو أكثر ملوك سلالة أور الثالثة شهرةً وعظمة، فقد اهتمّ بالبناء والعمران في معظم مدن سومر مثل أور والوركاء ولكش ونفّر وأريدو. ولعل أشهر إنجازاته العمرانية هي زقورة معبد الإله نانا إله القمر في العاصمة أور. ويعتبر أورنمّو من أقدم المشرعين في التاريخ فقد وصلت شريعته المدونة باللغة السومرية والتي تعكس إحساسه الإنساني بالعدل

وسنّه لقوانين الغرامات المالية بدلاً من القصاص الجسدي (العين بالعين) الذي سنّته لاحقاً شريعة حمورابي.

تمثال من النحاس لرأس أورنمو | وتمثال رأسي لابن أورنمو الملك شولجي

وحكم شولجي بن أورنمّو بعد والده مدة 48 عاماً كانت ذروة إنجازات هذه الفترة، وكان هذا الملك قائداً عظيماً وإداريّاً ناجحاً، كما أنه كان موهوباً وراعياً للثقافة والحضارة والفنون «بل أضاف الكتبة إلى ذلك أنه كان أول موسيقار في المملكة، فكان يحسن العزف على ما لا يقل عن ثماني آلات موسيقية، من بينها قيثارة وصفت بأنها ذات (ثلاثين وتراً)، وآلة موسيقية سميت باسم أحد ملوك كيش القدامى هو أور- زبابا». (باقر 2011: 424).

وقد ظهرت العلامات المبكرة لضعف الدولة السومرية مع بداية حكم آخر ملك من ملوكها (أبي سين) وساعد على سقوطها الوضع الاقتصادي الصعب الذي مرت به بلاد سومر حيث ارتفعت الملوحة إلى الأرض الزراعية وقل إنتاجها الزراعي، وكان لسعة مقاطعات الإمبراطورية السومرية والأصقاع البعيدة الأثر الكبير في عدم القدرة على إدارتها الاقتصادية والسياسية.

وقد جاء ذلك كله ليهيّئ لضربة قاصمة قام بها العيلاميون من الشرق والأموريون من الغرب حيث كانت سومر بمدنها المتحضرة مصدر طمع لهؤلاء. وما إن اغتال العيلاميون والأموريون سومر حتى اختلفا، فقام الأموريون بطرد العيلاميين من وادي الرافدين وأصبحوا هم ملوك السلالات والممالك الجديدة. ولكنهم رغم ذلك كانوا يستعملون اللغة السومرية... وكانت الثقافة السومرية

هي الأساس في الثقافة الأمورية التي يمكن أن نسمي عصرها ذاك بـ(عصر دويلات المدن الأمورية) والذي ضمّ حكم سلالات إيسن ولارسه وأشنونا وماري وبابل.

كانت النهاية السياسية للسومريين في حوالي 2006 ق. م بسقوط الإمبراطورية السومرية. ولكن الثقافة السومرية كانت المعين العظيم لكل ثقافات وادي الرافدين، بل ولكل ثقافات المنطقة والعالم سواء في الكتابة أم العلوم أم الأديان أم الفنون أم الآداب... إلخ

لقد كانت الثقافة السومرية أول ثقافة بشرية أصيلة ساهم الإنسان والطبيعة وتراث العصور القديمة في صياغتها... ولذلك كانت هذه الثقافة مصدر ثقافات العالم القديم كله. وكان الدين السومري هو أول دين ذي أنظمة ميثولوجية ولاهوتية وطقسية واضحة ومحددة ومتناسقة ولها أرضيات متصلة تتغذى من بعضها وتفصح عن إيقاع واحدٍ وعميق داخلها.

5. العهد السومري المتأخر: نهاية السومريين ومصير لغتهم

مثلما اختلف الباحثون حول أصول السومريين فإنهم اختلفوا حول مصيرهم ونهايتهم، وسنعرض أهم الآراء في هذا المجال:

1. ذوبانهم في المحيط السامي لوادي الرافدين:

أغلب الباحثين يرون أنّ السومريين ذابوا تدريجيّاً في محيطهم السامي المتناسل بقوة والطامح لامتلاك السلطة، وأنهم قد تلاشوا بعد حروبهم مع العيلاميين والأموريين وأحرقت مدنهم واختفت لغتهم، وبقيت اللغة السومرية لزمن هي لغة الأدب والقوانين والمعاملات. ثم سيطرت اللغة الأكدية على كل بلاد الرافدين والمنطقة وبقيت اللغة السومرية أشبه ما يكون بلغة طقوسٍ، وتلاشت تدريجيّاً، وهو الرأي الأرجح والأقوى.

2. هجرتهم إلى الأهوار:

بعض الباحثين يرى، ومنهم عالم الأنثربولوجيا الأميركي هنري فيلد، أنّ السومريين احتموا أو انطووا في الأهوار الجنوبية الشرقية لوادي الرافدين،

وأن سكان الأهوار هم أحفادهم الذين بقوا في العراق قرابة خمسة آلاف وعاشوا فيها خوفاً من انقراضهم. وقد رصد كافين يونغ تاريخهم وحياتهم وأكد على علاقتهم الأنثربولوجية بالسومريين فوجد أنّ «أطفال القصب المغمورين قد كبروا، فلم يكونوا أساساً غير صيادي سمكٍ مسالمين من سومر، ثم حماة للاجئين من (ملك الكون) الآشوري، وخيالة المغول؟ فيما بعد وجد شاهات وخانات الفرس الغزاة نوعاً آخر من السكان. قرون طويلة من التعامل مع وافدين مكروهين – جنود أجانب، وجباة ضرائب، وسارقي ماشية، ومعاوني حكامٍ قساة – ولّدت لديهم شكوكاً ضد الزوار. وقد أصبحوا، كما اكتشفت ذلك فيما بعد، بارعين في إخفاء مشاعرهم الحقيقية. لقد لاحظتهم يتحدثون مع ممثلي (الحكومة) الرسميين بأدب شديد ووجوه جامدة ويقظة كوجوه لاعبي البوكر». (يونغ 1998: 5).

ونحن نرى أنّ هناك ما يربط بين السومريين وسكان الأهوار الحاليين من خلال الثقافة الراسخة في المكان والمتوارثة جيلاً بعد آخر، وليس بالضرورة من خلال وراثة جينية، ثم إن الأهوار ظهرت في وادي الرافدين في حدود القرن السابع قبل الميلاد، وهو زمن بعيد عن نهاية الكيان السياسي للسومريين وطغيان العنصر السامي.

3. هجرتهم إلى بلاد الشام:

نرى أنّ فكرة هجرة السومريين إلى بلاد الشام عموماً وفلسطين خصوصاً موضوعة لغرضين، أولهما لتبرير وتأكيد فكرة خروج إبراهيم الخليل مع عائلته وتارح وأبيه لوط لأجل إثبات الأصل السومري لإبراهيم، والثانية لربط اليهود بشعب عبقريّ ومبتكر في إشارة لتبرير ذكاء اليهود وتفوقهم على غيرهم.

الغرض الأول يتعارض مع رواية التوراة التي تذكر أنّ إبراهيم ينتمي إلى القبائل الآرامية وليس للسومريين، والثانية فيها تفسير عنصري لا وجود له على أرض الواقع حيث لا يوجد شعب نقي العنصر، واليهود هم أفضل مثل لهذا الموضوع وهو ما تثبته البحوث الجينية العلمية لهم.

4. هجرتهم إلى مصر:

أغرت فكرة وجود عناصر مشتركة بين السومريين والمصريين القدماء القول بأن قدم السومريين وبعض رسومهم ومبتكراتهم كان سبباً في ظهور الحضارة المصرية، وهو أمر مبالغ فيه قياساً للتفاعل الطبيعي بين الشعوب وعناصر حضارتها، فالمصريون ابتكروا حضارة عظيمة أصيلة لا نظير لها بجهودهم الكاملة، وعلى هذا الأساس لا نرى أنّ هناك هجرة سومرية لاحقة لكي نبرر بها عبقرية الحضارة المصرية.

الفصل الرابع

المظهر السياسي

المبحث الأول: نظام الحكم

الملوك المحاربون

sargon. blogspot. nl/p/history. html2http://sumer

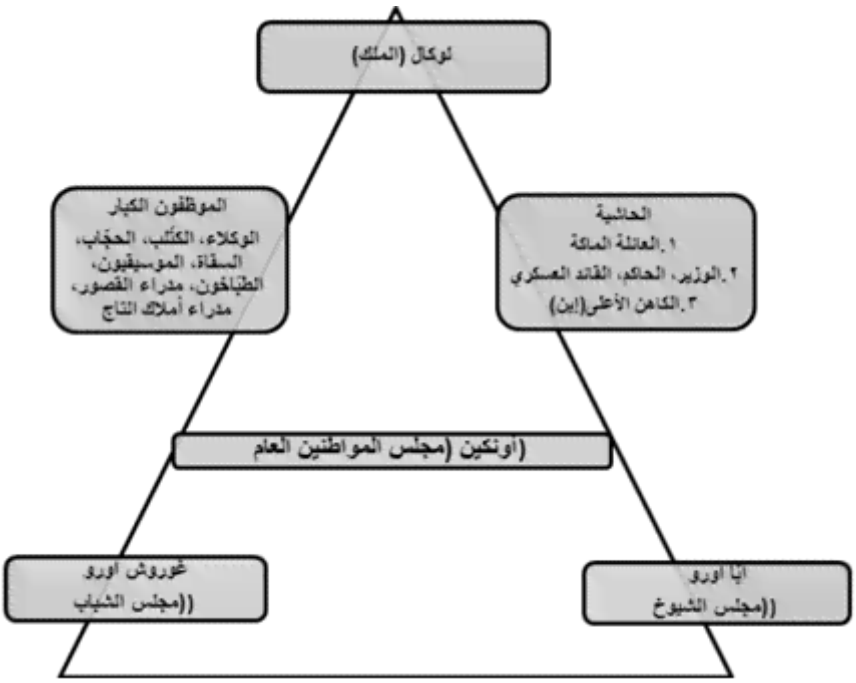

الهيكل السياسي والإداريّ السومري

ملك سومري وزوجته يباركهما رجل الدين ويحيط بهما الجنود والوزير

http://sumer2sargon. blogspot. nl/p/history. html

المبحث الثاني: نظام دولة المدينة

المعبد مركز المدينة السومرية

http://sumer2sargon. blogspot. nl/p/history. html

أوروك كنموذج للمدينة السومرية

http://sumer2sargon. blogspot. nl/p/history. Html

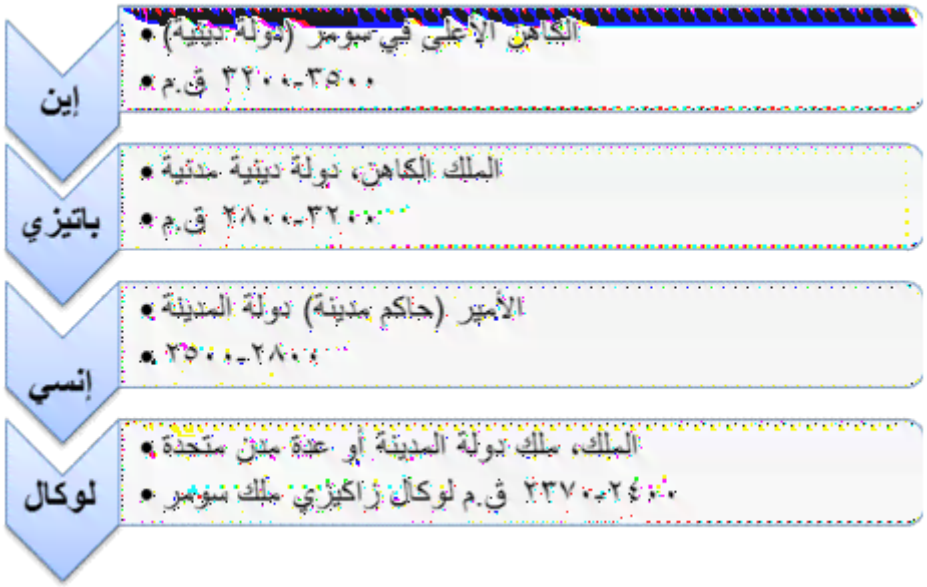
إين
الكاهن الأعلى في سومر (دولة دينية)
٣٢٠٠-٣٥٠٠ ق.م
باتيزي
الملك الكاهن، دولة دينية مدنية
٢٨٠٠-٣٢٠٠ ق.م
إنسي
الأمير (حاكم مدينة) دولة المدينة
٢٥٠٠-٢٨٠٠
لوكال
الملك، ملك دولة المدينة أو عدة مدن متحدة
٢٣٧٠-٢٤٠٠ ق.م لوكال زاكيزي ملك سومر

المبحث الثالث: العلاقات الخارجية

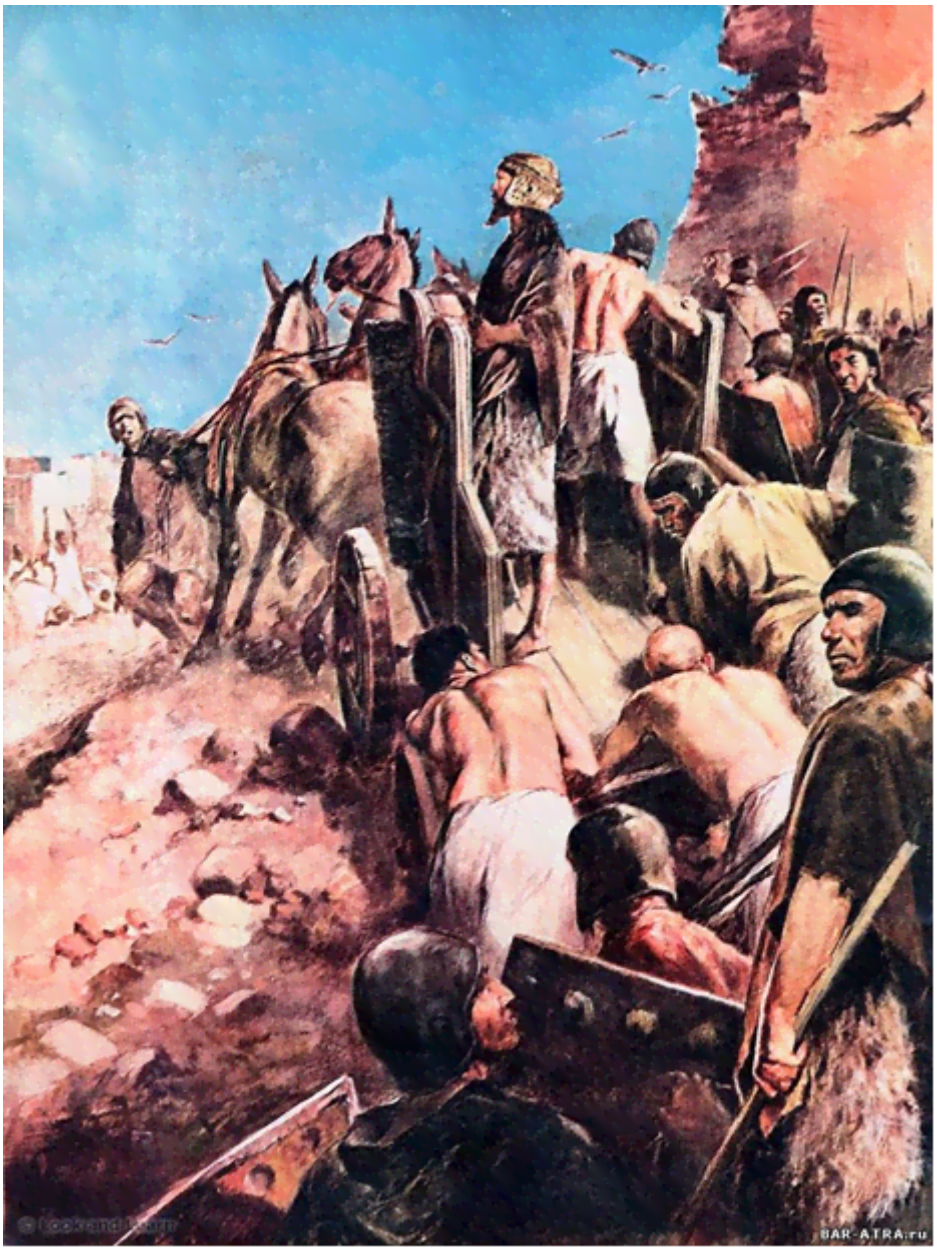

الصراع بين أوما ولجش

html .http://sumer2sargon. blogspot. nl/p/sumerian-hundred-years-war

المبحث الرابع: القوانين السومرية

أورنمو أمام إله القمر، وشريعته

الفصل الخامس
المظهر العسكريّ والمدني
(الحرب والسلام)

المبحث الأول: النظام العسكريّ والأسلحة

نماذج معادة الرسم لمركبات سومرية حربية

	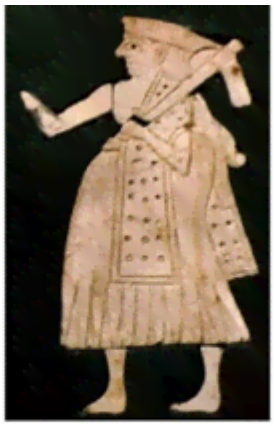
الفأس وعدة المحارب السومري http://robbiemcsweeney. deviantart. com/art/Sumerian-infantry-340649395	حامل الفأس (parot 1970: 21)

جنود سومريون في مسلة العقبان

http://www. crystalinks. com/sumermilitary. html

صف من الجنود المسلحين من لوحة السلام والحرب

http://www. crystalinks. com/sumermilitary. Html

صنوف وصفوف الجيش السومري (تمثيل حديث)

http://wabforum. co. uk/viewtopic. php?f=19&t=10469

المبحث الثاني: نظام الحرب

أولاً: سارية الحرب والسلام:

راية (ثابت) أور لوحة الحرب والسلام، ثابت أور (جانب السلام) 2600-2400 ق. م

Peace side of the Standard of Ur, from tomb 779, Royal Centery, Ur (modern Tell Muqayyar), Iraq, ca. 2600-2400 BCE. Wood, lapis lazuli, shell, and red limstone, 8″ X 1’7″. British Museum, London.

https://klimtlover. wordpress. com/mesopotamia-and-persia/mesopotamia-and-persia-sumerian-art/

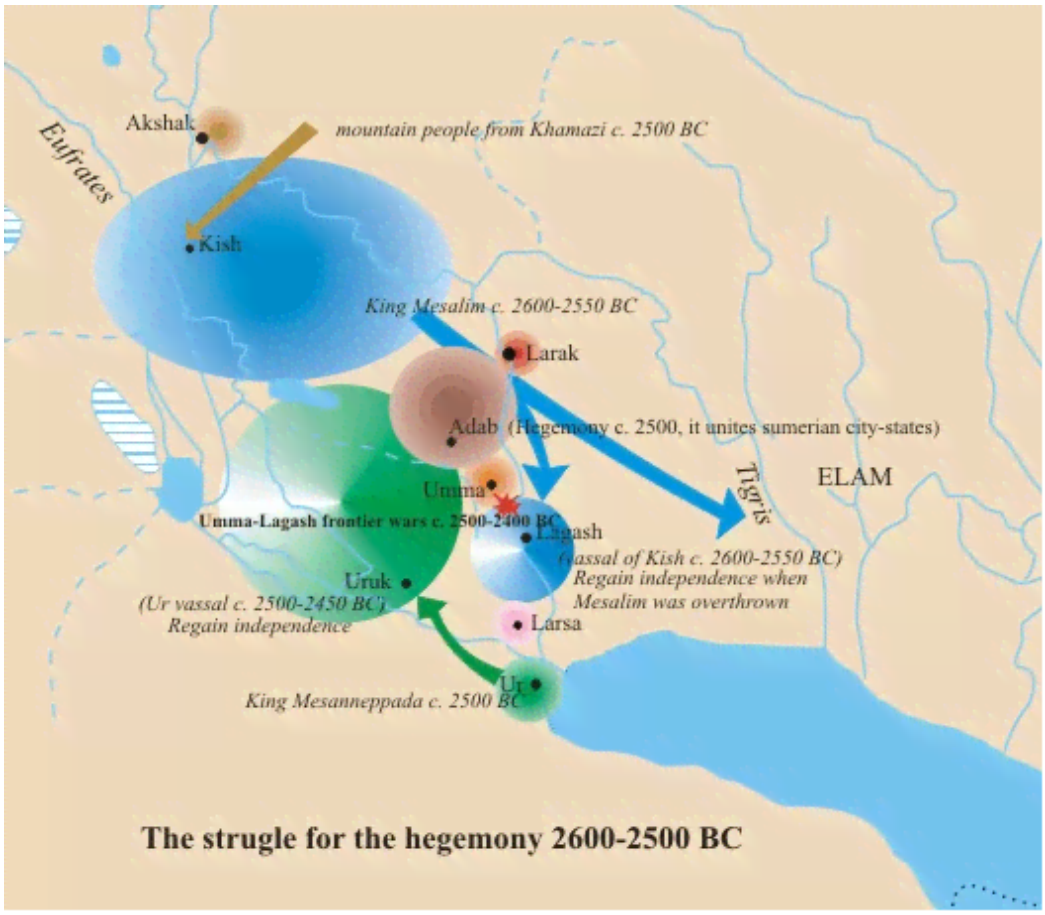

النزاع من أجل الهيمنة ما بين 2600 – 2500 ق. م

جنود لجش يتقدمهم ملكهم إيانتم ماشياً
النسور تحمل رؤوس وأطراف الجنود القتلى

جنود لجش يتقدمهم ملكهم إيانتم على عربة عسكرية
جثث جنود مدينة أوما بعد نهاية المعركة

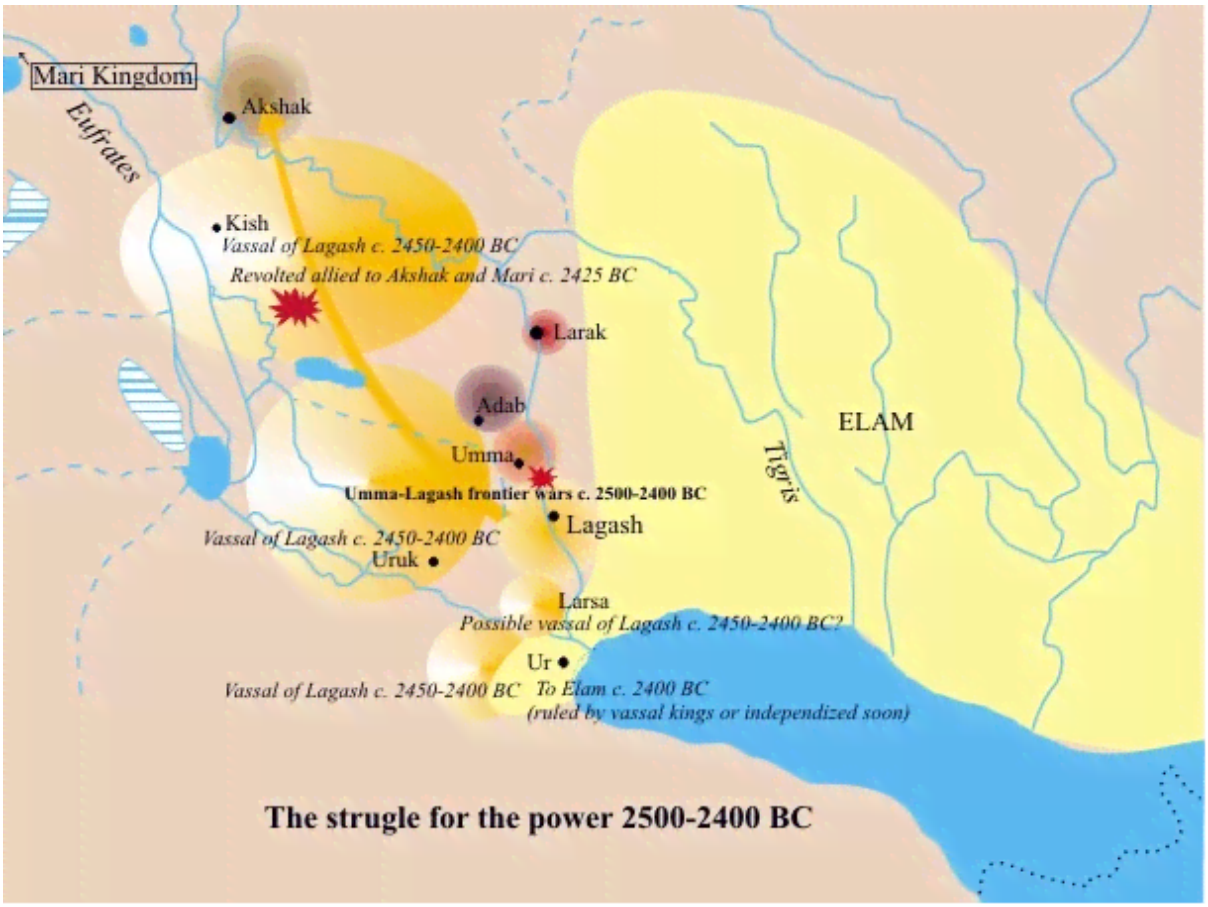

نزاع السلطة ما بين 2600 – 2500 ق. م

إمبراطورية لوكال زاكيزي حاكم أوما حوالي 2350 ق. م

وادي الرافدين ومحيطه الإقليمي حوالي 2300 ق. م

ثالثاً: الحرب النفسية:

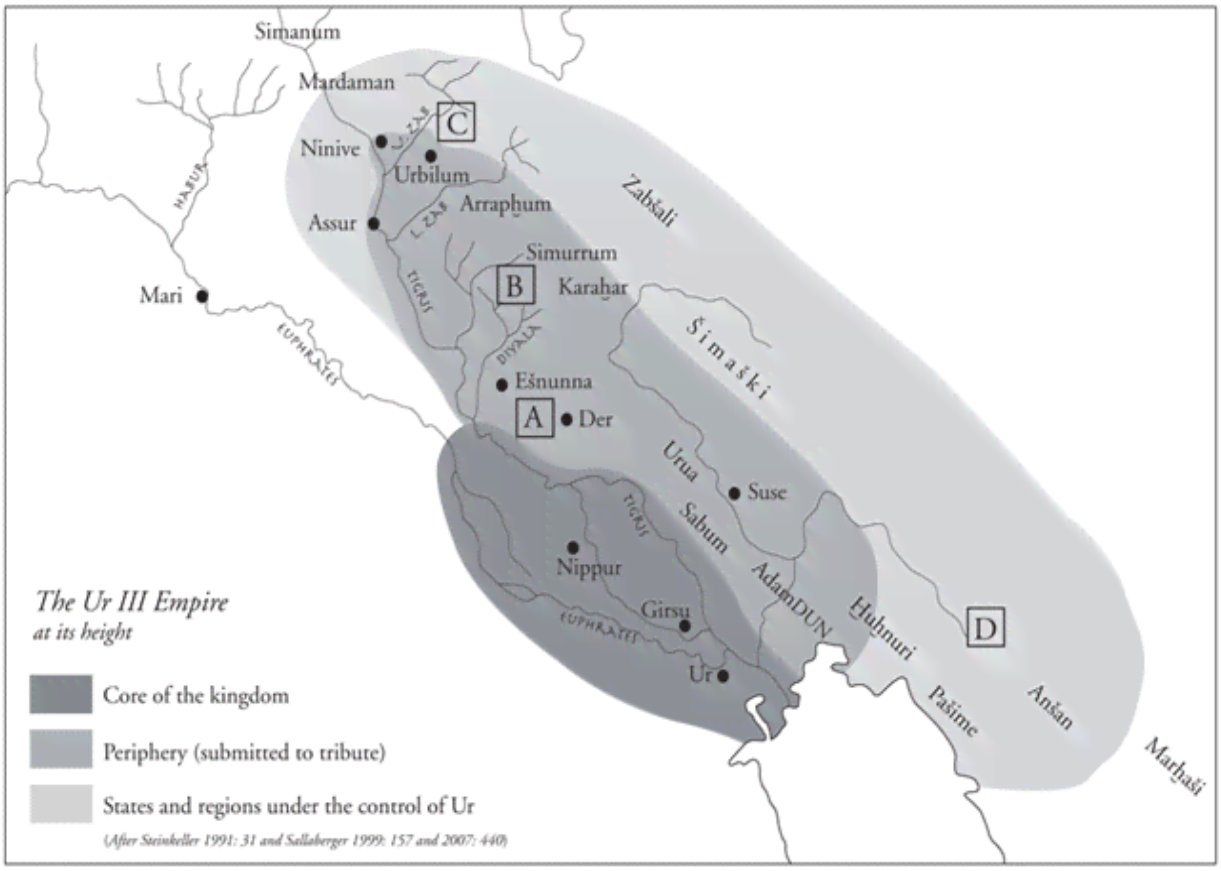

الإمبراطورية السومرية (أور الثالثة)

المبحث الثالث: نظام السلام

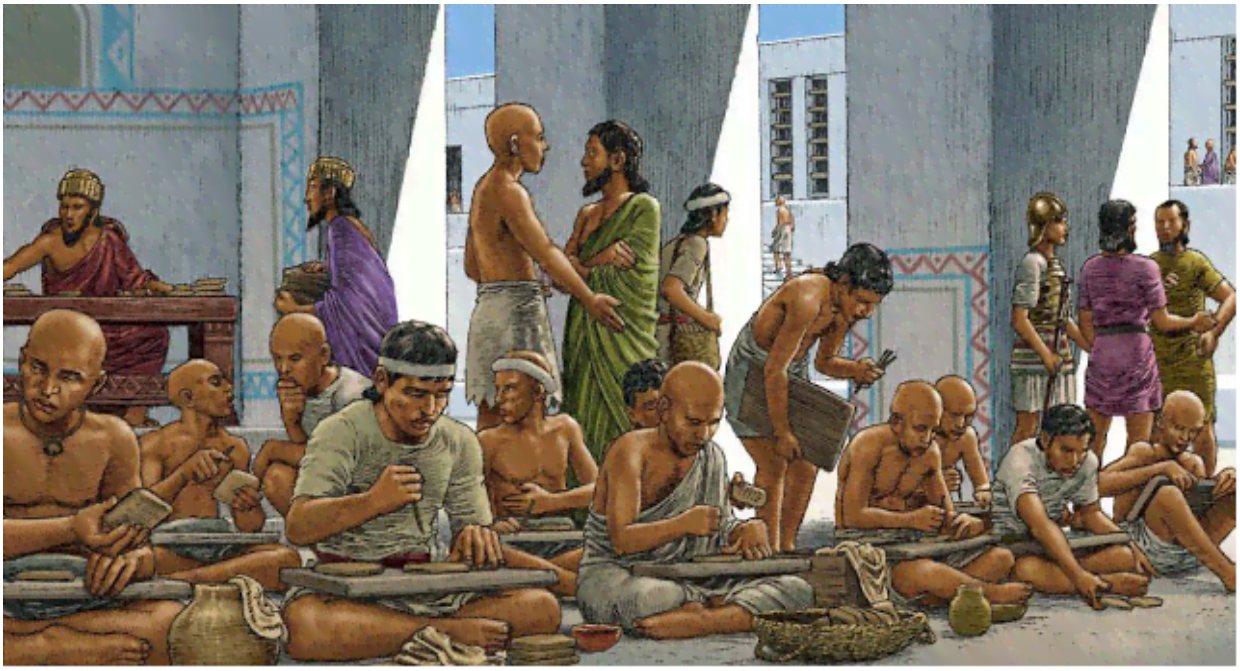

مدرسة سومرية

2. التعليم كحرفة وأخلاق:

الفصل السادس
المظهر الاجتماعي للحضارة السومرية

العشاء مساءً لعائلة سومرية

http://stravaganzastravaganza. blogspot. nl/2011/12/sumerian-family-life. html

المبحث الأول: الميزات الأساسية والسايكولوجيا الاجتماعية

المبحث الثاني: الطبقات والمؤسسات الاجتماعية

1. الطبقات الاجتماعية

ينقسم المجتمع السومري إلى خمس طبقات متميزة موضحة في الجدول الآتي:

1. الطبقة المالكة
2. الطبقة الحاكمة
3. الطبقة الوسطى
4. طبقة التابعين
5. طبقة العبيد والإماء(إر وجيمي)

كانت هناك تنسيق وتضافر بين الطبقة المالكة والطبقة الحاكمة، وهما الطبقتان الأعلى في المجتمع. وشملت الطبقة الوسطى التجار الذين يملكون شركاتهم الخاصة، والكتاب، والمعلمين الخاصين، وفي الوقت المناسب، رجال عسكريون رفيعو المستوى. المهن الأخرى للطبقة العليا كانت المحاسبين والمهندسين المعماريين والمنجمين (الذين كانوا عادة من الكهنة)، وراكبي السفن. وكان التاجر الذي يمتلك شركته الخاصة رجلاً مرفهاً. كان الكتاب يحظون باحترام كبير ويخدمون في المحكمة وفي المعبد وفي المدارس. كان كل معلم كاتباً، وكان أحد أهم التخصصات التي يتمّ تدريسها في كل مدرسة من بلاد ما بين النهرين هو الكتابة. التحق الأولاد فقط بالمدرسة. بينما تتمتع النساء

بحقوق متساوية تقريباً، إلّا أنهن ما زلن لا يعتبرن أذكياء بما فيه الكفاية ليتمكن من إتقان محو الأمية.

كانت الطبقة الدنيا مكونة من تلك المهن التي أبقت المدينة أو المنطقة تعمل فعليّاً مثل: المزارعين، والحرفيين، والموسيقيين، وعمال البناء، وبناة القناة، والخبازين، وصانعي السلال، والجزارين، والصيادين، وحاملي الكأس، وصانعي الطابوق والطوب، وعمال مصانع الجعة، وأصحاب الحانات، والبغايا، وخبراء المعادن، والنجارين، وصناع العطور، والخزافين، وصناع المجوهرات والمشغولات الذهبية، والعربة، وفي وقت لاحق، سائقي العربات، والجنود، والبحارة، والتجار الذين عملوا لصالح شركة رجل آخر. وفي ظل الظروف المناسبة (مثل مهارة استثنائية أو العثور على رعاية في ظل راعٍ ثري أو ملك) يمكن لأيّ عضو في الطبقة الدنيا تسلق السلم الاجتماعي.

السلّم الطبقي لشعب سومر

الفرد والنخبة

اعتاد مؤرخو الحضارة على إهمال دور الفرد في دراساتهم الثقافية والحضارية على أساس أنه من الصعب تلمس شخصية الفرد الموجودة في

تلك الحضارات البعيدة الزمن، فضلاً عن تنوع الأفراد طبقةً وجنساً ومكانة وتكويناً، ولكن هذا لا يمكن أن يجعلنا نهمل البحث في شخصية الفرد السومري الحضارية مثلاً أو غيرها من الحضارات القديمة والوسيطة.

نزعم أنّ الفرد في تلك الأزمان لم يكن يلعب دوراً فاعلاً بقدر المجتمعات أو الملوك أو رجال الدين أو الجيوش، ولكننا يمكن أن نقرر حرية الفرد من عدمها، ويمكننا تقصّي قدرته على التعبير ومستوى حقوقه الشخصية، خصوصاً أنّ المجتمعات ما زالت في بداية تكونها وما زال هناك متسع للفرد أن يلعب دوراً ما في حياة تلك الشعوب.

نرى أنّ النُّخب النوعية هي التي تساهم في نشوء الحضارة في مختلف قطاعتها، فما بين الكتلة الاجتماعية الكبيرة والأفراد هناك نُخب تتشكل في المجالات السياسية والاجتماعية والفكرية والثقافية والعلمية وهي التي تبتكر وتنتج أكثر من غيرها وتكون بمثابة الشواهد على رقيّ الحضارة في مختلف جوانبها، وبرغم أنّ وضوح دور هذه النخب لم يكن قويّاً في بدايات الحضارة، لكن هذا الدور يتنامى مع تطور الحضارات القديمة ونلتقط منه أسماءً كثيرة وجماعات معينة.

العنوان الساطع في هذا المجال هو الحكماء السومريون الذين كان يطلق عليهم اسم (أبكالو) والذين كانوا يقدمون حكمتهم للمجتمع والملوك قبل وبعد الطوفان، ولا شك أنّ هناك معماريين مهندسين وأطباء وفنانين وفلكيين... إلخ كانوا قد دفعوا عجلات الحضارة السومرية إلى الأمام، لكن الزمن غيّب أسماءهم. ويشبه هذا ما نعرفه عن نخبة الأبطال السومريين الذين صنعوا عصر البطولة الأول مثل (إينمركار ولوكال بندا وكلكامش... إلخ) في أوروك وهناك مثلهم في المدن الأخرى.

إن أسماءً، مثل آدابا وزيوسيدرا وإيتانا... إلخ، لا يمكن أن تكون مقطوعة عن سياقها النخبوي المزدهر لكن الآثار ما زالت لم تعطهم حقهم، وينطبق هذا على حضارات أخرى.

2. البيت والأسرة السومرية

بيوت السكن:

بيوت القرية مبنية بالطوب والخشب والقصب في أغلب المدن السومرية ويصلح أن تكون بيوت ومضايف القصب في الأهوار وريف العمارة والناصرية مثلاً حيّاً لبيوت الريف، بل إن عقدة القصب ما زالت تحمل شكل رمز إنانا (إلهة الحب) حتى هذا اليوم.

/www. pinterest. com/rhurst1945/uruk-sumer-mesopotamia//:http

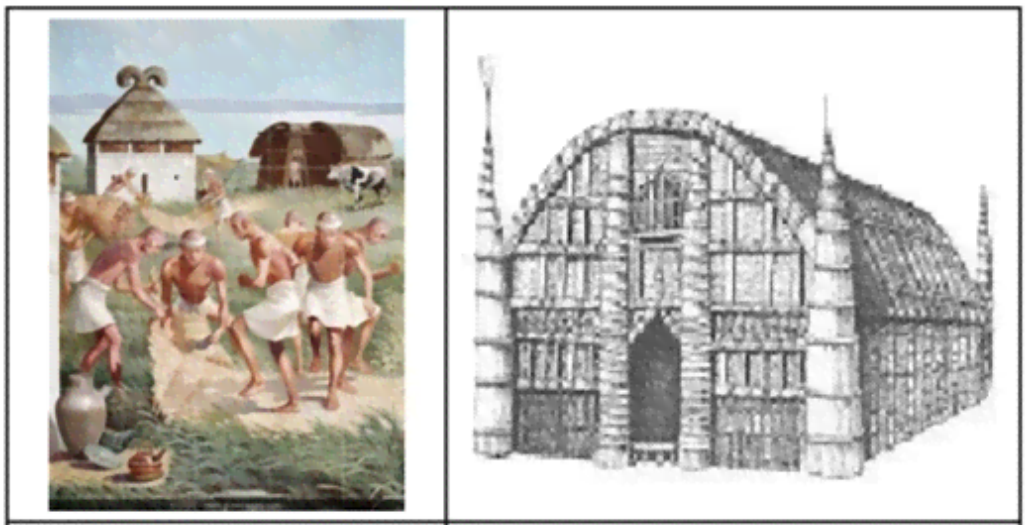

البيت الحالي في أهوار سومر للفلاحين	السومريون قرب بيوتهم يعملون

http://saturniancosmology. org/narmer. php

http://www. pinterest. com/rhurst1945/uruk-sumer-mesopotamia/

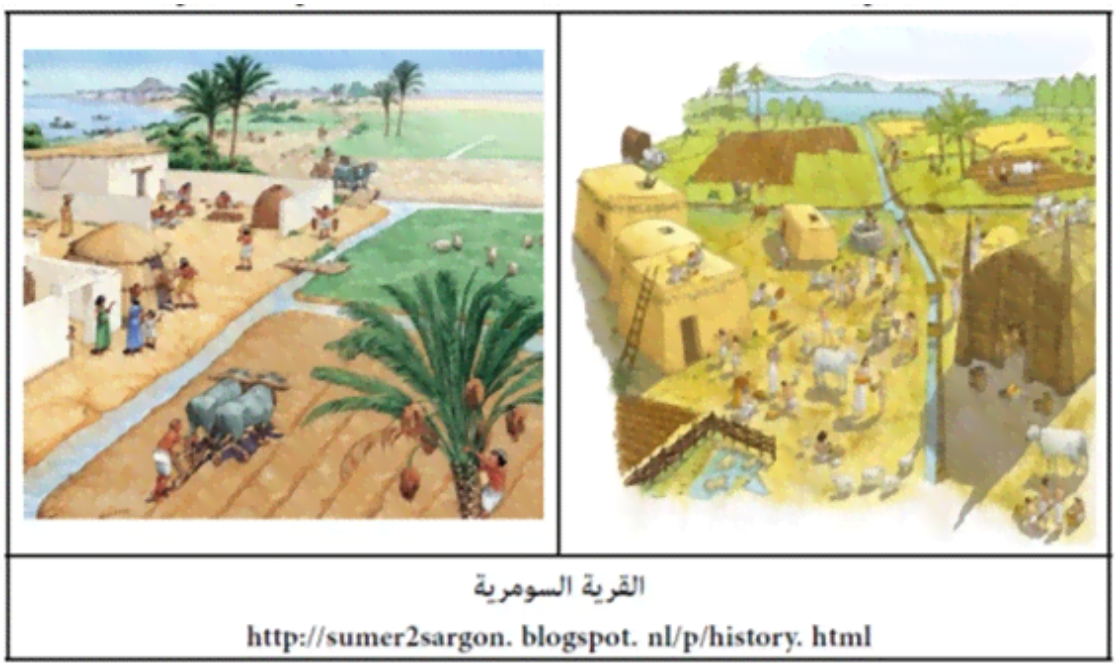

القرية السومرية

http://sumer2sargon. blogspot. nl/p/history. html

بيوت المدينة

أما بيوت المدينة فكانت تتكون من فناءٍ داخلي (حوش) تحيط به الغرف والتي يتراوح عددها 2 - 3 عادة وربما تصل إلى عشر في بعض بيوت الأسر الكبيرة، وقد تكون البيوت مكونة من طابقين مع بقاء الفناء مفتوحاً من الأعلى تحيط به الغرف.

تمّ توفير الإضاءة في المنزل بواسطة مصابيح صغيرة يغذيها زيت بذور السمسم، وأحياناً بواسطة نوافذ (في المنازل الأكثر تكلفة). شيدت النوافذ من الخشب، وبما أنّ الخشب كان سلعة نادرة، فإن المنازل التي شباكها غير شائعة تمّ تبييض الجزء الخارجي من المنازل المبنية من الآجر، وهو دفاع إضافي ضد الحرارة المشعة، ولن يكون هناك سوى باب خارجي واحد، إطاره مطلي باللون الأحمر الساطع لمنع الأرواح الشريرة. وبعد شهر سبتمبر حيث موسم الأمطار يتقي الناس البرد عندما يتمّ تسخين المنازل بحرق سعف النخيل أو خشب النخيل.

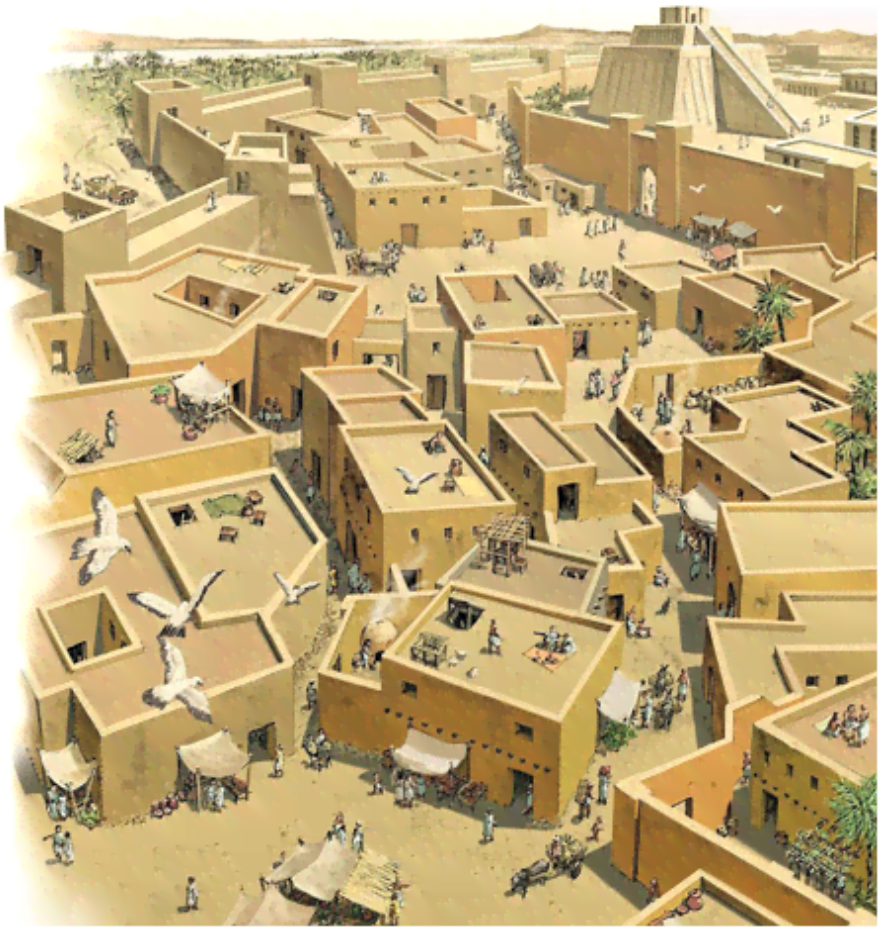

شكل ونظام البيوت في المدينة السومرية

p/sumerian-hundred-years-war. html/http://sumer2sargon. blogspot. nl

وهناك قصور سومرية للملوك وحكام المدن والأثرياء. وتمتاز البيوت بوجود موقد فيها وقد يكون داخل مطبخ محدد. وكانت البيوت تبنى من الطين وحزم القصب، وفي المدن كانت تبنى من الطابوق الطيني المشوي (الآجر)، وكانت الجدران مشتركة مع الجيران، وكانت سعة الغرفة تتراوح بين (10 21-) قدماً. وكانت هناك حمامات في بعض البيوت الثرية مجهزة بالماء والزيت.

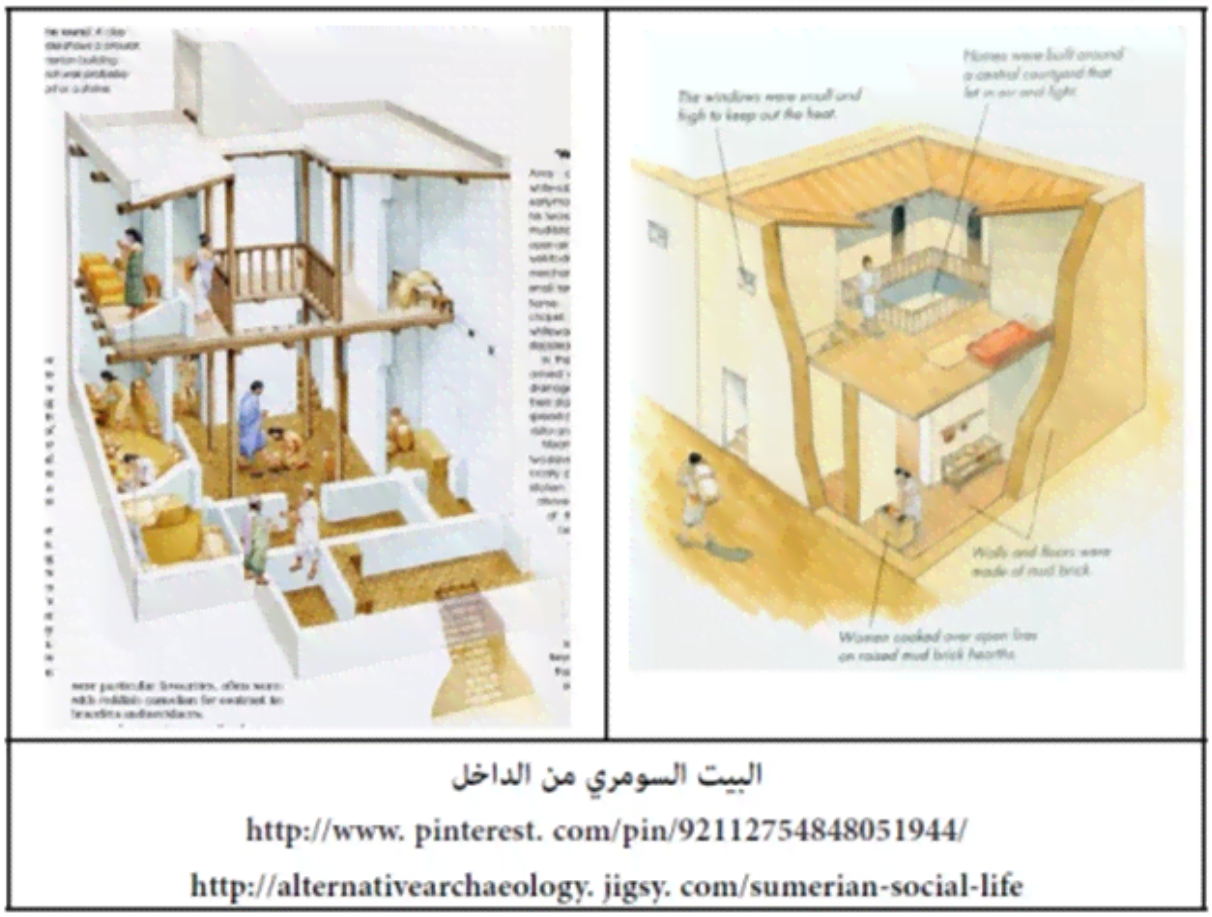

البيت السومري من الداخل

http://www. pinterest. com/pin/92112754848051944/

http://alternativearchaeology. jigsy. com/sumerian-social-life

عاش الملوك في القصور ومجمعاتها في المدن، وبنى الأغنياء بيوتهم قرب المركز، حيث تمّ بناء منازلهم من الطوب المجفف بالشمس، بينما كانت منازل الأشخاص الأقل حظّاً قد تمّ بناؤها من القصب. ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أنّ هذه المباني كانت لا تزال تعتبر منازل وليست «الأكواخ» التي يتمّ تخيلها في كثير من الأحيان. ولبناء منزل بسيط، سيتمّ اقتلاع النباتات في المستنقعات الطويلة، ويتمّ جمعها معاً، وتربط في حزم ضيقة. بعد حفر الثقوب في الأرض، سيتمّ إدراج حزم القصب، حزمة واحدة لكل حفرة. بعد ملء الثقوب وتعبئتها بحزم، يتمّ ثني أزواج الحزم التي تواجه بعضها بعضاً وتربطها معاً في الأعلى، وتشكل قوساً. سيتمّ ضم الحزم المتبقية معاً بطريقة متشابهة... ثم يتمّ لفّ حصير القصب من الأعلى لتغطية السقف، أو تعليقه من فتحة الجدار لإنشاء باب.

الأسرة السومرية

شكلت الأسرة السومرية النواة الصلبة للمجتمع السومري الذي لم يكن قبليّاً، بل كان مجتمعاً مدينيّاً زراعيّاً يعلن بتواضع أنّ حضارته هي حضارة الطين، لكنها كانت أكثر الحضارات إشعاعاً وقوة، إذ إن مئات الآلاف من الرقم الطينية تدل على حسن التنظيم في كلّ شيء، وهو ما أبهر به العالم القديم مجتمع صغير كالمجتمع السومري، ولعل الأسرة السومرية كانت أعظم ما حافظ عليه هذا المجتمع بسنّ القوانين والشرائع التي تحفظ تماسكها وحقوقها ورعى، بشكل خاص، حقوق المرأة والطفل رغم أنه لم يستطع أن يلجم كليّاً غلواء الرجل وتهوره.

تتكون الأسرة السومرية، أولاً، من الرجل والمرأة، وتعدّ العائلة السومرية عائلة أبوية تكون فيها حقوق الأب أكثر من حقوق الأم أو المرأة، ولكن المرأة لا تُستَعبد مثل ما هو موجود في الحضارات الأخرى اللاحقة في العالم. وللمرأة السومرية عدة أسماء منذ طفولتها حتى كبرها موضحة في هذا الجدول:

الاسم السومري بالحروف اللاتينية	الاسم السومري	الاسم العربي
Dumu دومو		طفل
Maru-Dumu	مارو- دومو	ولد
Dumu- Sal	دومو سال	بنت
Munus -tur	مونوس تور	صبية
Ki-Sikil-Tur	كي سيكل تور	بنت بعمر 11-14 سنة
Ki-Sikil	كي سكل	شابة
Wardatu Sinnis	سنّس ورداتو	شابة
Assat	أسّات	زوجة
Beleti,Nin	بليتي، نن	سيدة
Ma	ما	امرأة
Dam	دام	سيدة متزوجة
Ma-Dam	ما دام (مدام)	السيدة المتزوجة الأم
Numasu	نوماسو	الأرملة
Sag-eme ,Sag-nunus	ساج إيمي، ساج نونوس	الأمة (العبدة)

أسماء المرأة في مراحلها المختلفة

لا بدّ من ملاحظة مصطلحين حديثين لهما جذران سومريان واضحان، الأول (دومو سال) الذي يعني البنت، فإذا ما أضفنا له مقطع (ما) معناه بالسومرية (امرأة) فيتكون لدينا كلمة (ما دومو سال)، وهي ذاتها كلمة مادموزيل التي تستخدمها اللغة الفرنسية وتعني بها المعنى نفسه، أي المرأة البنت أو المرأة الشابة غير المتزوجة.

أما المقطع المصطلح الثاني فهو (ما دام) الذي يعني بالسومرية المرأة المتزوجة الأم والذي تستخدمه أكثر من لغة أوروبية معاصرة بصيغة (مدام) لتعني به المرأة المتزوجة.

الكاهنات كنَّ يتزوجن، في المجتمع السومري، لأغراض اقتصادية واجتماعية وكنَّ يمنحن حقّ التبني أو حيازة الإماء للرجل من أجل الإنجاب، فهنَّ، في الغالب، كنَّ ممنوعات من الإنجاب، وبعضهن كنَّ ينجبن سرّاً.

وكانت حقوق الزوجة محفوظة إلى حدّ كبير في كل الشرائع السومرية (راجع فقرة الشرائع السومرية). وكان التماسك العائلي غاية عظيمة في مجتمع بدأ ينمو ويتخصص وتغلب فيه الأهواء الخاصة أحياناً.

عقد الزواج محفوظ كلوحٍ من الطين عند الرجل والمرأة وهو مدوّن في محكمة وبحضور شهود، وبإشهار علني ذي حفلةٍ وبمعرفة الجميع وترعاه الآلهة والدولة.

كان الزواج بامرأة واحدة هو السائد، وكان الطلاق وارداً بشروط، وكان الإرث منضبطاً بقوانين، وكانت هناك محرمات مثل وجوب عدم الاتصال جنسيّاً بالزوجة قبل الزواج، وعدم المساس جنسيّاً لأيّ امرأة متزوجة وعدم الاتصال بالابنة وزوجة الابن وبالأم بعد وفاة الأب وبالأخت وحتى بابنة العم والخال. ولا يجوز للرجل حجب الإرث، ويجوز التبني وغيرها من القوانين تصون العائلة وتحميها.

3. المرأة السومرية

حظيت المرأة السومرية بمقام رفيع في مجتمعها وقد كفلت لها القوانين السومرية حقوقها في كل المجالات الاجتماعية. وحفظت شريعة أوركاجينا حقوق النساء المتزوجات والأرامل والأيتام، وحمت النساء من جشع الطامعين بهن من أسرهنّ أو مجتمعاتهنَّ. ولعل أبرز ما احتوته، أيضاً، هو منع النساء من التزوج بأكثر من رجل واحد وسنّت عقوبة الرجم بالحجارة لكل امرأة تخالف ذلك.

سيدة أوروك حوالي 3500 ق. م، قناع مرمري	امرأة سومرية من حوالي 2500 ق. م	سيدة سومرية في حدود 2400-2300 ق. م

http://abitseries2bronzeage. wordpress. com/mesopotamian-women-labans-ladie

http://www. pinterest. com/tibettenzin/iraqmesopotamiababylonassyrian-and-the-sumerian

وكفلت الشريعة حقوق المرأة في العمل وساوت أجورها بأجور الرجل، ومن أهم الأعمال التي مارستها المرأة في ذلك الوقت هي الزراعة وغسل الصوف وصنع الأنسجة والأقمشة، أما أجورها فكانت مقادير محسوبة من الحبوب والزيوت والأغذية الأخرى.

وكذلك فعلت شريعة أورنمّو في موضوعات الحقوق والزواج والمهن الخاصة بالنساء. فالسومريات لهنّ الحق بامتلاك الإماء والبساتين والأرض والماشية والأملاك الأخرى، ولها حقوق الشراء والبيع وامتلاك وإعتاق الخدم والعبيد، ولها حق إبرام العقود. وللمرأة الحق برفض من يتقدم لها ولها الحق بالحصول على مؤخر الطلاق إذا انفصلت عن زوجها وهو منٌّ من الفضة (حوالي

نصف كيلو غرام من الفضة). ولها الحق بعدم العودة إليه إذا طلب استعادتها بعد هجرها.

المرأة السومرية ظهرت بمهن كثيرة كالفلاحة والعمل داخل الحقول وغزل الصوف وبيع الخمور وتزيين الشعر وطحن الحبوب، وكان لبعضهن أختام خاصة في المعاملات. ومارست المرأة مهنة الكتابة. ومارست مهنة العزف على القيثارة.

سيدات المجتمع السومري:

هناك أمثلة واضحة تدلّ على المكانة الرفيعة لنساء سومريات حظين بمكانةٍ رفيعة في المجتمع السومري، فنال بعضهن لقب (باب. باب) الخاص بإنانا ويعني (نساء الخصوبة) وهنَّ:

1. دِم باندا: وهي زوجة الحاكم (إينيتارزي) حاكم لجش في حدود 2384 ق. م التي كانت تترأس الاجتماعات الدينية.

2. بارنماتارا: وهي زوجة الحاكم (لوكالندا) حاكم لجش الذي أزيح عن العرش بسبب جشعه في 2238 ق. م، والتي احتفظت بمقامٍ رفيع حتى بعد إزاحة زوجها وأقيمت لها مراسيم دفنٍ رفيعة بعد وفاتها من قبل شاشا زوجة أوركاجينا.

3. شاشا: وهي زوجة الحاكم (أوركاجينا) حاكم لجش الذي أزاح لوكالندا في أوركاجينا وهي كاهنة الإلهة باو في لجش.

4. بو آبي: وهي (شبعاد) زوجة ملك أور حوالي 2500 ق. م وقد عثر على تاجها في مقبرة أور ولا يعرف عنها الشيء الكثير ولكنها «تمتعت بمركز رفيع، إذ دفن معها تسعة وخمسون شخصاً وكميات كبيرة من الحاجيات الثمينة والعربات والأدوات، ولكن عدم وجود اسم هذه الملكة والملك زوجها في جدول سلالات الملوك دفع بعض المنقبين إلى اعتبارها من ضحايا الزواج المقدس أحد الطقوس السومرية التي كانت تقام لضمان الخصب والرخاء في البلاد. ففي هذه المراسيم كان الكاهن الأعلى أو الملك أو من ينوب عنه يقوم بدور الإله

ويتزوج إحدى الكاهنات التي تمثل بدورها إلهة الخصب وذلك وسط ترانيم وصلوات وطقوس دينية معينة. وكان الملك يدفن مع حاشيته بعد قيامه بطقوس الزواج المقدس وذلك تشبهاً بإله الخصب تموز عند نزوله إلى العالم السفلي». (عقراوي 1976: 220).

بو آبي (شبعاد) ملكة أور

archive. html_http://womenofhistory. blogspot. nl/2013_11_01

5. سيمات أشتران: وهي ملكة مدينة جرشانا السومرية التي حكمت بعد وفاة زوجها في حدود القرن الحادي والعشرين قبل الميلاد.

كانت بو آبي مدفونةً بكامل زينتها وممددة على سرير خشبي مع وصيفتين لها الأولى قرب رأسها والثانية قرب قدميها، ومعها ثلاثة أختام أسطوانية لازوردية تحمل اسمها ولقبها.

6. بارا – إينون: وهي ابنة أورلما في حدود 2470 ق. م حاكم مدينة (أومّا) (وهي تل جوخة الآن)، وهي زوجة كيشاكيدو ابن الحاكم إيل.

7. أبي سمتي: وهي ملكة من ملكات سلالة أور الثالثة ذكرت في مدونات حكم الملك أمارسين في حدود 3038 ق. م وقد حصلت على ألقاب دينية خاصة بتقديم الماشية أثناء المراسيم الدينية وساعدتها أختها (بيزوا).

8. كيمي أنيلا: وهي زوجة الملك أبي سين (3029 - 3006) ق. م

9. توكن – خاتا- ميكريشا: وهي أميرة من عصر أبي سين تزوجت حاكم مدينة ريشالي.

المغنيات والموسيقيات السومريات:

تظهر لنا، من خلال رسومات ألواح الطين والحجر والأختام الأسطوانية، صور كثيرة لنساء سومريات مغنيات وموسيقيات، فقد احترفت المرأة السومرية هذه الحرفة وجعلتها مصدراً من مصادر عيشها، وكانت مهنة العزف الموسيقي تحظى باهتمام بنات الملوك والأميرات السومريات. ولعل أشهر موسيقية ومغنية سومرية جاءت من ماري وهي (أورنانشه) وتسمى أيضاً (أورنينا).

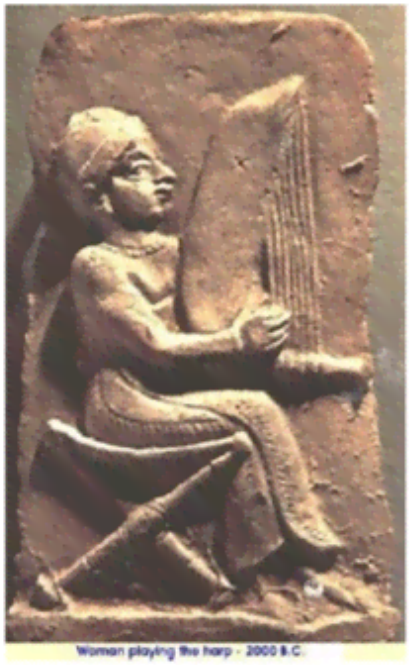	
امرأة سومرية تعزف على القيثارة في حدود 2000 ق. م	الم3غنية السومرية أورنينا

تمثيل حديث ورسم للمغنية السومرية أور نانشه (أو أورنينا)وهي تعزف وتغني في بلاط الملك السومري (إبلول – إل) من ماري حيث وجد اسمها في الكثير من المعابد واصفين إياها (المغنية العظيمة أور نانشه).

http://sumerianshakespeare. com/117701/117901. html

الزواج:

كان الزواج في المجتمع السومريّ قائماً على أساس الزوجة الواحدة Monogamy، لكنه كان يميل إلى التساهل مع الزوج والتشدد مع الزوجة، ويبدأ الزواج بعقد بين أولياء أمور الزوج والزوجة أمام عدد من الشهود.

يسمى الزواج (نام دام شي) و(بان توكو) أي (أخذها) وتعني أخذها كزوجةٍ، وتسمى الزوجة الشرعية أسّات أي (الست) بمصطلحنا الحالي.

ويبدأ بتقديم الهدية أو المهر للزوجة ويسمى في السومرية بـ (نج – ديّا) وهي عبارة عن حبوب ولحوم وزبد وتمر يرسلها الزوج إلى بيت العروس. ويقدّم لها مجموعة من الحلي من الذهب والفضة المرصعة بالذهب.

تقام طقوس الزواج بمباركة آلهة الزواج وأهمها (إشخارا)، ويبدأ بنزع قلنسوة العروس من قبل العريس ووضعها على رأسه، وذكرت بعض النصوص السومرية أنّ العريس يقوم بسكب زيت العطر على رأس عروسه. ثم تقام الوليمة.

كان الزواج يقوم بعقد عرفي أو عقد مكتوب، وكان هناك ما يسمى الزواج بالمعاشرة وهو زواج أيّ من الزوجين عندما يتركه الآخر لأسباب مختلفة، ومنها أيضاً زواج الأرامل.

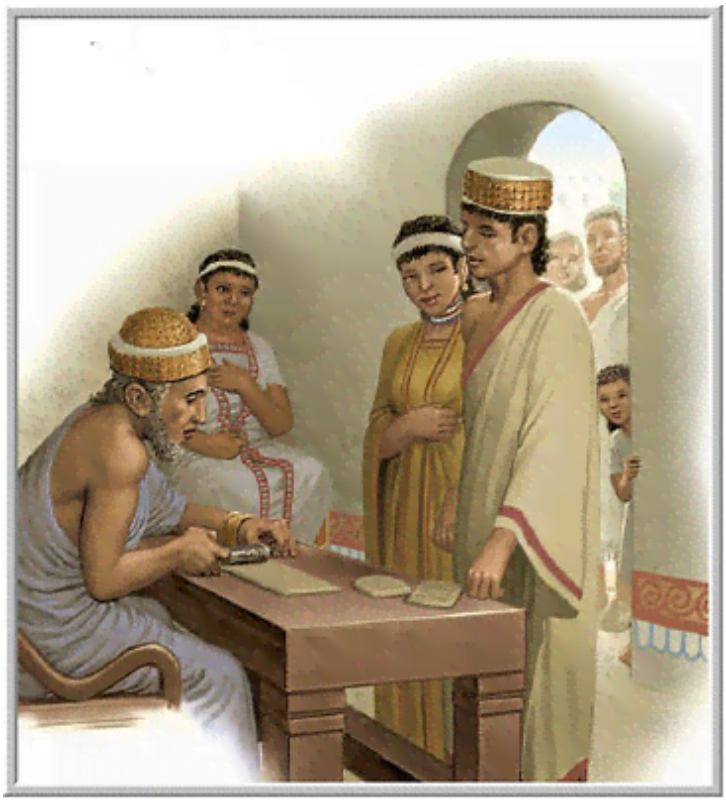

عقد الزواج على لوح طينيّ

الطلاق:

الطلاق كان يسمى بالسومرية (تاك Tag) معناه تركَ أو افترق، وهناك أنواع عديدة من الطلاق، منها ترك الزوجة بلا سبب ويسمى (نيدام تاك) أي ترك الزوجة بهدية، وهو إعطاء الزوج ما يرضيها كهدية أو كثمن لتركها، وهناك طلاق لأسباب موجبة مثل ترك البيت وعدم معاشرة الزوج، وقد أعطت الشرائع السومرية الحق للزوجة أن تطلق الرجل في حالات خاصة مثل سوء التصرف، وقد يطرد الرجل من بيت المرأة في بعض القوانين إذا ثبت سلوكه الشائن وكان عنده أطفال وتتكفل الزوجة بهم.

كان الإرث (نج- إي- أبّا) يذهب بالتساوي بين الأبناء إلّا إذا كان الأب قد نصَّ في حياته على هبة بعض أملاكه إلى ابن دون آخر. وكانت المرأة المتزوجة تأخذ حصتها من أملاك أبيها عندما تتزوج وهو ما يسمى بـ(البائنة) (سيركتو).

الإماء والعبيد في سومر

كانت العبودية أمراً مألوفاً في المجتمع السومري، فالعبيد والإماء هم من أسرى الحروب من غير السومريين أو من مدن سومرية أخرى، وكانوا أيضاً من السومريين الفقراء والمعدمين أو الذين وضعتهم القوانين في حالة اقتصادية مدقعة دفعتهم لأن يكونوا عبيداً «لقد اعتبرت الأمة والعبد في حضارة وادي الرافدين، سلعة تجارية يمكن بيعها وشراؤها، إيجارها واستئجارها، مقايضتها ورهنها وحتى وراثتها وإهداؤها. ولم يكن للعبد هوية شخصية يعرف بها، بل كان يشار إليه باسمه الأول فقط. كما استخدم مصطلح (ساج: رأس) عند ذكر عددهم، كما لو كانوا من الماشية والأغنام، فيقال مثلاً: يملك فلان عشرين (رأس) عبد، أو باع فلان ثلاثين (رأس) أمة». (عقراوي 1976: 133)

كان أدنى نظام اجتماعي هو العبيد، يسمى العبد الذكر: ساج نيتا والعبدة الأنثى: ساج إيمي، ساج مونوس (الفتاة). يمكن للمرء أن يصبح عبداً بعدة طرق: القبض عليه في الحرب، بيع نفسه في العبودية لسداد الدين، أو بيعه كعقوبة على جريمة، أو خطفه وبيعه كرق في منطقة أخرى، أو بيعه من قبل عائلة عضو لتخفيف الديون. وكانوا يعملون في المنازل، وفي إدارة العقارات الكبيرة، وتعليم الأطفال الصغار، ورعاية الخيول، وعملوا كمحاسبين وصناع ماهرين للمجوهرات، وكان العبد الذي يعمل بجد لسيده يمكن في النهاية شراء حريتهم ويطلق سراحهم.

وكان يتمّ شراء العبيد والإماء من الأسواق حين عرضهم فيها من قبل مالكيهم. وقد ورد أول عقد بيع لعبد من قبل زوجة حاكم مدينة لجش إينترزي واسمها لوكال بندا فقد اشترت ابن الموظف جانكيكو وهو مغني المعبد ودفعت له مبلغ 1/3 منّ من الفضة وكوراً كبيراً من الحبوب ومقداراً من الجعة وعشرين رغيفاً من خبز شوكو وعشرين رغيفاً من خبز فا وذكر أسماء الشهود في العقد. (انظر عقراوي 1978: 134).

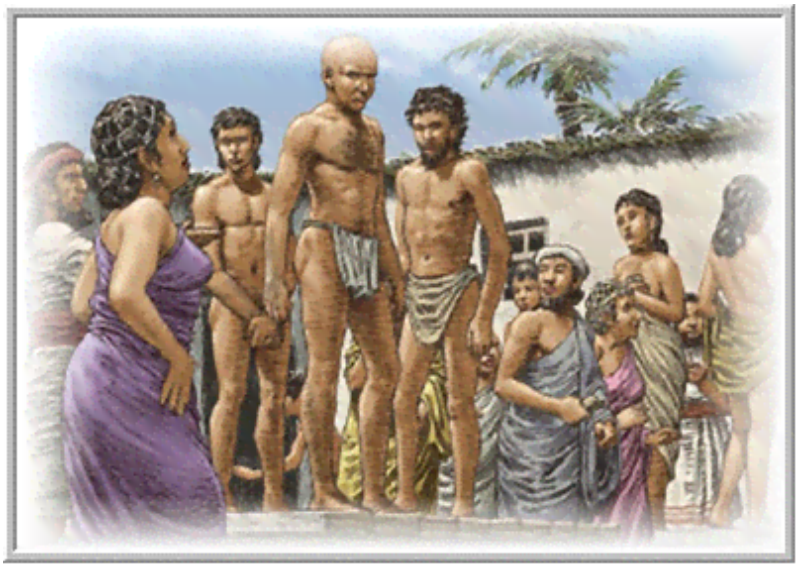

شراء العبيد

sumerian-family-/2011/12/http://stravaganzastravaganza. blogspot. nl
life. html

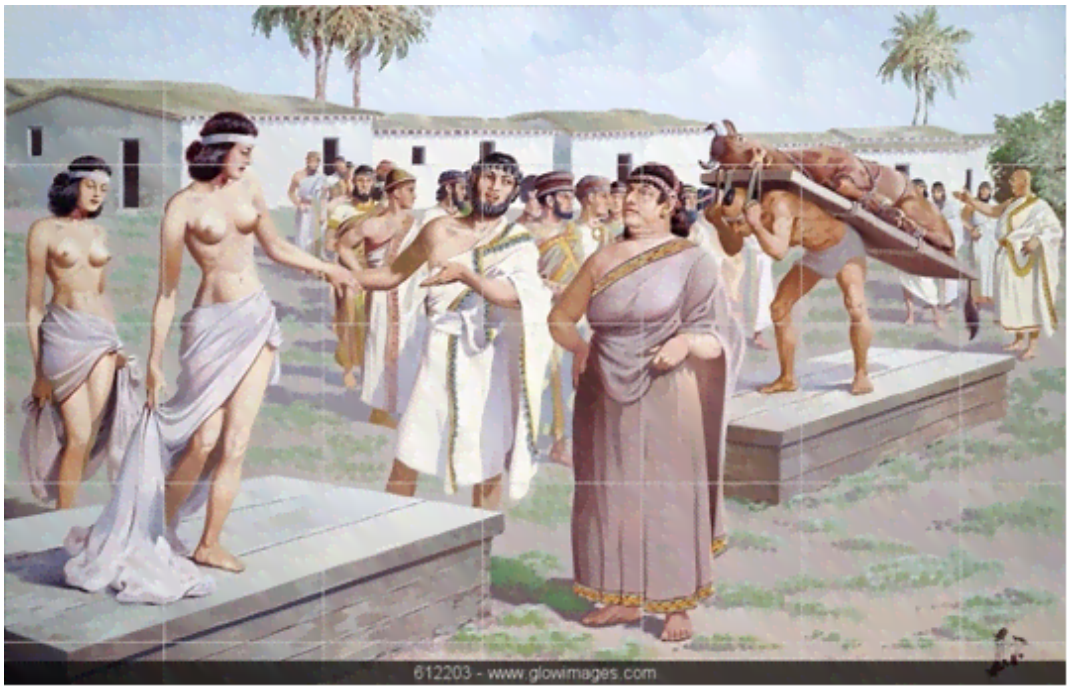

شراء الجواري

/pinterest. com/rhurst1945/uruk-sumer-mesopotamia .http://www

المبحث الثالث: النشاطات الاجتماعية

1. الهدايا والألعاب الاجتماعية

ظهرت الهدايا ومختلف أنواع الألعاب في سومر مبكراً وظهرت آثار دالة عليها، ولعلّ من أهمها هي لعبة العشرين مربعاً، وهي عبارة عن قطعة مصنوعة من الخشب مع أغشية من العظام، واللازورد، والحجر الجيري الأحمر. عثر عليها في المقبرة الملكية في أور وتعود إلى القرن الخامس والعشرين قبل الميلاد، وأبعادها حوالي 10. 5 بوصة طويلة و4. 5 بوصة.

القواعد الأصلية غير معروفة، تضم اللعبة سبع علامات وتتألف من مجموعتين، واحدة بيضاء والأخرى سوداء. وتضمّ عشرين مربعاً منقوشاً بنقوش مختلفة (5 نقوش لزهرة ثمانية الوريقات وذات مركز، وخمسة نقوش لنقش خماسي النقاط، وخمسة نقوش لنقش رباعي النقاط داخل علامة +، نقشان لنقش يضم 4 مربعات صغيرة ذات مركز، نقشان لمربعات متداخلة ذات مركز خماسي النقاط، شكل رباعي يضم أربعة مربعات خماسية النقاط).

Image

وتظهر اللعبة الشهيرة التي اكتشفت في المقبرة الملكية في أور (القرن 26 قبل الميلاد) غامقة مثل طاولة الزهر الحديثة، التي تضمنت علامات ومساحات. جاءت علامات مستديرة في لونين - واحدة لكل لاعب. وقد وضعت أحجار بألوان مختلفة في جرة.

2. الرياضة

كانت الرياضة مرتبطة بالكامل بالطقوس الدينية قبل سومر، فقد كانت المصارعة، مثلاً، طريقة من طرق اختيار الرجل المناسب لكاهنة وزعيمة الأقوام الزراعية في عصر النيوليت في شمال وادي الرافدين، لكنها تحولت إلى ممارسة دنيوية، وربما صارت جزءاً من احتفالات أعياد رأس السنة في

الحضارات اللاحقة. وفي سومر نجد الكثير من شواهد الرياضية مرسومة ومنحوتة، ففي أشنونا هناك منحوتة للملاكمة في حدود 3000 ق. م، وهناك أيضاً منحوتات نحاسية للمصارعة.

ومن بدرة وفي عصر فجر السلالات الأول (3000-2600) ق. م في (تل بيرم) عثر الآثاريّ العراقي فؤاد سفر على مسلة رياضية وهي منشورية الشكل وذات نحت بارز ظهر في أوجهها الأربعة ذات الحقول الأربعة لكل وجه، وتحتوي مشاهد المصارعة بلباس مصارعة خاص يشبه الملابس الدينية للكهنة، ويأتي تحتها مشهد لشخصين متقابلين بينهما منضدة عليها إناء ماء ويمسك أحد الشخصين مرشةً من الأغصان يرش بها وجه الشخص الآخر وكأنه الشخص المسؤول عنه في لعبة المصارعة ويظهر كما لو أنه يباركه أو يعيد النشاط له. (انظر سفر1971: 16).

مسلة بدرة الرياضية

كانت هناك أنواع كثيرة من الرياضة في سومر منها الركض الذي اشتهر به الملك شولجي، ومنها تجديف الزوارق، ومنها المصارعة والملاكمة... إلخ

3. الزينة والنظافة

كانت عامة الناس تستحم بالأنهار أو القنوات، لكن القصور والبيوت المرفهة كانت تحتوي على حمامات داخلية. ولا نعرف ما إذا كانوا يستعملون مادة لتنظيف أجسادهم، أما الشعور فتدهن بالزيت (زيت الزيتون) وكذلك البشرة والجسد وهي زيوت عطرية أيضاً.

كانت حلاقة الشعر وترتيبه من الأمور الطبيعية، وكان السومريون يحلقون الشعر، في شهر أيلول، على شكل طرّة علوية ويزيلون الشعر من جوانب الرأس حزناً على ديموزي، وهو الإله الذي يموت مع بدايات الخريف، وكان ينوح الناس على موته ويرون أنه سبب حلول الخريف. وكان هذا هو السبب الذي يجعل السومريين يسمون أنفسهم (ذوي الرؤوس السود) ويقصدون أنّ

الشعر الأسود يتضح أكثر بجعله على شكل طرّة محددة. وكان الكهنة أكثر من يستخدم العطور الزيتية.

4. الخمر واللهو الاجتماعي

كان اسم البيرة بالسومرية (كاو) وبالأكدية (أويكارو) وكانت جلسات الشراب الحميمة تقضي بوضع البيرة في جرة واحدة (كاو دو) وتوضع فيها قصبات طويلة ويشرب منها بالقصبة، وفي المراسيم والاحتفالات تشرب بالكؤوس.

Image

الشراب بالكؤوس

Image

ختم أسطواني من أور يمثل رجلاً وامرأة وهما يشربان البيرة بالقصبة / حوالي 2600 ق. م

http://www. matrifocus. com/SAM06/spotlight. htm

riversfromeden. wordpress. com/2012/03/30/a-gallery-of-//:http /inventions

وهو مشهد احتفالي من اليمين امرأة تحمل كأساً، ومشهد لامرأة مع رجل يشربان البيرة من جرة عن طريق قصبة، والمشهد السفلي عبارة عن مجموعة من النساء اللائي يصفقن ويرقصن فيما تتوسط القيثارة ذات رأس الثور وتمسكها امرأة خلفها ثلاثة رجال. رسم على اللازورد من مقبرة أور حوالي 2550 - 2400 ق. م.

كُتب أول دليل وثائقي مصور عن المشروبات الكحولية باللغة السومرية في حوالي عام 3200 قبل الميلاد، وكان يتعلق بالبيرة بدلاً من إنتاج النبيذ ويستخدم رسماً مصوراً محدداً للبيرة نفسها - مخطط لسفينة طينية عليها خطوط قصيرة مائلة. إن وضوح هذه الصور البيانية تشير إلى أنّ البيرة كانت، في هذا الوقت، شائعة وأن عملية التخمير قد تطورت في فترة سابقة إلى حدّ كبير في بلاد ما بين النهرين. (أختام ذات رسم تخطيطي مشابه تعود إلى عام 4000 قبل الميلاد). وتمّ العثور على أول دليل على إنتاج النبيذ في هذه المنطقة في جمدت نصر، التي يعود تاريخها إلى حوالي 3000 قبل الميلاد. ومع

ذلك، يبدو من الواضح أنه على الرغم من أنّ النبيذ كان متاحاً للسومريين، إلّا أنّ البيرة ظلّت المشروب الأكثر شيوعاً وتميزت في طقوس المعبد منذ ما يقرب من ألفي عام.

انظر: (Mandelbaum 1965: 281- 293)

5. الحب والجنس

تحولت قصة العلاقة بين إنانا ودموزي إلى محور فريد لأسطورة وأناشيد الحب والجنس في العالم القديم بأكمله، فقد تفرعت منها قصص وأساطير مشابهة في مختلف الأرجاء لكن نواة إنانا ودموزي بقيت ماثلة للعيان.

Image

إنانا ودموزي

gif .http://www. reweaving. org/images/marriage4

لا بدّ لنا، أول الأمر، من تصنيف هذه الأناشيد الغزيرة إلى قسمين أساسيين هما: قصائد الحب والجنس والزواج المقدس، ثم قصائد الحزن ورثاء دموزي بعد نزوله إلى العالم الأسفل.

تبدأ قصائد الحب بين إنانا ودموزي بقصيدة حوارية شهيرة هي الحوار بين دموزي (الإله الراعي) وإنكمدو (الإله الفلاح) لخطب ودّ إنانا. وتبدأ قطعة الحوار هذه بمحاورة بين إله الشمس (أوتو) أخ إنانا مع أخته حول الكتّان الذي بذر بذوره في الأرض وكيف أنه عندما يثمر سيجلبه لها من الثمرة فتسأله إنانا (أخي، بعد أن تجلب لي الكتان من سيحلجه لي) وتستمر سلسلة الأسئلة والأجوبة بينهما حتى يقول لها أوتو بأنه سيجلب لها ملاءة العرس، فتسأله (من سينام معي بعد ذلك) فيقول لها إن دموزي هو الذي سينام معها فترفض ذلك وتقول له إن إنكمدو هو رجل قلبها فينصحها بأن دموزي هو الأفضل. وتبدأ سلسلة حوارات مفاضلة بين دموزي وإنكمدو أمام إنانا حتى يتأكد لها بأن دموزي هو الأجدر، ويكاد دموزي وإنكمدو يقتتلان لكنهما يتصالحان في النهاية ويدعو دموزي الفلاح إنكمدو إلى حفلة العرس. ويعد دموزي إنانا أن يجلب لهما هدية العرس من حنطة وعدس وغيرها.

وفي قصيدة أخرى تلتمس إنانا موافقة أبيها إله القمر (نانا) فبعد أن تتزين بكامل زينتها وتضع عليها الحليّ والأحجار تخرج لترى دموزي واقفاً لها على

باب حجر اللازورد فترسل عند ذاك رسالة إلى أبيها تخبره فيها بأنها تريد الزواج بدموزي:

«سوف آخذ إلى هناك رجل قلبي

سوف آخذ إلى هناك أما أشموكال أنّا،

سوف يضع يده بيدي

ويضم قلبه إلى قلبي

وضعه اليد باليد – ينعش الفؤاد

ضمه القلب إلى القلب – لذته بالغة الحلاوة». (كريمر 1986: 112).

وهناك قصائد وأناشيد كثيرة تُفصح عن قصة الحب بين إنانا ودموزي وتكشف عن عمق علاقتهما، ففي واحدة من القصائد تتغنى إنانا بشعر دموزي وتصفه بأنه كثيف مثل النخلة (يا كثيف الشعر مثل النخلة أنت لي)، وتطلب منه أن يشد شعره على فخذيها ست مرات (ستة أضعاف شدّه على فخذيّ يا حبيبي يا أسدي يا كثيف اللّـبدة) وتتغزل إنانا بوجه دموزي فتصفه بأنه تحفة الصائغ وأنه تمثال ذهب.

وفي قصيدة أخرى تصفه بأنه كالأسد وبأنه حلو كالشهد (حلو كالشهد أيها الأسد العزيز على قلبي ما ألذ وصالك) وتطلب منه دائماً أن يأخذها إلى غرفة النوم وأن يبقى معها هناك. وتصفه بالعريس (أيها العريس دعني أقبلك فقبلتي العزيزة أحلى من الشهد).

وكذلك تتغزل بلحيته اللازوردية (كم هي فاتنة لحيته اللازوردية الراعي الذي خلقه آن من أجلي).

وتقدم نفسها على أنها لباسه وملابسه بمختلف ألوانها (إنانا الحلوة، إنانا الباسلة، إنانا لباسك، ثوبك الأسود وثوبك الأبيض).

وفي صورة نادرة تقوم إنانا بإطفاء القمر ليعمّ الظلام وتستطيع أن تُدخل دموزي إلى بيتها لتمارس معه الحب (في الأعالي عندما أطفئ القمر، عند ذلك سأجلب المزلاج من أجلك) وتسمّي إنانا دموزي تسمية محببة وهي (الرجل العسل) وتصفه بأنه صاحب القدمين الملساوين الشائقتين وتصف

شعره المجعد بأنه يشبه الخس النامي قرب ينابيع الماء، وتصف إنانا مداعبات دموزي لها وتقول بأن دموزي أخذها إلى حديقته وطرحها تحت شجرة التفاح في عزّ الظهيرة وبأنها رمت الخضار من حضنها فوضع يده على يدها ورجله على رجلها، وعلى فمها وضع فمه (وسكب حبّاً وسكب بحضني حبّاً) وتصف إنانا ثدييها المنتصبين وفرجها المكسو بالفروة وتطلب من خادماتها أن يرقصن لأجل فرجها.

Image

مشهد جنسي من وادي الرافدين

/mythology-http://oldnewt1. wordpress. com/category/mesopotamian

ثم تتحدث عن حبيبها كيف تمدد على الفراش الناعم، وكيف تمدد فوق قلبها وكان لسانه في فمها ويداه على خصرها وتصيح إنانا:

«فرجي... فرجي... التلة المنتفخة من سيحرثه لي؟

أنا البنت، من سيحرثه لي

فرجي الأرض الرطبة من سيحرثه لي

أنا الملكة، فرجي

فرجي من سيضع ثوره فيه... من؟

فيجيبها دموزي: أنا دموزي سأحرثه

فتطلب منه إنانا: احرثه يا رجل قلبي

احرث

احرث... احرثه إذن

احرث فرجي يا رجل قلبي». (كريمر 1986: 113)

وينتهي المشهد بتدفق (ماء القلب)، كما تصفه النصوص السومرية، من حضن دموزي، وتخلط هذه النصوص تدفق ماء القلب مع الزرع والقصر والحقول...

(تدفق وسكب، في الحقل تدفق، قرب حفيف الزرع، قرب منابت البذور وبجانب هذا الحقل تدفق حقل البلد، تدفق بيت الحياة، تدفق القصر الملكي وملأت البهجة قلب حبيبته، في بيت الحياة، في القصر الملكي إنانا بقيت كاملة البهجة).

هذه النصوص وغيرها تصف ذلك الفضاء العاطفي والجنس الذي كان بين الإلهين إنانا ودموزي، وأغلب هذه القصائد تأتي على لسان إنانا.

ولا نريد أن نفصل أكثر في ذكر هذه القصائد أو مضامينها فقد اكتفينا بما رويناه عنها، كذلك لا نريد أن نفصل في ذكر قصائد الرثاء والحزن بعد أن يغيب دموزي في العالم الأسفل لكننا نشير إلى أن غياب دموزي يسبب الجدب والبوار للطبيعة كلها... النبات والحيوان والإنسان.

وقد قمنا في أكثر من كتاب بشرح مفصل للأسباب التي دعت دموزي إلى مواجهة هذا المصير، ولعل أهمها هو الأصل المائي المنحدر من إنكي لدموزي والذي هو أدنى من الأصل الهوائي المنحدر من إنليل لإنانا، وأن بنات إنكي دائماً يكنَّ زوجات لأبناء إنليل إلّا هذه الحالة الاستثنائية التي كان لا بدّ لدموزي من دفع ثمنها. (الماجدي 1998: 224).

ولا يختلف سلوك عشتار وتموز الأكديين والبابليين عن نظيريهما السومريين وتحفل قصائد الحب والجنس البابلية بما يشبه ما ورد عند السومريين.

طقوس الخصب والجنس

1. طقوس الفصول والأعياد الزراعية:

عندما أصبحت الزراعة أمراً أساسيّاً في حياة الإنسان القديم وعندما بدأ هذا الإنسان يحصل على نتائجها بالعمل والكدح احتفى بها وتألم عند تعثرها ولذلك لازمتها، بالتالي، مجموعة من الطقوس السحرية والأسطورية التي كانت غايتها التمسك بهذه الوسيلة الصحيحة لعيش الإنسان الكريم ومصدر طعامه وأفكاره من نتائجها الطيبة، ولذلك لا بدّ لنا قبل معرفة هذه الطقوس والأعياد من معرفة مواسم الزراعة وفصولها في سومر، ولكي نفعل ذلك سنستعير مخططاً فلكيّاً توصل إليه العراقيون القدماء (السومريون) بحسهم الطبيعي الفطريّ ورؤيتهم الثاقبة لتتابع الفصول وساعات الليل والنهار، ويأتي تنظيمنا لهذا المخطط الفلكي من المعلومات الدقيقة عندهم حول ظواهر الطبيعة تلك عندما رأوا أنّ ساعات النهار تتساوى مع ساعات الليل (حيث يبلغ كل منهما 12 ساعة تماماً) في يوم 21 آذار (بتوقيتنا الحالي)، ولذلك اعتبروا هذا

اليوم بداية للسنة السومرية وهو اليوم الذي يمثل الاعتدال الربيعي، وكان اسم هذا العيد (زكمك الأول) وهو عيد الحصاد وولادة الحيوانات وتقام فيه طقوس بعث دموزي وزواجه بإنانا وأعياد الزواج المقدس. بعد هذا التاريخ تبدأ ساعات الليل بالنقصان ويصل النقصان إلى ذروته في 21 مايس حيث يكون 10 ساعات بينما يطول النهار إلى 14 ساعة، في هذا الوقت يكون الانقلاب الصيفي. وبعد هذا التاريخ يعود الليل بالارتفاع فيزداد زمنه حتى يساوي الليل النهار (12 ساعة لكل منهما) في 21 أيلول فيكون الاعتدال الخريفي. وهنا يبدأ الاحتفال الثاني ويسمى (عيد زكمك الثاني)، وهو عيد البذار حيث تبذر البذور في الأرض ويحتفل في هذا التاريخ بنزول إنانا ثم دموزي إلى العالم السفلي وتبدأ مواكب العزاء الجماعي وتقلّ الغلة ويحل الجدب والصيف.

بعدها يبدأ الليل بالزيادة فيصل في ذروته إلى 14 ساعة في 21 كانون الأول حيث الانقلاب الشتوي والبرد القارس. ثم يبدأ بعدها بالانخفاض ويصل إلى مساواة النهار في 21 آذار، وهكذا يعاد موسم الزرع والاحتفالات.

إن مثل هذا المخطط الفلكي التقويمي يوضح لنا العلاقة بين الزراعة والجنس وتتويج الملك ويشمل ذلك حركة الكواكب مثل الزهرة (التي هي كوكب إنانا).

Image

مخطط فلكي تقويمي سنوي يوضح علاقة

فصول السنة وطول الليل والنهار بالزراعة وأعيادها والطقوس المرافقة لها عند السومريين

2. طقس الزواج المقدس:

تمتد فكرة الزواج المقدس عميقاً في طيات التراث الزراعي لأقوام العراق الشمالية القديمة التي اكتشفت الزراعة وعهدت للمرأة دور زعامة المجتمع وقيادة شؤون الزراعة بسبب قابليتها على الإخصاب والتكاثر، ولذلك كان بإمكانها انتخاب من تحب أو من يليق بها بعد نزال بالمصارعة أو القتال المباشر ليكون حاكماً إلى جانبها أو إلهاً إلى جانبها. ولكن الفكرة على جانب فلسفي أعمق بكثير من هذا، فالطبيعة التي خلقتها الآلهة بحاجة إلى الإدامة والتواصل والتكاثر وأكثر «ما يحتاج إليه الإنسان والحيوان أكثر من كل شيء آخر ضماناً لتناسلهما وانتشارهما وتكاثرهما هو الحب العاطفي والشهوة التي تؤول إلى الاتحاد الجنسي وتولد المني المخصب في الرحم، وهو (ماء القلب) وقد وضعت هذه العواطف الرقيقة واللذيذة في عهدة إلهة الحب ذات

الجاذبية والإغواء والنزعة الحسيّة الشهوانية، هي الإلهة إنانا، التي كانت عبادتها في إحدى كبريات المدائن السومرية هي مدينة إيريك منذ حوالي 3000 ق. م أو منذ أقدم هذا التاريخ حتى». (بوتيرو 1970: 89).

ولا شك أنّ أقدم صورة للزواج المقدس كانت حصراً على الآلهة ثم أصبحت على من يمثل هذه الآلهة، ولأن المرأة كانت تعبد كإلهة أم... لذلك بدأ يتدرج هذا الطقس في نزوله من الآلهة إلى الملوك والكاهنات المقدسات، ولم يلامس البشر العاديين إلّا في صورة البغاء المقدس الذي شاع في أواخر الدولة البابلية وكانت بعض المعابد أماكن لممارسته كما يشاع.

الزواج المقدس عند الآلهة: نرجّح أنّ البدايات الأول العملية له كانت على شكل طقوس جنسية غامضة يشوبها السحر في المراحل التي تلت اكتشاف الزراعة وربما بشكل أكيد في مناطق سامراء وتل الصوان عندما استوطنها الإنسان العراقي القديم. ولكن أول أدلة كتابية ترجع إلى زمن الأمير (جوديا) من سلالة لجش الثانية من حدود 2150 ق. م حيث يتحدث في أحد نصوصه عن «زواج الإله ننكرسو، إله مدينة لجش، بالإلهة باو Bau، وهناك إشارات إلى زيجات إلهية أخرى نذكر منها زواج الإله نانا (إله القمر) بالإلهة ننكال في أور، والإله أوتو بالإلهة أنتو في الورقاء، الإله شمش بالإلهة آيا Aia في سبار، الإله مردوخ بالإلهة صربانتيم Sarpanitum في بابل، الإله نابو بالإلهة تشميتم Teshmitum في بورسبا». (علي1973: 140).

وبذلك يكون الزواج الإلهي المقدس قد تطور من ذلك الطقس الزراعي القديم فأصبح إله المدينة يتزوج إلهة المدينة. لكن الزواج الإلهي المقدس لم يأخذ صورته الواسعة والشاملة والكبيرة إلّا في زواج إنانا من دموزي. وقد وضع العالم الكبير صموئيل نوح كريمر كتاباً كاملاً في طقوس الجنس المقدس وجمع فيه صورة الزواج الإلهي المقدس السومريّ بين إنانا ودموزي يمكن تلخيص مراحلها أو خطوطها بالنقاط المتتابعة التالية:

1. اختيار إنانا لدموزي من بين الآخرين ويتضمن ذلك دعوته وتفضيله على الفلاح إنكمدو والفخر بنسبها من أبيها وأمها.

2. استحمامها بالماء والصابون

3. التودد والخلوة

4. إقامة السرير المثمر في حرم الآلهة وتطهيره وإعداده.

5. قيامة ننشوبر (وزيرة إنانا) لدموزي إلى حضن عروسه.

6. المضاجعة وإخصاب الكون كله.

ومن أجل معرفة العلاقة بين الإخصاب الإلهي الجنسي الطابع والإخصاب الطبيعي الزراعي الطابع نختار هذا المقطع من قصيدة سومرية تصف هذا المشهد:

«لعلّ الرب الذي دعوته إلى قلبك

الملك، زوجك الحبيب يتمتع بأيام مديدةٍ على حضنك الحلو، المقدس

امنحيهِ حكماً عظيماً ومجيداً

امنحيهِ عرش الملك على أساس مكين

امنحيهِ القدرة على تدبير شؤون الناس، الصولجان والمحجن

امنحيهِ تاجاً لا يبلى وإكليل نور على رأسه

من حيث تطلع الشمس إلى حيث تغرب الشمس

...

كالفلاح، لعله يكثر أعداد حظائر الغنم

لعلّ في حكمه يكثر الزرع ويتوفر الحب

لعلّ النهر يفيض

وفي الحقل يكثر الحَبّ

وفي السبخة يزقزق العصفور ويصوّت السمك

وفي الدغل ينمو عالياً القصب المسنّ والقصب الفتي

وفي السهب تنمو عالياً شجرة (مشجور)

وفي الغابات يكثر الأيلِ والماِعز البري

لعل الغياض تنتجُ عسلاً ونبيذاَ

ومساكب البستان تنبتُ خسّاً ورشاداً عالياً

وفي القصر تكون حياةً مديدة

وفي دجلة والفرات يكون فيض الماء

وعلى الضفاف ينبتُ العشب عالياً، ويملأ المروج

وملكة الخضرة المقدسة تجعُ الحبّ أكواماً وتلالاً

أي مليكتي، ملكة الأرض والسماء،

الملكة التي تحيط بالسماء والأرض

لعلّه يستمتع بأيامٍ مديدة على حضنك المقدس». (كريمر1986: 121-122).

Image

صورة من رقيم طيني للإلهة إنانا ولإله (ربما كان دموزي) وهما تحت شجرة الحياة

http://www. matrifocus. com/BEL05/spotlight. htm

الزواج المقدس عند الملوك

يشير ثبت الملوك السومريين إلى أنّ الملوكية بعد أن هبطت ثانية من السماء، بعد الطوفان، حطت في كيش أولاً ثم الوركاء. وفي الوركاء حكم اثنا عشر ملكاً. كان الملك الرابع فيهم هو (دموزي Dimuzi)، صائد السمك، الذي كان أصله من مدينة كوا وحكم 100 عام». (باقر2009: 292).

Image

إنانا تسلم دموزي رموز السلطة وهو يسقي شجرة الأرز

bibleorigins. net/InannaCedarDatePalmNibruKing. jpg .http://www

ويبدو أنّ ظهور دموزي كملك مرتبط إلى حدّ بعيد بتحول نوعي في طقس الزواج الإلهي المقدس، فقد أصبح الزواج ملوكيّاً ممثلاً للإله وفقدت الإلهة مركزيتها وأصبحت تمثلها الكاهنة العليا المقدسة في طقس الزواج المقدس، وهذا يعني أنّ الرجل عندما أصبح هو الحاكم والملك احتفظت المرأة بمكانتها المقدسة المنحدرة من (إنانا) في شخصية الكاهنة العليا وهكذا أصبح الملك أيضاً يمثل دموزي أو يُخلع عليه هذا اللقب. ويبدو أنّ طقوس الزواج الملكي المقدس في مراحله الأولى كان طقساً من طقوس التضحية إلّا أنه فيما بعد أصبح طقساً دراميّاً، ونلاحظ أنه استقر كثيراً في عصر فجر السلالات «ومن ذلك ما يذكره إيانتم 2550 ق. م أحد أمراء سلالة لكش الأولى أنه (الزواج المحبوب للإلهة إنانا) وما يذكره إنتميمينا Entemena 2500 ق. م أنّ الإلهة إنانا أحبته وأنها لذلك أعطته ملوكية كيش بالإضافة إلى إمارة لكش. ويجد الباحث في نصوص جوديا 2150 ق. م أمير سلالة لكش الثانية إشارات صريحة إلى قيام هذا الأمير بدور الزوج الأول للإلهة (باو) في لكش وإلى تأدية الطقوس والمراسيم الخاصة بهذا الزواج كالاغتسال الطقسي وتقديم هدايا الزواج والقرابين». (علي 1973: 12).

Image

وكانت طقوس الزواج الملكي المقدس في هذه المدن تتضمن مجموعة من الطقوس المتشابهة التي يمكن إجمالها بالخطوات التالية:

1. وصول موكب الملك إلى معبد الإلهة إنانا

2. تقديم الملك إلى عروسه الكاهنة (الكاهنة العليا للإلهة إنانا).

3. المضاجعة

4. تقرير المصير

5. إقامة احتفال ووليمة كبرى

وتكاد هذه الطقوس تشبه طقوس الزواج الإلهي المقدس، والمهم أنّ الجوهر الإخصابي في كليهما هو الأساس. وقد عكست قصائد الحب التي وصلت من العصر السومري الحديث وعصر إيسن وجود هذا الطقس مع ملوك سومريين آخرين هم:

1. شولجي: الملك الثاني لأور (2093 - 2046) ق. م

2. شوسين: الملك الرابع لأور (2036 - 2028) ق. م

3. إيدين- داجان: ملك مدينة إيسن (1974 - 1954) ق. م

4. إيشمي- داجان: ملك مدينة إيسن (1953 - 1935) ق. م

وتكاد معظم هذه النصوص تشبه النصوص الأصلية بين الإلهين دموزي وإنانا.

Image

الدراما الدينية السومرية والزواج المقدس

widdershins. org/vol2iss1/b9607. htm .http://www

Image

6. المطبخ السومريّ

الطعام وأدواته

يأكل بالسومرية هي أكالو أو أكل AKALU or IKUL الرمز المسماريّ للأكل هو علامة الفم وفي داخلها علامة الخبز، في اللغة الأكدية كانت كلمة يأكل هي أكالو التي تعني الخبز، والطعام السومريّ بالسومري هو أكلوم أو بوبوسّنو AKALUM or BUBUSSUNU، والذي يعتمد على الخبز أساساً له، كما هو الطعام العراقي المعاصر الذي أضاف الرز له.

كان الطعام يطبخ في البيوت على المواقد، في مطابخ البيت عادة، وقد يكون هناك تنورٌ (الذي كان يسمى بالأكدية تنّورو) خارج البيت لخبز الطعام، وهناك مواد وأوعية الطبخ وأغلبها مصنوع من الفخار وبعضها مصنوع من المعادن كالنحاس والفضة، والذهب نادراً. وهناك المجارش والمدقات والهاونات وهناك شوكات من العظام وسكاكين من النحاس ومغارف من الطين. ربما كان هناك أدوات من الخشب لكن الزمن أتلفها.

كان طعام البيت يتكون من وجبتين رئيستين في الصباح وفي المساء، وكانت الوجبة تحتوي على الحليب واللبن والجبن والسمك ولحوم الغنم والبقر والسمك والخضروات والخبز والنبيذ والخمر.

وكان طعام الفقراء يقتصر على الخضروات والفاكهة والخبز أحياناَ. أما الجيش فكان له طعامه الخاص وحصته من الطحين والخمر.

المطبخ السومري:

كان عموم السومريين يتناولون وجبتين من الطعام في اليوم، أما الأثرياء فكانوا يتناولون ثلاث وجبات. وكانت موائد الفقراء والأغنياء لا تخلو من البيرة عادةً فهي لازمة مهمة من لوازم المائدة السومرية، كان اللحم غالياً ولذلك كان أغلب السومريين يعتمدون على النباتات والخضار.

كان فقراء السومريين يتناولون الطعام الطازج من الفاكهة والخضر ونادراً ما يطبخون، وحتى الخبز كان يصعب عليهم بسبب الحاجة إلى الحبوب والخميرة والفرن. أما متوسطو الحال والأغنياء فكانوا يأكلون الخبز والحبوب وبعض اللحوم والفاكهة والخضر. وكانوا يستعملون التوابل. وكانت المائدة السومرية تستعمل البيرة المخففة الكحول، والبيرة تسمى عند السومريين سكارو SIKARU، وهي تُشير في لغتنا العربية إلى السُّكر. وتقترب من لفظ النبيذ بالسومرية وهو إسكرانو ISKARANU والذي كان من مكونات المائدة السومرية أيضاً.

كانت الحبوب (الشعير والقمح والدخن)، والبقوليات (الحمص، والعدس، والفاصوليا) وغيرها من البصل والثوم والكرّاث والخيار والجرجير والخردل والخسّ، والبطيخ، وكان السمك سيد المائدة السومرية ولحم الأغنام والمواشي والخنازير والطيور. وكانت البيرة مرافقة للطعام، أو النبيذ في بعض الأحيان.

الخبز السومري كان يسمى (نندا) ويسمى بالأكدية (أكلو) ويخبز في الفرن الذي يسمى (أورن) واسمه بالأكدية (تنّور) وهو اسمه بالعربية واللغة المحكية اليوم نفسه، وشكله هو الشكل ذاته الذي يستعمله العراقيون في الأرياف اليوم.

كان يتمّ تجفيف اللحوم والأسماك وحفظها بالملح. وكان لحم الخنزير طعاماً عاديّاً عند السومريين لكنه أصبح نادراً بعد الألف الأول ق. م، وكانت الزيوت المستخدمة من الحيوانات هي من شحم الخنزير والشحوم الأخرى. أما الزيوت النباتية فكانت من السمسم والذرة.

كان الإله إنكي هو إله المطبخ السومري، وقد ذكرت مدونة للملك أولجي وهو يصف مائدته بأنها مكونة من الزبيب وزبدةِ الأغنام المقدسة ومعها العسل

وحلويات مخلوطة من الدقيق الفاخر وفقاً لتعليمات الإله إنكي. وهناك وصفة لمكونات الكعكة السومرية (نندا إديا) التي تتكون من:

الدقيق الفاخر: ثلاثة أكواب

الزبدة النقية: ربع كوب

التمور: كوب واحد

وتضاف كميات صغيرة من الجبن أو الزبيب أحياناً.

7. الحدائق السومرية

كانت سومر مصدر فكرة جنة عدن التي حفلت بها الكتب المقدسة على أنها جنة إلهية، ولذلك فقد اعتنى السومريون بفن الحدائق أيما اعتناء وكانت بيئتهم الزراعية ومناخهم المعتدل يسمح بهذا، وقد ظهرت الحدائق في قصور الملوك، وفي بساتين المعابد وكانت مزينة بالزهور والأشجار.

قد يكون مفهوم حديقة الآلهة أو الجنة الإلهية من أصل سومري، هكذا يصرح صموئيل نوح كرامر، ثم تطور هذا المفهوم عند البابليين والعبريين.

كان في بعض المنازل فناءات تضم حديقة صغيرة أو أشجار فواكه. وكان تأثيث المنازل، سواء كانت من القصب أو الطوب، بالطاولات والكراسي والصناديق للملابس وأدوات المطبخ. ينام الناس على الحصير القصب وضعت على الأرض سواء في البيت أو في الحديقة.

وكان هناك حدائق في المعابد للترويح أو للزراعة، وحول كل مدينة كانت هناك حقول للحبوب وبساتين نخيل التمر وأرض للرعي.

المبحث الرابع: الحياة اليومية وأسلوبها

لا تختلف الحياة اليومية للناس في سومر عن التكرار الطبيعي لمتطلبات الحياة العامة، فهي بالنسبة لعائلة تقليدية يمكن أن تكون على شكل المخطط اللاحق بعد أن قرأنا مجموعة من النصوص الخاصة باليوميات والمذكرات.

كان السومريون يعيشون بسلام دائم تقريباً باستثناء ما حصل في بعض المدن المتحاربة فالحرب نادرة الوقوع، وعندما تحلّ يعزونها إلى غضب الآلهة عليهم، وكذلك الكوارث الطبيعية.

أشرف رجال الدين على الجوانب المقدسة للحياة اليومية وكانوا يؤدون الخدمة الدينية. كانوا يعرفون القراءة والكتابة ويعتبرون بارعين في تفسير العلامات والكلمات. كما أنها بمثابة المعالجين. كان أول الأطباء وأطباء الأسنان في بلاد ما بين النهرين كهنة وكاهنات يُحضرون أشخاصاً في الفناء الخارجي للمعبد من أجل العلاج.

كانت المدرسة معلماً بارزاً في حياتهم اليومية وكل مدرس كان خبيراً بالكتابة، أما بقية التخصصات فلم تكن عامة.

كان الكتاب يحظون باحترام كبير ويخدمون في المحكمة وفي المعبد وفي المدارس. كان كل معلم كاتباً، وكان أحد أهم التخصصات التي يتمّ تدريسها في كل مدرسة من بلاد ما بين النهرين هو الكتابة. التحق الأولاد فقط بالمدرسة. بينما الفتيات من الطبقات العامة فقد حرمن من ذلك وكانت فتيات ونساء الطبقات العالية تتمتع بحق التعليم.

تمّ تعيين معلمين خاصين، خارج التعليم في المدرسة، من قبل العائلات الثرية في المدن لمساعدة أبنائها على التفوق في العمل المدرسي. وكان المعلمون الخاصون الذين لا يعملون في مدرسة (والتي كانت تديرها المعابد في كثير من الأحيان) رجالاً يتمتعون بذكاء استثنائي وفضيلة وشخصية.

كانت العملة بين الناس بالمقايضة بشكل عام، ولكن هناك عملة بوزن معين من الفضة، فكان الشيقل عبارة عن قرص من الفضة يزن 180 قمحة ويسمى (سيغل) وكان المينا (Mina) عبارة عن 60 شيقلاً. فالفضة كانت هي عملتهم ولكنها غير مسكوكة وغير مكتوب عليها، بل تخضع للوزن الدائم.

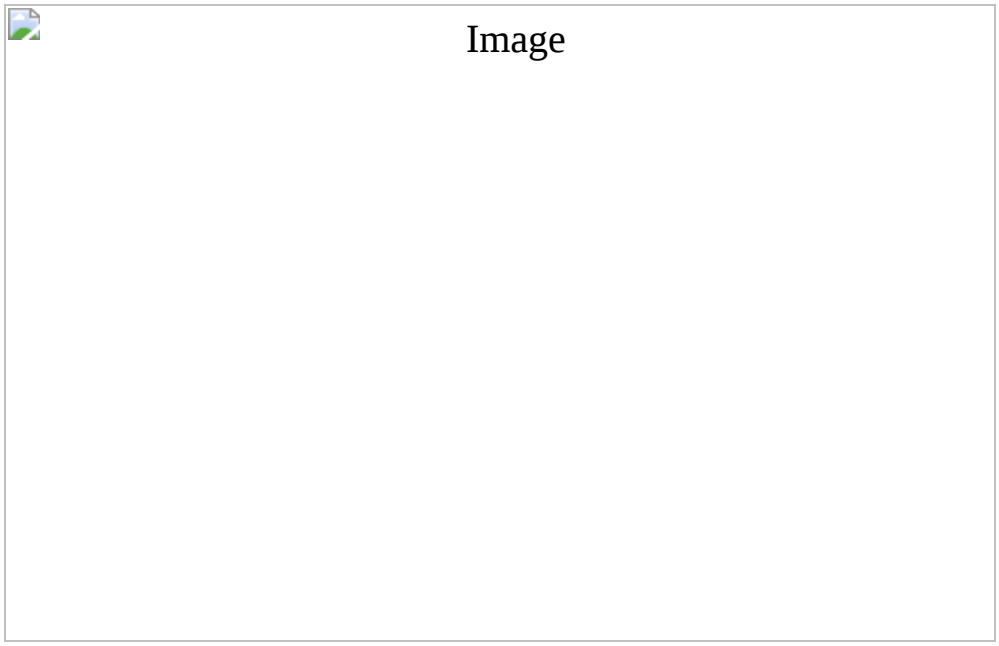

يوم من أيام السومريين، حفل في الساحة العامة

/mesopotamia-http://www. pinterest. com/rhurst1945/uruk-sumer

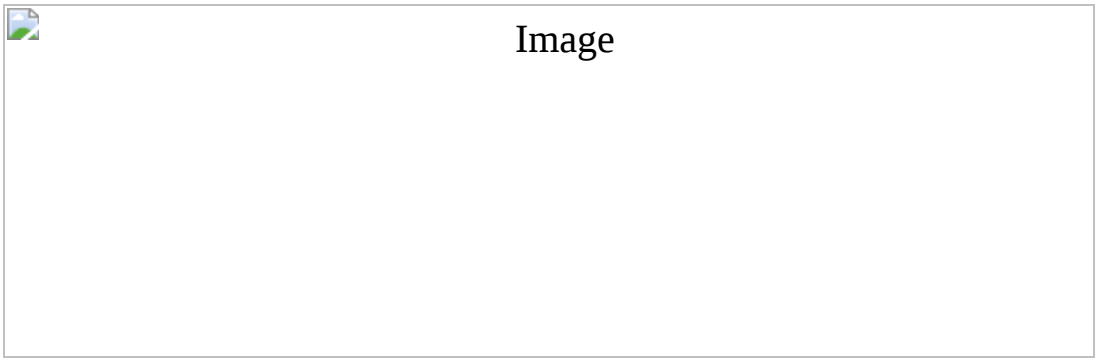

بعض مظاهر الحياة اليومية للسومريين

nl/2013_01_01_archive. .http://zinnfiguren-victorwong. blogspot

html

الفصل السابع
المظهر الاقتصادي

الفلاحون في سومر

http://www. ivanstalio. com/educational. htm

بدأ النظام الاقتصادي السومري المنظم من المعبد وكان اختراع الكتابة إحدى ضرورات هذا النظام، فقد ظهرت الحاجة ماسة لتسجيل أملاك المعابد السومرية التي بدأت بالظهور واسعة، مع زيادة نفوذ السيد (إين EN) وهو الكاهن الأعلى الذي تحول إلى باتيزي (الملك الكاهن).

ومع ازدياد الأتباع والعاملين والخدم في المعابد زادت الحاجة إلى الكتابة وإلى ظهور نظام اقتصادي مميز يمكن، من خلاله، رصد واردات وصادرات ونفقات المعبد.

في دولة مدينة لجش، مثلاً، كان هناك ما لا يقل عن 20 معبداً مخصصاً لعبادة آلهة الدولة (ننجرسو، بابا، نانشه، نازي، كامدك، دموزي، إيجالم، إنانا، لوكال أورو، ننمار، شمش، نندار، إنكي). «وكان يتبع الإله ننجرسو ما بين 6000 و5000 من العمال والخدم، وخصص لمعبد الإلهة نانشه في مدينة (يدنا) (سرغل) زهاء ألف تابع، وقدر عدد الخدم والعبيد التابعين لمعابد دولة لجش بنحو (10000) شخص مضافاً إليهم نحو 20000 شخص من الأحرار. وقدرت أملاك هذه المعابد من الأراضي الزراعية في حدود 500 إلى 600 كيلو متر مربع، وتكوّن هذه المساحة نسبة تربو على ربع مساحة تلك الدولة». (باقر 2007: 373).

ومع ازدياد تخصصات العمل في المدينة تنوعت الحرف والصناعات وازداد عدد العاملين في هذه الحقول. وكذلك توسعت النشاطات التجارية بين المدن السومرية وبين سومر وما حولها من مدن الشعوب الأخرى، وكانت فترة عصر فجر السلالات عنواناً لحياة اقتصادية جديدة اجتمعت فيها أركان الاقتصاد الثلاثة في سومر (الزراعة، والصناعة، والتجارة) لتشكل أول نظامٍ اقتصادي حضاريّ جديد.

المبحث الأول: الزراعة والريّ

1:الزراعة

الأراضي الزراعية:

كانت الأراضي الزراعية في كل دولة مدينة مقسمة بين (المعبد، والحاكم، والملاك، والمواطنون الأحرار)، وكانت حصة المعبد هي الأكبر.

أنواع الأراضي الزراعية في سومر

أراضي المعبد الزراعية كانت تمثل السلطة الاقتصادية الأكبر للكهنة باسم الآلهة، فهي لا تتبدل مع تبدل الحكّام وأملاكهم أو مع تبدل الحاكم والملاك وأراضي المواطنين، لأنها أشبه بالوقف الثابت لهم وكانت على أنواع كما في هذا الشكل:

أنواع الأراضي الزراعية الخاصة بالمعبد

أرض الرب (نج إينا) (إله تلك المدينة) كانت مخصصة بالكامل للمعبد، وكان الشعب يعمل فيها لخدمة المعبد وحاجاته، بينما يقوم المعبد بتجهيز أدوات الزراعة والبذور وغيرها. أما أرض فلاحي الرب الأولى (جانا كور) فكانت تمنح، مؤقتاً، الأرض الزراعية لفلاحين ثابتين من الصنف الأول بحيث يعيشون هم من عائدات الأرض الزراعية ويعيلون الكهنة ورجال الدين معهم من هذه العائدات.

النوع الثالث هو أرض فلاحي الرب الثانية (جانا أورولا) كانت لفلاحين أقل مهارة (من الصنف الثاني) يعودون بعائداتها إلى المعبد والكهنة مقابل حصة

لهم تقدر بسبع أو ثمن العائدات. وكانت مزارع وحقول وأراضي المعابد تدار من قبل كهنةٍ متخصصين يشرف عليهم الكاهن الأكبر للمعبد (سانغا).

الاقتصاد الزراعي السومري تطور في طريقين أساسيين «من ناحية تطورت مزرعة المعبد فتحولت إلى ملكية للدولة كان الحاكم يمثلها أول الأمر، ثم الملك فيما بعد. ومن ناحية أخرى فإننا نلاحظ داخل المجتمعات تطويراً اقتصاديّاً لم يتأثر باقتصاد المعبد أو اقتصاد الدولة مباشرة، ذلك لأن اقتصاد الدولة لم يتطور عن طريق استغلال أتعاب الأرقاء بالمعنى الضيّق لهذه الكلمة، أي أسرى الحرب فحسب، وإنما تطور بدرجة أوسع عن طريق تجنيد جزء من أفراد المجتمع للعمل في مشاريع الدولة». (جماعة من علماء الآثار السوفييت، تيومينيف 1976: 101).

تحول فلاحو الرب وبعد أن اعتمدوا على أرض المعبد كليةً، إلى رقيق وعبيد وتحولت أراضي المعبد، تدريجيّاً، إلى أملاك الملك، خصوصاً مع ظهور الدول والإمبراطوريات التي وحّدت المدن (الدولة السومرية، والإمبراطورية السومرية، والإمبراطورية الأكدية).

ومع ذلك فقد انهار النظام الشمولي للأرض في النهاية، فقد فشلت خطة دمج الأراضي الزراعية واستحواذ الملوك عليها، إذ «لم يعد هذا النظام قادراً على أداء وظيفته إلّا عن طريق الضغط على المصادر إلى أقصى حدّ، واستغلال العمل بطريقة أكثر وحشية، ومثل هذا النظام لا يمكن أن يدوم طويلاً ذلك لأنه بعد أن سقطت السلالة الثالثة في (أور) وانقسمت سومر الجنوبية إلى ثلاث ممالك، حافظ هذا النظام على زخمه لفترة من الوقت في إيسن ولارسا، ولكن حين ظهرت الدولة الموحّدة في عهد السلالة البابلية الأولى، لم يعد لذلك النظام من وجود، بل لم يظهر على الأقل في شكله الأول القوي المركز، وبالعدد الواسع من الأشخاص الإداريين والعاملين في نطاقه». (جماعة من علماء الآثار السوفييت 1976: 126).

* * *

كانت التخصصات الزراعية في سومر قد ظهرت مبكرة داخل المزرعة الواحدة أو في عموم سومر، وظهرت تربية الدواجن في لجش إضافة إلى حقول تربية العشرات من النعاج والماعز.

العمّال الزراعيون:

ظهر العمال الشباب (كوروش) والعمال الرجال (نينا)، ومنحت للمنتجين من الفلاحين قطع أراضٍ صغيرة (بور) بمساحة ثلث بور (هكتارين) أو ثلثي بور (أربعة هكتارات) ونادراً ما كان هناك بور واحد (6. 35 هكتاراً).

كان الأمراء، في كثير من الأحيان، يتحولون إلى مستبدين في القطاع الزراعي أي إلى نوع من الإقطاع فيستولون على أراضي الفلاحين بطرق غير شرعية مثل ما حصل مع لوكالندا (آخر حاكم من سلالة أورنانشه في لجش) الذي كان معفيّاً من الضرائب المفروضة على الكهنة والذي كان يتدخل مباشرة في شؤون المعبد الزراعية وتخبرنا وثائق لجش أنه استولى على أملاك معابد (ننجرسو، باو- أوو، شولشاجان) وأصبحت ملكاً له ولزوجته (برنامترا) وأفراد عائلته. وقد تحولت إدارة مزارع هذه المعابد من الكاهن (سانجا) إلى (نو - باندا) وهو مدير خاص عيّنه لوكالندا لهذا الأمر.

ومعروف أنّ أوركاجينا ثار على هذا الأمير، في نهاية الأمر، واستولى على حكم لجش وأعلن إصلاحاته الشهيرة التي تعتبر أول قوانين العالم. ولم تكن ثورة أوركاجينا بوسائل عنيفة، بل بوسائل سلمية، فقد كان أوركاجينا أحد أفراد الطبقة الحاكمة، ونعرف من الوثائق أنّ زوجة لوكالندا عاشت عدة سنين بعد استيلاء أوركاجينا على الحكم وكانت تتمتع بمركز ومقامٍ رفيع.

قام أوركاجينا باتخاذ لقب أمير (إنسي) في بادئ الأمر لكنه استبدله بعد سنة بلقب ملك (لوكال)، وقد أعفى الكهنة من الضرائب وعوّض المتضررين.

ما يبهرنا هو هذه السجلات الاقتصادية والزراعية الكبيرة عن واردات وصادرات المعبد وعدد العمال والعاملات وتخصصاتهم، بل إن هناك قوائم تذكر الحرف والمراتب الاجتماعية المختلفة وتسجل حركات السكان من وفيات وولادات وعمل وتأجير وغيرها. ومن هذه الوثائق نتعرف على أسماء الطبقات العليا والدنيا من المزارعين العاملين في الحقل وهم:

Image

الهيكل الإداريّ للمزرعة

أما الفلاحون والعمال الزراعيون فهم:

1. الأرقاء: وهم على عدة أنواع منهم (العمال: إيكي نودو كشمي، الحرفيون إيكي نودو كشكين تي مي) وكلمة إيكي نودو تعني الذي لا يرفع بصره، وهم أسرى الحرب.

2. عمال الحدائق (دو أتار) والبستانيون (نوكيري)

3. المؤجرون (شادوب ددلي).

الفلاحون المحليون	الفلاحون الأجانب	العمال الزراعيون	الخدم والعبيد
أنجار(الفلاح)		جال أودو	دومو-دومو
نيتا كور إيريه، أراد (الفلاحون الأجانب:السبايا)		(كبيرمربي الماشية)	(الابن الابن)
جوروش(العمال الشباب)	غم كور (الفلاحات الأجنبيات)	جال سيمغ (كبير الحدادين)	لو آد (الخدم)
ساغ دومو (الابن الرأس)			أرو (العبيد)

كادر المزرعة السومرية من الفلاحين والعمال والعبيد والخدم

كانت الأدوات الزراعية من الخشب، بل ومن القصب أحياناً، واستخدمت السلال والحصر، واستخدم المحراث على نطاق واسع وهو «آلة غير غالية الثمن ويمكن تعويضها بسهولة لسد حاجة مواسم الزراعة الغنية التي كانت نتاج إرواء أكثر سعة وكفاية، وكان ذا حافة حادة وقد أحرق بالنار طويلاً فصار صلباً للغاية. وبسبب عدم صلاحية مادة الطين لأن تكون آلة قاطعة عالجوها بالحرق الشديد. وتستعمل حافة الشفرة الخفيفة لقطع المحصول. ومثل هذا المنجل يكون هشّاً سهل الكسر مما يفسر في الأغلب كثرة ما وجد منه، وكان كل واحد من المناجل المكتشفة تقريباً مكسوراً. ويمكن القول إن سكنة عصر الوركاء قد جلبوا معهم المنجل النحاسي رغم أنّ أول المناجل المعدنية قد وصل من العصر السومريّ القديم». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 عامر سليمان 1985: 160).

Image

المحراث والمبذار في سومر (تمثيل حديث)

/http://www. pinterest. com/rhurst1945/uruk-sumer-mesopotamia

وهناك أيضاَ الجرجر وهي آلة لدراسة الحبوب وقطع المحصولات «وقد عثر في قبر بو – آبي بمقبرة أور الملكية على واسطة تجرها الحمير الوحشية خالية من العجلات ظهر عندما أعاد المنقبون تركيبها كونها زلاقة تتألف من كرسي خشبي طويل يقف على قطع خشبية منزلقة قصيرة مع حافة أمامية مرتفعة تماثل الجرجر. وتستعمل هذه الآلة في دراسة المحصول وهي مصنوعة من الخشب وتجرها الحيوانات التي تسير عليها مرات عدة فتتكسر السنابل وتقطع السيقان إلى قطع قصيرة لاستعمالها كعلف. كما مارسوا طريقة دراسة المحصول بربط عدد من الحيوانات وتسيرها مرات عدة فوقه. وعرفوا أيضاً المذراة لفصل البذور عن التبن». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 عامر سليمان 1985: 162).

المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية:

كانت النباتات التي تزرع عادة من الحبوب وهي: الحنطة والشعير والحبوب الحاوية على نسبة عالية من البروتين مثل البقول - العدس، والفاصوليا، والبازلاء - وهناك نباتات العلف، وكان يزرع الكتان والسمسم، وهناك الخضار مثل البصل والخيار، وكانت تزرع أيضاً بعض أشجار الفاكهة، بما في ذلك الكروم والتين وربما التفاح.

الأغنام والماعز هي قطعان المعابد عادة والماشية بصورة عامة استخدمت لعدد من الأغراض، كمشروع الألبان؛ وهناك إفريز من معبد سومري يوضح قطعان المعبد تمشي وتحلب. وتفيد جلود الحيوانات مختلف الصناعات.

«الجاموس موجود منذ العصر السومري القديم وشكل عنصراً مهمّاً في الحياة الاقتصادية لاعتماد سكان الأهوار عليه. وصوّره الكثير من الأختام، وقد دجن هذا الحيوان الضخم في منتصف الألف الرابع ق. م مع الثور الأحدب. وإن الآثار التي اكتشفت في أوروك تدل على أنّ الأغنام والماعز والأبقار والكلاب كانت مدجنة في الجنوب حوالي 4000 ق. م. ونعرف أنّ الماعز قد دجن منذ بداية الاستيطان في المواقع الشمالية وممارسة الزراعة. وكانت الأبقار والأغنام والماعز والحمير تشكل عنصراً مهمّاً في الاقتصاد السومريّ سواء للحمها أم حليبها ومشتقاته أم لاستعمالها في النقل وأعمال الحقل. وفي نقش بواجهة معبد في موقع العبيد يصور حظيرة أبقار ومصنعاً». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 عامر سليمان 1985: 191).

Image

حظيرة أبقار ومصنع حليب في موقع العبيد /ديكور فريز نحاسي من معبد الإلهة ننخرساج 2600 ق. م موجود حاليّاً في المتحف البريطاني

http://www. historyandcivilization. com/Picture-Gallery---Early-from-Sumer-to-Assyria---Artifacts--Objects---Sculpture.-Mesopotamia html

وكان من الضروريّ توفير الحيوانات للتضحية في المعابد وللعرافة، وهذه هي مسؤولية رعاة المعبد حيث كانت الحيوانات لهذه الأغراض عالية الجودة، وكانت هناك ثروة حيوانية من الخنازير والبط والإوز وكلاب الحراسة، وكانت الحمير من الحيوانات الرئيسة، جنباً إلى جنب مع الثيران، أما الخيول والإبل فلم تظهر إلّا في العصور التي جاءت بعد سومر.

Image

الحمير في رقيم سومري

wisdom. co. uk/sumeria. htm-http://www. ancient

أول تقويم زراعي:

قطعت الزراعة شوطاً متقدماً على يد السومريين، فقد كان تاريخها العريق في وادٍ خصيب كوادي الرافدين كفيلاً بأن يجعلها في مثل هذا الشوط، ففضلاً عن تقنيات الزراعة والريّ ظهرت التقاويم الزراعية التي تعدّ خطوة متقدمة آنذاك.

Image

رقيم سومري لعمليات زراعية مختلفة

stravaganzastravaganza. blogspot. nl/2012/10/agriculture-in-ancient-//:http sumer. html

عثرت بعثة المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو ومتحف جامعة بنسلفانيا في مدينة (نيبور) على لوح صغير يتكون من (108) أسطر تتضمن نصائح وتوجيهات فلاح متمرسٍ لولده حول أمور الزراعة وماذا يجب أن يفعله طيلة شهور السنة. ويذكرّنا هذا بعمل هسيود الإغريقي (العمل والأيام)، وعمل فرجيل

الروماني (فلاحة الأرض) لكن هذا النص السومري يجيء قبل عمل هسيود بحوالي ألف سنة.

في قديم الزمان زود فلاح ابنه بهذه الإرشادات: «إذا قارب الوقت الذي تبتدئ فيه بزرع حقلك فاحذر إذا فتحت أنهر السقي ألّا تجعل مياهها ترتفع عالياً فيه (في الحقل). وحين «تبزل» (أي تصفيه) الماء من الحقل فلاحظ أن تبقى أرضه مستوية ولا تدع ثوراً شارداً يطؤه. اطرد المتجولين والحيوانات السائبة واجعله كالأرض المأهولة. نظفه بعشر فؤوس حادة (بحيث لا تزن) إحداها أكثر من 2/ 3 الرطل. ويتحتم عليك أن تقلع أعقاب النباتات القديمة فيه باليد، واحزمها حزماً. كما ينبغي إزالة الحفر والثقوب الضيقة بالمسلفة، على أن تسيج جوانب الحقل الأربعة. ولما يكون الحقل مشتعلاً (بحرارة شمس الصيف) فاعمل على تقسيمه إلى أجزاء متساوية، ودع آلاتك مشغولة بالعمل (؟) وعليك أن تثبت عارضة النير، وتثبت المسامير في سوطك الجديد، أما مقبض سوطك القديم فعلى أبناء الأجراء أن يصلحوه». (كريمر 1956: 142).

يعتبر هذا التقويم السومريّ من الأعمال السومرية المتأخرة فقد تمّ تأليفه باللغة السومرية في حدود 1700 ق. م، وقد قمنا بتلخيص مضمون هذا التقويم الذي يحتوي على الأمور الآتية: (انظر نص التقويم عند كريمر 1956: 139 - 142)

1. النصائح المتعلقة بالريّ والتحذير من ارتفاع الماء فوق مستوى الحقل

2. تطهير الحقل من الحشائش وجذور النباتات المتروكة من الموسم السابق

3. تهيئة أدوات الزراعة والسلال

4. تهيئة ثور إضافي للمحراث

5. عزق الأرض وكسرها بالفأس والرفش والمدق

6. الإشراف على عمّال الزراعة مباشرة

7. الحراثة والبذر في آنٍ واحد بوضع آلة على شكل قمع تنثر البذور إلى شقوق الحراثة

8. حرث ثمانية خطوط (أخاديد) في كل شقة بمساحة 20 قدماً مربعاً (بمقياس الآن)

9. نزول البذور في خطوط الحرث إلى أعماق متساوية (بعمق إصبعين)، وإذا لم يحصل ذلك فيجب إبدال سكة المحراث (لسان المحراث)

10. حراثة خطوط مائلة ثم خطوط مستقيمة أخرى

11. الصلاة للإلهة (نن – كلم) الخاصة بجرذان وحشرات وديدان الحقل يوم البذر

12. يجب إخافة الطيور وعندما ينمو الشعير يجب أن يروى.

13. عندما يصبح الزرع مثل (الحصير في وسط السفينة) فيجب أن يسقى مرة أخرى

14. إذا لوحظ احمرار في الزرع المسقي فهذا يعني وجود آفة زراعية مثل (سمّاما)

15. إذا تحسن الزرع فيسقى للمرة الرابعة ليزداد الحاصل

16. يحين الحصاد عندما يكون الزرع في قوته قبل أن ينحني بالحبوب

17. الحصاد يتمّ من قبل ثلاثة (الحاصد، الحزّام، العامل)

18. تتمّ دراسة (سحق) المحصول مباشرة بعد الحصاد بواسطة مزلج أو زحافة تتحرك إلى الأمام والخلف ولمدة خمسة أيام.

19. يتمّ فتح الغلة بمفتاح تجره الثيران

20. إزالة التراب من الغلة بواسطة التذرية بالمذراة بعد نوع معين من الصلاة

21. يختتم التقويم بالتصريح بأن هذه هي تعاليم الإله (ننورتا) الذي هو فلاح الآلهة وابن كبيرها (إنليل)

22. هناك إشارة إلى أنّ السقي بالماء يتمّ في (نيسان- حزيران)، والحصاد والتذرية في (نيسان – حزيران) القادمين. أي إنها تستغرق سنة كاملة.

2. الريّ

الرافدان وفروعهما جعلوا وادي الرافدين مكاناً ملائماً لنشوء هندسة الريّ المبكرة، فبعد أن أدرك السومريون وغيرهم من أقوام الرافدين أنّ الفلاحة لا يمكن لها أن تعتمد على الأمطار فقط، ظهرت هندسة الريّ كواحدة من أعظم إنجازات العراق القديم. وهكذا ازدادت السيطرة على مياه الأنهار عن طريق إقامة القنوات والجداول والسدود، وحصلت النزاعات بين المدن السومرية بسبب الريّ والأنهار كما حصل بين (لجش) و(أوما).

صار ثابتاً اليوم أنّ اسمي دجلة والفرات جاءا من لغة غير سومرية وغير سامية، بل ربما تكون لغة ثالثة لشعب استوطن السهل الرسوبي مبكراً، لكن الاسمين يكتبان بالمسمارية:

1. دجلة: يلفظ دجلة بالكتابة المسمارية (أدجنا Idgina) الذي ربما تكوّن من مقطعين هما (إد- جنا) ومقطع (إد) يدل على النهر. أما مقطع (جنا) فلا نعرف معناه ولا نريد أن نجازف بتفسيره.

وقد لاكت الألسن المختلفة هذا الاسم القديم وتحوّل في البابلية (أدجلات) وفي الفارسية (تيركاه) التي ربما كان معناها (السهم)، وفي العبرية (حداقل) وفي الحورية (أرنزح) وفي اليونانية (تجريس) وفي العربية (دجلة).

وينبع هذا النهر من هضاب أرمينيا جنوب بحيرة وان ويبلغ طوله الكلّي حوالي (1718) كم (في تركيا 380 كم، وفي سوريا 30 كم، وفي العراق 1408 كم) وله خمسة روافد كبيرة هي (الخابور، والزاب الكبير، والزاب الصغير، والعظيم، وديالى). وتجلب هذه الروافد ثلثي ماء دجلة. أما الثلث الأول فيأتي من تركيا، والروافد كلها تنبع من خارج العراق. تكثر فيضاناته، وخصوصاً بين سامراء وبغداد، وتكثر تعرجاته بين بغداد والكوت. استعمله السومريون للريّ وأجروا قناةً من شط الغراف لسحب المياه إلى لجش في حدود 2200 ق. م وفي حدود 1850 ق. م فتحت قناة إلى لارسا على الفرات. ولأن الفرات أعلى من دجلة في مستوى الأرض التي يجري فيها فقد مدّت أكثر القنوات من الفرات إلى دجلة. وبسبب فيضاناته يتجنبه الفلاحون ولذلك لا نعثر على الكثير من الآثار عند ضفتيه أو قربهما.

2. الفرات: يلفظ الفرات بالكتابة المسمارية (بورانُن، بورونونا) وفي الأكدية البابلية (بوراتي، بوراتم) ونرى أنّ وجود علامة الشمس في مقطع (بورا) يدل على أنه نهر الشمس، ودليلنا على هذا أنّ كتابة اسم الفرات يكتب بالعلامات المسمارية نفسها لمدينة (سبّار) (أبو حبة الآن) دون ذكر العلامة الدالة على

النهر، ومعروف أنّ سبّار هي مدينة الشمس وهي، من وجهة نظرنا، أهم مدن السومريين.

أشهر كتابة لاسم الفرات هي (أد- كب- نُن كي) وأد تعني النهر، واسم الفرات باللغة العربية يعني (العذب)، وأسماه الفرس (أفرات) والإغريق (أفراتيس). يتكون الفرات من منبعه في آسيا الصغرى من نهرين هما (مراد صو وقرصو)، أي (ماء المراد والماء الأسود) ويلتقيان مخترقين جبال طوروس، ويجري في الأراضي التركية بطول (1176 كم) ويلتقي مع دجلة ليكونا شط العرب الذي يصبّ في الخليج العربي، يبلغ طوله كاملاً (2940 كم).

يتصل بالفرات في سوريا رافدان هما البالیخ والخابور، وترقد على نهر الفرات أهم المدن السومرية، وكان هذا النهر أكثر قدسية عندهم وأقل اضطراباً وفيضاناً، وكان له مجرى آخر غير مجراه الحالي عند الكثير من المدن المندرسة، وأهم المدن القديمة عليه هي سبّار، وكوثى، وبابل، وكيش، وشروباك، وأوروك، وأور، وأريدو ثم يصب وحده في الخليج العربي.

«استوطن العراقيون القدامى على ضفاف الفرات ودجلة. فجميع مدن سومر وأكد كانت مشيدة على ضفاف الفرات الأسفل والأنهر المتشعبة منه باستثناء بلاد آشور ومنطقة ديالى. وقدم الدكتور سوسة جملة أسباب لذلك، فالأراضي الزراعية المنحصرة بين دجلة والفرات جنوباً تنحدر من الفرات باتجاه دجلة، ولذا صار من الطبيعي برأيه أن تكون اتجاهات القنوات بالاتجاهات نفسها وانحصرت مياه الإرواء بالفرات الذي تستمد منه ماءها، إضافة إلى كون الفرات يجري بين ضفاف منخفضة بانحدار قليل عكس دجلة مما يسهل على الإنسان التحكم به واستثمار مائه بسهولة. كما يتوفر في مناطق الفرات طوال السنة الماء حيث تتجمع المياه من كل جهة وتنتشر على طول الدلتا بأعماق ضئيلة مما يسهل الريّ». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2 عامر سليمان 1985: 179).

3. شط العرب: تكوّن شط العرب من التقاء دجلة بالفرات في منطقة كرمة علي، ولم يعرف بالضبط زمن تكوّن هذا الشط رغم أنه كان متأخراً ويبلغ طوله 190 كم، ويصب شط العرب، عند مدينة الفاو، في الخليج العربي الذي أسماه البابليون (نار مراتو) أي (النهر المرّ) أو البحر الأسفل.

كانت مشاريع الريّ السومرية كثيرة منها ما أقيم على دجلة أو على الفرات أو روافدهما وربما كانت هندسة الريّ هي واحدة من أكبر مظاهر الحضارة

السومرية. وكانت هندسة الريّ قد بدأت مبكراً بشق القنوات والترع في ثقافة سامراء وجوخه مامي والعبيد وتل الصوان، ثم في أريدو عند نهر الفرات.

Image

الريّ وشق القنوات والترع في سومر

/921127548480519 19/http://www. pinterest. com/pin

وهناك قنوات لاحقة ظهرت شمال سبّار مثل قناة زوبي (جمدت نصر)، وقناة الأرنينا (في اللطيفية) التي تصب في الفرات شمال كيش، وقناة الأوتورونجال التي تنقل ماء الفرات جنوب نفّر وتمضي نحو أدب وأوما وبادتبيرا وزبالوم وتصل إلى قناة لجش. وأخرى تمرّ بلارسا وتصب في الفرات جنوب أوروك. وكان هذه القناة (الأوتورونجال) طويلة (130 كم) وعليها سدود ونواظم ومبازل كثيرة.

عرف السومريون أيضاً الجداول السيحية ونقل الماء إلى الأراضي الزراعية النائية وعرفوا رفع المياه من المناطق المنخفظة إلى العالية. كما عرفوا كري الأنهار وتنظيفها من الغرين، وهو ما فعله أورنمّو مع الكثير من الجداول وحفر أخرى جديدة.

«من مشاريع الإرواء مشروع السد الذي أنشأه إياناتوم ملك لجش على أحد الجداول، ثم السد الذي بناه خليفته أنتيمينا، وتظهر عظمة هذين المشروعين من كمية القار التي استخدمت فيهما، فقد استعملت في الأول 25. 200 لتراً وفي الثاني 269960 لتراً كما يذكر النص. وبلغ عدد الآجر الذي استخدم في بناء الثاني حوالي ثمانية ملايين طابوقة، وأنشأ إياناتوم قناةً ثانية ألحق بها خزاناً يستوعب كميات من الماء يتصرف بواسطة جدولٍ إلى المزارع وسّعه خليفته من بعده، وكان مشروع أنتيمينا ضخماً حيث حفر قناة جلب بها الماء من دجلة إلى لجش (الغرّاف) لمسافة حوالي 140 كم، وكانت هذه الأراضي تسقى من الفرات قبلاً مما يدل على الحاجة الماسة إلى الماء في الجنوب». (مجموعة من المؤلفين العراقيين، الأحمد 1976: 177 - 178).

وبسبب كثرة الفيضانات كان السومريون يعملون السدود ويسدّون الثغرات بالقصب والتراب وبنوا المسنيات بالطوب والقار، وبلّطوا بها ضفاف الأنهار واستعملوا البطخات لسد الثغور، والبطخات هي لفّات كبيرة محشوة بالقصب والشوك وملفوفة بالحبال والقصب والسعف والحصران.

كان السومريون يهتمون بالقوارب كوسيلة نقل وكوسيلة تساعدهم في أعمال الزراعة وصيد الأسماك والكائنات البحرية، وقد ظهرت القوارب أولاً في أريدو في الألف الرابع ق.م قبل مجيء السومريين، وفي آثار مقبرة أور حوالي 2700 ق. م زورق سومري. ولا شك أنّ الزوارق مختلفة الأشكال حسب اختصاصاتها وأغراضها.

المبحث الثاني: الصناعات والحرف

1. الصناعات السومرية

شكلت الصناعات والحرف السومرية المتن الثالث المهم في الاقتصاد السومري، فقد ظهرت صناعات الفخار مبكرة ثم صناعة الثياب والألبان وصناعة المعادن والحرف المركبة.

لعبت المعادن دوراً مهمّاً في الصناعات السومرية من رماحٍ ودروعٍ وخوذٍ ومعدات عسكرية، كانت صناعة النحاس هي الغالبة وتليها صناعة البرونز، وكان السومريون ماهرون في صناعة الذهب والفضة واللازورد وفي صناعات مواد الزينة وأدواتها. وقد عكسوا فيها مهاراتهم الفنية الكبيرة رسماً ونحتاً وتصميماً، وظهرت الزخارف عليها بشكل نقوش أو رسوم دقيقة الصنع.

كان التعدين يشمل معادن النحاس والبرونز والذهب والفضة والحديد في وقت متأخر. وقد عرفت عمليات صهر النحاس وطرقه بعد أن اكتشف في العصر الحجريّ النحاسي، وخصوصاً في عصر جمدت نصر، وتوسعت عمليات الصهر في العصر السومريّ القديم، واستعملت عمليات السباكة بالشمع المذاب كقوالب.

كان مصطلح معدن النحاس في اللغة السومرية هو (تبيرا) واشتهرت مدينة (باد تبيرا) به، أما البرونز فاسمه أورود وفي الأكدية سبارو وإيرو، وتشير كلمة سبارو إلى معدن النحاس أيضاً وهي أصل كلمة (صفر) المستخدمة في العربية للنحاس. وكلمة زابارا السومرية تدل على النحاس والبرونز.

ومن أسماء المعادن هذه ظهرت أسماء المدن مثل (سبار: البرونز)، (أريدو: أو رود) (تبيرا: باد تبيرا).

بل إنه نهر الفرات الذي يسمى (براتم، أوردتم، أوروتم) كان يرتبط بمنابعه التي كان عندها مناجم النحاس في تركيا. وكان السومريون يجلبون المعادن من (دلمون) مثل النحاس والفضة والذهب، وكانوا يطلقون اسم مجان ومكان على عُمان ويسمونها (جبل النحاس) لأنه فيها جبل معدني.

2. المهن والحرف السومرية

صناعة المعجنات (فران)

مهنة تحضير اللحوم (لحام/قصاب)

مهنة تحضير الطعام (طباخ)

صناعة القصب كالسلال والبسط

صناعة الفخار (فاخوري)

مهنة قطع وإعداد الحجر (حجار)

صناعة التماثيل (نحات)

صناعة الخشب (نجار)

صناعة أدوات الوزن

صناعة القوارب

صناعة الملابس (خياط)

مهنة التزيين (حلاق)

مهنة الطب (طبيب)

مهنة التعليم (مدرس)

مهنة الكتابة (كاتب)

مهنة البناء (معمار)

مهن إدارية وقيادية

رئيس بلدية

ضابط

سفير

مدير معبد

كاهن

مدير مكتبة

مدير أشغال

المبحث الثالث: التجارة والعملة السومرية

1. التجارة

افتقرت أرض الرافدين لعناصر الطبيعة المهمة كالمعادن والأحجار والأخشاب، ولكنها ازدادت غنى بالمحاصيل الزراعية، فنشأت حركة التبادل التجاريّ بين هذه وتلك.

كان هذا أحد عوامل ظهور التجارة في بلاد الرافدين، وربما كان سبب نشوء الإمبراطوريات الرافدينية هو ضمان الحصول على طرق تجارية مضمونة ومصادر معادن وأخشاب ثابتة.

وكان ملوك سومر يستخدمون الأنهار في نقل بعض المواد مثل الأخشاب والأحجار والمسلات، فقد كان أورنينا ينقل الأخشاب عن طريق الأنهار لبناء المعابد، وفعل مثله جوديا حيث كانت الآثار تحملُ نقوشاً لقوارب تحمل كميات كبيرة من الحبوب والحيوانات والزيت، وبعض السفرات من لجش إلى سوسة كانت تستغرق شهرين.

كانت التجارة النهرية (في الفرات بشكل خاص) والبحرية (عند سواحل الخليج العربي وشواطئ الهند الغربية، هي الأكثر أهمية. ولذلك تطورت صناعة السفن ووسائط النقل النهرية والبحرية. والحقيقة أنّ بلاداً مثل دلمون (البحرين) ومجان (عُمان) كانت تبدو كما لو أنها امتدادٌ لحضارة وادي الرافدين وسومر بشكل خاص ولعبت التجارة دوراً هامّاً في جعلها كذلك.

التجارة الخارجية (الاستيراد والتصدير):

كانت لسومر تجارة خارجية واسعة مع محيطها من المدن والبلدان والأراضي التي تتوفر فيها المعادن والأخشاب والأحجار الكريمة التي كانت بحاجة إليها، وكان التاجر الذي يسافر دائماً إلى دلمون، مثلاً، يسمى (دلمونجي) وهو ما حفّز هذا المحيط على الشروع بدخول الحضارة مبكراً.

الصادرات السومرية كانت تتضمن المنتوجات الزراعية والمنسوجات وزيوت السمسم والسمن الحيواني والجلود والمنحوتات.

طرق التجارة الخارجية الخاصة بالمعادن والخشب والحبوب والعاج كما هو مؤشر عليها

(G -d 2010: 305)

أما الواردات التجارية فكانت كما يلي:

1. من دلمون: النحاس، والأحجار، والعاج، والذهب والفضة، وعيون السمك (اللؤلؤ).

2. من مجان (عُمان): النحاس

3. من ملوخا (الهند): العاج والأحجار الكريمة

4. وادي بدخشان (أفغانستان): اللازورد

5. من أراتّا (في عيلام): اللازورد، والعقيق، والذهب والفضة

6. من الشام: خشب الأرز وخشب السرو، والأثاث الخشبي المطعّم بالعاج، والسفن، والقوارب.

7. الأناضول: النحاس

كان لنشاط التجارة بين سومر والهند والخليج العربي أثره الكبير في التبادل الحضاري، فقد تنوعت الصادرات والواردات، وإن من الصادرات السومرية إلى مدن وادي السند، مثلاً، الشعير والمنسوجات والصوف والزيوت والتمور. وكانت واردات سومر هي العاج وأصداف المحار وخشب السيسو والطاووس والحجر الصابوني وغيرها.

وهناك ما يشير في الألواح الطينية السومرية إلى وجود تجار من السند والهند واستقروا في بلاد سومر ومارسوا عاداتهم وطقوسهم الخاصة بهم.

وكانت التجارة مع الهند تنقل ثقافة سومر والهند بين الاثنين، فقد عثر في سومر على الأواني الفخارية والمنحوتات التي تشير إلى ثقافة (موهنجو دارو) مثل ختم مدينة كيش الذي تظهر فيه الثعابين برأسين وهو رمز هندي قديم. وعثر في فترة الملك السومريّ (أمار سين) على ختم منقوش بصورة نخلة مع ثور ذي حدبة (وهو ثور هندي)، وهناك نصوص تتحدث عن تصدير سومر للصوف وزيت السمسم إلى ملوخا ومجان.

واستطاعت التجارة مع دلمون أن تكوّن تجارة دلمونية رفيعة المستوى حتى بعد أفول سومر، حيث استفادت دلمون من التجارة مع سومر ومع ملوخا وهرّابا وموهنجو دارو بدليل ظهور الأوزان الهندية في نصوصها.

التجارة الداخلية:

كانت الأملاك الخاصة للسومريين مثبتةً في وثائق قانونية مدونة على ألواح الطين، وكانت المعاملات التجارية تجري على وفق هذه الوثائق وتدوّن في وثائق تجارية خاصة جديدة، مثل صيغ عقود البيع والشراء والقرض والإيداع والإيجار والمنح والرواتب والمشاركة وغيرها. وكانت هناك عقود شراكة كثيرة بين التجار وسجلات للتجارة الداخلية.

وكانت هناك أسواقٌ بسيطة بعضها عام لا يكون له مكان متخصص، بل يكون التسوق في الساحات العامة وعند بوابات المدن في أيام معينة حيث يجري تبادل السلع عن طريق المقايضة. أما الأسواق الخاصة، فكانت هناك أسواق للنسيج وللماشية وللفخار. وكانت هناك أسواق لبيع وشراء العبيد والرقيق والإماء، وكانت مواد التجارة الداخلية هي التمور والأسماك والدهون العطرية والأنسجة وزيوت السمسم وخشب الحور والملابس والأصباغ والقصب والبواري والآجر ومنتجات الحليب ومحصولات الزراعة والسفن والحيوانات مثل الماشية والطيور والحمير... وغيرها.

وتخصصت بعض المدن بتصديرها الداخلي لبعض المواد إلى مدن سومرية أخرى مثل:

لجش: الأسماك (الطرية والجافة المملحة)

أوما: زيوت العطر، والأغنام، والماعز

سبار: الأنسجة.

ولعلّ أهم وسائل النقل التجاريّ الداخلية هي السفينة (الكلك، والعوامة، والقفّة) في الأنهار، وهناك النقل البريّ المعتمد على قوافل من الحيوانات كالحمير والعربات. وكان النقل في الأهوار يجري، كما هو اليوم، من خلال المشحوف أو البلم الذي تستخدم معه عصا المردي لدفعه بعد غرزها في أرض الهور.

وقد نُظّمت أمور التجارة الداخلية من خلال القوانين والشرائع السومرية منذ أوركاجينا وحتى قانون أورنمّو.

كان التاجر بالسومرية يسمى (دمقار) أو الملاح فاسمه (ملاح) أي ناقل القارب.

Image

ممارسة التجارة قرب المعابد

http://www. pinterest. com/rhurst1945/uruk-sumer-mesopotamia

2. العملة السومرية

1. كان السومريون في حدود 3300 ق. م يتعاملون بينهم بعملة رمزية طينية clay tokens، وكانت تحمل رموزاً مرسومة للأشياء التي يتمّ التعامل بها كنوع من سندات المقايضة بينهم، وفي عصر فجر السلالات بدؤوا باستعمال العملة الرمزية الفضية clay tokens بالطريقة نفسها، وحددوا وزن هذه العملة التي تساوي 60 حبة قمح وأسموها سيكل(شيقل)، وكل 60 شيقلاً يساوي مينا.

تتكون كلمة شيقل السومرية من مقطعين هما (شي) التي تعني قمح و(قل) التي تعني قياس، وربما هي أصل كلمة (كيل) العربية، ويكون معناها الكلي هو كيل القمح، وقد أخذها العبريون المعاصرون في إسرائيل واستعملوها بعد أكثر من أربعة آلاف سنة كعملة لهم. والحقيقة أنّ ظهور العملات السومرية بهذا الشكل يوجب إعادة النظر في الفكرة السائدة عن الليديين واختراعهم الأول للنقود.

Image

2. استعمل السومريون الحلقات المعدنية كنوع من العملات، واستعمل السومريون أيضاً العملات الحلقية المصنوعة من الفضة كما في الشكل.

3. الشيقل البرونزي السومري 3000ق. م: استعمل السومريون الشيقل البرونزي الذي يظهر في الشكل القادم حيث يكون الوجه الأول عبارة عن الإلهة إنانا إلهة الخصوبة وهي على عربة، والوجه الثاني حزمة من القمح، ويبدو أنّ استعمال هذه العملة كان من أجل أغراض مقدسة مثل دفع الأجر عن عمليات الزواج المقدس في العبد أو جلب مساهمات الناس للمعبد على شكل نذور. (انظر http://www. stim. com/Stim-x/10 .origins/origins. html/1)

وقد ورد ذكر الشيقل السومري كعملة في الفقرة 19 من قانون أورنمّو وكما يلي:

(إذا كسر شخص سنّ شخص آخر فعليه أن يدفع كتعويض شيقلين من الفضة)

ولنتأمل هذا النص المسماريّ من قانون أشنونا لنرى أنواع البضائع وأثمانها:

«سعر غور واحد من الشعير هو شيقل واحد من الفضة

سعر ثلاث كؤوس من الزيت النقي هو شيقل واحد من الفضة

سعر سوت وخمس كؤوس من زيت السمسم هو شيقل واحد من الفضة

سعر ستة سوت من الصوف هو شيقل واحد من الفضة

سعر 2 جير من الملح هو شيقل واحد من الفضة

سعر البذور نصف الشيقل واحد هو واحد من الفضة

الأجر للعامل هو شيقل واحد من الفضة وحظر له الطعام بان واحد من الشعير وتكون خدمته بهذا الأجر لمدة شهر واحد».

(Baqir 1948)

انظر أكثر في هذا الموقع:

http://www. ishtartv. com/en/viewarticle,35322. html#sthash. iccBCkvZ. dpuf

وقد لاحظ كريمر «إن المنتج من الحرفيين يبيع منتجاته اليدوية في سوق المدينة الحرة، ويتلقى هذه المدفوعات إما عيناً أو من «المال»، الذي كان عادة على شكل قرص أو حلقة من الفضة من الوزن القياسي». وقد استعمل الأكديون والبابليون الشيقل كعملة في التبادل التجاري. أما الأشوريون فقد طوروا استعمالها كعملة ثابتة في التعامل التجاريّ ومن بلاد آشور انتقلت صناعة العملات إلى بلاد الأناضول ومنها إلى ليديا التي سكّت العملات المعروفة على أنها أول أشكال العملات النقدية، ومن الواضح أنّ جذورها تمتد إلى عهد السومريين. (انظر Aziz Emmanuel al-Zebari: http://www. ishtartv. viewarticle,35322. html/com/en) وانظر (http://moriancumr2. blogspot. money. html-nl/2012/04/sumerian). و http://www. stim. com/Stim-x/10. origins/origins. html/1)

وهناك نصوص آشورية صريحة من عصر الملك الآشوري سنحاريب تشير إلى عمليات تقطيع البرونز إلى قطع بون نصف شيقل تسمى بـ (رؤوس عشتار) كانت تستعمل كعملات نقدية.

الفصل الثامن
التكنولوجيا والمادة والطاقة والعمل

المبحث الأول: التكنولوجيا والمادة والطاقة والعمل

القاعدة المادية

كان السهل الرسوبي الذي استوطن فيه السومريون بين 4000-3800 ق.م هو المكان الذي شيدوا فيه حضارتهم، وكانت مساحة بلاد سومر تبلغ حوالي عشرة آلاف ميل مربع، ويشير خبراء الآثار والزراعة أنّ هذا السهل في تلك العصور كان أخصب نوع من السهول في العالم فقد تشبع بالمياه والمعادن والأملاح التي تزيد من خصوبته، لكن الآفة الكبيرة فيه كانت الأملاح التي كانت تتصاعد فيه كلما مرّ الزمان وتُفقده خصوبته تدريجيّاً.

القاعدة المادية الأخرى، بعد التربة، كانت الأنهار وفروعها وروافدها وجداولها والتي كانت عوناً للمزارعين على الزراعة عن طريق الريّ وهو ما نشّط هندسة وتقنيات الريّ في سومر.

كانت دلتا الرافدين، حيث سومر، فقيرة بالمعادن وخاماتها وهو ما اضطر السومريين لجلبها من خارج البلاد، وفقيرة بالأشجار الكبيرة اللازمة لصناعة الخشب، باستثناء النخيل الذي كان المصدر الرئيس للأخشاب التي تستعمل كسقوفٍ وأعمدة في البيوت فضلاً عن أهميته في الطعام.

كذلك كان هناك فقرٌ في الأحجار والصخور اللازمة للعمارة الكبيرة الخاصة بالمعابد والقصور بشكل خاص.

التكنولوجيا

كان للسومريين نزعة نوعية في الاختراعات والاكتشافات التقنية، فقد ابتكروا الآلات والمهارات والأساليب الخاصة بتطوير منتجات كالفخار وعجلة العربة والمحراث وصب النحاس والنقش بالحفر، وابتكروا تقنيات السقي والريّ، وطوّروا الطب والعلاج والصيدلة والأعشاب وأوجدوا نظاماً مبتكراً للكتابة على ألواح الطين. وكانوا عمليين في هذا المجال فاستخدموا

الكتابة للأمور الاقتصادية، ثم طوّعوها في مجالات النصوص الدينية والحكمة والأدب، ثم ارتقوا بها في سنّ القوانين والشـــرائع التي دوّنت بالخط المســـماريّ وأصبحت مصدر إلهامٍ للشعوب القديمة.

العمل

كان العمل الرئيس في بلاد سومر هو الزراعة وهي أساس الثروة، ومن مزروعاتهم الأساسية الحنطة والشعير والنخيل والأعناب. واهتموا برعي الحيوانات الأليفة كالأبقار والخنازير والماعز والغنم والحمير، ونعموا بمنتجاتها ومن صوفها لنسج ملابسهم. واكتشفوا المحراث والعربة بأربع عجلات والمراكب والسفن الشراعية.

كانت المباني التي أقامها السومريون مبنية فقط من الطوب الطيني بسبب غياب الأحجار والأشجار، ورغم أنّ ذلك سبب انهيار المباني بسبب هشاشة الطين، لكنهم كانوا يعيدون بناءها باستمرار، ثم أصبحت الأنقاض الناتجة عن الانهيارات الأرضية عاملاً في تكوين قاعدة تسببت في تفاوت ارتفاعات مستوى المباني بعضها عن بعض.

وكان العمل دؤوباً في التجارة والحرف والصناعات الأولية، فضلاً عن الأعمال الأخرى في قصور الأغنياء والبلاطات، تلك التي ساهمت في حفظ ذلك التراث السومري العريق.

الطاقة

ظلت مصادر الطاقة في العصر السومري بسيطة، فقد قام السومري باستغلال طاقة الرياح في المراكب والسفن في الأنهار والبحار، واستخدمها في النواعير حيث قام باستغلال الفرق في منسوب المياه من أجزاء بعض الأنهار في إدارة بعض السواقي، وتشغيل الآلات. وعرف السومريون القار والنفط واستثمروهما في الإنارة والبناء، وكذلك الفحم في المواقد.

وكان تدجين الحيوانات واستخدام طاقتها في الزراعة والريّ، حدثاً نوعيّاً، آنذاك، له أهميته في استثمار الطاقة الطبيعية لصالح الحياة اليومية للسومريين.

أما العمل وطاقة العمل فقد كانت الوسيلة العظيمة لبناء حضارة سومر. فقد قام السومريون ببناء أعظم المعابد والقصور والمنازل والحظائر والورش الصغيرة.

كانت هندسة الريّ التي برع بها السومريون هي الوسيلة الأساسية لاستثمار طاقة المياه وتوزيعها بشكل صحيح في الزراعة، وهناك الكثير من الآثار التي تشير إلى بنائهم السدود والجداول والشرائع والقنوات التي تمكنوا من خلالها السيطرة على المياه وتنظيمها في الزراعة.

استيراد المعادن والأحجار الكريمة

افتقر وادي الرافدين لخامات المعادن الرئيسة، ولذلك قام باستيرادها من خارجه، فالنحاس يستوردونه من دلمون ومجان (البحرين وعمان) وملوخا (السند) عن طريق المقايضة بالقماش والملابس الجاهزة، والبرونز كانوا يصنعونه من النحاس والقصدير، والأخير كانوا يستوردونه أيضاً من عيلام والأناضول وأرمينيا. وكان الذهب يستورد من مجان، والفضة تستورد كذلك.

توسّع المهن والحرف السومرية

تراوحت المهن السومرية التقليدية بين المهن الزراعية والصناعية والتجارية، وكانت الحرف اليدوية نوعاً من الصناعات المبكرة التي كانت الأجيال تتوارثها ويطورها الحرفيون المهرة ويحتفظون بأسرارها، وكانت لها تجمعات مهنية خاصة تسيّر أمورها ومشكلاتها، «وتشير نصوص من عصر فجر السلالات إلى أنه كان في المعابد مشاغل متخصصة يعمل فيها الصناع من الرجال والصبيان والنساء لقاء أجور معينة، وكان لكل مشغل مراقب مشرف. ومن المشاغل التي ذكرتها النصوص مشغل النحات والصائغ والنجار وصانع الجلود والخياط وغيره. وعندما نشط القطاع الخاص في العصر البابلي القديم والعصر السومري، أصبحت الحرف مستقلة عن المعابد. وبذلك أخذت تلك الحرف تتوزع في أرجاء المدينة ولها أسواق متخصصة لكل حرفة من الحرف في كثير من الأحيان». (كجه جي2002: 16-17).

الفخاريات: لم تعد مقتصرة على الجرار والأواني، بل تعدتها إلى أكواب الشرب والصواني وأنابيب المجاري، وكانت هناك مناطق خاصة لصناعة الفخاريات عبارة عن كورات تضم مكان النار وقنوات الهواء والحرق وغيرها، فهي أشبه بالمعامل الخاصة بالأواني الفخارية، ومنها 14 كورة في مجمع واحد في أور في نهايات الألف الرابع ق. م.

الأختام الأسطوانية: ظهرت صناعة الأختام الأسطوانية في ثقافة أوروك الثانية 3500 ق.م أي مع بدايات ظهور الكتابة تقريباً، ولكن هذه الصناعة تطورت بطريقة نوعية مع ازدهار الحضارة السومرية، حيث توسعت أنواع المواد التي كانت تستخدم في صناعته فشملت حجر الستيتات الأسود والأخضر والأبيض

والرصاصي والقهوائي وحجر اللازورد والمرمر والمرمر المعرق والحجر البلوريّ والهمتايت وحجر الكلس والعاج والمرمر الوردي والكرانيت والعجينة الطباشيرية والطين. وندر استعمال الذهب والفضة في صناعة الأختام.

الطابوق واللبن: كان اللبن غير المفخور وسيلة شعبية عامة لبناء البيوت وتزايد استعمال الطابوق المفخور مع مواد الخشب والحجر، وكانت صناعتهما تتمّ بقوالب الخشب الخشبية، وكان القار يستعمل كمادة رابطة في البناء في الكثير من الأبنية السومرية.

الصناعات المعدنية: استخدم السومريون النحاس والبرونز والذهب والفضة في صناعة الحلي والتماثيل الصغيرة والأواني والأطباق الفنية، وتوسع استخدامها في الكثير من الأعمال الفنية الجميلة. وكانت صناعة السبائك وصهر المعادن منتشرة في سومر.

صناعات الغزل والنسيج: كانت الحياكة أساس هذه الصناعة، ولكنها توسعت وازدادت اتقاناً ومهارة عند السومريين، خصوصاً الصناعات الصوفية.

صناعة الألبان والحليب: كانت هذه الحرف منزلية وبقيت هكذا في العصور السومرية، لكن معامل بسيطة لصناعة الألبان ظهرت لصيقة بالمعابد ورصيدها من المواشي التي يرعاها عمال مهرة.

الصناعات الكحولية: وهي البيرة والنبيذ بشكل أساسي، وكانت صناعة النبيذ تعتمد على التمر والتين والعنب، ويضاف إليها الزيت والخميرة والتوابل ورحيق العسل، أما البيرة فكانت تعتمد على تخمير منقوع الشعير بالدرجة الأساسية وكانت نسبة الكحول قليلة جدّاً فيها. ولأن النبيذ والبيرة كانت جزءاً مهمّاً من المائدة اليومية للطعام في سومر فلذلك توسع واجتهد السومريون في صناعتها، بمختلف أنواعها كانت تعتبر من المشروبات المنعشة والمفضلة لدى العراقيين القدماء. وكانت الجعة تحضر بتنقيع الشعير في الماء أولاً ثم تسخينه بدرجة معتدلة لتنشيط الإنزيمات الضرورية للتخمير، ثم يجفف الشعير بالفرن ويفصل عن النشاء والقشوة بواسطة الغربال. وتعاد عملية تنقيع الشعير وتنقيته ومن ثم يرفع ويترك ليخمر. وما دام الشعير لا يحتاج إلى الكثير من العناية لحفظه فيمكن أن تجري العملية في أيّ فصل من فصول السنة. ويمكن معرفة عشرات الأنواع من الجعة وأسعارها المختلفة طبقاً إلى طريقة التنقيع والسحن والمزج والتخمير والتحليل والتعطير وغير ذلك من العمليات التي تجرى عليها. وهناك مشاهد فنية جميلة ترينا عملية صنع الجعة

وطرق شربها المختلفة وجدت منقوشة على الأختام الأسطوانية». (كجه جي2002: 73)

Image

صناعة السيراميك: ابتكر السومريون صناعة السيراميك والفسيفساء وتوسعوا في استعماله وعثر على معامل صغيرة لصناعته في أنحاء كثيرة من سومر.

Image

موقد صغير ومستدير من السيراميك ومصدره تلّو قد أكمل صنعه بالتعدين، له ثقبان متجاوران يسمحان بالتهوية الاضطرارية

صناعة القوارب: طوّر السومريون صناعة القوارب التي ظهرت في عصر العبيد وتوسعوا في استعمالها باعتبارها وسيلة نقل وتجارة.

Image

صور مختلفة لقوارب مرسومة على أختام أسطوانية في حدود 3000 ق. م

المبحث الثاني: أمراء وملوك يعملون

يظهر جوديا حليق الشعر برفقة إلهة ثانوية هي (لامّا وهي روح من الأرواح الحارسة)

يقوده الإله ننكشزيدا نحو الإله إنكي

أورنمّو وهو يحمل وعاء العمل

أورنمو يتسلم من إله القمر أوامر بناء زقورة أور، وفي الأسفل يحمل عدة العمل خلف إلهه

الفصل التاسع
المظهر الديني للحضارة السومرية

آبو: إله الخضار السومري
http://www. daviddarling. info/encyclopedia_of_history/S/Sumerians. html

القسم الأول: المكونات الرئيسة للدين السومري

رجل دين سومريّ من ماري(2500-3000) ق. م

http://artifactsplanet. com/R0637. html

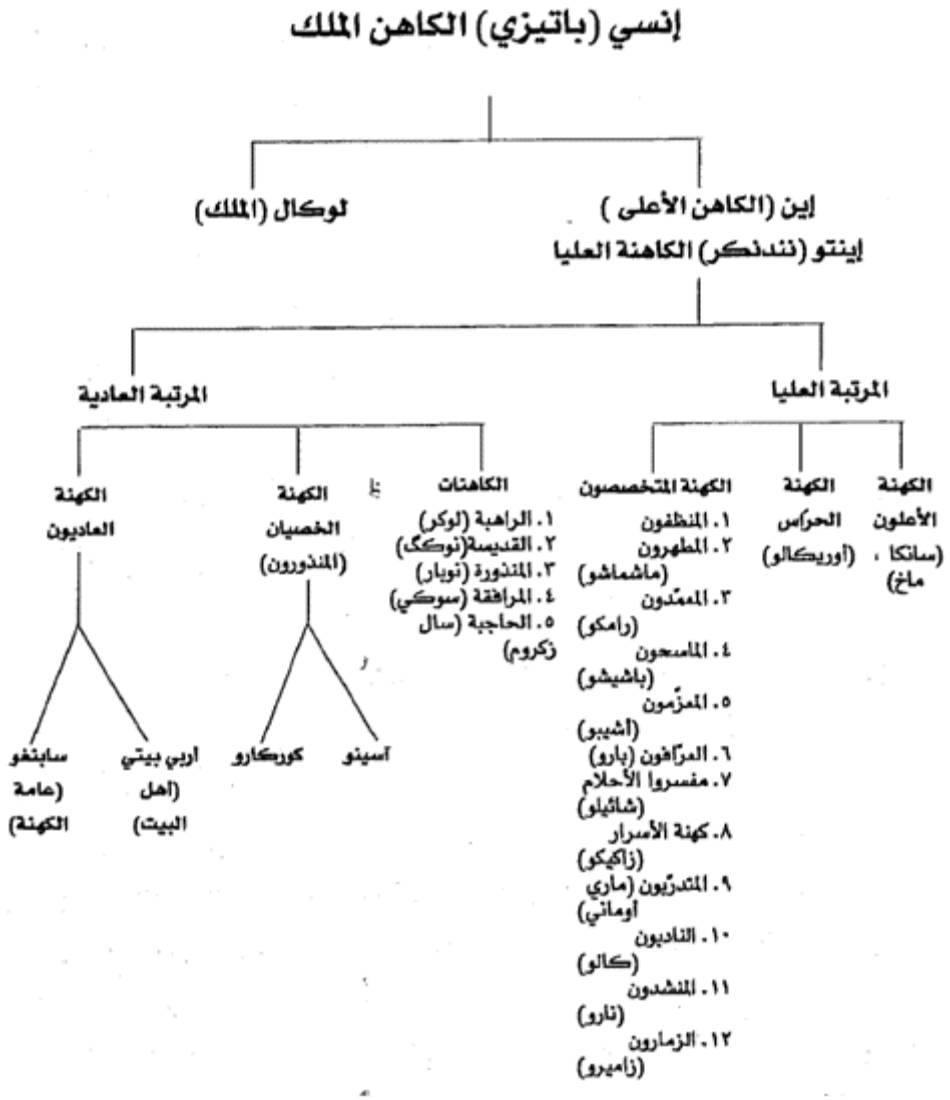

هيكل المؤسسة الدينية السومرية وأصناف الكهنة السومريين

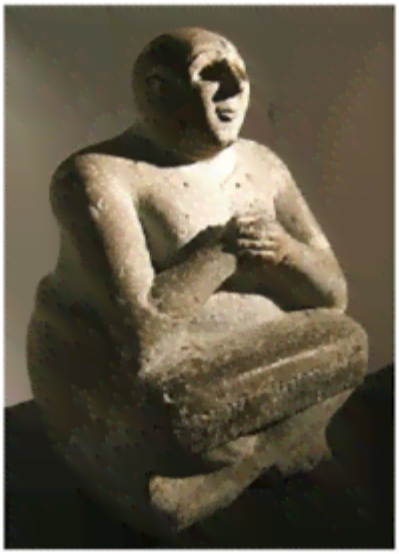

اليسار - تمثال رجل دين من ناني من معبد عشتار في ماري. 2900-2460 قبل الميلاد. ارتفاع 46. 4 سم. متحف دمشق، اليمين: تمثال لرجل دين حوالي 2900-2450 قبل الميلاد.

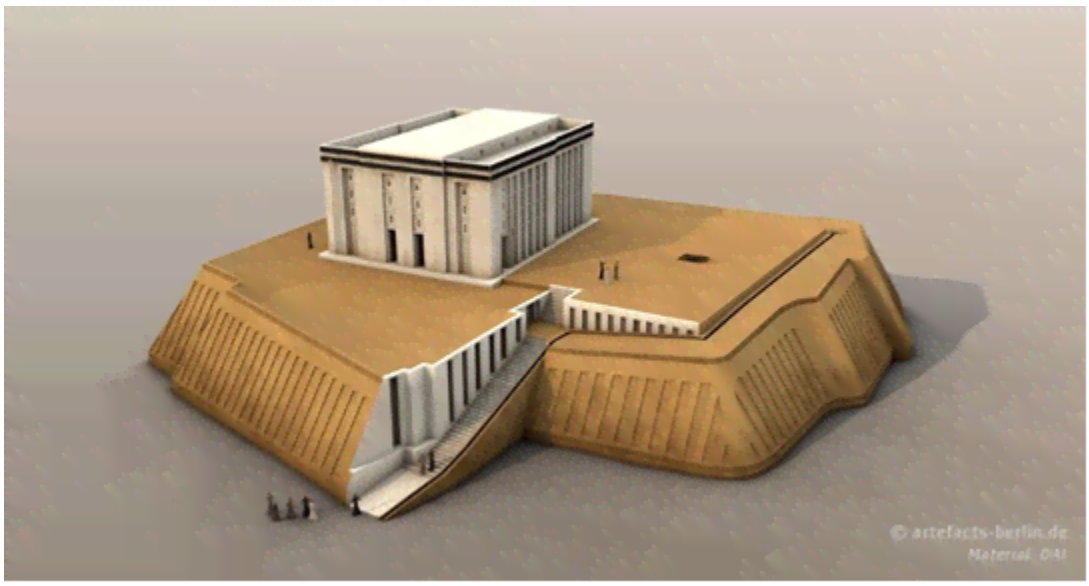

إعادة بناء متخيلة لمعبد الإله (المعبد الأبيض في أوروك) وزقورته 3200-3100 ق. م

http://www. pinterest. com/pin/400046379370999324/

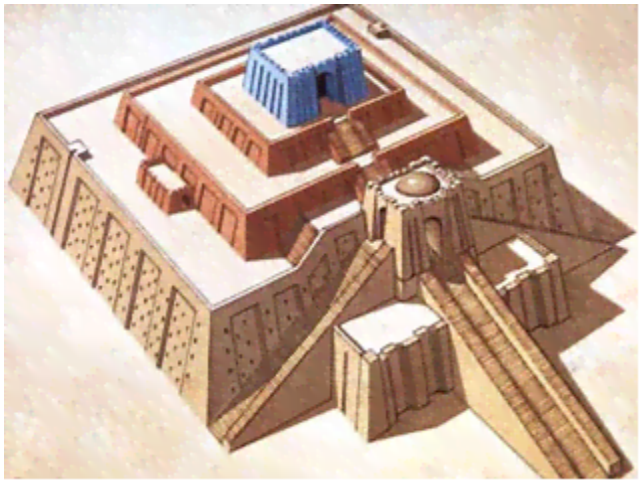

زقورة إله القمر(ننار) في أور عصر سلالة أور الثالثة

http://www. islamic-architecture. info/WA-IQ/WA-IQ-027.Htm

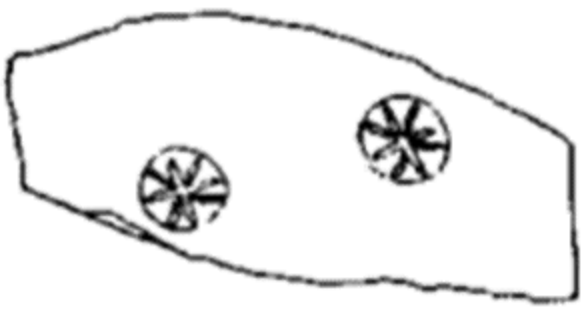

الإلهان دموزي(حامل عصا الراعي) وننكشزيدا (الذي يظهر على كتفيه الثعبانان رمزا الطب) وهما يقودان الأمير جوديا حامل السعفة

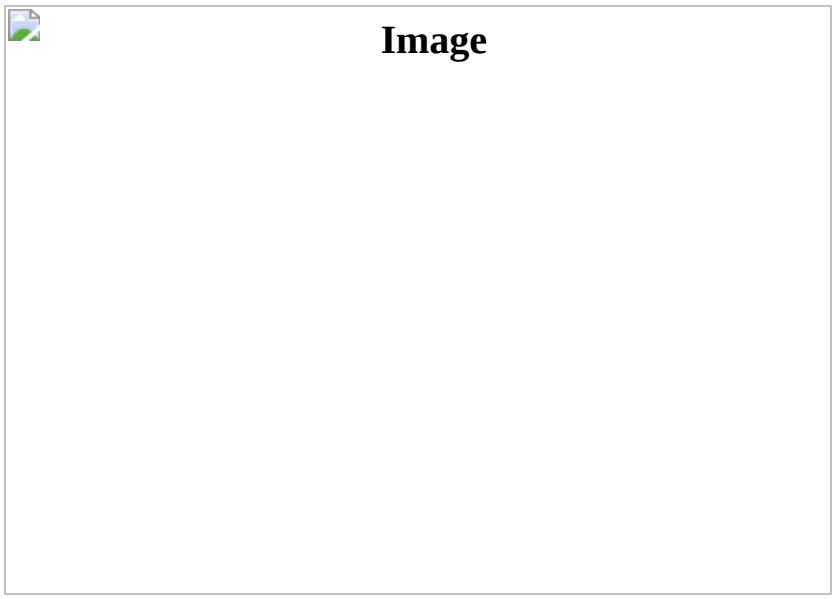

الآنوناكي في رقيم سومري

http://www. truthbeknown. com/anunnaki. Htm

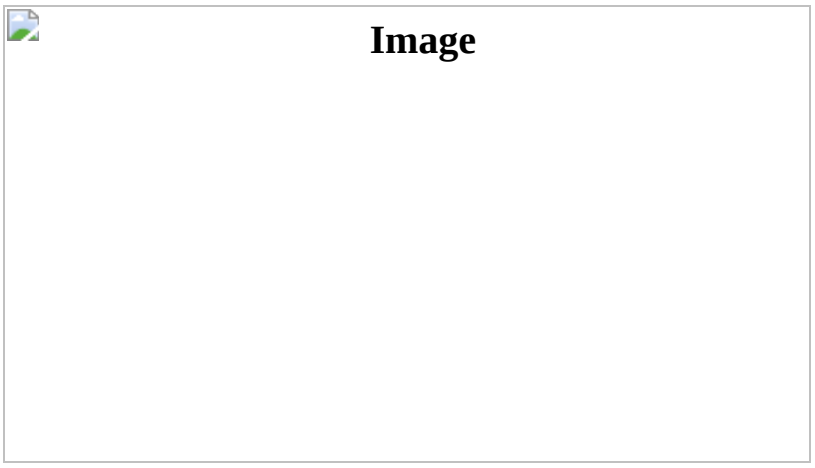

صورة توضيحية لمجمع الآلهة السومرية السبعة الكبرى (أنوناكي)

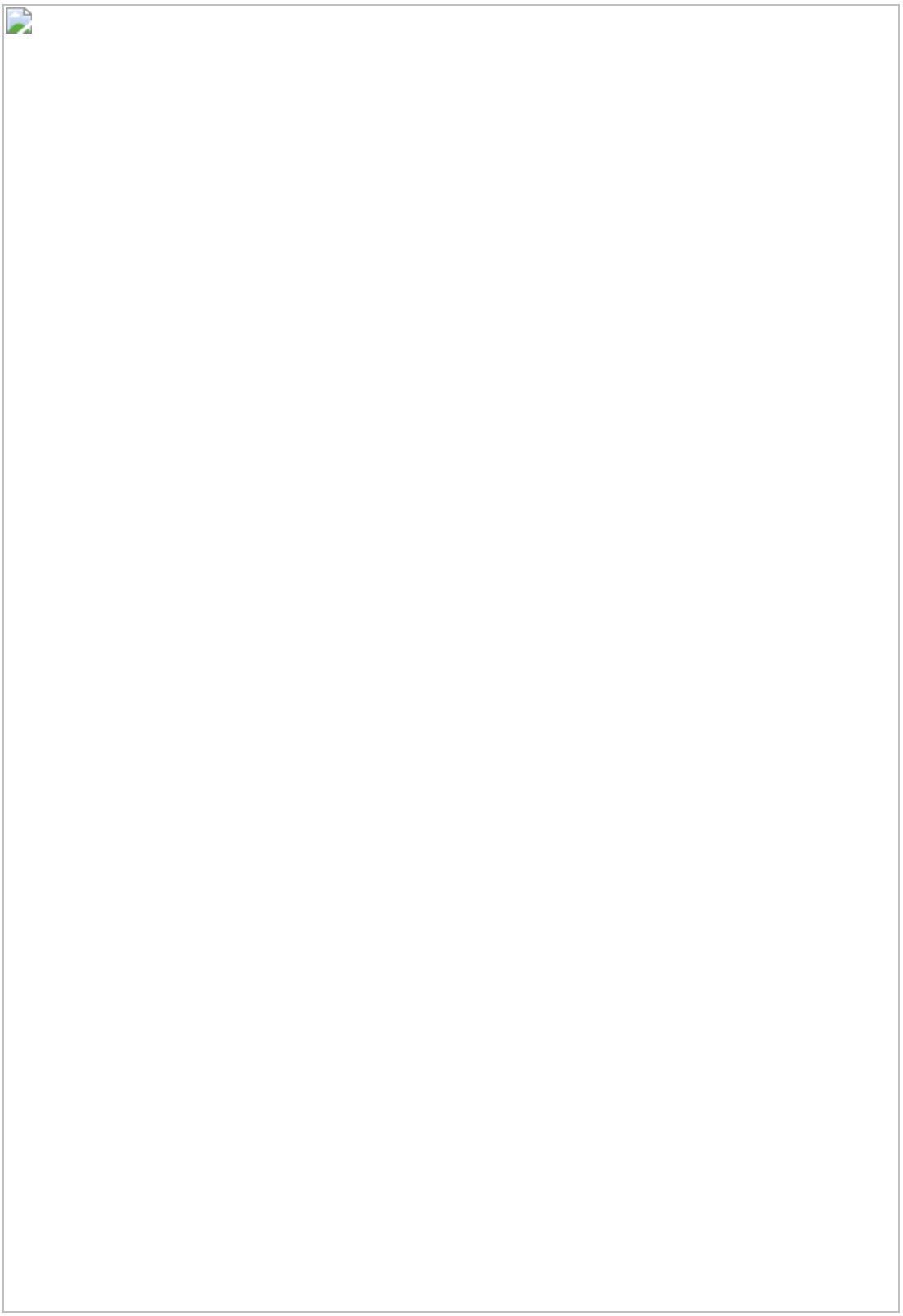

6	إنانا	الزُهرة، الحب		
7	أوتو	الشمس		

أشكال رموز آلهة أنوناكي السبعة

أشكال رموز آلهة أنوناكي السبعة

ب– الآلهة الخمسون العظام (الأنونا):

يترأس مجلس الآلهة الخمسين الإله إنليل (رقمه الرمزي هو خمسون، واسم معبده معبد الخمسين) وسمِّي هؤلاء الآلهة أيضاً بآلهة (الأنوناكي)، وكانوا مسؤولين عن الأرض والأرض السفلى وقد أصبح اسم الأنوناكي بعد السومريين يشير إلى قضاة العالم الأسفل. وهم أغلب ما نعرف عن الآلهة السومرية ويشكلون ثمار شجرتها.

ج– الآلهة الثانويون (الإيجيجي):

وهم الآلهة الصغار الشأن ويظهرون في الغالب منتشرين في السماء. وقد اختلط مصطلح الإيجيجي بالأنوناكي كثيراً بعد السومريين، ولكن الأرجح في الاصطلاحين هو إشارة الإيجيجي إلى السماء والأنوناكي إلى الأرض.

المنظور الثاني للآلهة السومرية مأخوذ عن تقسيم السومريين أنفسهم لآلهتهم على أساس أنّ لكل مدينة سومرية إله خاص بها ولا يتعارض هذا

التقسيم مع التقسيم السابق، بل يكمله. وسنلخص هذا التقسيم بالجدول التالي الذي يضم أهم المدن السومرية وآلهتها. ولم يكن هذا التقسيم اعتباطيّاً. بل سار وفق طبيعة المدن وحاجاتها، فمدينة أريدو مثلاً كانت مدينة مطلة على المياه، وهي أول المدن في جنوب العراق، ولذلك كان الإله إنكي إله المياه وهو من أقدم الآلهة السومرية هو إلهها. ويسري هذا على بقية المدن وآلهتها.

وهناك أعداد سرية أو رمزية للكبار من الآلهة السومرية، وسنذكر في الجدول الآتي هذه الأرقام مع ملاحظة أنّ الإلهات الإناث لا يتمتعن بأعداد ستينية / عشرية صحيحة، بل بأعداد تقل دائماً بخمس درجات عن نظرائهن من الآلهة المقابلين لهن كما هو واضح من تسلسل الآلهة الاثني عشر هنا:

الرقم المقدس لهن	الإلهات الإناث الكبيرات الست ودلالتهن	الرقم المقدس لهم	الآلهة الذكور الكبار الستة ودلالتهم
55	أنتو: زوجة آن	60	آن: السماء
45	ننليل: زوجة إنليل	50	إنليل: الهواء
35	ننكي: زوجة كي	40	إنكي / إيا: الماء
25	ننجال: زوجة نانا	30	نانا / سين: القمر
15	إنانا /عشتار: إلهة الحب	20	أوتو /شمش: الشمس
5	ننخرساج: إلهة الخصب والولادة (الإلهة الأم)	10	إشكور / أدد: العاصفة والطقس

المنظور الثالث للآلهة السومرية ما رآه جاكوبسن من تصنيف خاص يعتمد على الطبيعة الجغرافية لأرض سومر، (انظر Jacobsen 1970: 12-34) ويشمل المجموعات التالية:

1 – آلهة الأهوار: هي الأهوار الجنوبية الشرقية التي تفصل الأرض المأهولة لسومر عن الخليج العربي والتي تبدأ من جنوب شرق أريدو حتى نينا (سرغول). وتشمل آلهة مائية يرعاها الإله إنكي وهذه الآلهة هي (إنكي، وأسالوحي، ودموزي، ونانشه، وننمار).

2 – آلهة البساتين: وهي البساتين الجنوبية المحاذية لأسفل طريق الفرات القديم. وتتصف آلهة هذه البساتين بصلتها بالعالم الأسفل، فهي آلهة سفلية وتشمل (ننازو، وننكشزيدا، ودامو).

3 – آلهة الرعاة: وتشمل المناطق من أور باتجاه أوروك وأوما، وتشتمل هذه الآلهة على صنفين.

أ – آلهة رعاة البقر الجنوبية: وهي (نانا، وننهار، وأوتو، وننسون، وأن).

ب –آلهة رعاة الحمير الشمالية: وتشمل عائلة الإلهة ننخرساج (بيليتيلي Ninhursage l(Belitili وهي إلهة أدب وكيش ومعها زوجها شولبي وأبناؤهما موليل وأشرجي وابنتهما أغيم.

جدول (٢) جدول أو مخطط يوضح تصنيف جاكوبسن للآلهة السومرية حسب المناطق الطبيعية لسومر

تصميم :المؤلف

4 – آلهة الحقول: وتشمل المناطق الشمالية المعشبة حتى أكد. وشرق الأقسام الشمالية من لكش وهي أراضٍ زراعية، ولذلك يكون بانثيون هذه المنطقة فلاحيّاً يعتني بالزراعة والمحاصيل ويقف على قمة هذه المجموعة

الإله إنليل وهو إله سومر القومي مع زوجته الإلهة ننليل ومعهم (نصابا، ننورتا، باو، ميسلامتاي (نركال)). ورغم أنّ جاكوبسن يأخذ بعين الاعتبار المجموعات الطبيعية ومجاميع المدن المتقاربة في الوقت نفسه إلّا أنّ تقسيمه هذا يزيد من تشويشنا فيما يخص تسلسل الآلهة وانحدارها عن بعضها وأهميتها وبعبارة أخرى فإنه اهتمّ بطبيعة سومر في هذا التصنيف ولم يهتمّ بآلهة سومر.

إن هذه التصنيفات الناقصة لآلهة سومر لا تعالجها إلّا شجرة أنساب الآلهة السومرية التي سنضعها هنا كمحاولة شاملة لتصنيف الآلهة السومرية المعروفة والتي جاء ذكرها في النصوص الأسطورية بشكل خاص.

د. شجرة الآلهة السومرية

حاولنا تنظيم شجرة آلهة سومرية شاملة لا نستطيع المرور على كل تفاصيلها في مؤلفنا هذا، ولكن يمكن الرجوع إلى كتابنا (متون سومر) الكتاب الأول. (التاريخ، الميثولوجيا، اللاهوت، الطقوس) الذي يتابع أدق تفاصيل هذه الحقول ويرسم لوحة شاملة للآلهة السومرية. ويمكننا وضع هذه الخلاصة الميسرة لشجرة الأنساب السومرية. وتتكون الشجرة من مستويات عدة يضم كل مستوى مجموعة من الآلهة التي يربطها في الغالب نسب واحد وأحياناً طبيعة واحدة وهي كما يلي:

1 – آلهة الهيولى والخليقة الأولى (آلهة الجذور):

وهي الآلهة البدائية التي تشكل منها الكون وهي قديمة وأزلية في الوقت نفسه لأنّ أجسادها تشكل الكون والعالم. والإلهة (نمو Nammu) هي أم الآلهة السومرية والآلهة الهيولية الأولى. والتي نتج عن حركتها تكون جبل الكون الأول (أن – كي AN-KI) الذي يتضمن السماء والأرض في حالة تلاصق أو اندماج.

2 – آلهة العناصر الأربعة:

وهي الآلهة التي كونت مادة العالم ثم كونت الحياة وتشمل آلهة المصائر الكبرى (أن، كي، إنليل، إنكي) وتقابل (السماء، والأرض، والهواء، والماء).

آن AN: هو إله السماء ويظهر لنا في الأساطير السومرية على أنه الابن المباشر للإلهة (نمو). الذي تسلم مقاليد الكون بعدها وكأنه يذكرنا بالانقلاب الذكوريّ الذي حصل في الكالكوليت (الحجريّ المعدني) عندما انتزع الرجل مقاليد الحياة من المرأة التي سيطرت على الألوهية والحياة منذ اكتشاف الزراعة. والإله (آن) في العقيدة السومرية إله عالمي مسؤول عن البشر أجمعين وعن الأرض والسماء.

وللإله آن معبد رئيس في أوروك اسمه (أي – أنا) أي (بيت السماء) وزوجته الإلهة (كي) التي هي الأرض. ومن تزوجهما أنجبا إنليل (إله الهواء) وإنكي (إله الماء) ونسكو (إله النار) وننخرساج (إلهة الأرض) وهذه هي آلهة العناصر الأربعة. وله أيضاً سبع بنات مسؤولات عن الزراعة والشفاء هن (باو، ننسينا، كولا، ننكارك، جتومدو (مزب)، ناناي، ننتي نوجا) وللإله آن أبناء شياطين في العالم الأسفل وأبناء ملائكة في السماء.

الإله آن	الإله آن إله السماء ماسكاً صولجانه وأمامه الإلهة إنانا ملكة السماء

آن وابنه إنليل يعبران سماء سومر في القرص السماوي

شجرة الآلهة السومرية

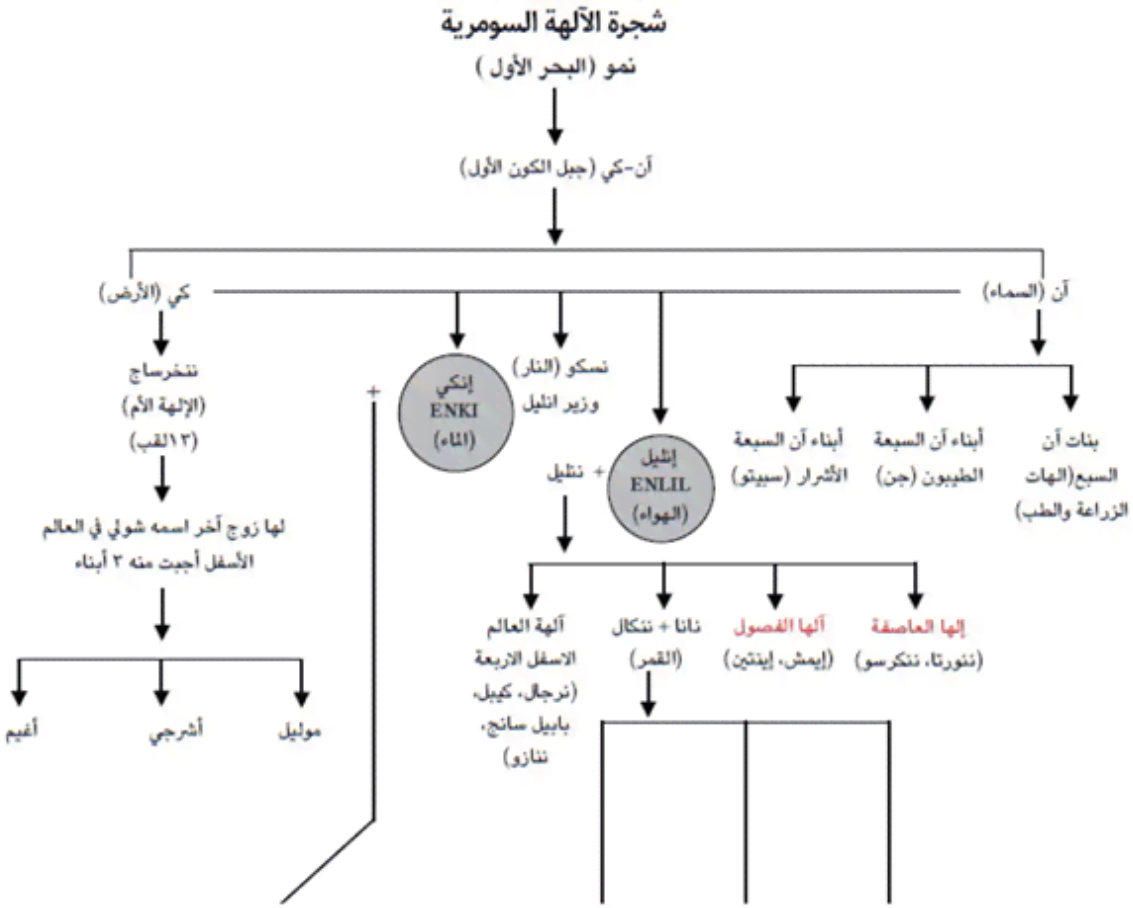

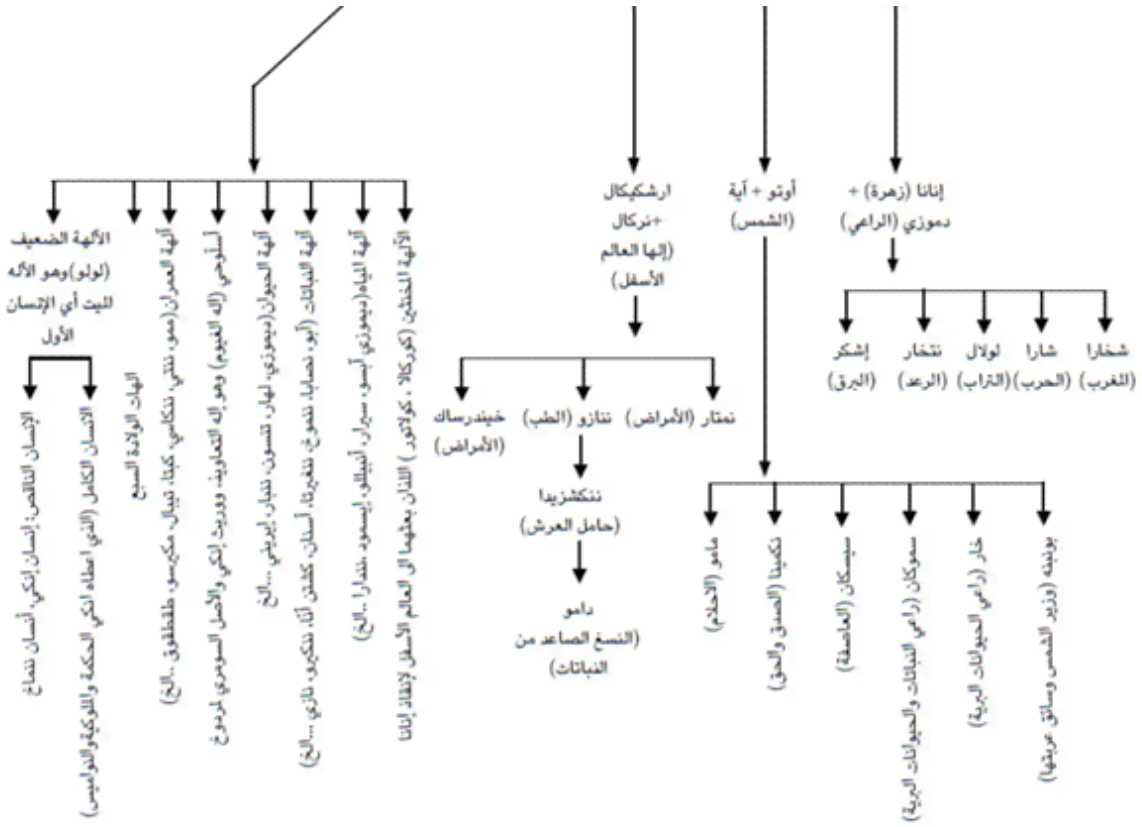

شجرة أنساب الآلهة السومرية تصميم: المؤلف

إنليل ENLIL: وهو إله الهواء الذي أصبح الإله القومي السومريّ والذي وضعت في صفاته كل أشكال القوة والسلطة والجبروت والحزم، وهناك ما يشير إلى أنه أخذ سلطات أبيه الكونية وفاز بها. ويظهر إنليل على رأس مجمع الأنونا (الخمسين) الذي يضم أغلب الآلهة المسؤولين عن شؤون الأرض. ويعدّ إنليل وشجرته الهوائية مصدراً للموت والظلام والعالم الأسفل والهواء ووالد الكواكب المنيرة، إذ الصفات الأساسية لإنليل وشجرته تعكس مبادئ الحزم والقوة والموت. والإله إنليل أب لأربعة مجاميع من الآلهة هم (الفصول: إيميش (الصيف) وأنتين (الشتاء)، والعالم الأسفل وهم ميسلام تاي (نركال) واليجييل (كيبل) إله النار وننازو إله الشجرة والطب وبابيل سانج (إله البوابة)، والمجموعة الثالثة هي العاصفة ممثلة بإلهيها ننجرسو وننورتا. أما المجموعة الرابعة فتضم الإله الوارث له وهو الإله (نانا) إله القمر. وزوجة الإله إنليل هي الإلهة (سود) التي صار اسمها بعد زواجه بها (ننليل).

إنكي ENKI: وهو إله الماء وإله الحياة وشجرته تحمل كل الآلهة التي تمثل مظاهر الحياة ويوصف أيضاً بأنه إله الأرض لارتباط الماء بالأرض وإنجابهما للحياة. ومدينة الإله إنكي هي أريدو ومعبده فيها يسمى معبد الغور (أي – إنغورا) ويسمى أيضاً معبد الأعماق (أي – أبسو). وللإله إنكي وزير اسمه (أسيمو) أو (إيسمود) وهو في حقيقته ابنه وله علاقة بالمياه والزوارق والقصب ويظهر دائماً برأس بشري وله وجهان.

والإله إنكي هو الذي خلق الإنسان وأحبه وأعطاه نواميس الحكمة والآلهة وبعث بكائنه السمكي (أوانيس) ليعلمه فنون الحضارة والكتابة، وهو الذي أنقذ الإنسان من الطوفان. وتظهر للإله إنكي ثمانية مجاميع من الآلهة سنأتي على ذكرها جميعها يرتبط بالحياة واستمرارها ولا أثر في سلالته للموت مطلقاً. بل إن أغلب الآلهات من نسله صرن فيما بعد زوجات لآلهة النسل الإنليلي، وهذا أيضاً من صفات الحياة لأنه مانح الأنوثة.

كي KI: وهي إلهة الأرض وتبدو إلهة قديمة ولكن شخصيتها تختلط بالإلهة ننخرساج التي تسمى (ننكي) أي (سيدة الأرض)، وربما كانت ننكي ابنتها. وفي جميع الأحوال يمكننا القول إن الإلهة ننخرساج هي رديفة كي وهي بذلك زوجة الآلهة إنكي ولها عدة ألقاب هي (دامكال نونا أي زوجة الأميرة الكبيرة)، و(ننماخ أي السيدة الكبيرة)، و(ننتو سيدة الولادة) ،و(ما مي أو ماما وهي الأم)، و(ماري وهي العذراء)، و(كاتوم دوك أي إلهة الأطفال)، و(بيليتي أي إلهة النسل)، و(أوراش أي الأرض)، و(أرورو أي التي تخرج الطفل من الرحم)، و(دنكيرما أي الإلهة الأم)، و(ننمينا أي سيدة القبعات الإلهية). وحقيقة الأمر أنّ الإلهة ننخرساج هي الإلهة السومرية الأم وهي إلهة الإخصاب. أما (إنانا) فهي شابة لعوب تمارس الحب الطائش وقد استحوذت فيما بعد على صفات ننخرساج زوراً.

وربما حصل هذا مع (دموزي) الذي هو حصراً إله المراعي والحظائر لكن صفات إنكي الخصيبة أسبغت عليه. وهناك زوج آخر لننخرساج يظهر كإله في العالم الأسفل هو (شولبي) الذي أنجبت منه إلهين هما (موليل) ولعله (ليل) الذي يموت ويبعث مثل دموزي، والآخر هو (أشرجي) وإلهة واحدة هي (أغيم).

3 – سلالة إنليل

تمتلئ شجرة إنليل الإلهية بآلهة يمثلون في الغالب عناصر الهواء والظلام والكواكب والفصول والرياح والموت (العالم الأسفل) وهي شجرة جافة تفتقد إلى الحياة والمرونة، ولذلك تسود صفات القسوة والحزم والسلطة والقوة على آلهتها.

أ – إلها الفصول وهما (إيمش: الصيف) و(إنتين: الشتاء) وهذان الفصلان يعبران عن أهم موسمين في سومر حيث الربيع يندغم بالشتاء والخريف بالصيف.

وهناك قطعة من أدب المناظرة السومريّ (وتسمى بالسومرية أدمندوكا Adamanduga) تروي قصة خلق إيمش وإنتين والمنافسة بينهما أمام أبيهما (إنليل)، حيث يوصف إيمش (الصيف) بأنه خلق الأشجار والحقول ووسع الحظائر والزرائب وأزاد المحصول في المزارع. أما إنتين (الشتاء) فيوصف بأنه جعل النعاج تلد الحملان والماعز تلد الجداء وكاثر الأبقار والعجول وزاد اللبن وأفرح الماعز المتوحش والنعاج والحمير والطيور والأسماك ووفر العسل. (انظر علي 1989: 287-288) ثم ينتصر الإله إنليل على الشتاء الذي يعطيه لقب (فلاح الآلهة).

ب – إلها العاصفة: وهما (ننورتا: إله الإعصار) و(ننكرسو: إله مدينة كرسو) وهما إلهان يمثلان العاصفة القوية وعلاقتهما تتصل بالحروب والموت والدمار، لكن ننورتا يظهر بعض صفات الإخصاب الزراعية بحكم ارتباطه بزوجته (باو) أو(بابا) وهي ابنة آن وإلهة الزراعة ثم صارت إلهة الطب والشفاء ورمز لها بالكلب. أما الإله ننكرسو فقد عبد في لكش وكان معبده يطلق عليه (بيت البجارا) وتقدم لأجله نذور كثيرة وكان يرمز له بطير الصاعقة أمدوكد (زو) الذي يظهر برأس أسد وجناحي نسر.

وكان للإله ننكرسو ولدان هما (كال اليم) وهو إله الحق وصد الشر وإله الملوكية. والآخر (شول شاكا) إله السكائب والقرابين وإله الحياة أو الحيوية لارتباطه بالدم.

الإله ننكرسو يمسك طير الصاعقة (أمدوكد)

– آلهة العالم الأسفل

وهم أربعة آلهة ذكرت أسطورة إنليل وننليل كيفية إنجاب ثلاثة منهم هم ميسلام تاي وهو نركال الذي كان إلهاً شمسيّاً لكنه هبط فيما بعد إلى العالم الأسفل وتزوج أرشكيكال وبقي معها إلى الأبد يحكمان العالم الأسفل، وله عدة أسماء أخرى (لوكالجيرا، لوكال جودوا، لوكال أبياك) والثاني هو الإله (جيرا) أو(جيرو).

ويمكن أن يكون هذا الإله مصدر خير أو شر للناس وفقاً للتأثير الذي تحدثه النار نفسها، إذ بإمكانه أن يقدم الضوء والدفء بواسطة النار أو بسبب الحرائق والمصائب، وتذكر بعض المصادر أنه ابن إنكي (وهذا غير دقيق). وفي نصوص (الأوتوكو) وهي العفاريت الشريرة بالسومرية والأكدية يظهر جبيل مع الإله إنكي يصعدان إلى السماء ليكتشفا سر العفاريت الشريرة السبعة (سبيتو)

وهي مخلوقات الإله آن تمّ خلقها دون معرفة إنكي وعند ذاك يرسل إنكي جبيل إلى ابنه أسالوحي الذي يزوده بالتعاويذ اللازمة لمجابهة الـ(سبيتو). (انظر ادزارد 1987: 84).

الإله الثالث هو الإله ننازو ويعني اسمه بالسومرية (السيد الطبيب) ويظهر هذه الإله دائماً على أنّه ابن أرشيكيكال ونركال وليس ابناً لإنليل كما تذكره الأسطورة، وهو إله الشفاء والاغتسال في العالم الأسفل، وكانت عبادته منتشرة في منطقة ديالى حتى سلالة أور الثالثة وحل محله فيما بعد الإله (تشباك).

أما الإله الرابع فهو إله عتيق جدّاً اسمه (بابيل سانج) ويعتقد أنه كان إله مدينة لاراك قبل الطوفان كما جاء في الرواية السومرية، وهو زوج إلهة الشفاء (نينسينا) التي كانت تلقب أحياناً بـ(سيدة لاراك).

– إله القمر نانا

وكان له اسم قديم هو (سوإين) أصبح فيما بعد جذراً لاسمه السامي (سين) ومن ألقابه السومرية (أشيم بابار) الذي يعني صاحب الشروق المشع وكان يلقب أيضاً بـ(ثوير إنليل) وزوجة الإله القمر هي (ننكال) أي السيدة الكبيرة.

وكان (نانا) يعبد في معبد أور المسمى (أكيشنوكال) وفي معبد (الهلهول) في حران حيث كان يعبد الإله نوسكو (إله الضوء والنار) ابناً له. وقد صوّر على أنه ثور وان له قرنين هما الهلال وصور على أنه سفينة السماء أو سفينة شحن بضائع السماء.

واتخذ منه السومريون مصدراً لمعرفة الزمن لأنّ أطواره الأربعة التي تبدأ بالهلال (شمبارتارا) ومنه (تارخ) ثم نصف البدر ثم الهلال ثم المحاق (بوبولو). وكانت مراحل ظهور الهلال الأربع تستغرق كل واحدة أسبوعاً كاملاً، ومن هنا ظهر مقياس الأسبوع بسبعة أيام. أما المرحلة الأخيرة أو المحاق فكانت تستغرق (2-3) أيام وبذلك يكون الشهر القمريّ قد اكتمل.

وهكذا أصبح القمر مقياساً للتقويم السومريّ القمريّ ولم تؤخذ الشمس بسبب ثباتها الدائم وقد ظلّ هذا الإجراء في الاسم السامي الآخر للقمر وهو (ورخ) أو(تارخ) الذي يشير إلى التاريخ. وكان خسوف القمر يعلل بأسطورة تقول إن الإلهة الشريرة (سبيتو) تسرق وتصرع الإله القمر وتحجبه.

وكذلك يفسر غيابة لمدة ثلاثة أيام في نهاية كل شهر في مرحلة المحاق التي كانت تسمى (بوبولو) بأن الشياطين من العالم الأسفل تقوم باحتجازه وأسره والذهاب به إلى هناك مؤقتاً وكانت تجرى بعض الطقوس لفك أسره.

ونرى أنّ كلمة (ننسون) التي هي الإلهة المسماة بالبقرة الوحشية لها علاقة بتسمية نصف البدر (إنسون) التي تعني الثور الوحشي. وربما كانت ننسون قرينة إنسون في هذه المرحلة رغم أنّ الإلهة (ننسون) أم كلكامش تظهر قرينة لإله الشمس(شمش) الذي هو أب كلكامش الإلهي.

الإله (نانا) إله القمر

كاهن الإله القمر(نانا) مزيناً بالهلال (شمبا تارا) أعلى رأسه وتحته

blogspot. nl/2012/08/the-moon_28. html .http://beyondpottery

/com/kaleenreed/pins .https://www. pinterest

أبناء الإله القمر: للقمر ولدان أحدهما كوكب هو (أوتو) إله الشمس، والآخر إله كزالو (نوموشدا). وله بنتان إحداهما تمثل كوكب الزهرة وهي (إنانا)

إلهة الحب والجمال والأخرى إلهة العالم الأسفل (أرشكيكال) وهي إلهة الظلام والموت.

والآلهة (إنانا) لعبت أعظم دور بين الآلهة فقد طغت أساطيرها وقصصها وقدرتها على بقية الآلهة، وهي التي أسماها الأكديون ثم البابليون (عشتار). وقد ظهرت عبادتها مبكرة في أوروك في الألف الرابع قبل الميلاد. ولها معابد في أوروك وماري ونوزي ويمكن أن نحدد لها بدقة ثلاث صفات ثابتة. الأولى أنها إلهة الحب والإغواء والجنس والجمال. والثانية أنها إلهة الحرب ونزعات التدمير والقتال. والثالثة أنها إلهة نجم الزهرة الذي يسمى بنجمة الصباح أو نجمة العشاء. أما الصفة التي يعطيها لها بعض الباحثين حين ينسبون إليها صفات الخصوبة والإلهة الأم فهي غير أصلية فيها فقد أسبغت عليها من الإلهة السومرية الأم (ننخرساج) التي بدأ ذكرها بالخفوت بعد السومريين.

ولعل أكثر القصص التي اشتهرت بها (إنانا) أساطيرها مع الإله (دموزي) عشيقها وزوجها وقتيلها في الوقت نفسه، وهو الإله الراعي المسؤول عن الحظائر الأغنام والماعز وقد أخذ صفات الخصب من الإله إنكي خصوصاً عند الأكديين عندما تحول إلى (تموز). كذلك يرد ذكره على أنه أحد سكان العالم الأعلى (السماء) حارساً لبوابة آن مع الإله ننكشزيدا وكذلك أحد سكان العالم الأسفل مع هذا الإله نفسه.

ولنا رأي خاص في الأسباب العميقة التي أدّت إلى موت دموزي ونفيه إلى العالم الأسفل مفاده أنّ هذا الإله هو الإله الذكري الوحيد من سلالة إنكي (هو ابن إنكي) الذي تزوج إلهة أنثى من سلالة إنليل، في حين إن أغلب بنات إنكي كن زوجات للذكور من سلالة إنليل على اعتبار أنّ سلالة إنليل كانت تمثل القوة والبطش والذكورة والموت، وسلالة إنكي كانت تتمثل باللين واللطف والأنوثة والحياة. وإن الذي حصل بين دموزي وإنانا هو الشذوذ الوحيد في تلك القاعدة، ولذلك كان لا بدّ من عقاب دموزي وموته.

وهناك خمسة أبناء للإلهة (إنانا) من دموزي (وربما من غيره) وهم الإلهة (إشخارا) التي ذكرت في عيلام وعصر أور الثالث وهي الآلهة المختصة بضمان تنفيذ العهود المقطوعة أمام الآلهة، ولذلك تسمى سيدة القضاء والأضاحي ولها

صفات حربية ورمزها هو العقرب ولها سبعة أبناء أو عفاريت ويبدو أنها ورثت صفات (إنانا).

أما الأبناء الأربعة الباقين لها فهم (شارا) الذي يختلط أحياناً بصفات (إشخارا) وهو إله مدينة أوما إله الحرب وربما كانت له علاقة بـ(الزواج).

والإله (لولال) إله لاراك والإله (ننخار) إله الرعد والعواصف، والإله (إشكر) وهو إله البرق الذي ظهرت من صفاته شخصية الإله أدد السومريّ ثم هدد أو حدد السامي، وهناك ختم أسطواني من تل الرماح من القرن الثامن عشر ق. م يصور ويذكر الإله (إشكور – أدو) كاسم مركب من اسمين لإله العاصفة وهو زوج الإلهة (شالا) أو(شلش) أو(أمجرو) إلهة النار. وهكذا حافظت سلالة (إنانا) على صفات السلالة الإنليلية الهوائية النارية المميتة.

أما أبناء الإله (أوتو) إله الشمس من زوجته (أيه) فهم ستة أبناء أولهم (بونينه) وزير وسائق عربة الشمس، و(خار) راعي الحيوانات البرية، و(سموكان) راعي النباتات والحيوانات البرية، و(سيسكال) إله العاصفة

و(نكجينا) إله الصدق والحق، و(مامو) إلهة الأحلام. وكان الإلهان إشكر والإله أوتو يعتبران إلهَي العرافة وتفسير الأحلام.

الإلهة (أرشكيكال) هي إلهة الموت والعالم الأسفل ويعني اسمها (سيدة الأرض الكبيرة). وتذكر الروايات السومرية لها زوجين هما (كوكال أنا) أي ثور السماء الكبير و(نركال) ولها من الأخير ثلاثة أبناء اثنان منهما بمثابة الوزيرين لها ولنركال وهما (نمتار) مقدر المصير وإله الستين مرضاً ووزيرها والإله الثاني (خيندر ساك) إله الموت وزير نركال. أما الابن الثالث فهو الإله (ننازو) الذي ظهر في رواية أخرى على أنه ابن إنليل وننليل. وهو إله الطب وإله الشجرة. وابنه الإله (ننشكزيدا) حامل العرش ومعنى اسمه (سيدة شجرة العدل) وربما المقصود منها (شجرة الحياة) ويلقب في المدائح الإلهية بـ(خادم الأرض الواسعة) و(محرك كرسي الأرض الواسعة) وهو زوج الإلهة أزيموا (إلهة مقاطعة في لكش) ولهما ابن هو (دامو) إله النسغ الصاعد في النباتات والذي تذكره نصوص أخرى على أنه ابن إلهة الشفاء (ننسينا) من زوجها (بابيل سانج) وكانت علاقته بالطب والشفاء واضحة.

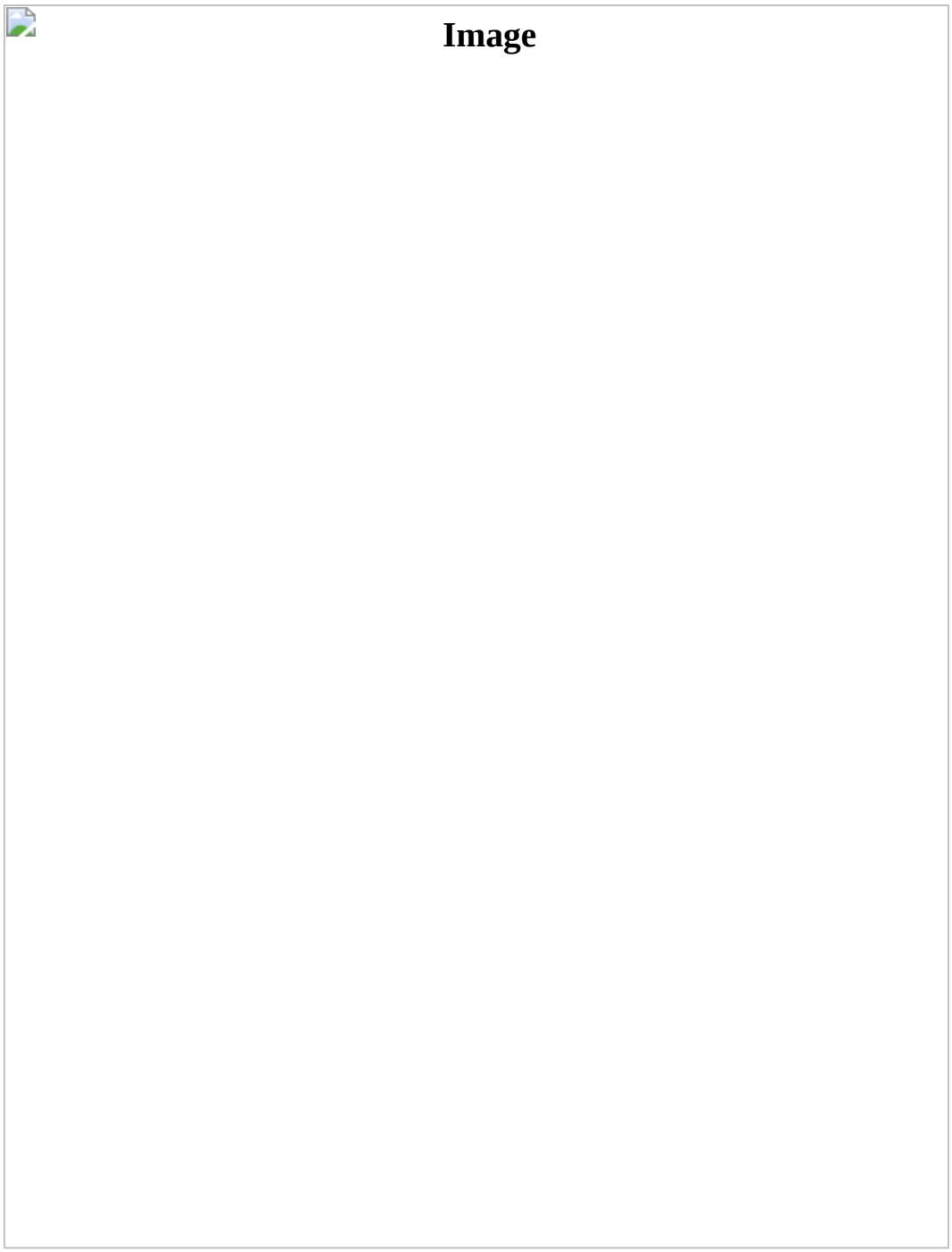

أرشكيكال برفقة بومتين ولبوتين عارية تحمل رموز السلطة في يديها ولها تاج مقرن.

http://talkytina. tumblr. com/post/10871797536/the-queen-of-the-night

4– سلالة إنكي

السلالة الكبيرة الثانية في شجرة أنساب الآلهة السومرية هي سلالة إنكي التي تعبر عن الحياة والماء وتشير إلى الجانب المعاكس تماماً لسلالة إنليل فهي تحفل بآلهة لهم وظائف مرتبطة بالأنوثة والولادة والخصب والنبات والحيوان والإنسان.

وقد رأينا من الأنسب تصنيف هذه الآلهة التي هي من نسل إنكي وزوجته ننخرساج إلى ثمانية أصناف هي:

أ – الإلهان عديما الجنس المخنثان (كوركالا) و(كولاتور) اللذان صنعهما إنكي من الوسخ تحت أظافره لإنقاذ (إنانا) من العالم الأسفل.

ب – آلهة المياه وهم:

1 – دموزي أبسو: وهو غير الإله دموزي فهو إله المياه العميقة وعلى الأغلب هو إلهة أنثى من محيط لكش إلهة مدينة (كينرشا) وترتبط بإله المحيطات العذبة (أبسو) وقد فقدت أهميتها بعد العصر البابلي القديم لتضاؤل دور مدينة لكش السياسي. (انظر ادزازد 1987: 98).

2 – أنبيللو: وهو إله المياه والحقول وكان معنيّاً بالأقنية والسدود والترع بالإضافة إلى المطر. وقد اختاره الإله إنكي للإشراف على دجلة والفرات، وله شكل أنثوي هو الإلهة السومرية بيللو المرموز لها بقربة الماء والمعروفة بعداوتها للإله دموزي. (انظر حداد 1993: 8).

3 – سيرار: هو إله الخليج العربي ويعتقد أنه حفيد بيللو المسمى (سرو).

4 – أيسمود: وهو الإله إسيمو ذو الوجهين وزير الإله إنكي.

5 – نندارا: وهو جابي البحر وزوج الإلهة نانشه ونازي.

ج – آلهة النباتات وهم

1 – أبو: وهو ملك النباتات وإلهها ويعنى بالخضرة والحشائش الصغيرة، وقد حظي بالعبادة في مملكة أشنونا (منطقة ديالى) وعثر في تل أسمر على تمثال له ولزوجته وما يشير لولده.

2 – دموزي أما أشموكال أنا: وهو القوة المخصبة التي تكمن في النخيل وتسبب الطلع والخصب لها. وهو غير الإله الراعي دموزي.

3 – أنكيدو: وهو الإله الفلاح.

4 – نصابا: إلهة الحبوب ثم إلهة الكتابة والأعداد في سومر.

5 – أشنان: إلهة الغلة.

6 – ننموخ: إلهة الغابات.

7 – ننغيردا (ننكيري، ننسوتو): زوجة الإله ننازو.

8 – كشتن أنا: سيدة دالية الكروم وأخت الإله دموزي.

9 – نازي: زوجة الإله نندارا

10 – أزيموا: زوجة الإله ننكشزيدا

11 – ننكيري أوتو: إلهة نباتية

12 – ننسار: سيدة الخضار والنباتات التي تؤكل

13 – ننمو: سيدة النباتات ذات الألياف

14 – إيمر: إله الحبوب

15 – أزينو: إله أو إلهة الحبوب والزمن

16 – كوسو وباسيكيل: إلها الحبوب.

د – آلهة الحيوان

1 – دموزي Dummuzi: وهو راعي الأغنام والماعز (دمو تعني ابن، وزي تعني مخلص) فهو الابن البار، كما أنّ زو تعني المخلص فهو الابن المخلص كما أنّ زي تعني الذي يعلو فهو الابن الذي يعلو. وهو أكثر الآلهة شهرة على المستوى الشعبي حيث كانت تمارس شعائر وطقوس عبادته بشكل واسع.

ويرى مورنغات أنّ دموزي وعقيدته الدينية هي أساس العقيدة الدينية السومرية وأساس المواضيع الخالدة فيها. (انظر مورتغارت 1985).

ولعل أساطير دموزي من (إنانا) من أشهر أساطير الحب والجمال وكذلك طقوس الزواج المقدس.

2 – لهار(لخار): وهو إله الأغنام والحظائر ومنتوجاتها

3 – ننسون: وهي البقرة الوحشية أم الإله دموزي أحياناً (وتسمى سرتور) وأم كلكامش والأمير كوديا.

4 – نانشه: إلهة الأسماك

5 – ننمار: إلهة الطيور

6 – زبابا: إله الأغنام وحقولها والمسؤول عن ذبحها وهو إله الحرب في كيش.

7 – بليلي: الوجه المؤنث من إنبيليلوا وتظهر قاطنة حظائر الماشية.

ه – آلهة العمران

1 – ممو: إله الحرف والمهارات

2 – ننتي: إلهة الشهور وراعية الزمن، وهي الآلهة التي تحيي وقد كانت مصدر فكرة حواء في الديانة العبرية لأنها إلهة الضلع أيضاً.

3 – إنشاج: إله دلمون ويسمى أيضاً (إنزاك)

4 – ننسيكلا: إلهة دلمون ومجان (عُمان)

5 – ننكاسي: إلهة الخمرة (إلهة الكأس)

6 – كبتا: إلهة الفأس والقرميد.

7 – كولا: إلهة الطابوق وصناعته

8 – مشدما: إله المساكن

9 – هايا: إله الصوامع زوج نصابا

10 – نندوب: إله المعمار ومصمم المعابد

11 – ننكورا: إله الأصباغ

12 – أتو: إلهة النسيج

13 – أشموكال كلاما: إله الموسيقى(القيثارة)

14 – تيبال(تابيرا): إله المعادن

15 – ميرسو: إله الريّ.

16 – طقطوق: إله الصناعة

17 – ساتران: إله مدينة دير

18 – نيراح (نيراه): القوة الحامية للبشر ويصور كثعبان.

و – أسالوحي Asalluhe

هو الابن الوارث للإله إنكي ويمثل الغيوم المرعدة، وهو الجذر السومريّ للإله مردوخ (ابن إيا الأكدي) لأنه يحمل صفاته نفسها ولكن اشتقاق اسم مردوخ قادم من المقطعين السومريين (أمارأوتو Amar-utu) والذي يعني (عجل الشمس) أو (طفل الشمس) وكان هذا المصطلح يشير إلى كوكب المشتري الذي يمثله مردوخ، وقد كان أسالوحي أو (أسارولوخي) إلهاً للسحر والتعاويذ التي ورثها عن أبيه إنكي.

ز – إلهات الولادة السبع

وهن سبع آلهات ثانويات مخصصات للولادة ويساعدن الإلهة ننماخ ساعة ولادة الآلهة أو الإنسان وهن:

1 – نن – إما

2 – نن – مادا

3 – نن – بارا

4 – نن مكك

5 – نن كونا

6 – سوزي أنا

7 – موسار غابا

ح – الإله الميت أو الضعيف (الإنسان: لولو Lullu)

يوصف الإنسان في التراث الديني السومريّ بأنه ابن الإله وهو تحديداً ابن الإله إنكي ولكن هذا الإنسان هو إله ميت أو ضعيف أي محكوم عليه بالموت وسنشرح أساطير خلق الإنسان وولادته في الفصل القادم.

وكلمة (لولو) مأخوذة من المقاطع السومرية (Lu-ux-Lu) التي تعني حرفيّاً (الإنسان البعيد أو السحيق) أو الإنسان العادي. ومرادفتها الأكدية (awelu) أويلو التي ترتبط باسم الإله (وي – ايلا ila-We) ومعناه الحرفي (الإله الذي كانت له شخصية)، وهو الإله الذي ذبح في (أوزموا) في نفر وصنع من دمه مع الطين الإنسان، وهي أسطورة أكدية ذات أصول مكانية سومرية.

5. رموز الآلهة السومرية

يمكننا القول إجمالاً إنّ الرموز ظهرت في وادي الرافدين في وقت مبكر في حضارة سامراء (5111-4900) ق. م وربما في حضارة حسونة التي سبقتها (انظر الماجدي 1997: 101) وكانت هذه الرموز في غالبيتها دينية الطابع وقد تطورت في عصر الكالكوليت. أما في العصر السومريّ فقد ظهرت رموز الآلهة على نطاق واسع ومتطور، وسنقوم باستعراض هذه الرموز حسب أهمية ومقام الآلهة اعتماداً على شجرة الآلهة السومرية التي وضعناها، وسنقتصر على الرموز السومرية فقط تاركين أمر تطورها لاحقاً في بابل وآشور إلى الكتب القادمة.

1 – رمز إله السماء (أن): وهو الرمز المهم للآلهة والذي أصبح فيما بعد علامة دنكر (Dinger) التي تشير إلى الآلهة بعامة وقد تطورت عن رمز الإله آن الذي يدل على ثماني جهات. وكان ذلك في حدود 3200 ق. م ثم أحيطت أذرع الجهات بما يشكل نجمة ثمانية تنبثق داخلها خطوط الجهات. وقد حافظت الكتابة المسمارية السومرية على شكل قريب من هذا عندما خطّت بأربعة مسامير متقاطعة تشير إلى الجهات الثماني أيضاً. وقد كان العدد الرمزي للإله آن هو (60) ويكتب بعلامة مسمار واقف، وهذا رقم مقدس عند السومريين لأنه يعبر عن الكمال وقد سميت الرياضيات السومرية بالرياضيات الستينية التي أصبحت أساس الرياضيات الفلكية والهندسية إلى يومنا هذا.

والحقيقة أنّ رمز الإله آن وعدده يمثل الكليّة السومرية، ومنها تظهر أعداد الآلهة الأخرى موزعة على أشهر وأبراج السنة.

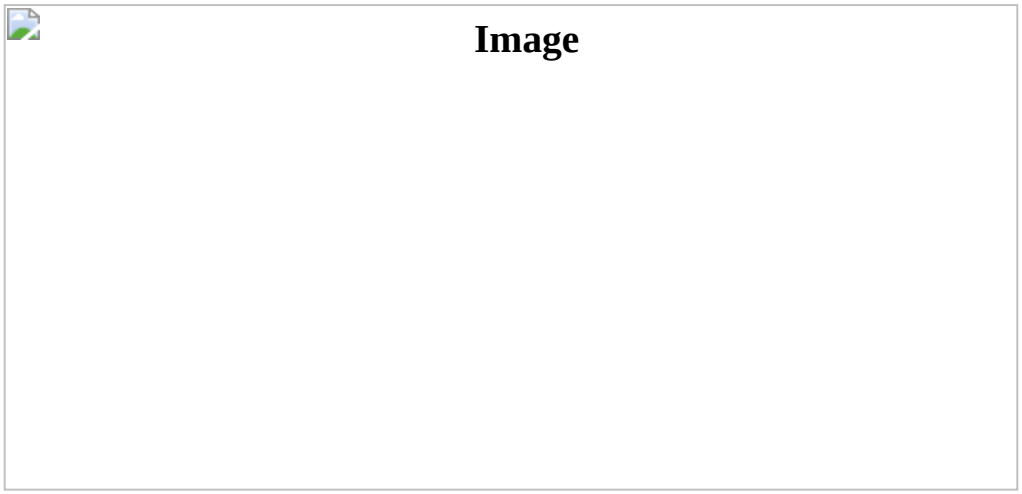

2 – رمز الإله إنليل: يعود رمز الإله إنليل إلى نهاية الألف الخامس قبل الميلاد حين مثل هذا الإله على شكل مثلثين متقابلين متصلين أو على شكل فأس مزدوجة. وكان ذلك يشير إلى أسطورة خلق الفأس لإنليل حيث يعتبر هو رب العمل الذي أعطى لشعب سومر الفأس ليبني حضارته بها. ولتدل على القوة والبأس. والعدد الرمزي لإنليل هو(50) الذي كان يعني أيضاً أنّ إنليل يترأس خمسين إلهاً أرضيّاً هم أعضاء مجلس الأنوناكي السومريّ، وقد ورث هذا العدد كل من ولديه ننورتا وننجرسو.

Image

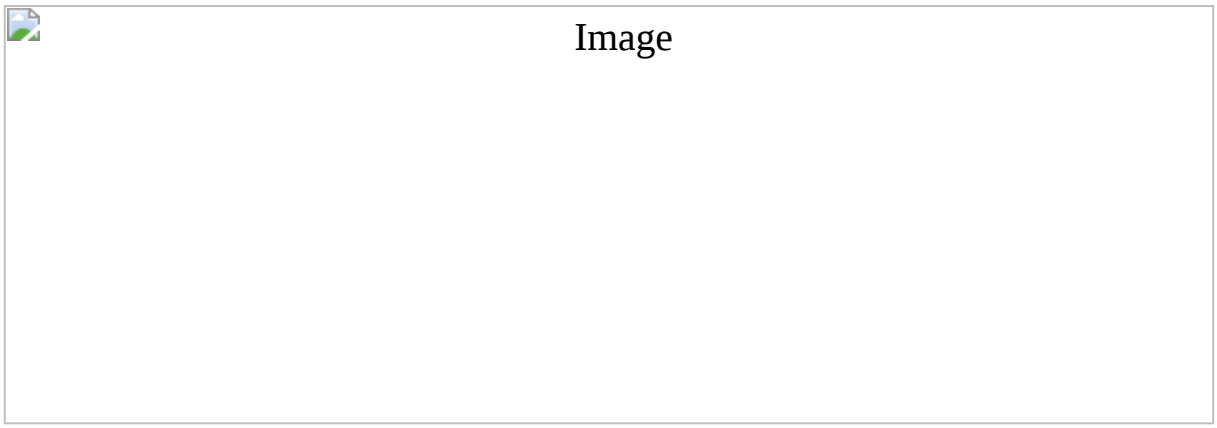

تطور رمز إنليل، رسم: لينا الناصري

3 – رمز الإله إنكي: عبر عنه بالإناء الفوار الذي يشبه الكمثرى الذي تخرج منه خطوط المياه العشرة من الجانبين، فهو إله المياه، وقد عبرت شجرة (الكاشكانو) وهي (شجرة الحياة) التي كانت تسمى باسم إنكي عن هذا الإله لأنه إله الحياة وإله الخصب. أما عدده الرمزي فهو(40) وقد كان هذا الرقم يحمل معاني عديدة منها النضج والحكمة والنبوة وغير ذلك.

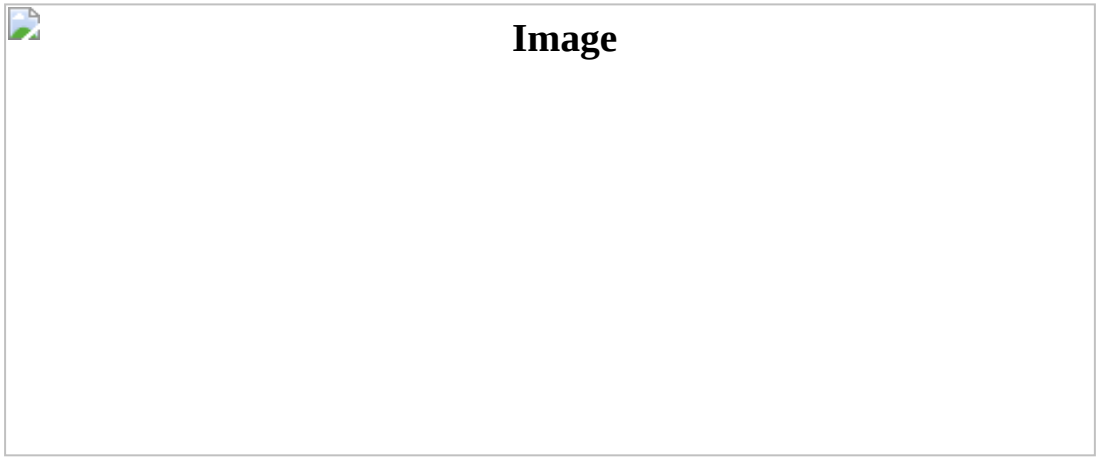

رسم: لينا الناصري

4 – رمز الإله نانا(القمر): وقد كان رمزه المبكر في العصر السومريّ عبارة عن هلال في وسطه نجمه ذات اثني عشر شعاعاً، ستة من الأشعة على شكل مدبب والستة الأخرى على شكل شريط شعاعي مكون من ثلاثة خطوط. كما تدل قرون الهلال على قرون الثور باعتبار أنه كان يسمى بـ(ثور السماء) وكذلك على حافتي (سفينة السماء).

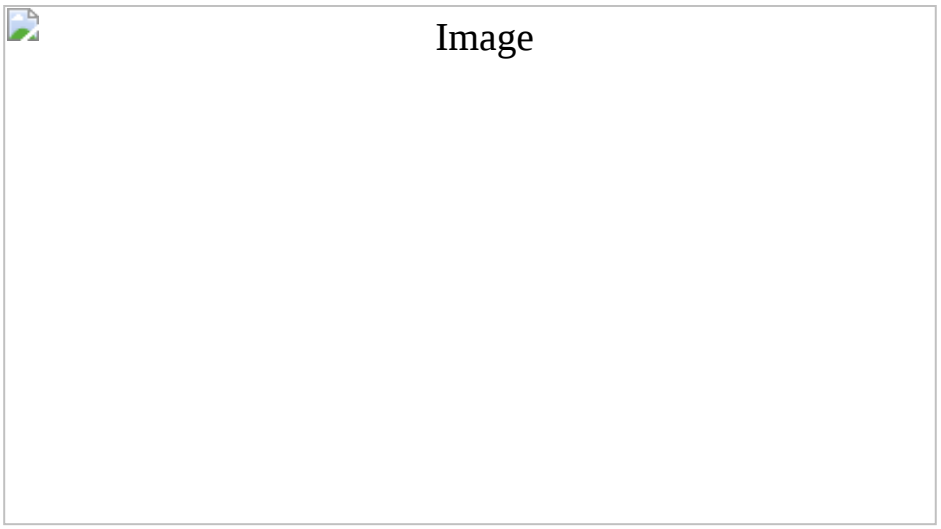

رسم: لينا الناصري

والعدد الرمزي للإله نانا هو(30) وهو يشير إلى أيام الشهر الذي كان يقاس بدورة القمر الشهرية ويشير إلى فكرة جعله مصدر التاريخ والزمن.

5 – رمز الإله أوتو: كان رمز الإله الشمس قد ظهر مبكراً في الرسوم الرافدينية فقد ظهر في الألف الخامس على شكل صليب وصليب مالطي وعلى شكل الرمح والنجمة المعلقة به، ثم ظهر في العصر الأكدي على شكل (المنشار) الذي يقص الظلام، وعلى شكل النجمة ذات الأشعة الستة عشر التي كان ثمانية منها على شكل مثلثات مدببة، والثمانية الأخرى على شكل أشرطة أشعة متماوجة. وكان ظهوره بهذا الشكل المميز في العصر الأكدي يؤكد مكانته عند الأكديين باعتباره الإله القومي لهم. وكان العدد الرمزي له هو(20).

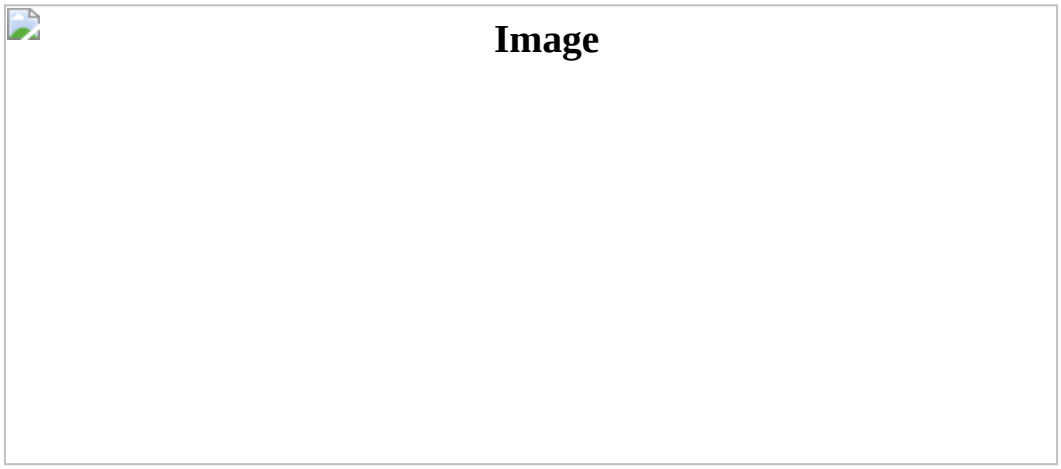

جذور رموز الشمس في الألف الخامس قبل الميلاد (رموز الانقلاب الذكوري). رسم: لينا الناصري

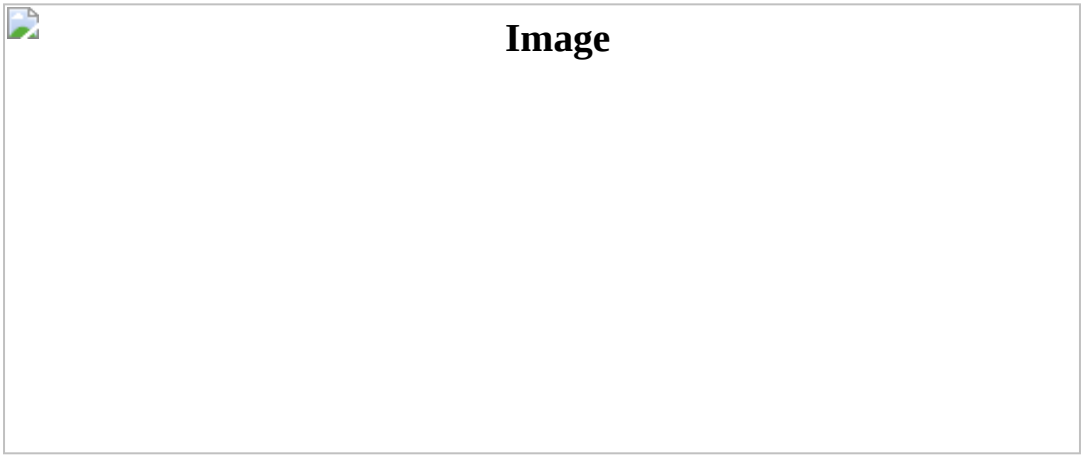

رموز الشمس في العصر السومريّ في الألف الثالث قبل الميلاد. رسم: لينا الناصري

6 – رموز الإلهة إنانا: للإلهة إنانا ثلاثة رموز سومرية أساسية ظهرت في عصر الوركاء وجمدت نصر، أي في عصر البروتوليتريت الشبيه بالتاريخي وهو عصر سومريّ مبكر الرمز الأول هو رمزها الكتابي وهو عبارة عن قصبتين متتابعتين باتجاه واحد معقوفتين ويتدلى من رقبة كل واحدة منهما شريط حريري. أما الرمز الثاني فهو عبارة عن قصبة مدببة ذات ست حلقات على جانبيها. الرمز الثالث هو زهرة الأقحوان المؤلفة من ثمانية أوراق مدببة على شكل معينات مصفوفة باتجاه مركز مدور. وكان هذا الرمز يشير إلى شجرة حياة إنكي أيضاً. أما العدد الرمزي للإلهة إنانا فهو(15) وهو نصف عدد أبيها القمر وكأنه يشير إلى البدر التمام، وهو ما يؤشر صفة الجمال لإنانا وكذلك يضمر هذا العدد أصل اسمها اللاحق (عشتار) من التسمية السومرية (كشدار) الذي يضم معنى الشق والقضيب، وهما رمزا الأنوثة والذكورة الدالان أيضاً على الحب والحرب. (انظر الماجدي 1995).

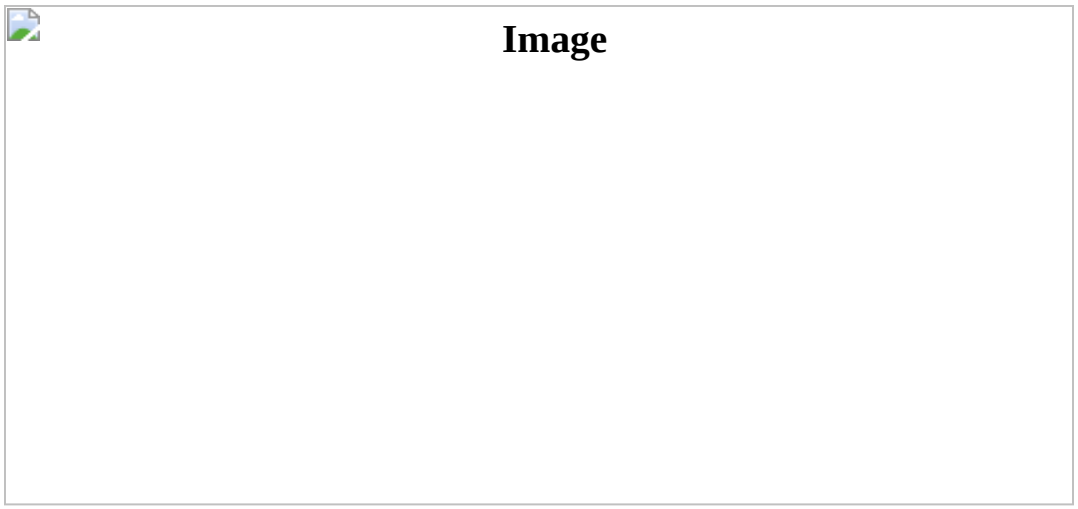

رسم: لينا الناصري

7 – رمز الإله دموزي: رغم شيوع عبادة الإله دموزي وأساطيره وطقوس الزواج المقدس والحزن عليه إلّا أنّ هناك رمزاً واحداً يرجّح أن يكون خاصّاً به، وهو عبارة عن جذع نخلة يشير إلى الإله دموزي (أما أشكال أنا) وهو مخصب النخيل وطلعها وفي أعلى الجذع رمز الألوهية الذي هو عبارة عن عجلة تحتوي في داخلها على نجمة ثمانية مدببة الأشعة وذات مركز. ولم يكن للإله دموزي عدد رمزي.

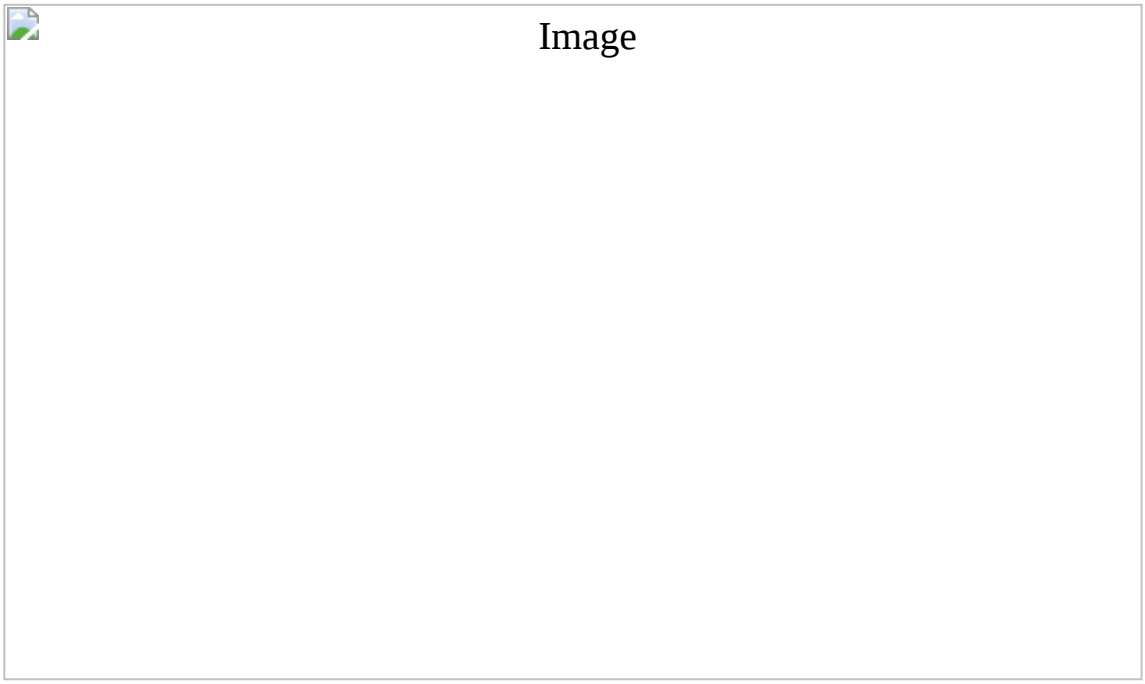

جذع النخلة ورمز الألوهية: رمز الإله دموزي، رمز دموزي كذكر القصب النابت المزود بست حلقات / نهاية الألف الثالث ق. م. رسم: لينا الناصري.

8 – رمز الإلهة إشخارا: ظهر رمز العقرب في وقت مبكر جدّاً، فقد كان من الرموز الأولى لحضارة سامراء النيوليتية في الألف السادس قبل الميلاد. وكان يشير إلى الإلهة الأم وقد ظهر في الأطباق الفخارية السامرائية ليشير إلى علامة الصليب المعقوف (السواستيكا) التي كانت رمزاً للإلهة الأم. وظهر أيضاً في رقصة الأكيتو (استنزال المطر أو الاستسقاء) ليشير إلى الإلهة الأم لأنّ من صفات العقرب ولادة صغارها من البيوض داخل جسدها، ولذلك حين كانت تخرج بعد التفقيس الداخلي تضطر إلى تمزيق ظهرها والعيش على بقايا جسدها في حين تموت العقرب الأم. ويعتبر هذا الرمز واحداً من أول رموز التضحية والأمومة ويبدو أنّ الإلهة إشخارا كانت تمثل بالعقرب استمراراً لحفظ تقليد الإلهة الأم رغم أنّ هذا الرمز كان يدل على الإله شارا الذي كان يختلط مع الإلهة إشخارا بسبب اقتراب اسميهما وكونهما أبناء الإلهة إنانا. وكان أحد مداليل العقرب هو (الزواج) الذي كانت إشخارا تمثله.

9 – رمز الإله إشكر: ظهر رمز الإله إشكر الدال على الصاعقة والبرق مبكراً في حضارة سامراء النيوليتية على شكل الحرف U المتعرج الذراعين. (انظر الماجدي 1997: 111). ثم تطور في العصر السومريّ في النصف الثاني من الألف الثالث قبل الميلاد إلى شكل الشوكة المزدوجة ذات المقبض الوسطي الذي أصبح يدل على البرق والصاعقة كسلاح في يد الإله إشكر الذي صار الإله أدد فيما بعد. والعدد الرمزي للإله إشكر هو(6).

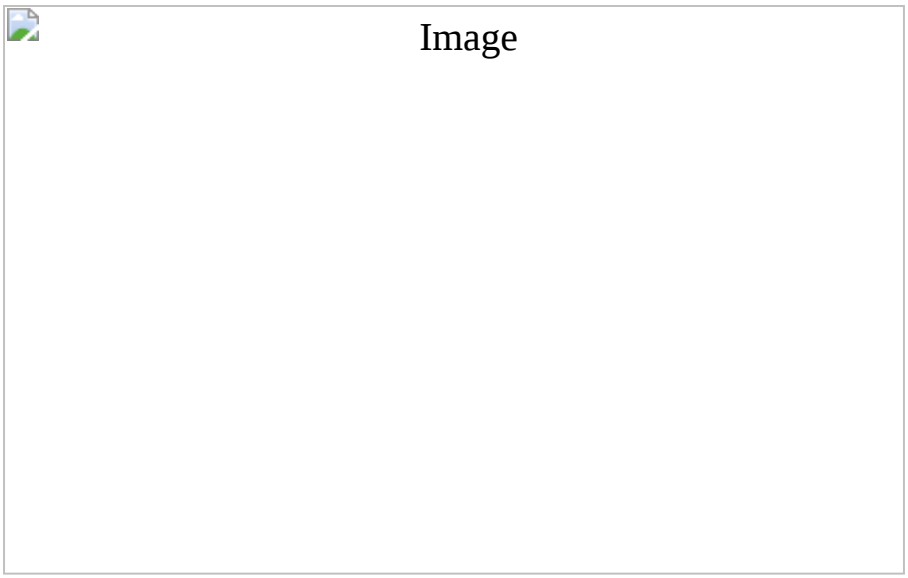

10 – رمز الإلهة باو(بابا): ظهر رمز الوزة الدال على الإلهة باو مبكراً في حضارة حلف ولكنه مع ظهور الحضارة السومرية أصبح دالّاً على هذه الإلهة التي تهتمّ بالزراعة، لكن الوجه الآخر لباو هو الوجه الطبي حيث سميت بابا (طبيبة ذوي الرؤوس السود) تجسد في رمز الكلب (الذي كان بسبب لعقه للجروح يعتبر عامل شفاء)، وكان هذا الرمز يشير إلى جميع إلهات الشفاء والزراعة السبع بنات الإله آن في الوقت نفسه. أما الوزة فهي رمز (باو) حصراً.

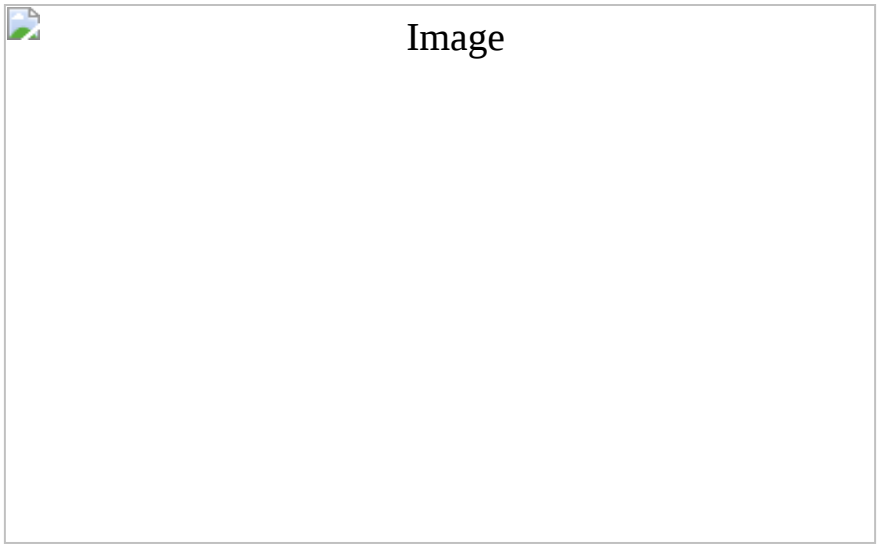

باو مع وزتين (رمزها) لكش الألف الثالث ق. م

11 – رمز الإله ننكرسو: وهو ابن إنليل الذي يحمل صفاته، فهو إله العاصفة التي يمثلها أيضاً الإله ننورتا إلّا أنه حصراً إله مدينة (كرسو). وقد كان رمزه في بداية عصر ميسيلم (حوالي 3000 ق. م) على شكل عصا مزدوجة ذات نهاية منتفخة ومحززة الرقبة وهي دالة على السلطة والقوة. أما في النصف الأول في الألف الثالث ق. م فقد أصبح شكل (أمدوجد) إله الريح الكاسحة الذي يمثل برأس أسد وجناحي نسر هو رمز الإله ننكرسو.

العدد السريّ للإله ننكرسو هو(50) مثل والده الإله إنليل.

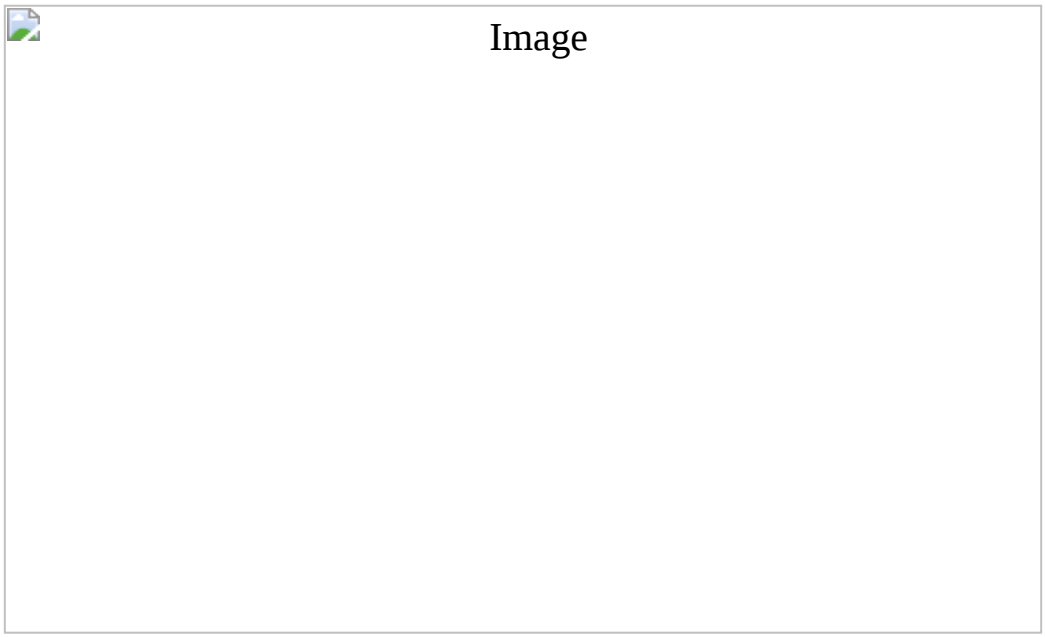

12 – رمز الإله ننكشزيدا: وهو ابن ننازو إله الطب الذي يحمل صفاته وقد رمز له بثعبانين ملتفين على غصن شجرة أو عصا في أواسط الألف الثالث قبل الميلاد. وكان الثعبانان متصلَي الذيلين ويتقابل وجهاهما وتتلاقى حلقتان أنفيتان لكل منهما. ومعروف أنّ الأفعى (أو الثعبان) مثلث رمزاً من رموز الشفاء والخلود. ففي سمها ترياق طبي وفي تجدد جلدها ما يشير إلى الخلود وتجدد الشباب. وقد أصبح رمز ننكشزيدا هذا رمزاً عالميّاً للطب، فقد أصبح شعار الطب السومريّ (الكاديكيوس) الذي انتشر شرقاً وغرباً وترسخ في اليونان وصار رمزاً لإله الطب اليوناني (أسكليبيوس) وشعاراً للطب اليوناني. وارتبط عند الرومان بسنابل القمح كرمز للخصب، وأسماه اليونان والرومان بـ(الكاديكيوس). ونستطيع ملاحظة وجود هذا الرمز واستمراره حيّاً في الشرق

القديم من حكاية حية النحاس التي رفعها موسى على جبل نبو رمزاً للشفاء، وقد كانت حية ملتفة على عصا. وفي عصرنا الحديث ما زال رمز الطب هو الحية الملتفة على عصا. ورمز الصيدلة الحية الملتفة على كأس وهي تضع رأسها عند فوهتها. وهو الشعار الذي نراه على أبواب الصيدليات ولافتاتها. (انظر الماجدي 1996: 150).

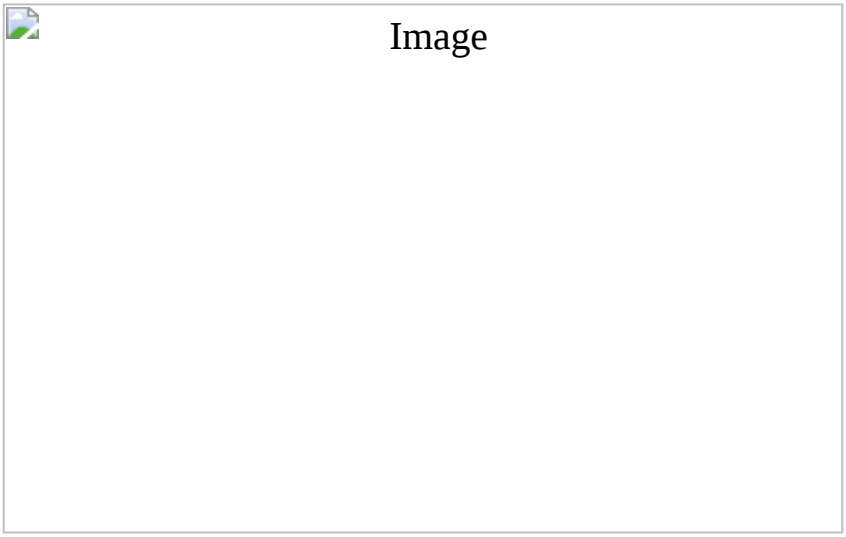

13 – رمز الإلهة أشنان: كانت السنبلة رمزاً قديماً من رموز الإهة الأم في عصر النيوليت والكالكوليت ولكنها أصبحت حصراً في العصر السومريّ دالة على الإلهة أشنان إلهة الغلة والنبات، وهي سنبلة مميزة تتكون من ساق بثلاثة أغصان تشبه ثنية الكف وكأنها تمثل العطاء، والسنبلة مكونة من ستة فروع بارزة يتوسطها شكل هندسي مكون من تسعة مربعات لعلها إشارة لأشهر الولادة والخصب. وواضح أنّ العدد (ثلاثة) يتكرر في شكل هذه النبتة وهو عدد يرمز إلى الكثرة والوفرة.

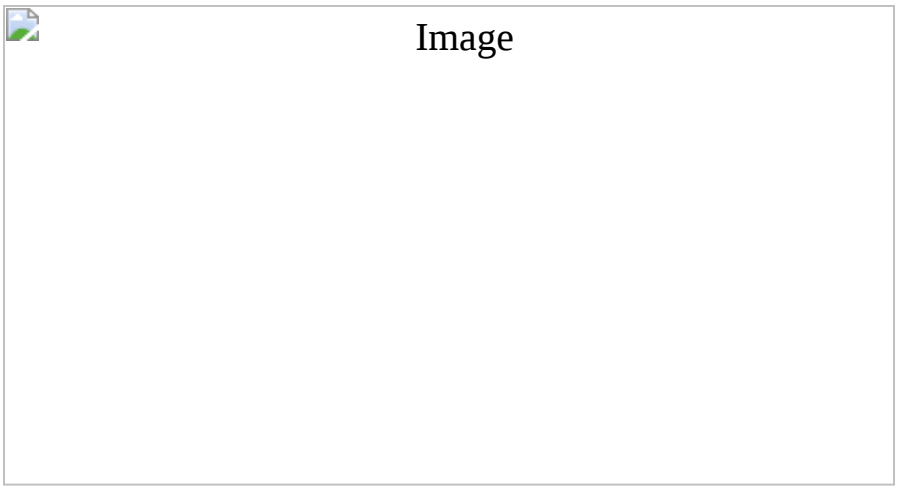

السنبلة: رمز الإلهة أشنان/ رسم: لينا الناصري، السنبلة خلف أحد الآلهة وهو يقود حيواناً خرافيّاً له وجه إنسان

https://nl. pinterest. com/pin/403212972869351990/?lp=true

14 – رمز الإلهة نانشه: كانت السمكة رمزاً نيوليتيّاً ظهر في حضارة سامراء ليشير إلى الإلهة الأم في بعض الأواني الفخارية التي كانت تحمل صورة ثماني سمكات تدور باتجاه معاكس لعقرب الساعة حول أربع سمكات مطعونة وبمركز سواستيكي. وفي العصر السومريّ أصبح هذا الرمز يشير إلى الإلهة نانشه إلهة الأسماك وابنة إنكي.

15 – رمز الإلهة ننمار: كانت الطيور عموماً تشير إلى إلهة الأم النيوليتية وحتى النسور الكاسرة كانت تشير لها كما في (شتال حيوك) في الأناضول النيوليتية، لكن النسور والعقبان أصبحت تدل على الإله الأب الذكر القوي الممثل بالهواء في بداية الكالكوليت وأصبحت الطيور الأليفة حصراً هي التي تدل على الإله الأم... والإلهة ننمار كانت إلهة الطيور التي كانت رمزاً لها في المرحلة السومرية.

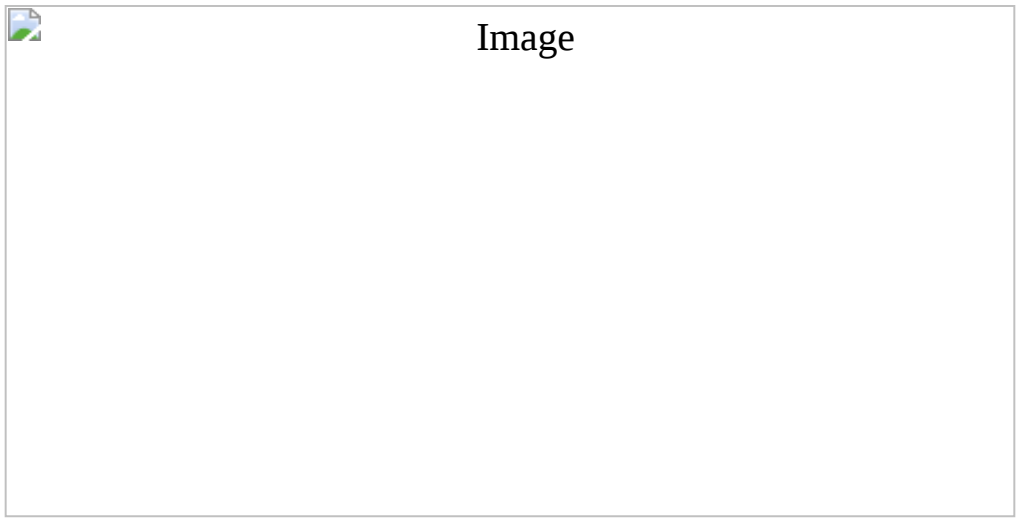

16 – رمز الإلهة لهار(لخار): وهي إلهة الماشية بشكل عام، وربما أصبحت تدل على الخراف بشكل خاص، ولذلك كان رمزها النعجة، وإذا ظهرت النعجة مع الغلة أو السنابل فإن ذلك يدل على تلازم الإلهتين الأختين (لهار) النعجة و(أشنان) الغلة حيث تصف قصيدة مناظرة سومرية تلازمهما وتنافسهما في الوقت نفسه.

17 – رمز إلهة العين (المضادة للحسد): لم تكن هذه الإلهة شائعة ضمن البانثيون السومريّ ولكنها كانت شائعة في مناطق غرب وأعالي الفرات فقد عثر لها في معبد العين (في تل براك على الخابور) على آلاف التماثيل الحجرية المنحوتة بزوج من العيون المحدقة وعلى رمزها (العين المحدقة) باعتبارها إلهة طاردة للحسد والشر.

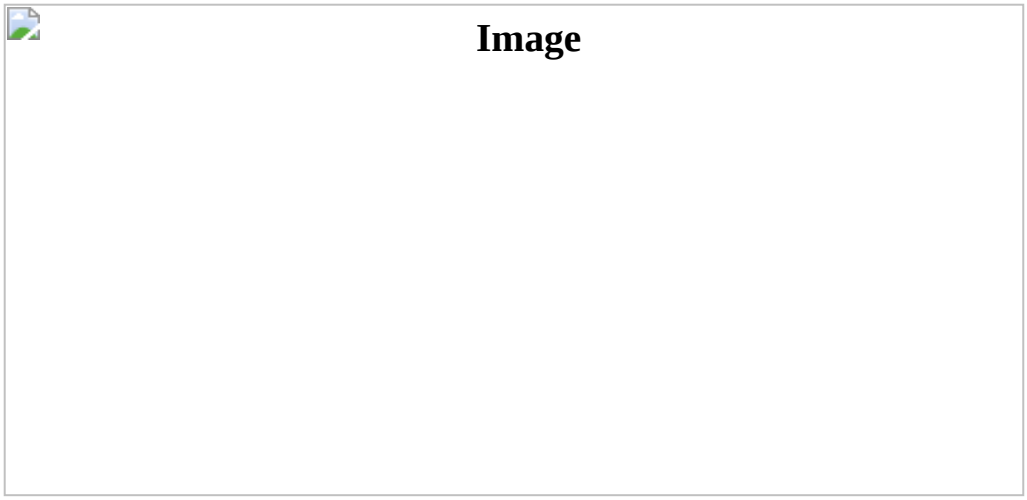

إلهة العين ورمزها

18 – رمز الحمامة السماوية (إياهو): هذا الرمز له أهمية خاصة، فهو يشير إلى الحمامة السماوية (إياهو Iahu) ونرى أنّ هذا الاسم هو مصدر الإله العبريّ (يهوه). وقد حصل ذلك من خلال الإله إنليل الذي أرجح أن يكون مصدر الحمامة السماوية أو أنها شكل من أشكال ظهوره أو مبعوثته من السماء وقد اقترنت بها عند العبريين ثم اليهود صفات (يهوه) الذي يناظر تماماً في صفاته الإله (إنليل) كالعاصفة والغضب والقوة، خصوصاً أنّ (إنليل) هو الإله القومي السومريّ و(يهوه) الإله القومي العبري.

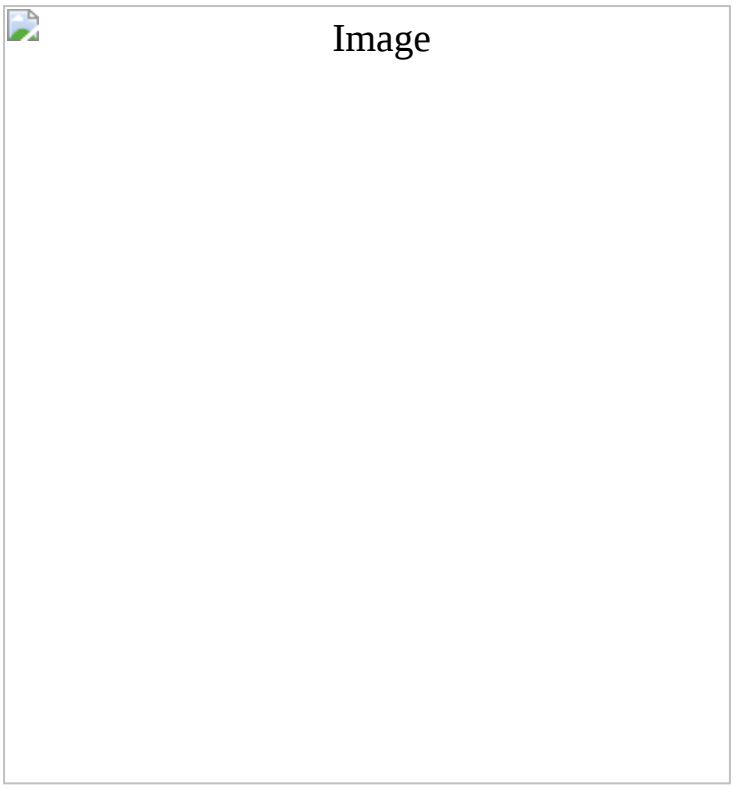

رمز الحمامة السماوية (إياهو) القرن 18ق. م، رسم: لينا الناصري

19 – رمز الفأس (العمل): وهو أحد رموز الآلهة أيضاً الذي جسدته أسطورة الفأس الخاصة به، فهو هدية الإله إنليل إلى الشعب السومريّ ليبنوا سومر بالعمل وقد جسد المحراث فكرة العمل أيضاً.

20 – رمز البناء: وهو رمز مكون من عصا وبجانبها حبل مطوي على شكل حلقة تتهدل منه قطعة حبل مطوية. وقد ظهر هذا الرمز في القرن الثاني والعشرين قبل الميلاد.

21 – رمز السلطة: وهو رمز قديم يظهر مرافقاً للإله آن ثم للإله إنليل ثم يظهر مع الملوك. وهو مكون من عصا وبجانبها حلقة دائرية.

التفسير الآخر المهم هو أنهما رمزا الزمن والأبدية، فمنذ بدايات الحضارة السومرية كان هناك رمزان مهمان للزمن المحدود وللأبدية يتمثلان في المستقيم والدائرة اللذين يظهران في الكثير من المسلات والأختام الأسطوانية، وقد كان التفسير الشائع لهما هو العدالة والقانون، لكن العمود كان يمثل الزمن التأريخي المحدود أو القياس الزمني للحياة والذي له بداية ونهاية وربما يقصد منه عمر الفرد أو الملك، أما الدائرة فالمقصود منها هو الأبدية التي منحتها الآلهة لمن اختارته مثل أوتانابشتم، ويشيران معاً إلى القدرة على الإنشاء والصيانة والنهاية وهما من رمز الزمن والخلود. (انظر Abram 2011: 15 - 36)

22 – رمز بوابة المعبد: الذي يظهر على شكل عمودين مدببي النهاية من خلال قبة صغيرة تعلو كل منهما، وهناك نصف حلقة جانبية على ثلثهما الأعلى. وقد ظهر هذا الرمز حوالي (2475) ق. م

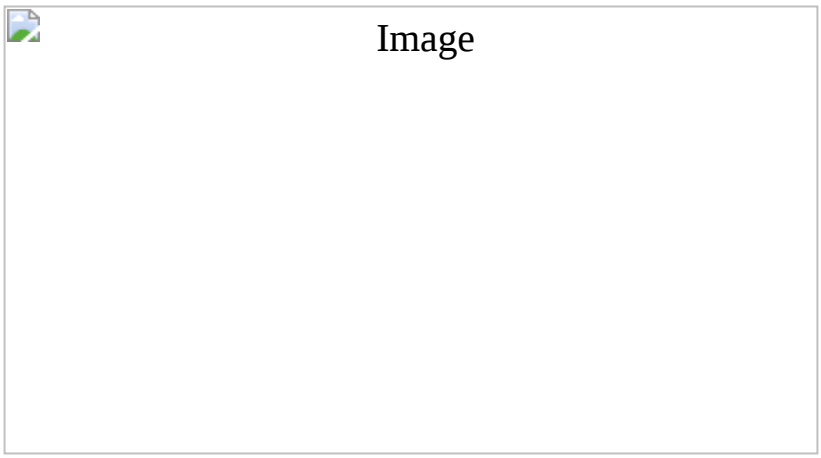

رسم: لينا الناصري

23 – رمز الماء المقدس: وهو إناء سكب الماء المقدس الذي يظهر مثل كأس مخصرة تتدلى على جانبيها ثمرتان وتنبع منها سعفة مكونة من أوراق جانبية صغيرة. وربما كان هذا الشكل عبارة عن الكأس والنخلة.

24 – رمز الموقد المقدس: وهو عبارة عن إناء طويل تخرج منه ألسنة لهب، وهو أحد رموز المعبد، ولكنه أشار في العصر الأكدي إلى الإله (نسكو) إله النار والإله (ننكشزيدا) إله الطب.

25ـ رمز شجرة الحياة: وهي شجرة تستقر في وسط شيكي ومحاطة من جانبيها بـ 8 نتوءات من كل جانبٍ، ويعلوها نتوء. فيما هي تستقر في جوف التشكيل بسبع وريقات وساق ذات ثلاث عقدٍ مزدوجةٍ. وهي ترمز للخلود والمعرفة.

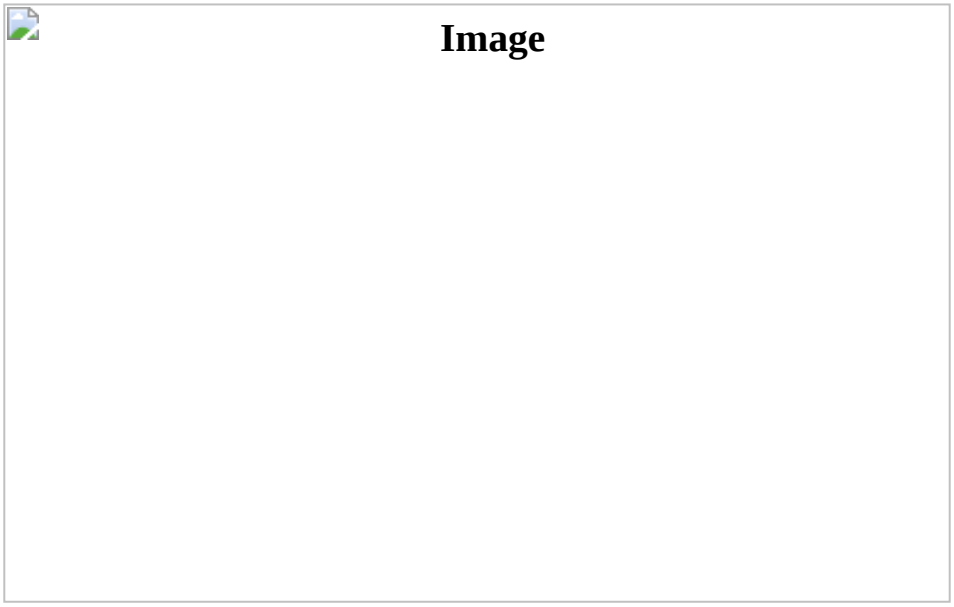

رسم: لينا الناصري

ثانياً: الأساطير والميثولوجيا السومرية

لعل من الضروريّ التأكيد على أنّ هناك الكثير من الأساطير السومرية ما زال مفقوداً حيث نرى إشارات كثيرة لأساطير لم يعثر عليها حتى الآن. وبرغم ذلك فالأساطير السومرية التي بين أيدينا تعطينا فكرة واضحة عن النظام الميثولوجي السومري.

إن تصنيف الأساطير السومرية هو الذي يدلنا على هذا النظام ويعيننا على تلمس شكله وبنائه. وقد اقترحنا تصنيفاً نعتقد أنه يوفر مثل هذه الفرصة أو يفتح طريقاً لها على الأقل وهو كما يلي:

1 – أساطير الخليقة (التكوين) Myths of Gensis

أ – أساطير نشوء الكون (الكوزموغونيا Cosmogony)

ب – أساطير نشوء الآلهة (الثيوغونيا Theogony)

ج – أساطير نشوء الإنسان (الأنثربوغونيا Anthropgony)

2 – أساطير العمران Mythes of Organization

أ – الأساطير المرتبطة بالإله إنليل.

1 – أسطورة خلق الفأس

2 – رحلة (نانا) إلى نفر

3 – إيميش وإنتين

4 – لاهار وأشنان

ب – الأساطير المرتبطة بالإله إنكي

1 – إنكي وتنظيم سومر

2 – إنكي وأريدو والرحلة إلى نفر

ج. أساطير إنانا Myths of Inanna

1 – إنانا والآلهة (آن، إنليل، إنكي)

2 – إنانا ودموزي

3 – إنانا وملوك سومر (كلكامش، شولكي، شوسين، إيدن داجان، إيمشي داجان) وسنتناول بالتلخيص جميع هذه الأساطير.

3 – أساطير الخراب Myths of Destruction

أ. أساطير الخراب المرتبطة بالإلهة إنانا

1– إنانا والإنسان (شوكاليتودا، بيلولو)

2– إنانا والعالم الآخر.

1 – إنانا وجبل إيبيخ

2 – إنانا وكور

3 – هبوط إنانا إلى العالم الأسفل.

ب – التنين (أسطورة الدمار القادم من العالم الأسفل)

1 – التنين كور والآلهة إنكي وننورتا وإنانا.

2– التنين أساج والإله ننورتا.

4 – أساطير الموت Myths of Eschatology

أ – الطوفان (أسطورة الدمار القادم من العالم الأعلى).

1 – أساطير الخليقة Myths of Gensis

لا تسعفنا المدونات السومرية بأسطورة خاصة عن خلق الكون، ولكننا نعرف من مقدمات القصائد والأساطير الأخرى أنّ الكون في نظر السومريين ظهر من الإلهة السومرية الأم الأولى (نمو Nammu) وهي إلهة هيولية تحركت فيها إرادة الخلق وتصارعت الحركة مع السكون ونتج عن ذلك تكون الكون (أن – كي) الذي يعني (السماء – الأرض) وهو جبل كوني يعوم وسط مياه (نمو).

وكان السومريون يسمون الزمان الأول الذي بدأ فيه الخلق أوروبا (Uria) وهذا يعني أنّ ثلاثي الخلق الأول عند السومريين كان مكملاً لبعضه حيث المادة الأولى (نمو) والزمان الأول (أوريا) والمكان الأول (أن – كي)... وبهذا الثالوث

التكويني يتحرك الوجود كله وتصير استعادته الدائمة في الطقوس والشعائر الدينية محور هذه الطقوس.

إن (نمو) تمثل العماء (كاؤس Chaos) أما (آن – كي) فيمثل الكون (كوسموس Cosmose) وزمن الانتقال من العماء إلى الكون هو الزمن الأول (أوريا).

وكانت أعياد رأس السنة السومرية تمثل محاولة لاستعادة الزمن الأول (أوريا)، ولذلك كانت هذه الأعياد تتضمن استعادة قصة الخليقة من جديد، بل وتتضمن ما يشير إلى الخروج من العماء إلى الكون عن طريق عودة العالم إلى الفوضى ثم تدرجه إلى النظام.

وكذلك كان بناء المعابد وتمثيلها بالجبال الكونية وإطلاق تسمية (صلة بين الأرض والسماء) عليها تعني استعادة خلق المكان الأول. وكانت الزقورات السومرية إحياء لهذا الجبل الكوني (آن – كي) وقد كان ينظر إليها السومريون على أنها مركز العالم وسرة الكون. إنّ مصطلح (دور – آن – كي) الذي كان يشير إلى زقورات نفر ولارسا وأور وغيرها كان يمثل هذا التوجه تماماً، وكانت المعابد تبنى في الغالب قرب أو فوق المياه تمثلاً للحظة الخليقة الأولى واستعادة لها. (انظر الياد 1988: 37).

وتستكمل عملية الخلق نفسها عندما يمثل (آن) السماء و(كي) الأرض في الجبل الكوني (آن – كي) وهما في وضع مضاجعة والتصاق حيث يكون (آن) العنصر الذكري و(كي) العنصر الأنثوي وينشأ عن ذلك ولدهما (إنليل) ومعناه (سيد الهواء) الذي يولد بينهما ويكبر حتى يقوم بفصلهما تماماً حيث يرتفع الإله (آن) إله السماء إلى الأعلى وتنخفض الإلهة (كي) إلهة الأرض إلى الأسفل. ثم يقوم الإله (آن) بإخصاب الإلهة (كي) من جديد عن طريق المطر الذي يساهم في تحريكه الهواء وينتج عن ذلك ولادة الإله (إنكي) وهو إله الماء الذي سيملأ الأرض ويصبح أيضاً إله الأرض مع الإلهة (كي).

وبولادة هؤلاء الآلهة الأربعة يكون الكون بمعناه البدئي قد اكتمل حيث تميز الآلهة (آن، كي، إنليل، إنكي) وأصبح كل منهم إلهاً لواحد من أوجه الطبيعة

الأربعة (السماء، والأرض، والهواء، والماء) وهي العناصر الأساسية الأربعة للكون كله. وهكذا يستمر انتظام الكون بتفاصيله حيث يظهر الكون السومريّ في النهاية طافياً أو سابحاً فوق بحر هيولي من الماء تمثله الإلهة السومرية الأم (نمو). أما الكون نفسه فيتكون من خمسة أقسام أساسية هي:

1 – العالم الأعلى (Anunna) وهو الفضاء الذي يعلو السماء حيث تسكن الآلهة في مقرها الذي يسمى بـ(أنونا) الذي يعني بالسومرية (بذور الحياة الأميرية)، ويصعب تفسيره ولكنه يشير إلى جموع الآلهة في السماء والأرض. ويعتقد أنّ هذا الاسم هو أصل تسمية (أنوناكي) الأكدية التي حصرت به آلهة العالم الأرضي ثم العالم الأسفل و(إيجيجي) الذين يمثلون آلهة السماء. أي إن الـ(أنونا) السومريّ كان يضمهما معاً. (انظر اذزارد 1987: 71).

2 – السماء(An) وهي سطح صلب على شكل قبة يحيط قرص الأرض الذي تحتها ويرى السومريون أنها كانت مكونة من مادة القصدير لأنّ معنى كلمة قصدير بالسومرية هو (معدن السماء). (انظر كريمر ب. ت: 149).

3 – الفضاء (ليل Lil) وهو الفراغ بين السماء والأرض والذي يمتلئ بمادة اسمها (ليل) أي الهواء والتي تدل على الظلمة، كما أنها تدل على النفس والروح. وتسبح في هذه المادة الكواكب والنجوم المكونة من مادة الهواء نفسها إلّا أنها مشرقة ومضيئة.

4 – الأرض (كي Ki) وهي قرص مدور منبسط يطفو على محيط مائي حوله وتحته. وكان السومريون يرون أنّ هذا المحيط المائي يمتد من الشمال مثل قوس مائي ويسمونه البحر الأعلى، وهو البحر الأبيض المتوسط ومن الجنوب البحر الأسفل وهو الخليج العربي أما البحر الذي تحت الأرض فهو البحر العميق ويسمى (أبسو) حيث يسكن الإله إنكي.

5 – العالم الأسفل (كورKur) وهو الفضاء الذي يقع تحت الأرض والأبسو وتعيش فيه آلهة العالم السفلي وتسكنه أرواح الموتى من البشر على شكل طيور متربة. ويتكون العالم الأسفل من نهر كبير يحيط به اسمه (خبر) ومن بوابات سبع وهناك في وسطه قصر الآلهة أريشكيكال والإله نركال.

نرجح أن تكون هناك أساطير خاصة تدور حول ولادة كل سلالة إلهية أو مجموعة آلهة وإذا عدنا ونظرنا في شجرة أنساب الآلهة (في الفصل السابق) فإننا سنتخيل عدد الأساطير التي وصفت ظهور الآلهة ونشوئها. ولكن الأساطير الثيوغونية (الخاصة بنشوء الآلهة) ليست وفيرة العدد إلى الحدّ الذي يتناسب مع حجم الولادات الإلهية عن بعضها كما نراها في الشجرة. إن الأبوين الكبيرين للآلهة هما (إنليل) و(إنكي) وهناك أسطورتان ثيوغونيتان كل واحدة تربط بأحدهما:

1 – الأسطورة الثيوغونية الإنليلية هي أسطورة (إنليل وننليل وولادة الإله نانا إله القمر) التي تبدأ بوصف مدينة (نفر) ثم تظهر أم الإلهة ننليل وتسمى (ننبار شكونو وهي الإلهة نصابا إلهة الحبوب والمعرفة) والتي تنصح ابنتها بأن لا تخلع ثيابها وتسبح في النهر خوفاً من أن يراها إنليل، لكن ننليل تفعل ذلك فيراها إنليل ويفتن بها ثم يأمره وزيره (نسكو) ليجلبها له في قاربه فيجلبها ويضاجعها في القارب ويبذر في أحشائها الإله القمر (نانا). لكن مجلس الآلهة عندما يعلم بذلك يعتبر ذلك جريمة اغتصاب ويقرر نفي الإله إنليل إلى العالم الأسفل. وحين يذهب الإله إنليل إلى العالم الأسفل تتبعه ننليل وهي حامل بابنها القمر. وعلى بوابة العالم الأسفل يجد إنليل حارس البوابة فيتخذ هيئته ويأمره بأن يتوارى ويقف هو مكانه كحارس للبوابة. وعندما تجيء ننليل يقنعها إنليل المتنكر بأنها إذا أرادت أن تنقذ الإله القمر فإنها لا بدّ لها من قبول مضاجعته لكي تلد إلهاً يكون بديلاً عن الإله القمر، وعند ذاك يمكنها دخول العالم الأسفل دون أن تضحي بولدها فتقبل بذلك. ويتكرر هذا الأمر ثلاث مرات ولذلك تلد الآلهة ننليل أربعة أبناء هم الإله القمر نانا الإله نركال (مسلامتيا) وهو إله العالم الأسفل والإله ننازو وهو إله الشجرة، وإله الطب في العالم الأسفل والإله اليجبيل وهو إله النار السفلي.

وبذلك يبقى الآلهة الثلاثة الآخرون في العالم الأسفل ويصبح من الممكن تحرر الآلهة الثلاثة الكبار إلى العالم الأعلى وهم إنليل وننليل ونانا. لأنّ أحكام العالم الأسفل تقضي بأن الآلهة إذا نزلوا إلى العالم الأسفل لا يخرجون منه إلّا إذا أتوا ببدائل إلهية عنهم يبقون مكانهم في العالم الأسفل.

إن هذه الأسطورة تلقي الضوء على كيفية ولادة أربعة من الآلهة المهمين في الشجرة الإنليلية وتحمل في داخلها علاقات سببية دقيقة وهي أسطورة محملة بالرموز والمعاني العميقة.

2 – الأسطورة الثيوغونية الإنكية هي أسطورة (إنكي وننخرساج في دلمون) والتي تبدأ بوصف (دلمون) واستقرار الإله إنكي والإلهة ننخرساج فيها، وكيف أنّ هذه الأرض لم يكن فيها الشر والقبح والشيخوخة والمرض، وكان كل شيء موفراً إلّا المياه العذبة التي تخصب أرضها فتطلب الإلهة من إنكي توفير الماء ويطلب إنكي من إله الشمس (أوتو) ذلك، فيفعل ذلك وتنفجر الينابيع والآبار وتظهر الأهوار وتستصلح أرض دلمون... وإكمالاً لخصب الطبيعة هذا يقوم الإله إنكي بإخصاب الإلهة ننخرساج التي تلد بعد تسعة أيام تعادل تسعة أشهر بدون ألم الإلهة ننسار (سيدة الخضار والنباتات التي تؤكل). وعندما تكبر ننسار ويراها أبوها تتنزه على طول الهور يعجب بها ويضاجعها وينجب منها الإلهة (ننمو) وهي (سيدة النباتات ذات الألياف) وتتكر الحادثة مع حفيدته الحرام لينجب منها (ننكورا) سيدة الأصباغ التي يضاجعها فينجب منها (أتو) إلهة النسيج التي يضاجعها بعد إغراءات عدة وينجب منها ثمانية أنواع من النباتات التي يقرر إنكي أن يعطيها أسماء فيقوم وزيره (إسمود) بقطع جزء من كل نبتة وعندما يتذوقها إنكي يطلق على كل واحدة اسماً.

ويبدو أنّ هذه النباتات المحرمة (بسبب خطايا إنكي المتكررة مع بناته وحفيداته) كانت نباتات سامة. وبسبب ذلك تقوم ننخرساخ بترك إنكي لمصيره المحتوم ويفعل السم فعله في جسد إنكي ويصبح إنكي مهدداً بالموت وعند ذاك يحزن مجمع الآلهة لكن الثعلب يذهب إلى إنليل ويطلب منه مكافأة مقابل أن يستطيع إقناع ننخرساج بالعودة فيعده إنليل أن يزرع له شجرة (كشكانو) وهي شجرة إنكي المقدسة وأن يصبح مشهوراً.

وينجح الثعلب بإقناع ننخرساج في عودتها إلى إنكي الذي أصبح مريضاً بثمانية أمراض بسبب أكله من النباتات السامة المحرمة، وتبدأ بفحصه وتسأله ما الذي يؤلمه فيعدد لها ثماني مناطق في جسده أمرضتها النباتات الثمانية فتقوم الإلهة ننخرساج بخلق ثماني آلهة لكل مرض في الأعضاء السابقة. وهكذا

يشفى الإله إنكي من أمراضه ثم يقوم بتقرير مصير هذه الآلهة الثمانية لمهمات أخرى بالإضافة إلى دورها الطبي والعلاجي الذي أثبت جدواه وهذه الآلهة هي:

1 – أبو: أشفي مرض الرأس وأصبح ملك النباتات.

2 – ننسيكلا: شفت مرض الفك وأصبحت إلهة (مجان) أي عمان والإلهة الحامية لـ(دلمون).

3 – ننكيري: شفت الأنف وأصبحت زوجه الإله ننازو في العالم الأسفل.

4 – ننكاسي: شفت الفم وأصبحت إلهة الشراب أو (الإلهة التي تشبع شهوة القلب).

5 – نازي: شفت الحنجرة وأصبحت زوجة الإله نندارا.

6 – أزيمو: شفت الذراع وأصبحت زوجة الإله ننكشزيدا.

7 – ننتي: شفت الضلع وأصبحت إلهة الشهور، وكانت هذه الإلهة مصدر الأسطورة التوراتية حول حواء وخلقها من الضلع لأنها إلهة الضلع والإلهة التي تحيي (حواء) في الوقت نفسه.

8 – إينشاج: شفى المتون وأصبح إله دلمون. (انظر كريمر 1965: 239-249).

إن هذه الأسطورة تلقي الضوء على علاقة إنكي وننخرساج كما أنها تصف السلالة النباتية للإله إنكي... وتتضمن بعض رموزها إشارات عميقة تخص أسرار إنكي.

يتضح من كلّ هذا أن أساطير خلق الإنسان (الأنثربوغونية) السومرية متنوعة وهي إشارات لمدى واسع من التصور الميثولوجي حول نشوء الإنسان وأصله. ولعل الأنثربوغونيا (خلق الإنسان) الطينية المائية التي تجسدها أسطورة (إنكي ونمو وننماخ وطين الأبسو) هي الأكثر شهرة بينها حيث تصف هذه الأسطورة الآلهة الصغار العاملين وهم يضجرون من العمل والإرهاق فيذهبون إلى الإله إنكي عساه يجد حلّاً لمعاناتهم، فيقوم الإله إنكي بخلق

الإنسان وينصح أمه الإلهة (نمو) بأن تشرف هي على هذا الخلق وتساعدها في ذلك الإلهة ننماخ. أي إن الإله إنكي قرر شكل الإنسان وقرر منحه شيئاً من حكمة إنكي. أما ولادته فتركها أولاً لإلهات الولادة السبع وللإلهة ننماخ والإلهة نمو.

وفي حفلة إلهية كبيرة تقوم الإلهة ننماخ بصنع ستة أنواع من الإنسان، لكن إنكي عندما فحصهم وجدهم مشوهين فقرر مصائرهم وجعلهم في خدمة الآلهة والملوك. ثم قام إنكي بصنع مخلوق بشري اسمه (أمول) ومعناه (يومي بعيد) وكان يعاني من عدة عاهات أيضاً ليحرج (ننماخ) في كيفية تعيين مصيره وتفشل (ننماخ) في هذا. ويبدو أنّ هذه الأسطورة تبين تنافس إنكي وننماخ في خلق الإنسان وتعيين مصيره. ولكن مادة الخلق كانت من الطين الذي في مياه الأعماق (الأبسو). وربما أشارت فكرة التشويه إلى نقص الإنسان الأول ومرضه وعدم تكامله.

أما الأسطورة الأخرى فتوضح الأصل النباتي للإنسان حيث يقوم الإله إنليل بوضع البدايات البشرية (أي بذورها) في شقوق الأرض وبعدها بدأ البشر بالظهور من هذه الشقوق مثل الحشيش. ونرجح أن تكون أصول هذه الأسطورة بعيدة وربما تعود إلى الألف السادس قبل الميلاد عندما كان أجداد السومريين في المناطق الشمالية من وادي الرافدين حين تعرفوا (مع نهاية عصر النيوليت) على أهمية الهواء والأمطار في عمليات الزراعة، ولذلك اكتسب الإله إنليل (الهواء) آنذاك أهمية استثنائية في خلق العالم والإنسان. (انظر رشيد 1981: 20).

وهناك مقدمة القصيدة التي تشير إلى الأصل الحيواني للإنسان فقد خلق على جبل الآلهة (أن – كي) الإنسان مثل حيوان يمشي على يدين ورجلين.

«البشر الأوائل لم يعرفوا أكل الخبز بعد

ولم يعرفوا ارتداء الملابس

وكانوا يسيرون على أيديهم وأرجلهم

وكانوا كالخراف يعلفون الحشيش

ومن القنوات يشربون الماء». (رشيد 1981: 20).

وتصور لنا هذه الأبيات الإنسان كأنه حيوان لكن الآلهة تقوم بعد ذلك بإنزال الإنسان من هذا الجبل الكوني إلى الأرض ليتعلم كيف يكون قادراً على الانفصال عن الحيوانات والاستفادة منها.

أما أسطورة الأصل الإلهي للإنسان فتجسده أسطورة الآلهة لمكا حيث تشير إلى أنّ الآلهة بعد أن أتعبهم العمل قال لهم الإله إنليل ماذا تريدون؟ فأجابوه بأنهم يريدون ذبح آلهة لمكا (وهي آلهة العمل) في منطقة (أوزموا) في (نفر) ومن دم هذه الآلهة يصنع الإنسان ليقوم بالعمل بدلاً من الآلهة. وتشير هذه الأسطورة إلى أنّ آلهة العمل هذه آلهة ثانوية إضافة إلى أنها تعمل لخدمة الآلهة الكبار، وبذلك يحمل دمها فكرة خدمة الآلهة حيث سيكون الإنسان الذي يخلق من هذه الدماء مشابهاً لها. وبذلك تحل مشكلة عمل الآلهة وتعبهم. فالإنسان هنا مجرد خادم وعامل من أجل الآلهة. ويرجح أن تكون هذه الأسطورة ذات أصول أكدية.

وهناك إشارات إلى أنّ السومريين عرفوا الأنثروبوغونيا اللوغوسية أي إن الإنسان خلق بمجرد أن نطق الآلهة وقالوا (ليخلق الإنسان) دون مواد أولية كالطين والماء والبذور والدم. حيث ترد في إحدى قصص كلكامش السومرية عبارة (بعد أن تعين اسم الإنسان)، وهناك إشارات أخرى، وهذا يعني أنّ فكرة الخلق من الكلمة تكمن في التراث السومريّ عميقة قصية.

2 – أساطير العمران Myths of Organization

أ – أساطير تنظيم الكون المرتبطة بالإله (إنليل).

ينضوي تحت هذا النوع من الأساطير ما يخص العمل والفصول وتوزيع وظائف الماشية والحبوب ورحلة القمر إلى نفر حيث مكان أبيه.

في أسطورة الفأس يهدي الإله (إنليل) الفأس للشعب السومري هدية ليعملوا بها ويصلحوا أرضهم ويبنوا مدنهم.

«الفأس والسلة تبني المدن

الدار الثابتة الأركان بنتها الفأس

الدار الثابتة الأركان أنشأتها الفأس». (كريمر 1971: 82).

وفي أسطورة الصيف الشتاء خلق إنليل (إيميش) ليرعى الصيف و(إنتين) ليرعى الشتاء وصار إيميش يسمى الإلهة وإنتين فلاح الإلهة لكن تنافساً حصل بينهما فاحتكما إلى الإله إنليل الذي فضل الفلاحة والشتاء على الرعي والصيف.

وفي أسطورة مشابهة يخلق إنليل (لاهار) النعجة ويخلق (أشنان) الغلة والحبوب ليخدما حاجات الآلهة لكنهما يتنافسان ويحتكمان إلى إنليل فينحاز إلى أشنان إلهة الحبوب على لاهار إلهة النعجة.

وينظر إلى هاتين الأسطورتين على أنهما من أدب المناظرات السومري (أدمندوكا) حيث يتضمن حوارهما مفاخرة وتفاضلاً بينهما.

وفي أسطورة رحلة الإله نانا (القمر) إلى نفر يظهر الإله القمر وهو يستعد لزيارة أبيه الإله إنليل في مدينة (نفر) فيحمل في مركبه الهلالي الشكل أصناف الأشجار والنباتات والحيوانات ويتوقف خلال هذه الرحلة في خمس مدن يقوم فيها الإله الحارس لكل مدينة باستقباله والترحاب به حتى يصل إلى مدينة نفر فيفتح له بواب إنليل بيت إنليل، ثم يلتقي بأبيه ويطلب منه أن يعطيه في النهر المياه وفي الحقل القمح وفي الأهوار العشب والقصب، وفي بستان النخيل ومزرعة العنب العسل والشراب، وفي القصر العمر المديد فيقوم الأب بإعطائه ما أراد الإله القمر إلى مدينته (أور).

ب – أساطير تنظيم الكون المرتبطة بالإله (إنكي)

الأسطورتان الأساسيتان في هذا الحقل هما أسطورة تنظيم سومر وتعيين الآلهة فيها وأسطورة ترتيلة أريدو.

في أسطورة تنظيم سومر يقوم الإله (إنكي) بإظهار قدرته على إخصاب الأرض والنباتات والحيوانات في الطبيعة وعندما يصل إنكي إلى سومر يقرر مصيرها كما يلي:

«يا سومر: أيها البلد العظيم يا أعظم بلد في العالم. لقد غمرتك الأضواء المستديمة والناس من مشرق الشمس إلى مغربها هم طوع شرائعك المقدسة

إن شرائعك سامية لا يمكن إدراكها

وقلبك عميق لا يمكن سبر أغواره

إن... كالسماء لا يمكن بلوغها

الملك الذي تلده يزين نفسه بالحلي الدائمية

الرب الذي تلده يضع التاج على الرأس

ربك هو رب معظم مع (آن) يجلس في المكان المقدس في السماء

الملك هو الجبل العظيم هو الأب (إنليل)». (كريمر 1971: 101).

بعدها ينظم إنكي مدينة (أور) التي كانت عاصمة سومر في مراحلها الأخيرة ثم يقوم الإله إنكي بتنظيم وتقرير مصائر مجموعة كبيرة من البلدان والمواقع والأشياء فيبارك ملوخا ويعين الإله (أنبيلولو) لنهري دجلة والفرات ويملؤهما بالأسماك، ويعين الإله (سيرار) حامياً لمياه الخليج العربي، والإله (أشكور) حامياً للقلب الفضي في السماء، ويعين الإله أنكيدو مسؤولاً عن المحراث والحقل والخضار، ويعين الإلهة (أشنان) مسؤولة عن الغلة والحبوب، ويعين (الإله) (كبتا) مسؤولاً عن الفأس وقالب الآجر ويعين أدوات البناء (كوكن) ويعين الإله (مشدما) بناء الإله إنليل مسؤولاً عنها، ويعين (سموكان) ملك الجبل مسؤولاً عن نباتات وحيوانات السهول. ويعين (دموزي) مسؤولاً عن الإسطبلات وزرائب الماشية... إلخ.

أما الأسطورة الثانية فهي رحلة إنكي من أريدو إلى نفر وتسمى (ترتيلة أريدو) التي تبدأ بمديح الإله إنكي وكيف أنه بنى بيته من الفضة وحجر اللازورد في مدينته (أريدو) وحلاوة الذهب ولكنه يحتاج بعد ذلك إلى مباركة الإله الأعظم إله سومر(إنليل) الموجود في نفر ولذلك يهيئ قاربه للسفر ويخرج هو من مياه الأبسو التي فيها مقره المسمى ببيت الغور (أي – أنغورا).

وتصف الأسطورة هذا البيت المبني على ساحل مدينة أريدو بالكثير من الجمال والروعة:

«لا يقوى أحد على متراسك

قفلك أسد مرعب

عواميد سقفك ثور من السماء! تزيا بشكل وقاد

ستائرك من اللازورد حلين للعواميد

.... ثور متوحش رافع قرنيه

مدخلك أسد يعترض الناس

كساء بابك أسد مسلط على الناس». (فالكنشتاين 1951: 187).

ثم يصل الإله (إنكي) إلى نفر ويجد (إنليل) وقد أقام حفلاً فخماً له بمناسبة بناء بيته ووصوله إلى نفر ودعا إليه الآلهة العظام ويشرب الآلهة نخب إنكي وبيته، ثم يقوم إنليل بإطراء إنكي. وقد قام البروفسور أ. فالكنشتاين بتحليل هذه الأسطورة ورموزها وما تحتويه من مضامين. (انظر فالكنشتاين 1951: 187-191).

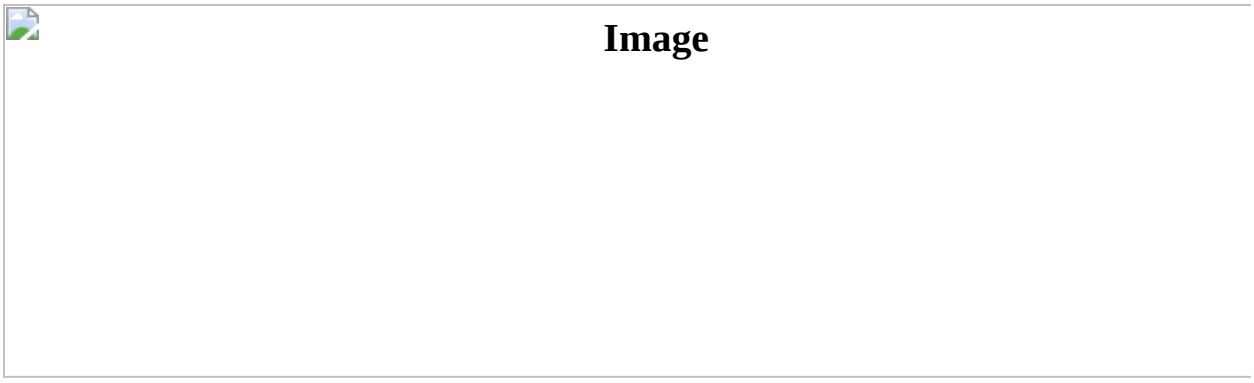

مسلمتاي (نرجال) وشولجي

.(BASEL:342—Baker et. al 2010, SUTER)

أساطير الحب عند إنانا Myths of Inanna

تنفرد إنانا (إلهة الحب والجمال وسيدة كوكب الزهرة وإلهة الحرب) بعدد كبير من الأساطير والقصائد والتراتيل... التي تشكل صفحة مهمة من الميثولوجيا والأدب السومري.

ويمكننا تقسيم أساطير إنانا السومرية إلى خمسة أقسام على أساس صلة إنانا بـ(الآلهة، دموزي، ملوك سومر، الإنسان، العالم الأسفل) حيث يوفر لنا هذا التقسيم نوعاً من التناسق في موضوعات إنانا التي تحتاج برأينا إلى كتاب منفصل.

أ – إنانا والآلهة العظام

كانت علاقة إنانا بالإله آن مثار جدل بين باحثي السومريات، وقد اتفقت الآراء على أنّ إنانا هي ابنة الإله نانا (القمر) ولكنها بسبب المكانة العظيمة التي حازت عليها ارتبطت بالإله آن في بعض الأساطير كزوجة أو عشيقة. فقد روت أسطورة مدونة باللغتين السومرية والأكدية اسمها (السيدة المتعالية التي هي وحدها العظيمة). إن الإله آن رفع إنانا على ضوء طلب الآلهة العظام إلى مرتبة قرينته (أنتوم) المعادلة لرتبته هو، وجعل منها نجمة السماء (الزهرة) وزودها بالإشارات الإلهية المناسبة. ثم منحها الإله إنليل السيادة على الأرض ويبدو أنّ الإلهة (إنانا) تحالفت برغم ذلك مع أخيها إله الشمس (أوتو) ومع أبيها إله القمر(نانا) وكونوا ثالوثاً كوكبيّاً مضادّاً لإله السماء (آن)، لكنها عندما شعرت بفشل محاولتها تراجعت عن ذلك ووقفت في نهاية الأسطورة مع (آن) وهي تحلم بسيادة السماء. (انظر اذزارد 1987: 59).

أما الإله إنليل فلا ترتبط الإلهة إنانا معه بأسطورة معينة سوى ما ذكر في الأسطورة السابقة ولكنها ترتبط معه بصلة نسب واضحة فهي حفيدته في شجرة الأنساب.

ولعل أشهر أسطورة لإنانا مع الآلهة العظام هي أسطورتها مع الإله إنكي (أسطورة النواميس المقدسة (مي)) ويرى صموئيل نوح كريمر أنّ هذه الأسطورة «تتسم بأهمية كبيرة بالنسبة لدراسة تاريخ التطور الحضاريّ ذلك لأنها تضمنت قائمة ورد فيها ما يزيد على مئة مرسوم مقدس لتنظيم جميع

المنجزات الثقافية التي وضعها الكتاب والمفكرون السومريون وهذه القائمة على ما تضمنته من تحليل سطحي قل أو كثر فإنها تؤلف السدى واللحمة في نسيج الحضارة السومرية». (كريمر 1971: 107).

تبدأ الأسطورة بتطلع إنانا بمزيد من الرخاء والرفاه لمدينتها (أوروك) وتقرر الذهاب إلى مدينة (أريدو) وهي الموطن القديم للحضارة السومرية ومدينة الإله (إنكي) وتذهب إلى الأبسو موطن إنكي فيها حيث يراها إنكي هناك ويقف مذهولاً بجمالها ويستدعي رسوله (إسمود) ويأمره بأن يقدم لها كعك الشعير مع الزبد والماء المبرد وخمرة التمر فيفعل إسمود ذلك ويجلس الإلهان مع بعضهما ويسكران وتحدث إنانا الإله إنكي إن كان يستطيع تسليمها النواميس الإلهية المقدسة فيسلمها لها واحدة بعد الأخرى بعد أن يغرق في سمر الخمرة وسكر مفاتنها.

وتأخذ (إنانا) النواميس المقدسة (مي) وتضعها في زورقها المسمى (زورق السماء) وتبدأ بالرحيل على ساحل أريدو إلى أوروك وحين يفيق إنكي من سكرته يعرف ما حصل فيأمر وزيره (إسمود) بأن يتبعها على مركب ويأخذ معه مخلوقات الـ(إينكم) ليعودوا بالنواميس وحين يهجم هؤلاء على زورقها تأمر إنانا وزيرتها (ننشوبر) التي تدعوها (ملكة الشرق) بإنقاذ الزورق من هذه المخلوقات فتطلق ننشوبر صرخة مدوية تتراجع فيها هذه المخلوقات وتنهزم. وتمضي إنانا بزورقها مارة بعدة موانئ بين أريدو وأوروك ويجهز إنكي خمس حملات أخرى تقودها كائنات (أورو، لاخاما، كوكال كال، أونونون، أتوركال) وتهزمهم ننشوبر حتى يصل الزورق بسلام إلى بوابة ننكولا في أوروك فتعم أوروك الأفراح، ويعلم إنكي بذلك فيرسل وزيره إلى أوروك ثم يذهب هو بنفسه إلى أوروك ليبارك حصول إنانا على نواميس الـ(مي) التي تفرغ من زورق إنانا لتحتفظ بها أوروك ويؤاخي إنكي بين أريدو وأوروك. وتشير هذه الأسطورة إلى انتقال الحكم والملوكية من أريدو إلى أوروك.

إن المتفحص في علاقة إنانا مع الآلهة العظام (آن، إنليل، إنكي) يلاحظ طموح الإلهة إنانا في الحصول على مزيد من السلطات الإلهية ورغبتها في السيطرة على سلطات السماء التي يمثلها (آن)، أو سلطات السيادة على

الأرض التي يمثلها (إنليل)، أو سلطات النواميس الإلهية المقدسة التي يمثلها (إنكي) ويمكننا أن نتخذ من هذه الملاحظة مفتاحاً لحل السبب الذي دعا إنانا إلى غزو العالم الأسفل والهبوط إليه وهو اللغز الذي حيّر العلماء والباحثين. ويطيب لنا أن نقول إن محاولات إنانا في السيطرة ونزعتها الطموحة، بل وطمعها في الهيمنة على كل شيء كانت وراء هبوطها للعالم الأسفل فبعد أن غزت السماء والأرض وسرقت النواميس المقدسة وكادت تفشل في كل محاولاتها كان لا بدّ من أن تفكر في غزو العامل الوحيد الذي بقي موصداً أمامها ولذلك غزته طمعاً في السيطرة عليه وليس حبّاً في إنقاذ دموزي أو بعث الأموات أو تحرير سجناء العالم الأسفل، كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين.

وهكذا بعد أن هددت ملك الآلهة العظام، في العالم الأعلى، ذهبت لتهدد ملك آلهة العالم الأسفل (أرشكيكال) وهو ما سنبحثه في أساطير إنانا والعالم الأسفل.

ب – إنانا ودموزي

شغلت أساطير إنانا ودموزي العالم القديم بأكمله، وكانت نواة لكل أساطير الحب والجمال عند الأمم الأخرى. وكان للعلاقة الخاصة بين إنانا ودموزي في وجهيها المفرح والمحزن الأثر الكبير في شيوع قصص الحب التراجيدي والداعر عند أشهر عشاق التاريخ في العالم القديم، بل إننا لنظن أنّ الطقوس التي رافقت أسطورة إنانا ودموزي كانت في وجهها الفرح والنشوان أصلاً لفن الدراما الكوميدية وفي وجهها المحزن والكارثي أصلاً لفن الدراما التراجيدية وهو ما حصل في اليونان استمراراً لتقاليد الحب الداعر والدامي التي بدأت في سومر مع إنانا ودموزي. والتي كانت مستمرة منذ النيوليت والكالكوليت حيث تظهر أختام عثر عليها في تبه كورا بعض مظاهر الزواج المقدس في الألف الرابع قبل الميلاد.

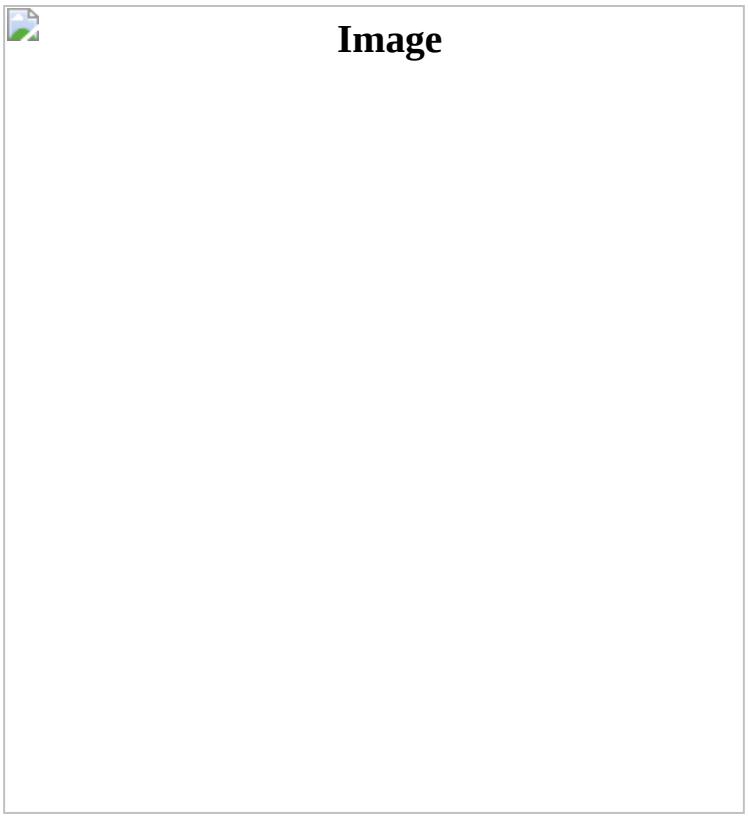

أختام دائرية مسطحة من حضارة وادي الرافدين قبيل سومر توضح بعض مظاهر الخصب

ولعلنا نمسك سرّاً ونحن نعثر على الجوهر الخفي الذي دعا إنانا لتوريط دموزي في الذهاب إلى العالم الأسفل، بل ولدفعه إلى مصيره المحتوم كما تقول الأسطورة وذلك إن تفحصنا شجرة الآلهة السومرية دعانا للتوقف عند حالة نادرة وحيدة وهي زواج إله ذكر من سلالة إنكي (هو دموزي) لإلهة أنثى من سلالة إنليل (وهو ما ناقشناه سابقاً) في حين إن القاعدة هي زواج بنات إنكي من ذكور إنليل سواء كانوا أبناءه أم أحفاده... لأنّ سلالة إنليل كانت بصفة عامة ذات نزعة ذكورية ولا بدّ للذكور فيها من الزواج من إناث أغلبهن من سلالة إنكي. أما زواج إنانا الإنليلية النسب من دموزي ابن إنكي فحالة وحيدة... كان لا بدّ لها أن تنتهي بمصير مربك وقد تحقق ذلك عندما قادت إنانا دموزي إلى العالم الأسفل. وبسبب من جرمه العظيم ومن طبيعة دموزي التي تشوب ألوهيتها صفات بشرية لم يستطع هذا الإله التحرر من العالم الأسفل أو أنه تحرر لمدة بسيطة ليعيد إيقاعاً دوريّاً في الهبوط والصعود إلى العالم الأسفل.

تنقسم أساطير إنانا ودموزي إلى قسمين رئيسين الأول مفرح ونشوان يعالج قصة الحب بينهما زواجهما المقدس والثاني حزين وتراجيدي يعالج قصة موت دموزي ونزوله إلى العالم الأسفل.

1 – أساطير وقصائد الحب بين إنانا ودموزي

يمكننا ترتيب هذه الأساطير والقصائد حسب تسلسل المعنى الذي تقدمه ولذلك نرى أنّ القصيدة الأسطورية التي تدور حول المنافسة بين دموزي (الإله الراعي) وإنكمدو (الإله الفلاح) لخطب ودّ إنانا يمكن أن تكون فاتحة هذه الأساطير والقصائد.

وتبدأ هذه القطعة حين يخاطب الإله الشمس (أوتو) أخته (إنانا) حول الكتان الذي بذر بذوره في الأرض وكيف أنه عندما يثمر سيجلبه لها من الثمرة فتسأله إنانا (أخي بعد أن تجلب لي الكتان من سيحلجه لي) وتستمر سلسلة الأجوبة والأسئلة بينهما حتى يقول لها أوتو بأنه سيجلب لها ملاءة العرس، فتسأله من سينام معها بعد ذلك. فيقول لها إن دموزي هو الذي سينام معها فترفض ذلك وتقول له إن إنكمدو هو رجل قلبها فينصحها بأن دموزي هو الأفضل. وتبدأ سلسلة حوارات مفاضلة بين دموزي وإنكمدو أمام إنانا حتى يتأكد لها بأن دموزي هو الأجدر، ويكاد دموزي وإنكمدو يقتتلان ثم يتصالحان ويدعو دموزي إنكمدو إلى حفلة العرس. ويعد دموزي إنانا أن يجلب لها هدية العرس من حنطة وعدس وغيرها.

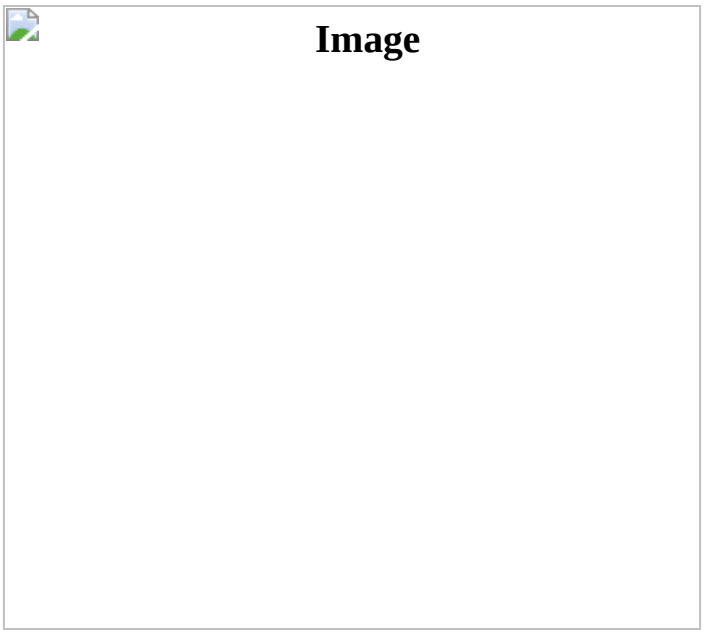

الأعلى: دموزي يشرف على حمل هدايا إنانا وهي تستلم الهدايا وخلفها رمزها بقصبتين مذيلتين بشريطي حرير

الأسفل: حاملو الهدايا يذهبون إلى معبد إنانا

http://cdli. ucla. edu/staff/englund/m104/images/images. html

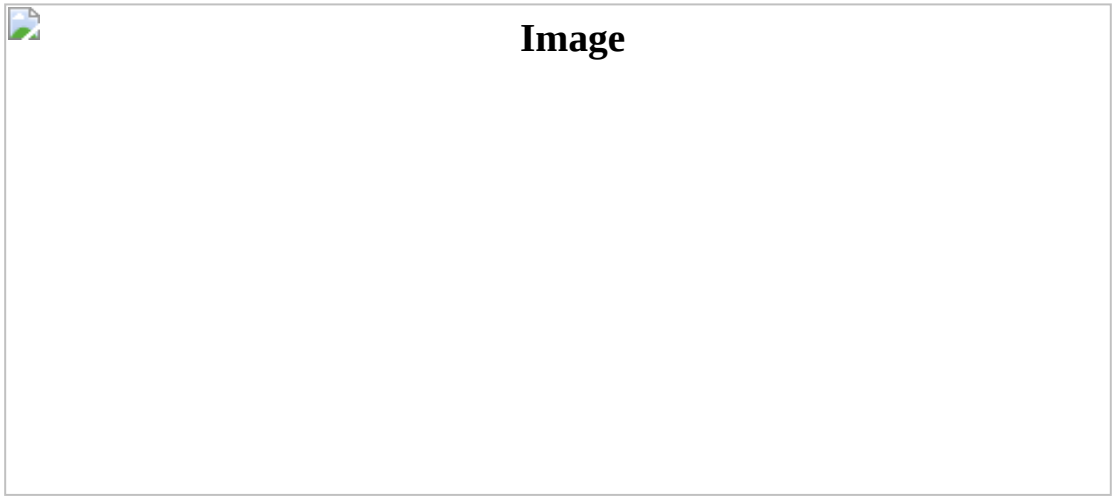

دموزي يحمل هدايا إنانا في قاربه

http://www. brlsi. org/events-proceedings/proceedings/25023

وفي قصيدة أخرى تظهر إنانا وهي تتفاخر بأصلها وتهين دموزي فيقول لها دموزي:

«إنانا كفّي عن المساجلة

إن أبي إنكي ليس أدنى محتداً من أبيك نانا

وأمي سرتور ليس أدنى محتداً من أمك ننكال

أختي كشتن أنا مثل أختك

فلنتفاهم يا مليكة القصر». (الشوك 1992: 51).

ثم يذوب الخلاف بينهما وتطلب منه أن يملأ سطح أرضها وآبارها بالماء وأن يحرث الحجر الذي تلف به جسدها المقدس ثم تتغزل به وخصوصاً بلحيته اللازوردية.

في قصيدة أخرى وبعد أن تتهيأ أسباب اللقاء كاملة بينهما تختار إنانا دموزي لألوهية البلاد، وهذا يشير إلى تحول هام في وظيفة دموزي فقد كان إلهاً للريّ والإسطبلات ولكنه أصبح إلها لأوروك، وبذلك تحولت مهنته من راعي الأغنام والأبقار إلى راعي الناس وملكهم.

وفي قصيدة أخرى تلتمس إنانا موافقة أبيها القمر (نانا) فبعد أن تتزين إنانا بكامل زينتها وتضع عليها الحلي والأحجار تخرج لترى دموزي واقفاً لها على باب حجر اللازورد (باب جيبار) فترسل عند ذاك رسالة إلى أبيها تخبره فيها بأنها تريد الزواج بدموزي:

«سوف آخذ إلى هناك رجل قلبي

سوف آخذ إلى هناك أما أشمو كال أنا

سوف يضع يده بيدي

ويضم قلبه إلى قلبي

وضعه اليد باليد ينعش الفؤاد

ضمه القلب إلى القلب – لذته بالغة الحلاوة». (كريمر 1986: 112)

ثم في قصيدة أخرى تلتمس إنانا موافقة أمها ننكال بعد أن يأتي دموزي إلى بيتها حاملاً هداياه من اللبن والقشدة والجعة ليطلب يدها فتبدي إنانا تردداً في قبول مجيئه لكن أمه تحثها على الإذن له بالدخول، ثم تقوم الإلهة إنانا بالتحضير لاستقبال دموزي فتقوم بتزيين جسدها وملابسها وتفتح له الباب وتعانقه.

وهناك قصيدة تصف اللقاء السريّ بين إنانا ودموزي حيث يختليان سرّاً تحت ضوء القمر ولأنها إلهة لعوب فإنها فجأة تحاول التملص منه وتطلب أن تعود إلى البيت خوفاً من أمها!! لكن دموزي يعرف كيف يتعامل معها فيقول لها (سوف ألقنك كيف تكذب النساء) وينصحها بأن تقول لأمها بأنها كانت تمرح مع صديقتها بالغناء والرقص. وتستمر القصيدة وتتحدث عن جارتها التي تتحدث لمصلحة دموزي أمام أمها وكيف أنها سوف ترش الأرضية لاستقباله، وكيف أنها قالت بأن دموزي يليق بحضن إنانا المقدس وتطلق الجارة نبوءتها بأن دموزي سيصبح صهر نانا.

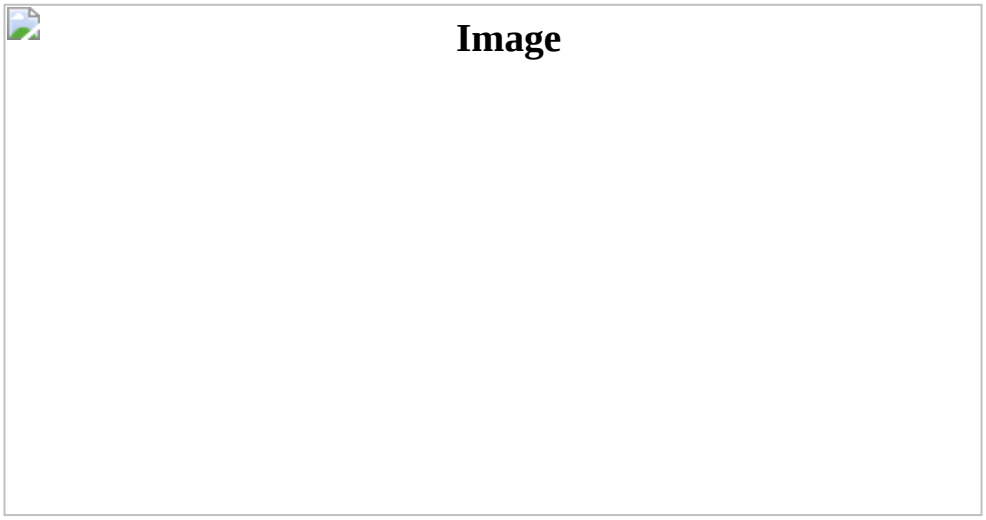

ديموزي الذي يرتدي تنورة مشبكة يطعم الأغنام، ورمز إنانا (القصبة المعقوفة) يحيط المكان دلالة على وجود ديموزي في المعبد / حوالي 3200-300 ق. م نقش على ختم أسطواني من المرمر.

S. Beaulieu, after Wolkstein and Kramer 1983:85. ©

http://www. matrifocus. com/BEL05/spotlight. htm

وهناك عدد من قصائد وأناشيد الزواج المقدس بين إنانا ودموزي يصل عددها إلى اثني عشر قصيدة تمثل أعذب وأقدم قصائد الحب في التاريخ القديم، وهي ما زالت إلى يومنا هذا محتفظة بعذوبتها وطراوتها وتدور القصائد حول مراحل أو أوجه من الحياة التي يحياها دموزي وإنانا أثناء وبعد الزواج المقدس.

يهيئ الكهنة (لابسو الكتان) الهيكل ويغسلونه بالماء ثم تدخل إنانا إلى المعبد وتجلس على عرشها أو فراشها المخصب وبعدها يتقدم دموزي نحوها وتعده إنانا بأنها ستحقق الرفاه للبلاد والناس، وسيسود العدل فيطلب منها دموزي أن توزع الشراب والطعام.

وفي معبد النار يقوم إله النار (اليجيبيل) بتطهير الفراش المخصب للإلهين ويزينه بحجر اللازورد ويلتمس من إنانا لتبارك دموزي ثم تقود وزيرة إنانا (ننشوبر) الإله دموزي إلى حضن عروسه راجية أن تباركه وتبارك حكمه لبلاد سومر وما جاورها وأن يزيد زواجهما خصوبة التربة والأرحام والوفرة للجميع.

وفي قصيدة أخرى نتعرف على طقس المضاجعة ونشيد النكاح حيث تكون إنانا قد استحمت وارتدت ملابسها ثم تعرض نفسها له وتطلب منه مضاجعتها، وما إن يتمّ ذلك حتى يتدفق من حضن دموزي (ماء القلب) الذي هو (مني) دموزي:

«وبمجرد أن تدفق من حضن الملك (ماء القلب)

فعلى جوانبه انبثقت الزروع وعلى جوانبه نبت الحب:

وبقربه زخرت بنمو نباتها السهوب والمروج!

بينما في بيت الحياة في القصر الملكي

ركنت قرينته إلى جانبه تملأ قلبها البهجة

في بيت الحياة في القصر الملكي

بقيت إنانا إلى جانبه مكتملة البهجة». (الشواف 1996: 123).

وهناك قصائد أخرى عن سعادة إنانا وهي نائمة قرب دموزي وعن موسيقى مخضة الحليب التي تجعل إنانا تتهيج وتفرح. وعن إطفاء القمر والنجوم من قبل إنانا (بعد أن أطفئ القمر والنجوم وأسحب المزلاج... تعال). وعن الرجل العسل الذي حلقات شعره الجميلة مثل الخس الذي ينمو قرب الماء وقصيدة عن صدر إنانا إلى حديقة دموزي حيث أنتجت له من خصبها الخضار والحب وقصيدة يمازح فيها دموزي شقيقته كشتن أنا حين يشاهدان مسافرات الجداء والحملان وبلبال (قصيدة حوارية) حول عودة دموزي إلى القصر بعد المضاجعة وأخيراً القصيدة التي نلمح فيها تهديد إنانا لدموزي رغم ما فيها من الغزل والجنس حيث تقول إنانا:

«يا ابن الملوك أي (أخي يا ذا الوجه الجميل):

لقد أنقذت حياتك، لقد أنقذت حياتك

ولكن ها أنت أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة!

أنقذت لك حياتك خارج أسوار المدينة أي أخي

ولكن ها أنت أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة!

أنت الذي لم يستطع العدو بذاته رفع يده ضده

ها أنت أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة!». (الشوك 1996: 140).

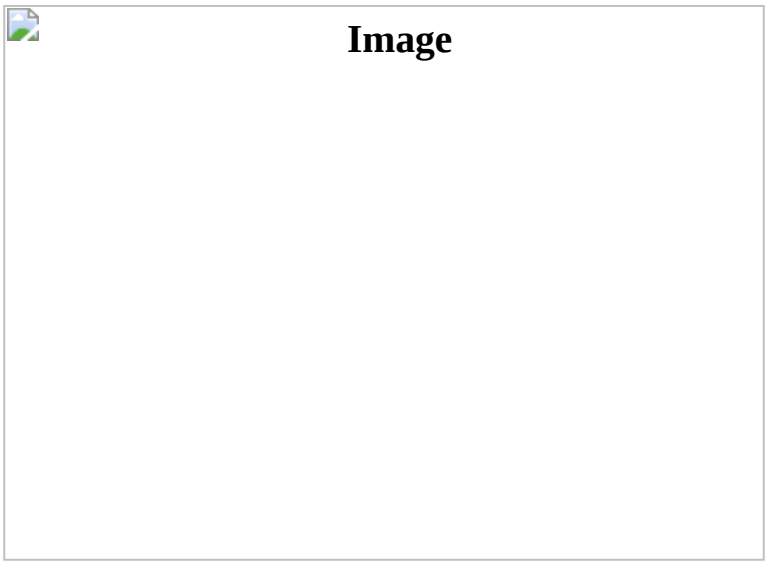

طقوس الزواج المقدس بين ملك وكاهنة

وتظهر لنا هذه الإشارة معلومة أخرى إذ يبدو أنّ دموزي كان قد تعرض إلى الموت على يد أعداء خارج أسوار المدينة لكن إنانا أنقذته... ويمكن أن تكون هذه الحادثة سبب حبهما ثم زواجهما، ولكنها بعد حين هجرت دموزي وكأنها قد أفاقت وكان لا بدّ لدموزي أن يواجه المصير من جديد وكأنها أجّلت مصيره لتتمتع به ثم تعيده إلى هذا المصير، خصوصاً أنّ من صفات إنانا اللهو والعبث والنزوة.

وهناك إشارة أخرى تظهر في القصيدة نفسها تدل على مضمون آخر:

«يا أخي أنا بدون شك سببت لك مثل هذا المصير

القاسي يا أخي يا ذا الوجه الجميل

لقد وضعت يدك اليمنى على فرجي

وكانت يدك اليسرى تداعب شعري

وفمك كان ينضغط على فمي

وعلى فمك كانت شفتاي منضغطتين

ولهذا السبب أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة!

هذا ما سيكون يا «ملتهم» (؟) النساء يا أخي». (الشواف 1996: 140)

وهذا سبب إضافي لمصير دموزي المهلك حيث تعترف إنانا أنها كانت السبب في هذا المصير عندما أغوت دموزي بجسدها واندفع دموزي ليمارس معها حبّاً جسديّاً شهوانيّاً على طريقة البشر وكان يجب أن يبقى محافظاً على المستوى الإلهي للعلاقة.

لكننا نتذكر أنّ الآلهة كانت تمارس حبّاً جسديّاً شهوانيّاً، بطريقة أو بأخرى، (كما في أساطير إنليل وننليل وإنكي وننخرساج)، ولذلك نرى أنّ هذه الإشارة تحمل في داخلها معنى آخر وهو أنّ إنانا كانت إلهة بينما لم يكن دموزي كذلك. فهل كان دموزي بشراً؟... وهل كان هذا هو سبب موته؟

يمكننا القول إن دموزي كان بشراً ولكنه تأله، فهو إنسان مؤله في حين ذكرت الأساطير بأنه ابن إنكي وقد كان الإنسان، بشكل عام، يوصف أيضاً بأنه ابن إنكي. ولأن إنانا تعرف أصله فإنها تدعوه لئلّا ينسى ذلك ويمارس الحب معها كما يمارسه الآلهة فيما بينهم حتى لو أغوته هي ودعته إلى ذلك.

لقد كانت إنانا تريد منه أن يبقى خارج الشهوة وأن يمارس الحب معها دون مشاعر حسية ملتهبة. كانت تريد أن لا تقع هي في أتون هذا الحب الجسدي العارم... لأنها ببساطة لم تذقه مع الآلهة... بل ذاقته مع دموزي (الإنسان المؤله)... وكان هذا يدفعها للتفكير بعد ممارسة الحب بأن تتخلص من هذا النوع الحقيقي من الحب والنوع الملموس... وهكذا فكرت بالتخلص من دموزي كما سنرى. ولكنها ندمت أيما ندم بعد ذلك فقد كادت تموت من البكاء على حبيبها الذي أضاعته في لحظة غضب أو عماء.

إنه لم يدعها تفكر في ألوهيتها عندما كان يمارس الحب معها فهو (ملتهم النساء) كما تصفه لقد كان ينسيها ألوهيتها التي كانت تجري في عالم المثل لا في عالم الواقع.

3 – أساطير الخراب Myths of Destruction

الشطر الثاني من أساطير إنانا وديموزي هو شطر الخراب والهجر والذي يمكن اعتباره بداية لأساطير الخراب والانهيار.

أولاً: أساطير خراب الحب والخصب

أ– أساطير ومراثي دموزي

بعد أن هبطت إنانا إلى العالم الأسفل للاستيلاء عليه وعوقبت بالموت ثم أعيدت للحياة كان شرط ملكة العالم السفلي لكي تعود إنانا إلى العالم الأعلى أن تجيء ببديل عنها فاختارت دموزي بديلاً لأنه لم يتأثر بما حصل لها وهي في العالم الأسفل. وتصف القصيدة كيف رأت إنانا دموزي وهو يجلس على العرش العظيم مرتدياً ملابسه الزاهية حيث أمرت شياطين (الكالا) المرافقين لها بالقبض عليه بديلاً عنها. وحينما طلب دموزي من (أوتو) أن يحول ذراعيه إلى ذراعي أفعى وقدميه إلى قدمي أفعى (أي أن يصبح كالحية لا يمسك به) فيتحقق له ذلك ويهرب باتجاه بيت أخيه كشتن أنا.

وقبل أن يصل دموزي إلى بيت أخته كان يرثي نفسه بسبب تعرضه لهذا المصير ثم من شدة تعبه نام وحلم حلماً مفزعاً. فقد رأى الأسل ينمو حوله بغزارة وراء قصبة ثنائية المنبت اختفى فرعها الأول ثم الثاني، ورأى الماء أهرق فوق موقده المقدس، ورأى مخضته تتمزق وكأس شرابه تهوي وعصاه تختفي والنسر يخطف حملاً وعنزاته تجرّ لحاها اللازوردية على التراب، ورأى حظيرة غنمه تصفر فيها الرياح.

ولما أفاق دموزي من حلمه قصّ حلمه هذا على أخته ففسرت له كل مشهد بدقة وكان مجمل حلمه يقول بأنه سيموت.

بعدها يقوم دموزي وأخته وصديقه بالصعود إلى التل والنظر إلى الطريق، وإذا بهم يرون شياطين الكالا قادمين ويحملون خشبة لتقييد الرقبة فتنصحه أخته بالاختباء وتعده مع صديقه بأن لا يخبر الكالا عنه. وحين وصل هؤلاء أغروا أخته ثم عذبوها لكنها لم تخبر عن مكانه لكن صديقه أغري بالحبوب كهدية فأهدى الشياطين إليه فقبضوا على دموزي الذي كان يصرخ (شقيقتي أنقذت حياتي... صديقي سبب موتي) وتذكرنا هذه القصة بخيانة يهوذا للمسيح.

وحين أحاط (الكالا) به وضربوه رفع دموزي يده إلى (أوتو) ليحوله إلى غزال فاستجاب له أوتو وهرب إلى بيت العجوز (بليلي) فالتجأ إليها وصبّت له الماء ليشرب والطحين ليأكل ثم غادرت العجوز البيت (ويبدو أنها أهدت شياطين الكالا إلى مكانه). ويذكّر هذا المقطع بالعشاء الأخير للسيد المسيح كما سنرى. وحين هجم عليه الكالا هرب منهم إلى حظيرة أخته فلحقوه هناك. وحين رأتهم (كشتن أنـّا)بكت وخمشت عينيها وفمها وفخذيها بينما كان الكالا يتسلقون سياج القصب وجدوا دموزي وضربوه وحطموا حظيرته بما فيها وخلعوا عن جسده رداء الـ(مي) وهو رداء النواميس الإلهية المقدسة، وخلعوا تاجه المقدس (لنتذكر المسيح هنا) وسقط صولجانه المقدس على الأرض وخلعوا نعليه المقدسين ومضى عارياً معهم.

هكذا ذهب معهم إلى العالم الأسفل بديلاً عن إنانا.

ومن هنا تبدأ مراثي إنانا فقد أفاقت من وهمها وحلّت الفاجعة بأوروك وساد الحزن كل شيء وأقيمت المناحات في المدينة، فبكت إنانا بكاء مرّاً على زوجها وبيتها ومدينتها. وبكت معها أمه وأخته (لنتذكر المسيح)، وحين تلتقي أخته مع زوجته لا يعرفان مكانه ومن أين ذهب للعالم الأسفل وعند ذاك تظهر الذبابة وتحوم فوق رأس إنانا وتقول: (إذا أخبرتك أين هو دموزي ماذا ستقدمين لي؟) فترد إنانا: (إذا أخبرتني سأجعلك تترددين على حانات البيرة والخانات حيث تسمعين أحاديث الحكماء وأغاني المغنين). فتقول الذبابة بأنه هناك على مشارف البرية فتذهب أخته وزوجته إلى هناك ويجدونه في آخر لحظات هبوطه إلى العالم الأسفل فتمسك إنانا بيديه وتقول له:

«ستمضي في العالم الأسفل

نصف السنة

وشقيقتك حسب إرادتها

ستمضي النصف الآخر

في اليوم الذي تستدعى أنت

في ذلك اليوم سوف يأخذونك

في اليوم الذي تستدعى كشتن أنا

في ذلك اليوم سيطلق سراحك

إنانا أسلمت دموزي إلى يدي الأبدية». (الشوك 1992: 112).

وهكذا ينزل دموزي إلى العالم الأسفل مستسلماً لمصيره حيث يبقى نصف السنة الشتوي هناك، ثم يخرج مع بداية الربيع ويقضي نصف السنة الآخر حيث تكون أخته في العالم الأسفل بديلاً عنه.

واستمراراً لهذه القصة الحزينة نكملها بأسطورة العجوز بليلي (بليلو) التي تذكرنا بفكرة (العشاء الأخير) في المسيحية. حيث تبدأ الأسطورة بوصف حظيرة دموزي وما جرى لها ثم تحضر الإلهة إنانا إلى الحظيرة وتقوم بجمع الأغنام المشتتة لدموزي وتصوغ مرثية لدموزي تدعوه فيها أن يبعث وأن يقوم من رقاده.

ثم تصادف في ذلك المكان عائلة بليلي (التي غادرت بدموزي) وجعلته ينشغل بالماء والطحين ووشت به عند الكالا. وابنها جرجير الذي هو لص ماشية وحبوب وحفيدها (سرو) الفتى الذي لا أصدقاء له. وإن إنانا تعرف ما فعلته العجوز، فقد صبّت جام غضبها على هذه العائلة وقتلت العجوز وحولت جلدها إلى قربة ماء بارد وجعلت ابنها إلى جانبها يصرخ وجعلت حفيدها يجوب أرجاء القفر ويسكب الماء ويرش الطحين ثم يقيم محلين للراحة.

ويبدو أنّ إنانا فعلت ذلك لكي تبقى ذكرى (العشاء الأخير) لدموزي المكون من (الماء والطحين) ماثلة في هذه العائلة وفي هذه الصحراء. وأن يقدم الحفيد الماء والطحين استذكاراً لدموزي.

ومن المؤكد أننا لمحنا في أكثر من مكان في تراجيديا دموزي ومراثيه ما يذكر بقصة السيد المسيح. ولنا وقفة مطولة عند هذا الموضوع في المستقبل.

ب– إنانا وملوك سومر

انعكست أسطورة وأناشيد وطقوس الزواج المقدس بين إنانا ودموزي على أعياد رأس السنة السومرية واتخذ الملوك من الكاهنات العلويات نظريات لإنانا، وظهرت قصائد حب مذهلة وصلتنا منها لأربعة ملوك هم شولجي الملك الثاني لأور (2093-2046) ق. م، والملك شوسين الملك الرابع لأور (2036-2028) ق. م، والملك إيدين داجان ملك مدينة إيسن (1974-1954) ق. م، والملك إيشمي داجان ملك مدينة إيسن (1953-1935) ق. م. وأغلبها يشبه النصوص الأصلية بين إنانا ودموزي.

وانفرد الملك السومري كلكامش الذي سبق هؤلاء جميعاً بأسطورتين خاصتين مع إنانا هما أسطورة الثور السماوي وأسطورة شجرة الخولبو (الخلاف).

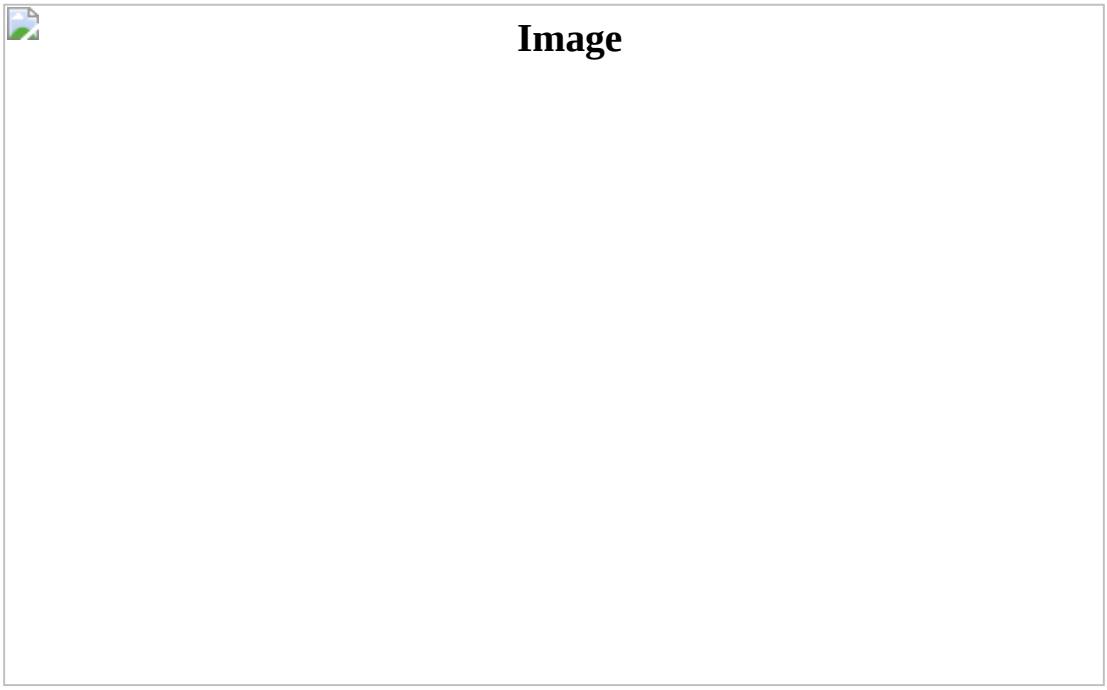

إنانا وشجرة الخولبو

http://www. sourcememory. net/veleda/?p=667

في أسطورة الثور السماوي المذكورة، في إحدى قصص كلكامش السومرية، تعرض إنانا نفسها على كلكامش فيرفض فتتوسل إنانا الإله أن

يسلط على كلكامش ومدينته الثور السماوي فيفعل ذلك ويتصدى كلكامش للثور السماوي ويصرعه.

أما في أسطورة شجرة الخولبو فإن إنانا التي تغرس هذه الشجرة في حديقتها أملاً في أن تصنع منها كرسيّاً وسريراً تفاجأ بأن الشجرة بعد أن تنمو مسكونة بطائر الصاعقة (زو) على أغصانها وبالشيطانة (ليليث) في داخلها وبالحية في قاعدتها، فتشكو ذلك إلى أخيها الذي يقترح أن تستنجد بكلكامش الذي سيقوم بقتل الحية ويجعل ليليث وزو يفران منها، ثم يصنع الكرسي والسرير لها، وفي مقابل ذلك تقوم إنانا بصناعة طبل الـ(بكو) ومضربة الـ(مكو) لكلكامش من أغصان الشجرة ليستمتع بعزفهما. (انظر كريمر 1971).

ج– إنانا والإنسان

تروي أسطورة (إنانا وشوكاليتودا) قصة نزولها من العالم الأعلى لترتاح وتنام في بستان الفلاح شوكاليتودا الذي يُفتن بجمال جسدها فيقوم بمضاجعتها وهي نائمة، وحين تستيقظ إنانا وتشعر بما حصل لها تسلط ثلاث كوارث على الأرض لكي تعثر على الفلاح، الأولى إغراق آبار الأرض بالدم، والثانية إطلاق الرياح المدمرة على الأرض، والثالثة سدّ طريق البلاد بالماء أو بتفجير أعماق العالم الأسفل. وكان الفلاح في كل مرة يختبئ هرباً من انتقامها ثم يلجأ إلى إنكي الذي تتوسل إليه إنانا لكي يسلمها الفلاح، وحين يسلمه لها تصعد به إلى أعالي السماء وتحوله إلى نجم ساوى وتصبح ذكراه كما وعدت إنكي على لسان الرعاة وفي قصائد الشعراء تردد في القصور وتروي أسطورة (بيلولو) المشابه لشوكاليتودا أن بيلولو تحول إلى قزم ظل يصغر ويصغر حتى لم يعد له أيّ وجود واضح.

تبين هاتان الأسطورتان الانتقام الذي وجهته إنانا لمن اعتدى عليها من الناس وربما لمن اعتدى عليها من الآلهة الصغار، إذ إن هناك رأياً في اعتبار شوكاليتودا وبيلولو آلهة الصغار!! وربما في ذلك إشارة إلى استنتاج مفاده أنّ ديموزي كان إلهاً صغيراً، ومردّ ذلك، في رأينا، يعود لسببين أولهما أنه من أصل بشريّ ومن نسل الإله إنكي صديق الإنسان، وثانيهما أنه من الآلهة الشعبية

التي كان الناس يتمسكون بها في مقابل الآلهة الرسمية التي كانت الدولة ومعها الحكام يتمسكون بها.

د– إنانا والعالم الأسفل

تحدثنا عن إنانا وكور، أما إنانا وجبل إيبيخ Ebich الذي يبدو وكأنه جبل عدوّ أو شرير حيث يرفض الخضوع لسلطان إنانا (وكأنه مثل عفاريت الأساكو).

أما الأسطورة الكبيرة فهي أسطورة هبوط إنانا إلى العالم الأسفل التي ننصح بالرجوع إلى نصها في العديد من المراجع التي تبحث في الأساطير السومرية. (انظر كريمر 1971 علي 1973 حنون 1986 السواح 1986 الشوك 1992).

والخلاصة المركزة للأسطورة تتمثل في رغبة الإلهة إنانا بالسيطرة على العالم الأسفل وحين تهمّ بالذهاب إلى هناك يطلب منها حارس أبواب العالم الأسفل أن تمتثل لقوانين هذا العالم وأن تخلع في كل باب من أبوابه السبعة شيئاً تلبسه... وهكذا عندما تدخل الباب السابع تجد نفسها عارية. وحين تصل عرش أختها الإلهة أرشكيكال ملكة العالم الأسفل تنظر هذه إليها نظرة الموت فتموت إنانا وتعلق جثتها على عمود منتصب.

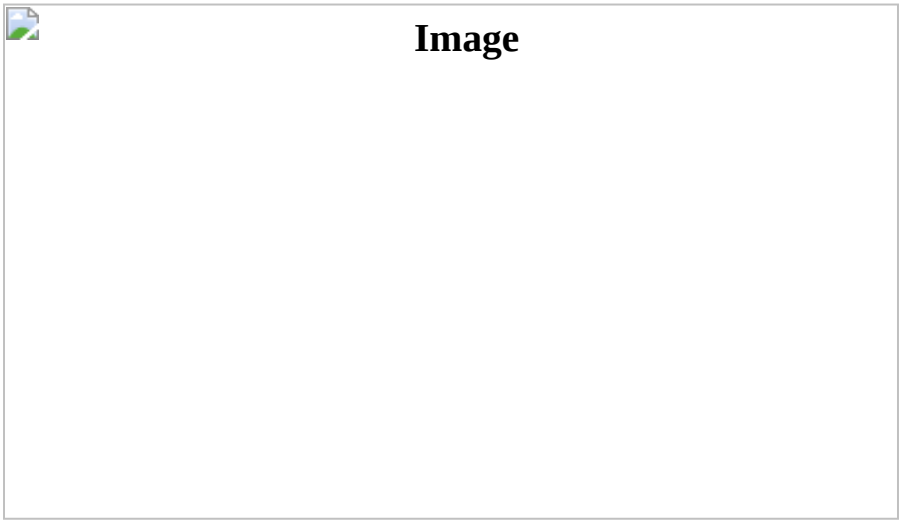

إنانا تستعد للذهاب إلى العالم الأسفل في حدود 2230-2150 ق. م / ختم أسطواني من حجر الهيماتايت

S. Beaulieu, after Wolkstein and Kramer 1983:57. ©

http://www. matrifocus. com/BEL05/spotlight. Htm

وكانت إنانا قد أوصت حكامها الأربعة (ومنهم دموزي) أنها إذا غابت لأكثر من ثلاثة أيام فعليهم أن يحزنوا ويمرغوا أنفسهم بالتراب، وطلبت من وزيرتها ننشوبر أن تذهب إلى الآلهة (إنليل، نانا، إنكي) ليخلصها أحدهم من الموت فتقوم ننشوبر وزيرتها الأولى بهذا العمل، لكن إنليل ونانا يرفضان مساعدتها. أما إنكي فيقوم بصنع كائنين خنثيين يدخلان إلى العالم الأسفل يحملان طعام الحياة وماء الحياة، وحين ينزل الكائنان إلى هناك ينثران الطعام والماء على جثة إنانا ستين مرة فتستيقظ من موتها ولكنها لكي تخرج كان يجب عليها أن تقدم بديلاً عنها كما تقضي قوانين العالم الأسفل. وهكذا تخرج إنانا بصحبة جند العالم الأسفل الـ(كالو) لكي تأتي ببديلها. وحين تذهب إلى مدنها الأربع تجد أنّ حكام هذه المدن قد حزنوا من أجلها ووضعوا التراب على رؤوسهم إلّا دموزي الذي كان يلبس الملابس الزاهية ويعتلي على عرشه ولذلك تختاره بديلاً عنها وتأمر العفاريت المصاحبة لها بأخذه إلى العالم الأسفل.

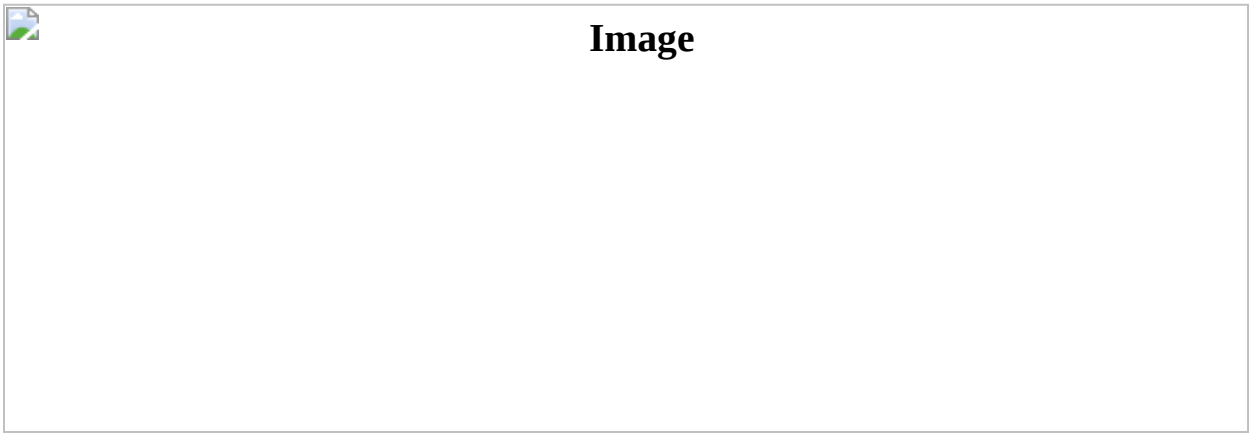

الإلهة المجنحة أرشكيكال تتوسط مشهد هبوط إنانا إلى العالم الأسفل تحيط بها كائنات غريبة مثل الرجل السمكة والعجل السمكي، وتقف إنانا مع حارس البوابة عارية (ربما كانت هذه ليست أرشكيكال، بل ليليث)

حوالي 2000-1600 ق. م / رسم على ختم أسطواني

S. Beaulieu, after Wolkstein and Kramer 1983: 51. ©

http://www. matrifocus. com/BEL05/spotlight. htm

عند هذا الحدّ تنتهي أسطورة النزول، لكن هناك نصّاً آخر يحكي لنا مصير الإله دموزي وجد موزعاً على (28) لوحاً وكسرة تشكل ما تحدثنا عنه في (أساطير ومراثي دموزي) التي تكمل بقية قصة نزول إنانا إلى العالم الأسفل.

في أعماق النتاج الأسطوريّ لأيّ شعب حيّ نلمح فكرة الأدوار الكونية وهي تعبر عن نفسها في أساطير الخلق، ثم أساطير بناء الكون، ثم أساطير نهاية وتدمير الكون ثم إعادة خلقه من جديد.

وهذا الزمن الدائريّ الذي يتجدد دوريّاً إلى ما لانهاية يحتوي بعد بدايته على (العصر الذهبي) الذي يكون قريباً من (العصر المثالي)، وهو زمن التكوين الأول، وبعد العصر الذهبي نرى العصر البدائي الذي يتضمن استعادات منظمة للعصرين المثالي والذهبي لإنعاش لحظات التاريخ المتحضرة التي تستنفد طاقتها مع الزمن لتختتم الدورة الكونية بعصر التدمير الذي يكون عن طريق الطوفان أو الحريق أو انفجار العوالم الباطنية كالعالم الأسفل.

ولعل أنسب ما نصف به هذا المسرى هو الصفة الدائرية التي يتصف بها الزمان الكوني، والحق أننا نشهد تكراراً لانهائيّاً للظاهرة نفسها (خلق – خراب – خلق جديد).

وإذا كنا في القسم الأول قد عالجنا أساطير الزمن المثالي وهي أساطير الخلق والتكوين، وفي القسم الثاني قد عالجنا أساطير الزمن الذهبي وهي أساطير البناء، ففي هذا القسم سنعالج أساطير التدمير التي نرى أنها في التراث السومري تنقسم إلى قسمين أساسين هما:

ثانياً – التنين (أسطورة الدمار الصاعد من العالم الأسفل)

الدمار الذي يأتي من العالم الأسفل لا يشبه ذلك الذي يأتي من العالم الأعلى لسببين، هو أنّ دمار العالم الأعلى دمار شامل دوريّ يبدو وكأنه يخضع لإيقاع كوني هائل تقرّه الآلهة (الأدوار الكونية). أما دمار العالم الأسفل فهو دمار

جزئي لا إيقاع له ولا يأتي بصورة منتظمة وتنفذه تنانين وعفاريت وشياطين كبرى تقبع في العالم الأسفل.

أما السبب الثاني فهو أنّ الدمار الأعلى يتحول إلى نوع من نهاية العالم قديم بال وبداية عالم جديد نشيط فهو لحظة موت وحياة في نفس الوقت أما الدمار الأسفل فلا يشير إلى ذلك، بل يدل على وهلة ارتباك أو فوضى في قوانين العالم ولحظة عدم توازن وتخلخل وترنح سرعان ما تعود بعدها الحياة إلى سابق عهدها وتواصل ماضيها. فهو أشبه بالإنذار وقرع أجراس الخطر.

وهناك أسطورتان أساسيتان حول التنين السومري وهما:

1 – التنين كور وأساطيره مع الآلهة:

يوصف التنين (كورKur) بأنه كائن أفعواني كبير يعيش في قعر العالم الأسفل الذي كان متصلاً بمياه البحر الأولى، ويبدو أنّ هذا الكائن كان يسيطر على مياه هذا البحر المالحة أو المعدنية... ولذلك فإنه عندما كان يقتل ترتفع هذه المياه إلى الأرض ويتوقف انسياب المياه العذبة ويصيب الأرض القحط حتى يقوم الآلهة بتدبر الأمر وإعادة الأمور إلى نصابها. وكان العالم الأسفل بأكمله يسمى (كور) أيضاً.

إن أسطورة كور مع إنكي التي تأتي في مقدمة ملحمة كلكامش وأنكيدو السومرية حول العالم الأسفل والتي تبدأ بخلق الكون وكيف أخذ كور الإلهة أرشكيكال غنيمة واختطافها إلى العالم الأسفل، لكن الإله إنكي جهز قاربه وتبعه فقام كور برمي الحجارة الصغيرة والكبيرة عليه... ويبدو أنّ صراعاً بينهما قد حصل ولكننا لا نعرف نتيجة هذا الصراع رغم أنّ الأساطير الأخرى تخبرنا بوجود الإلهة أرشكيكال في العالم الأسفل وزواجها من الإله نركال الذي ولد من إنليل في العالم الأسفل.

الأسطورة الأخرى حول (كور) و(ننورتا) وهي أسطورة طويلة تتألف من أكثر من (600) سطر، حيث تبدأ بتراتيل دينية ثم يقوم (شارو) وهو سلاح الإله إنليل المتجسد على شكل مساعد أو وزير بمخاطبة (ننورتا) ويمجده أو يحثه على مهاجمة (كور) وقتله، فيستعد ننورتا للقاء (كور). وعندما يلاقيه ينهزم

أمامه كالطير لكن (شاور) لا يهدأ فيقوم بتحريض (ننورتا) ثانية بعد أن يحسن استعداده فيلاقيه ثانية ويهاجمه ويقوم بذبحه.

وبعد أن يموت كور (الذي كان يسيطر على المياه الأولى) تفقد السيطرة على هذه المياه فترتفع بعنف العالم الأسفل إلى سطح الأرض، وبسبب ذلك يتوقف انسياب المياه العذبة إلى الحقول والبساتين ويدبّ اليأس في قلوب آلهة الأرض والعاملين فيها والمسؤولين عن إروائها وتهيئتها للزراعة ويصبح نهر دجلة ساقية ضحلة لا تحمل المياه النافعة.

يتصدى الإله (ننورتا) لهذه المشكلة فيضع أكواماً من الحصى على جثة (كور) ويكدسها حتى تتحول إلى ما يشبه الجدار الذي يشكل سدّاً يصد تدفق المياه القوية من الأسفل وترتفع نتيجة لذلك المياه النقية الصافية التي حجبتها مياه (كور) القذرة، فيجمع (ننورتا) المياه العذبة ويسلطها على دجلة فترتوي المزارع والحقول وتنتج الأرض الغلة والحبوب وثمار النخيل والأعناب وتتكدس في الأهراء والتلال، ويسبب هذا راحة الآلهة فتقوم الإلهة ننخرساج (ننماخ) التي تبدو وكأنها أم ننورتا بزيارته ورؤية ما فعل ويتفاخر ننورتا بأعماله البطولية ويعين ننخرساج ملكة على الجبل الذي صنعه.

قتل التنين كور

لا شك أنّ هذا الأسطورة تعكس محاولات السومريين لكبح صعود الملوحة إلى الأرض وهي بذلك تشير إلى مشكلة تدمير الخصوبة والحياة على الأرض أيضاً.

أما أسطورة (كور وإنانا) فهي واحدة من أساطير إنانا وعلاقتها بالعالم الأسفل حيث تقرر إنانا مصارعة التنين كور رغم تحذير الإله آن لها، لكنها تتصدى له وترميه بحربته الطويلة وتضرم به النار وتغرس فأسها البرونزية في رأسه وتقتله ثم تطؤه بقدميها وتحصل على لقب (قاهرة كور).

هذه الأساطير الثلاث تظهر صراع الآلهة مع الثعبان المائي للعالم الأسفل الذي يرقد على مياه الهيولية المالحة الأولى هي تعبر عن صراع ثلاثة آلهة يمثلون بنسب مختلفة صورة الخصب. فالإله إنكي إله الخصب والحياة، والإله ننورتا إله العاصفة الذي له علاقة بالمطر، والإلهة إنانا أخذت صورة الخصب أيضاً. فهي أساطير صراع بين الملوحة والعذوبة وبين الجدب والخصب.

2 – التنين أساج وننورتا

تكاد هذه الأسطورة أن تكون نسخة محورة من أسطورة (كور وننورتا) حيث يظهر لنا (أساج) بمثابة الوزير المساعد لـ(كور)، وبذلك فإنه يقوم بالقتال نيابة عنه ومثل ذلك يظهر (شارو) الوزير المساعد والسلاح القوي لـ(ننورتا) والذي يحثه على قتال (أساج)، ويقوم الصراع بين أساج وننورتا فيهزم ننورتا أولاً ثم ينتصر على أساج فتفيض مياه كور من مكانها ويقيم ننورتا الجبل الحجريّ كسدّ بين هذه المياه وبين سومر. لكن هذه الأسطورة تخلو من مباركة ننخرساج لعمل ننورتا وتختتم الأسطورة بمباركة ننورتا لأعماله البطولية ومدحها.

4 – أساطير الموت Eschatology Myths of

الطوفان

عثر على النص السومري للطوفان في مدينة (نفر) وهو بحالة مهشمة، فبعد أسطره السبعة والثلاثين الأولى الممحوة يظهر الإله (إنكي) وهو يريد

إنقاذ البشرية من الدمار الذي يتطرق النص إلى خلق الإنسان على يد الإلهين آن وإنليل والإلهة ننخرساج، ثم تأتي فجوة بعدها يتحدث النص عن نزول الملكية من السماء إلى الأرض وتوزيع السلطات بين الآلهة ليحكم كل إله في مدينة معينة ويأتي ترتيب المدن متفقاً مع لائحة الملوك والمدن السومرية قبل الطوفان مع ذكر اسم إله المدينة.

ويبدو أنّ مجلس الآلهة اجتمع لسبب غير واضح وقرر هلاك ذرية الإنسان عن طريق الأعاصير والأمطار التي ستسبب الطوفان وأنه لا بدّ من إسقاط الملوكية التي منحها الآلهة للإنسان. وكانت هذه الملوكية قد استقرت في مدينة شروباك في ذلك الوقت والتي كان يحكمها ملك حكيم اسمه (زيوسدار Ziusudra) ومعنى اسمه (الذي جعل الحياة طويلة). فيقوم الإله إنكي بالاتصال خفية بزيوسدار(ربما عن طريق الحلم) ويخبره بقرار الآلهة تدمير الأرض عن طريق الطوفان وينصحه بصناعة سفينة تنقذه مع أهله ومن يحب.

ثم يأتي الطوفان ويدمر كل شيء.

«وجاءت كل الأعاصير والعواصف المدمرة

واكتسحت الأعاصير العواصم

وبعد أن اكتسحت الأعاصير البلاد سبعة أيام وسبع ليالٍ وجعلت الأعاصير المدمرة السفينة تتأرجح في المياه العالية (وعندما انتهى الطوفان) بزغت الشمس فأنارت الأرض والسماء

(وعندئذٍ) فتح زيوسدار كوة في الفلك

فدخلت السفينة بأشعتها إلى الفلك

فركع زيوسدرا أمام إله الشمس

ونحو الملك (زيوسدار) أعداد كبيرة من الثيران والأغنام». (علي 1975: 121).

بعدها يركع زيوسدار أمام الإلهين آن وإنليل اللذين يقومان بمكافأته وإعطائه الحياة الأبدية؟ أي (الخلود) ويسكنانه في بلد على البحر في (دلمون) وهو الفردوس الإلهي الذي عرفناه.

إن النسخة البابلية للطوفان تعتمد جوهريّاً على قصة الطوفان السومرية هذه، لكن تفاصيلها تزداد وتتشعب (وهو حال أغلب الأساطير البابلية المبنية على أصل سومري).

ثالثاً: الطقوس السومرية

الشعائر والطقوس هي الجانب العملي من أيّ دين، وهي إذ تنفذ بعض الأوجه اللاهوتية له فإنها ترتكز على الأساطير كونها المادة الحية التي يعرفها المتعبد ويتتبعها. وقد تنسى الجذور السببية للطقوس إلّا أنّ ممارستها تبقى حية لأزمنة طويلة رغم أنها تتحور بهذا القدر أو ذاك حسب طبيعة الأديان الوافدة والمختلطة بها أو العزلة التي تدخلها لأسباب خاصة بها.

الشعائر السومرية تنقسم في مجملها إلى ثلاثة أنواع أساسية، هي الشعائر اليومية التقليدية التي يقوم بها الإنسان السومري كالصلاة والصوم والاغتسال والترتيل والتطهير وإحراق البخور وسكب السوائل، وطقس فتح فم الإله وغسله، وطقس إطعام الآلهة وطقس الفوهو (البديل). وشعائر المناسبات التي تخص الولادة وبناء البيت والزواج والموت، والشعائر الدورية التي هي الأعياد والاحتفالات السومرية. ولكل صنف ونوع من هذه الطقوس والشعائر مرجعيات لاهوتية وميثولوجية سنحاول المرور بها.

1 – الطقوس اليومية

مارس هذا النوع من الشعائر الإنسان العادي والإنسان المتعبد والكاهن، وكانت هذه الشعائر من الناحية العملية هي التي تنظم حياة الإنسان الدينية وتنعكس على أخلاقياته الاجتماعية والدنيوية.

وأول الطقوس كان هو الاغتسال والوضوء الذي لم يكن مقتصراً على كونه مقدمة للصلاة، بل كان لازماً لممارسة جميع الطقوس والشعائر الدينية.

وكان سكب الماء الذي يمثله الإله إنكي بمثابة نوع من إعادة خلق الإنسان في العقيدة السومرية ولأنه مصدر الحكمة والشفاء.

أما الصلاة فلم تكن تمارس بشكل يومي منتظم وفي أوقات معينة، وكذلك لم تكن ثابتة النص، بل كانت نوعاً من النصوص الدينية الابتهالية المرفوعة لإله محدد، وكان الإنسان يرددها متى ما كان في المعبد أو أمام تمثال إلهه في البيت أو في القصر أو في أيّ مكان آخر.

وهناك صور لكهنة سومريين يضعون أيديهم أو أكفهم بعضها فوق بعض عند أداء الصلاة خشوعاً وتقديساً للإله، وأدوا الصلاة بصورة منفردة أو بصحبة الكاهن. وقد وصلت إلينا نماذج من أوضاع المصلين وهم راكعون أمام تماثيل الآلهة. وكانوا يرفعون اليد عند الدعاء ولهم صلاة توبة كما أحرقوا البخور وسكبوا السوائل المقدسة، وكانت لهم أدعية لكل الآلهة. (الأحمد 1988: 47).

أما الصوم فكان يستند إلى أساس تحريم نوعٍ معين من المأكولات الحيوانية أو النباتية لأسباب ظاهرية دينية ترتبط بأسطورة معينة. أما الأسباب العميقة فكانت اقتصادية في محاولة للحدّ من استهلاك نوع من اللحوم أو النباتات، وخصوصاً أيام القحط والكساد. ولم يكن الصوم تقليداً ثابتاً ودوريّاً.

إن التراتيل السومرية تختلف عن الأدعية والتعاويذ في كونها أناشيد طقسية روحية يشحنها التأمل والانقطاع في صفات إله معين ويسودها التبرك بقواه ومناشدته الحب والاتصال. أما الأدعية فهي توسلات للإله والتعاويذ تقوم على أساس طرد الشياطين. والتراتيل في مجملها مدائح إلهية تؤدى مع الموسيقى ولها نظام إيقاعي خاص.

وكان إحراق البخور إحدى الوسائل التطهيرية في المعابد أو البيوت أو القصور، وكان يقوم به الكهنة المطهرون لكن كهنة التعازيم (الأشيبو) كانوا يستعملون إحراق البخور لطرد الأرواح الشريرة لاعتقادهم أنّ البخور عندما ينتشر في المكان فإنه يحاصر الأرواح التي تهرب عن طريق الشبابيك أو الأبواب.

وفي المعابد كان مذبح البخور موجوداً إضافة إلى مذبح الأضاحي، وكان المطهر أو المعزم يستعمل الموقد المقدس الذي يشبه الزهرية والذي كان يرمز أيضاً إلى الإلهين نسكو (إله النار) والإله ننكشزيدا (إله الطب والشجرة). وربما كانت هذه التركيبة تشير إلى أنّ الموقد المقدس يضيء مثل نسكو ويشفي مثل ننكشزيدا.

أما طقس سكب السوائل (الماء والزيت) فكان يجري بصورة يومية خصوصاً في الزواج، حيث يسكب الكاهن على رأس العروس سائلاً لمباركتها. وكان سكب الزيت والمسح به يجري مع الملوك عند تكريسهم. أما إناء سكب الماء أو الزيت المقدس فكان يشبه الكأس الذي تخرج منه سعفة وتتدلى على جانبيه ثمرتان.

أما الطقوس التي كان يقوم بها الكهنة المختصون (غير إحراق البخور وسكب السوائل) فكانت ثلاثة طقوس خاصة ومهمة وهي:

1 – طقس فتح فم الإله وغسله: وكان يجري بعد أن يصنع الفنانون أو النحاتون أو النجارون أو السباكون تماثيل الآلهة وكانت لا تزال عند النهاية صنعها تماثيل دنيوية عادية لكنها تتحول إلى تماثيل دينية ذات قداسة وتأثير ديني بعد أداء هذا الطقس. فقد كان يتمّ إخراج التمثال من مكان صنعه من قبل الكهنة الذي يرددون عبارات طقسية خاصة ثم يذهب بالتمثال إلى شاطئ النهر ويوضع على حصيرة من القصب ووجهه نحو الشرق تحت مظلة وتقام له الأضاحي الحيوانات مثل الأكباش والنباتات مثل أعشاب الأثل والمواد وأعواد الأرز التي تغسل بها فمه وتقديمات الذهب والفضة وسكب البيرة وغيرها. وتكون مجمل هذه الطقوس المعقدة بمثابة وضع الروح المقدسة في التمثال الجامد الذي صنعه الحرفي.

2 – طقس إطعام الآلهة: وكان يعتقد أنّ تماثيل الآلهة عندما توضع في المعبد فإنها تحتاج إلى طعام، ولذلك كان يتمّ تقديم وجبتين أساسيتين لها من تقديمات المعبد. ويبدو أنّ مائدة كانت توضع أمام تمثال الإله. وكانت هذه الوجبات الطقسية مصدر غذاء الكهنة وربما الملوك. وكان الناس السومريون هم من يمول وجبات المعبد ويقدمون الهدايا والنذور للإله.

هدايا للإله آن، رسم ديفيد بلوسوم

by David Blossum: Splendors of the Past

http://www. ancienthistoryforhomeschool. com/sumeria-a-homeschooling-lesson. Html

3 – طقس الفوهو (البديل): يستند هذا الطقس على أساسين الأول ميثولوجي يستحضر أسطورة دموزي حيث ينقل الشر أو المرض من المصاب به إلى بديل (دمية أو حيوانات) يأخذ هذا الشر ويذهب إلى العالم الأسفل (مثل دموزي الذي صار بديل إنانا في العالم الأسفل). والثاني سحريّ يستحضر مبدأي السحر (الاتصال أو التشابه). ففي حالة كون البديل دمية يقوم الكاهن بإبقاء هذه الدمية المصنوعة من الخشب أو العجين أو الشمع ليلة كاملة مع المريض، وفي حالة كون البديل حيوانًا (كالعنز) فإنه يبقى أيضاً طيلة ليلة كاملة في فراش المريض ومعه وبالسكين نفسه كان يذبح البديل الحيواني أو تحزّ رقبة الدمية ثم يلبسونهما ثياب المريض ويدفنونهما بقدسية. وبذلك ينتقل المرض أو الشر إلى الحيوان أو الدمية.

وإذا كان دفن الدمية أو الحيوان يمثل الجانب الميثولوجي من خلال دموزي فإن الجانب السحريّ كان مبدأ الاتصال (احتكاك المريض بالبديل ليلة كاملة)، وفي مبدأ التشابه (الذبح المتزامن والثياب المتبادلة ومعاملة الجثة وإعلان الموت وغير ذلك).

وكان تقديم الأضاحي السومرية يؤكد على الأضاحي النباتية أولاً ثم الحيوانية. أما الأضاحي البشرية التي أشاعت فكرتها مقبرة أور وما كشف عنه

من حاشية الملوك المدفونة فإنه بلا شك يمثل عقيدة أسكاثولوجية هامة ارتبطت بسلالة أور الأولى، ولكننا لا نجد لها مثيلاً قبل أو بعد هذه السلالة (حوالي 3000 ق. م) وهذا يعني ندرتها أو انقراضها في وقت مبكر من حياة السومريين. (انظر Wolley 1963).

كهنة سومريون في وضعية الصلاة

عابد سومري في وضع السجود، من (تلّو) السلالات المبكرة 2800-2900 ق. م http://www. bibleorigins. net/ UrukNakedMenOfferingHarvest. html	عابد سومري من أشنونا يمسك إناء الماء المقدس للصلاة http://www. solimartravel. com/ limestone-statues-sumerian-capital

2 –طقوس المناسبات

أفردنا لهذه الشعائر مكاناً خاصّاً لأنها لا تقع ضمن الشعائر اليومية التي يمارسها الإنسان أو الكاهن بشكل شبه يومي، ولأنها لا تقع كل عام فتكون دورية يمارسها الناس كترداد لدورات زمنية كبرى. إنها شعائر يمرّ بها الإنسان الفرد مرة واحدة في حياته على وجه التقريب فالولادة والموت يحصلان مرة

واحدة. أما الزواج والبناء فربما يتكرران ولكنهما مع ذلك يخضعان للمناسبة لا للطقس اليومي ولا للطقس الدوريّ السنوي.

وكانت القابلة تسمى في السومرية شازو (Sha-zu) هي التي تقوم بالولادة حيث تردد أثناء عملها صلاة معينة وتعصب رأس المرأة أثناء الولادة ثم تضع الحامل على مصطبة من اللبن وتأخذ القابلة دور الإلهة (ننتو) أو (أرورو) وهما صورتان من صور الإلهة الأم السومرية ننخرساج وتحضر الصورة الأخرى لها كمربية للأطفال في صورة الإلهة (كاتم دك).

أما طقس البناء (البيوت والقصور والمعابد) فقد كان يبدأ أيضاً بوضع أشياء كالتماثيل أو الحروز أو التمائم الطينية والحجرية في أساساتها لطرد الشرور، وكان رمز أو تمثال إلهة العين التي تطرد الشرور أيضاً يوضع على واجهات البيوت ومن رمز الإلهة سبيتو (المكون من سبع عيون) استمر تقليد وضع حجرة العيون السبع إلى يومنا هذا عند مداخل البيوت منعاً للحسد وسبيلاً لطرد الشر.

وهناك إشارات بسيطة لتقديم الأضاحي وخصوصاً عند بناء المعابد حيث كان بناؤها يعني حدثاً عظيماً وكان تهديم المعبد يعني إشارة شؤم.

أما طقوس الزواج السومري فيمكننا أن نقسمها إلى نوعين مختلفين تماماً: طقوس الزواج التقليدية للناس، وطقوس الزواج المقدس للملوك. إن طقوس الزواج التقليدية بين رجل وامرأة كانت تبدأ بتلاوة بعض العبارات المقدسة من قبل العروس بشكل خاص. أما الزواج فكان يؤدى بقسم الزواج ثم تزف الزوجة الزوج ويقوم الزوج برفع قلنسوة عروسته ويضعها على رأسه كدليل على احترامه لها. أما الزوجة فكان الكاهن يباركها بسكب الزيت على رأسها.

وكان من طقوس الزواج أن يقدم الزوج أو أهله بعض النذور والحاجيات الثمينة إلى المعبد. وفي يوم الزفاف تقدم وليمة فيها المأكولات التي جلبها العريس إلى بيت العروس وكان يقام بسكب الخمر على الأرض أو على جسد

الأضحيات تكريماً للآلهة، ويسمى هذا الطقس بالسكب أو (كرم Kirrum) وكانت الإلهة التي ترعى الزواج هي إشخارا.

أما طقوس الزواج المقدس التي كانت مخصصة للملوك فقد استمدت جذورها الميثولوجية من زواج (إنانا ودموزي) الذي تحدثنا عنه، فقد كان الملك يأخذ دور دموزي وكانت الكاهنة العليا تأخذ دور إنانا وكان ذلك يحصل مع بداية السنة السومرية في 21/آذار من كل عام.

وإذا كانت أعياد الأكيتو السومرية وأعياد الزكمك السومرية تتضمن أداء هذا الطقس الجماعي الكبير الذي يكون الملك والكاهنة مركزه الأساس فإن ذلك يجري وفق استعادة دورية منظمة لحدث أسطوريّ يعتقد أنه كان وراء إخصاب الطبيعة والنباتات والحيوانات ووراء تكاثر البشر وازدهار الحضارة.

ويبدو أنّ نشوء هذا الطقس السومري كان في مدينة أوروك مع ظهور الملك دموزي الذي أصبح قرين الإلهة إنانا ومنحته الألوهية فيما بعد، ولذلك ظل في الوجدان السومري هذا الطقس الذي يذكر بحادثة يصعب تكرارها (في الواقع) ويسهل تكرارها (في الاحتفال).

إن طقوس الزواج المقدس السومرية كانت هي السبب في إعادة تكريس الملوك السومريين كل عام. وقد اختلف الأمر عند البابليين عندما ظهرت طقوس أخرى مع هذا الطقس في رأس السنة مثل اختطاف مردوخ إلى العالم الأسفل والاعتراف الملكي للكاهن بخطاياه وغير ذلك. وكان الملك السومري بعد قيامه بمضاجعة الكاهنة العليا التي تمثل إنانا (وهي كاهنة على قدر كبير من الثقافة الدينية والأدبية) يقوم بسماع قرارات الإلهة إنانا على لسان الكاهنة. فعلى سبيل المثال نقتطف هذا المقطع من نشيد (مباركة شولجي الملك) وهو نشيد خاص بالزواج المقدس لهذا الملك السومري:

«سوف أكون دليلك في المعارك وحاملة

سلاحك في القتال

وبطلتك في مجمع الآلهة

وسوف أكون على الطرقات حاميتك!

أنت أيها الراعي المختار من أجل المسكن المقدس

والمواظب على تموين الإيانا

أنت الزينة الأكبر في معبد آن

أنت أهل لجميع (الاحتفاءات)

أنت خلقت لكي تستقر باعتزاز على

المنصة المجيدة

أنت خلقت لكي تثبت التاج على رأسك

أنت خلقت لتزين جسمك باللباس الفضفاض

أنت خلقت لكي تدثر بالرداء الملكي

أنت خلقت لتحمل الهراوة والسلاح

أنت خلقت لكي ترمي الهدف بسهم قوسك

أنت خلقت لكي تعلق إلى جنبك عصا – الرماية

والمقلاع

أنت خلقت لتمسك بيديك الصولجان الجليل

أنت خلقت لتنتعل في رجليك الصندل المقدس

أنت خلقت لتتسابق وتجعل مطيتك تعدو

أنت خلقت لكي تلتصق بقوة على حضني

الجميل مثل عجل فائق الثمن

فليعش طويلاً قلبك الرحيم». (الشواف 1996: 167).

مثل هذا المصير كان ينتظر كل ملوك سومر مع مطلع كل عام ليكون ثمرة الزواج المقدس الذي كان يشمل الملك والطبيعة والناس. وفي هذا السياق استمرت أعياد رأس السنة في العالم القديم بأكمله.

طقوس الأسكاتولوجيا (الموت)

أما شعائر الموت عند السومريين فكان لها شأن خاص، ذلك أنها تبلورت من إرث زاخر مرّت به الحضارات أو الثقافات العراقية القديمة الشمالية والجنوبية.

كانت أماكن الدفن عند السومريين تتراوح في دراجتها وأهميتها بين الدفن تحت أرضيات البيوت أو في القصور الملكية أو في المدافن الكبرى. وكان قبر البيت يسمى (كيماخ Ki. Makh) الذي يعني حرفيّاً الأرض العظيمة.

وكان الملوك يدفنون أول الأمر في القصور الملكية ثم ظهرت فكرة المقابر الملكية وأشهرها التي اكتشفت في أور. كان جثمان الميت يوضع في حصران تلف على جسد الميت وتثبت بدبابيس وكانت التوابيت الخشبية تستعمل لدفن الموتى في المقابر واستخدمت الجرار الفخارية وخصوصاً للأطفال الذين يوضعون فيها كما كان موضعهم في الرحم. واستعملت الجرار المزدوجة والسلال للدفن أيضاً.

أما القبور فكانت تنقسم بشكل أساسي إلى قبور العامة وقبور الملوك. كانت قبور العامة تتراوح بين القبور البسيطة المحفورة في الأرض وبعمق غير ثابت وهي الأكثر شيوعاً. والقبور المشيدة باللبن أو الآجر التي ظهرت منذ عصر العبيد ثم أريدو. والأقبية المعقودة والتي استعمل فيها الطين بلاطاً. (انظر حنون 1986: 233-236).

أما القبور الملكية فقد كانت شائعة، لكن ما عثر عليها تمثل القبور الملكية لبعض ملوك أور الثالثة والتي تعود إلى نهاية الألف الثالث ق. م.

وبشكل عام يتكون كل قبر من المقبرة الملكية لملوك أور قبل سلالة أور الأولى من أرضية واسعة فيها تابوت يحتوي على جثمان ملكي يوجد في

بعض الأحيان قربه ختم أسطواني يحمل اسمه. وهناك مجموعة من هياكل لرجال يبدو أنهم خدم الملك وهياكل لنساء يحمل بعضهن تاجاً من الذهب. وهناك عدد كبير من الأواني واللقى والخرز والأسرجة والتعاويذ والحلي الشخصية والخناجر. وقد يصل عدد الحاشية إلى حوالي 45 شخصاً. وهناك في بعض القبور عربات ملكية ربط إلى كل منها ثلاثة ثيران أو حمير مع حوذيها والسايس أمامها، وهناك قيثارات موسيقية... وغير ذلك. ويرى ليونارد وولي مكتشف المقبرة أنّ هذه المقبرة تشير إلى شعائر التضحية البشرية الجماعية عند وفاة الملك ودفن حاشيته معه. (انظرWoolley1965: 60).

أما أنطوان مورتغات فيرى أنّ هذه المقبرة تشير إلى شعائر الزواج المقدس في أور لكن هذا الرأي تنقصه الأدلة الكافية.

أما قبور ملوك أور الثالثة فلا تحتوي على جثث، بل على أختام ملكية وتماثيل صغيرة وهي أضرحة معقودة بالآجر وقد أقيمت فوق سراديب الدفن مزارات أو معابد جنائزية تحتوي على العديد من الغرف على غرار محطات المعابد المألوفة. وهذه القبور أشبه بالبيوت ولكنها مخصصة للدفن وليس للسكن.

كانت الشعائر الجنائزية السومرية تتضمن ثلاث وسائل لتهدئة روح الميت عن طريق (الطعام، والماء، والاسم).

كان طقس تقديم الطعام عن روح الميت يسمى (الكسبا) حيث تذبح الخراف ويقدم الزيت والعطور والبخور والنبيذ الأبيض والفاكهة.

طقس (ألمي نقو) هو طقس سكب الماء لإرواء ظمأ الميت وكان هذا يتمّ برش الماء على تراب الميت أو عن طريق أنبوب فخاريّ ينزل إلى القبر.

والطقس الثالث هو طقس (شومازكارو) أي (ذكر الاسم) حيث يتمّ تطمين روح الميت بذكر اسمه دائماً لإشعاره بأنه ما زال موجوداً بينهم أو بإطلاق اسمه على وليد جديد.

وكانت الشعائر الجنائزية تقام بعد شهر من وفاة الميت وفي اليوم الذي يختفي فيه القمر حيث تتجمع فيه أرواح الموتى ويقوم الأحياء بتقديم القرابين والشعائر.

أما الموعد السنوي لإقامة الشعائر الجنائزية فكان يحصل في بداية شهر آب حيث تقدم القرابين بصورة جماعية وترفع المشاعل لأرواح الموتى وتبلغ الاحتفالات ذروتها في اليوم التاسع من آب.

أما شعائر الحداد فكانت تؤدى من قبل أهل الميت بترك الشعر أشعث أو بنتفه والنواح بأصوات عالية واللطم على الوجه وإلقاء اليدين على الأرض وضربها وتمزيق الثياب.

وكان الكهنة المختصون (كالا – ماخ) و(كالا) و(كالا – تور) يؤدون طقوس الحزن بالعزف على الطبل والقيثارة وأداء الأناشيد والمراثي الحزينة.

3 – الطقوس الدورية

تعتبر الشعائر الدورية من أهم الشعائر الجماعية التي كانت تضع الجماعة في حزمه طقسية مغلقة بإيقاع روحي واحد. كان مجتمع المدن السومرية يستعيد في هذه الشعائر دوريّاً زمان ومكان الخلق الأول. وتكمن أهمية هذه الشعائر في كونها الذاكرة الدينية المرتبطة بتلك الأزمان المثالية أو الميثولوجية فهي إذ تتقاطع مع التاريخ الساري المتراتب فإنما تخلق لنفسها زمناً مطلقاً وشعوراً لانهائيّاً بالحياة والوجود. وتستند هذه الأعياد أو الاحتفالات أو الشعائر إلى فكرة العود الأبدي حيث تتمّ العودة الدورية (أسبوعية أو شهرية أو فصلية أو سنوية) إلى الزمن الأول زمن تحول الوجود من صورته العمائية الكاؤوسية إلى شكله الكوزموسي المفصل من النسيج اللامتميز Undiffrintiated Tissue إلى الأنسجة المميزة.

إن هذا الحنين العميق عند الإنسان للعودة الدائمة إلى زمن ميثي أو بدئي مثل زمن الخلق الأول أو الطفولة أو الصبا يحمل دائماً معنى العود الأبدي بصورة مختلفة.

وتنقسم الأعياد والشعائر السومرية إلى ثلاثة أعياد أساسية هي:

1 – عيد نهاية الأسبوع (عيد إش إش): وكان هذا العيد مرتبطاً بالقمر، فقد اتخذ السومريون من القمر أساساً لتقويمهم لأنهم وجدوه متغيراً يمكن ضبط أيامهم على ضوء مراحله وكانت الشمس في نظرهم ثابتة الشروق والغروب.

قسم السومريون الشهر القمريّ إلى أربعة أسابيع يبدأ الأول مع ظهور الهلال والثاني مع نصف البدر والثالث مع البدر مكتملاً والرابع مع نصف البدر الغارب حتى تحوله إلى هلال غارب. وكانوا يحتفلون في نهاية كل أسبوع باكتمال مرحلة من مراحل القمر بما نسميه اليوم عطلة نهاية الأسبوع. و(عيد إش إش) وكان يوم السبت هو يوم الاحتفال والعطلة من العمل. أما نهاية الشهر القمري بعد غياب الهلال فكان السومريون يحتفلون أيضاً حزناً على مهاجمة القمر من قبل شياطين العالم الأسفل واقتياده إلى هناك لمدة يومين أو ثلاثة أيام كان السومريون خلالها يقدمون القرابين والأضاحي لكي يعود القمر مع بداية شهر جديد.

كانت هذه الأعياد تشير إلى ولادة جديدة للقمر هو ما يقع في صلب فكرة العود الأبدي الذي كان الموت فيها يعني ولادة جديدة.

2 – عيد زكمك (ka-Zag-muk): ويسمى بالسومرية عيد (زاموء Za-mua) وهو عيد رأس السنة السومرية الذي كان يحتفل به السومريون مرتين.

ونعتقد أنّ كلمة (شرو Shurru) البابلية التي تشير إلى شهر تشريت Tishrit الذي كان يجري فيه احتفال الأكيتو الثاني في الاعتدال الخريفي، حيث شرو تشير إلى الشروع أو البدء.

وكان عيد (زامو) يقام مرتين في السنة، الأول مع الاعتدال الربيعي الذي كان يبدأ في 21 آذار (وهي بداية السنة السومرية) حيث كان يتمّ استذكار زواج إنانا ودموزي من خلال شعائر الزواج المقدس الذي كان بطله الملك (ممثل دموزي) والكاهنة العليا (ممثلة إنانا) وكان عيداً قاصفاً تسفح فيه الخمور وتسيطر عليه روح الربيع والخضرة.

أما عيد (زامو) الثاني فكان يقام في منتصف السنة السومرية (21 أيلول) وهو عيد البذار وصفرة الأشجار حيث الاعتدال الخريفي ومثلما تبذر فيه الحبوب فإن جثة دموزي تدفن وتقام طقوس الحزن والحداد الجماعي.

3 – عيد الأكيتو Akitu: في أواخر العصر السومري الحديث (سلالة أور الثالثة) أطلق السومريون (وقبلهم الأكديون) على عيد الزامو الأول اسم (أكيتو). ومع نهاية السومريين السياسية اضمحل تدريجيّاً عيد الزامو الثاني. وأصبح عيد الأكيتو عند البابليين هو العيد الرئيس لرأس السنة (رغم أنّ هناك ما يشير لإقامة عيدين ربيعي وخريفي).

احتفالات عيد الأكيتو

http://sumer2sargon. blogspot. nl/p/history. Html

وكان عيد الأكيتو يحمل جذوراً نيوليتية بعيدة من سامراء كما يشير طبق الفخار الذي يحمل صور أربع نساء ينثرن شعورهن بأربعة اتجاهات ليكون علامة الصليب المعقوف (السواستيكا). الذي كان يشير إلى الخصب. كانت هذه الرقصة تحمل معنى استنزال المطر. (انظر النعيمي 1990: 114-115).

كان هذا العيد يؤدى في بداية أمره للإلهة إنانا ودموزي حيث يتمّ تقديم الضحايا لإنانا في اليوم الحادي عشر من شهر أكيتو السومري. وبسبب من

ظهور أور عاصمة للسومريين تحول الاحتفال تدريجيّاً ليكون معبراً عن الإله نانا (سين) وزوجته ننكال. ولأن نانا كان يختفي لثلاثة أيام في نهاية الشهر. فإن هذا التقليد استمر مع الإله مردوخ عندما أصبح العيد بابليّاً حيث يتمّ اختطاف مردوخ إلى العالم الأسفل فتختل موازين الكون والمجتمع حتى يقوم ابنه الإله نبو بتخليصه من العالم الأسفل.

ويشير وعاء صخريّ منقوش (2500-2700) ق. م إلى مجموعة من الرموز والإيحاءات المترابطة كالماء والثيران والأفاعي والنباتات التي دلّت عند بعض الباحثين على أنها نوع من طقوس استنزال المطر، حيث يظهر على جانبي الوعاء رجلان (وربما امرأتان!) يرتديان تنورة مشبكة كانت تشير إلى دموزي وكهنته، أحدهما يمسك فيها ثعبانين واقفين على أسدين وتظهر النجمة السداسية أمام وجهه. والآخر يمسك تيارين متدفقين من الماء وأمامه ثور وهناك نباتات. وتظهر النجمة السداسية أمامه وفوقها هلال. وهناك قطعة حجرية من معبد الإله سين في تل أسمر تحمل ما يشبه هذه الرموز. وربما دلّت المرأتان على الإلهتين إنانا وأرشكيكال.

إن رموز استنزال المطر سواء كانت في الأكيتو أو وحدها كانت طقوساً معروفة في جنوب العراق رغم اعتقادنا أنها انحسرت أو دمجت في طقوس أكبر عبر عنها عيد الأكيتو بشكل واضح.

4 – عيد إيزنماخ (Ezen-mah): أي العيد الكبير الذي ذكرته بعض الرقم السومرية وكان يختلط أحياناً مع العيد الربيعي.

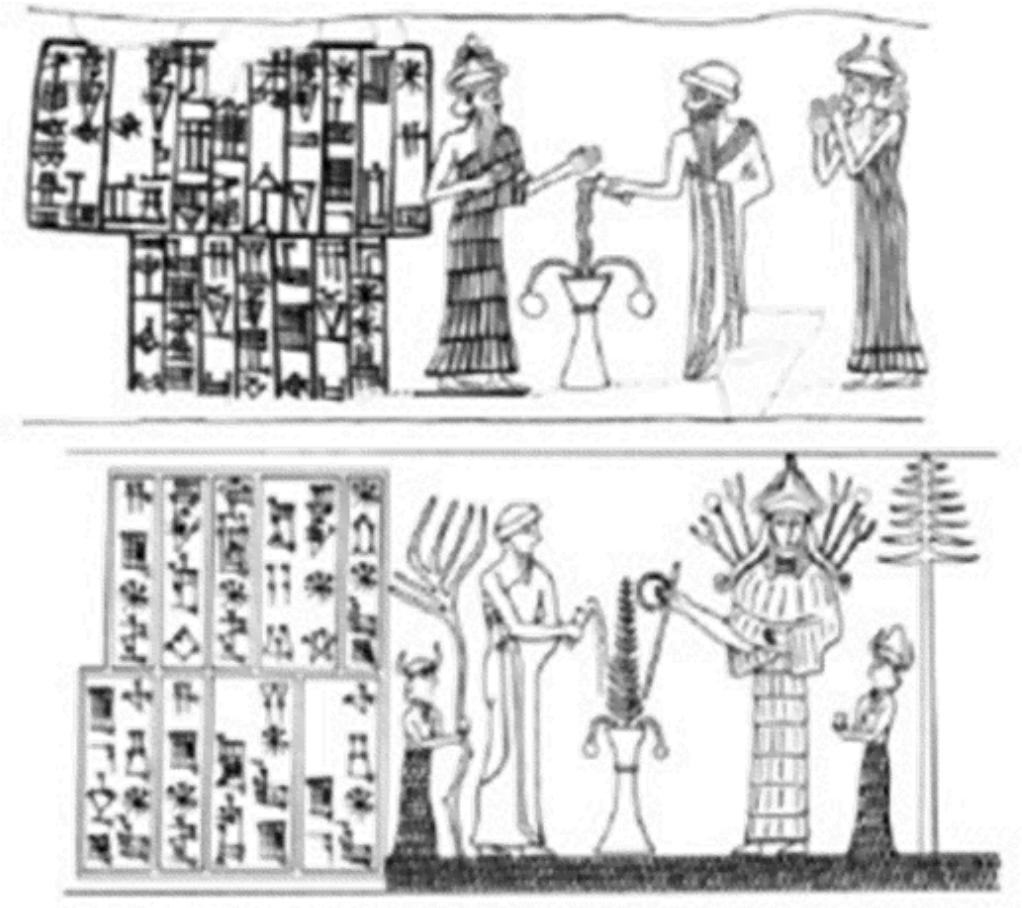

طقوس إراقة السوائل

(Baker et. al 2010, SUTER—BASEL:338)

رابعاً: الآخرويات السومرية

1. موت الآلهة Tho- Eschatology

أ. الموت الدائمي للآلهة

كان قتل الآلهة أمراً نادر الحدوث في الأساطير العراقية القديمة. وقد تبيّن لنا أنّ قتل هذه الآلهة يحصل بمرافقة شرطين أساسين: أولهما أنّ هذا القتل يحصل من أجل خلق جديد للكون أو للآلهة أو للإنسان، وثانيهما أنّ مادة

أجساد هذه الآلهة لا تفنى وتنتهي، بل تكون مادة أولية للكون أو الآلهة الجديدة أو الإنسان. وهذا يعني موت روحها وبقاء جسدها في كيان جديد.

ب. الموت المؤقت للآلهة

رغم أنّ العالم الأسفل هو عالم الموت، إلّا أنه جزء من الكون الذي خلقته الآلهة، والذي يجب أن تفرض عليه حكمها وسيطرتها. وهناك آراء تقول إن العالم الأسفل ما هو إلّا الشكل اللاحق لعالم الآلهة الميتة المقتولة القديمة (مثل تيامت وأبسو)، والتي تحولت بفعل الزمن إلى عوامل شريرة، ظهرت منها الأمراض والكوارث، بل والموت، لكن الآلهة الجديدة لا بدّ من أن تحكم هذا العالم، وإلّا انفجر عليها بالموت في أيّ وقت.

2. موت الكون Cosmo Eschatology

تعتبر أسطورة الطوفان السومرية واحدة من أهم الأساطير القديمة، لأنها كانت الأساس الذي بنيت عليه أساطير الطوفان البابلية والقديمة بأسرها... إذ يندر أن تكون هناك أمة قديمة ليس في تاريخها الروحي طوفان شامل وكبير.

وقد وصلنا من مدينة (نفر) رقيم واحد، نشر لأول مرة من قبل الباحث بوبل (انظرPobel 1914). ولم يكن بحالة سليمة؛ حيث كانت الأسطر السبعة والثلاثون الأولى مهشمة، يأتي بعدها ما يشير إلى أنّ أحد الآلهة (ربما إنكي) وهو يريد إنقاذ البشرية من الدمار. ثم يتطرق النص إلى خلق الإنسان على أيدي الآلهة آن وإنليل وننخرساج، ثم فجوة، ثم نزول الملكية من السماء إلى الأرض، وتوزيع السلطات بين الآلهة، ليحكم كل إله في مدينة معينة.

3. موت الإنسان Anthropo-Eschatology

الآلهة خالدة والإنسان ميت... هذه هي القاعدة الأساسية في الدين السومري، فقد وجدت الآلهة لتعيش إلى الأبد وتضبط مصائر الوجود والعالم والإنسان، وهي الموجود الرئيس في الكون والحالّة في كل زاوية فيه. أما الإنسان فإنه ثانوي على سطح الأرض كجسد وروح مندمجين وكروح محبوسة

تحت الأرض بعد الموت. فمكان الإنسان في الكون محدود للغاية، أما الآلهة فلها كل أمكنة الكون حتى الأرض وما تحتها. وكان الطوفان أحد أهم أشكال الموت السومري الجماعي.

القسم الثاني: المكونات الثانوية للدين السومري

شريعة أوركاجينا

http://sumerianshakespeare. com/70701/79201. html

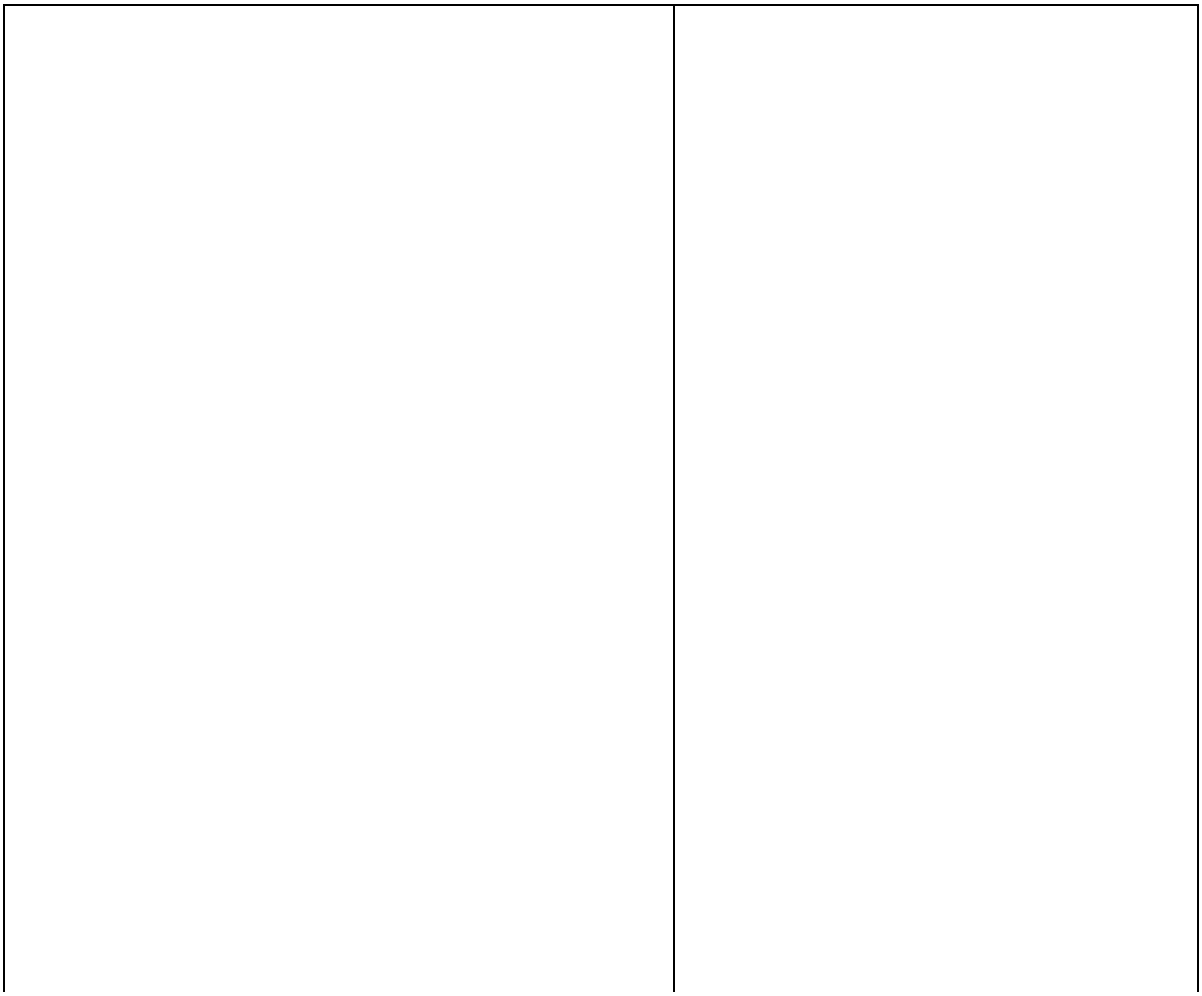

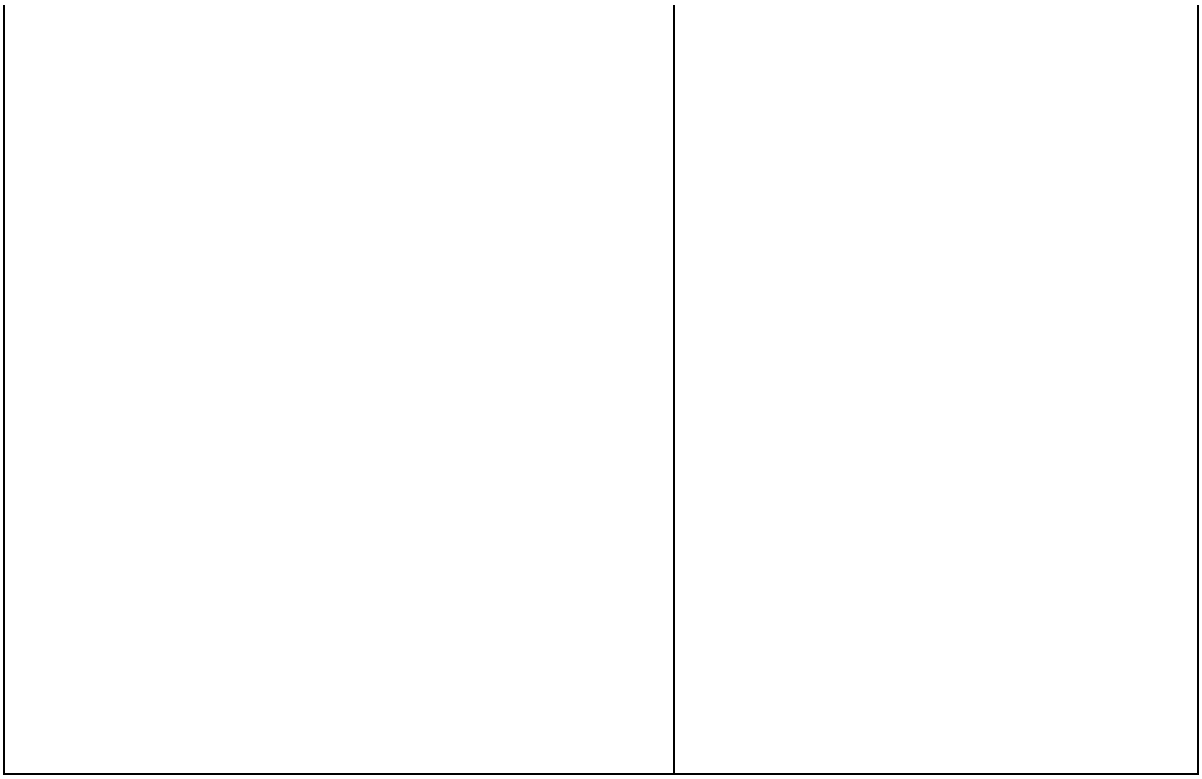

يظهر أبكالو بورادو الأسماك إلى يسار الشجرة المقدسة، مع اثنين من الأسماك البشرية مثل (كولولو(kullulu)

Mermanحورية، وحوريّ (حور عين) Mermaid

https://therealsamizdat. com/tag/sumeria/

نقش على إناء من تل أسمر تظهر فيه إنانا وأرشكيكال، وعلى اليمين يهاجم الأسد الثور(2700 ق. م)

http://www. gailallen. com/rel/langkjer/1-03. Html

الفصل العاشر
المظهر الثقافي للحضارة السومرية

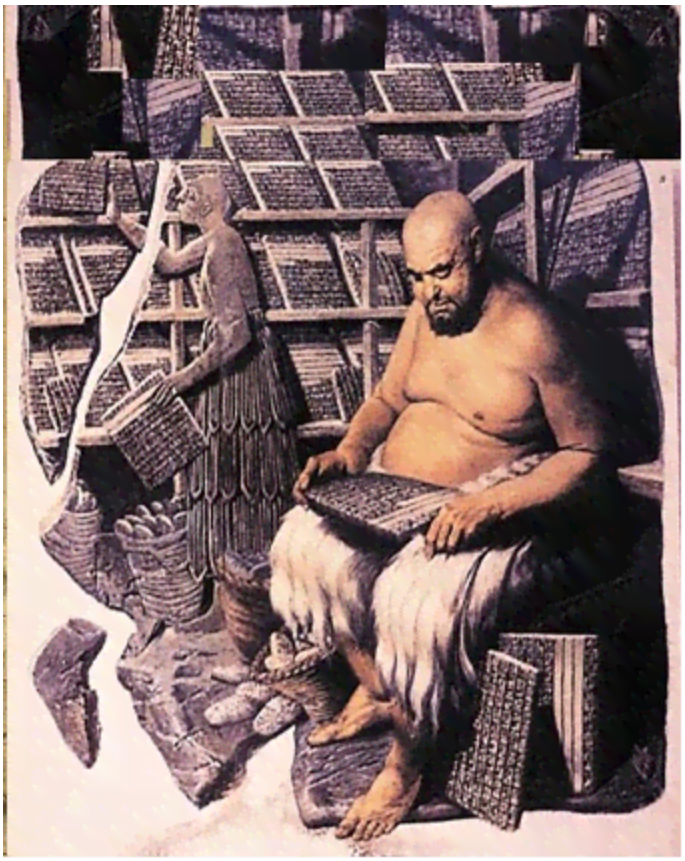

دودو الكاتب السومري (رسم حديث عن صورة حقيقية لدودو)

http://xenohistorian. faithweb. com/neareast/ne01. Html

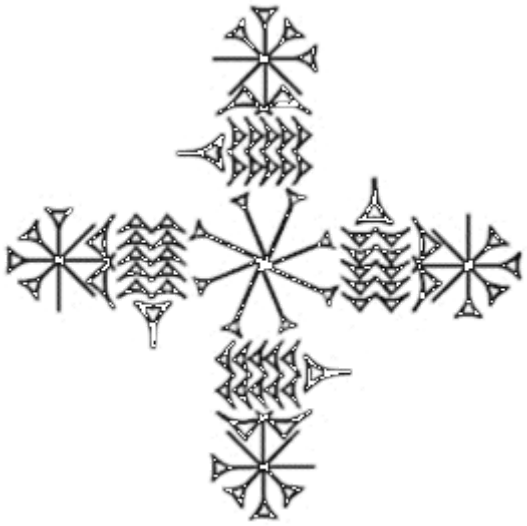

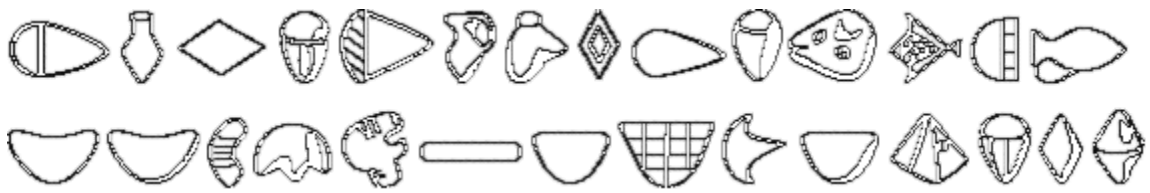

رقيم طيني لكتابة صورية (بكتوغراف) سومري مبكر حوالي عام 3100 ق. م

http://whenintime. com/EventDetails. aspx?e=cf1a34b8-6718-4cf3-b6e9-3b58de79b0f7&t=/tl/thecoolest/the_history_of_graphic_designs/

رسوم كريات الطين الرمزية مرسومة على ألواح الطين

http://web. me. com/kbolman/Mesopotamia/Sumerian_Plaques. html

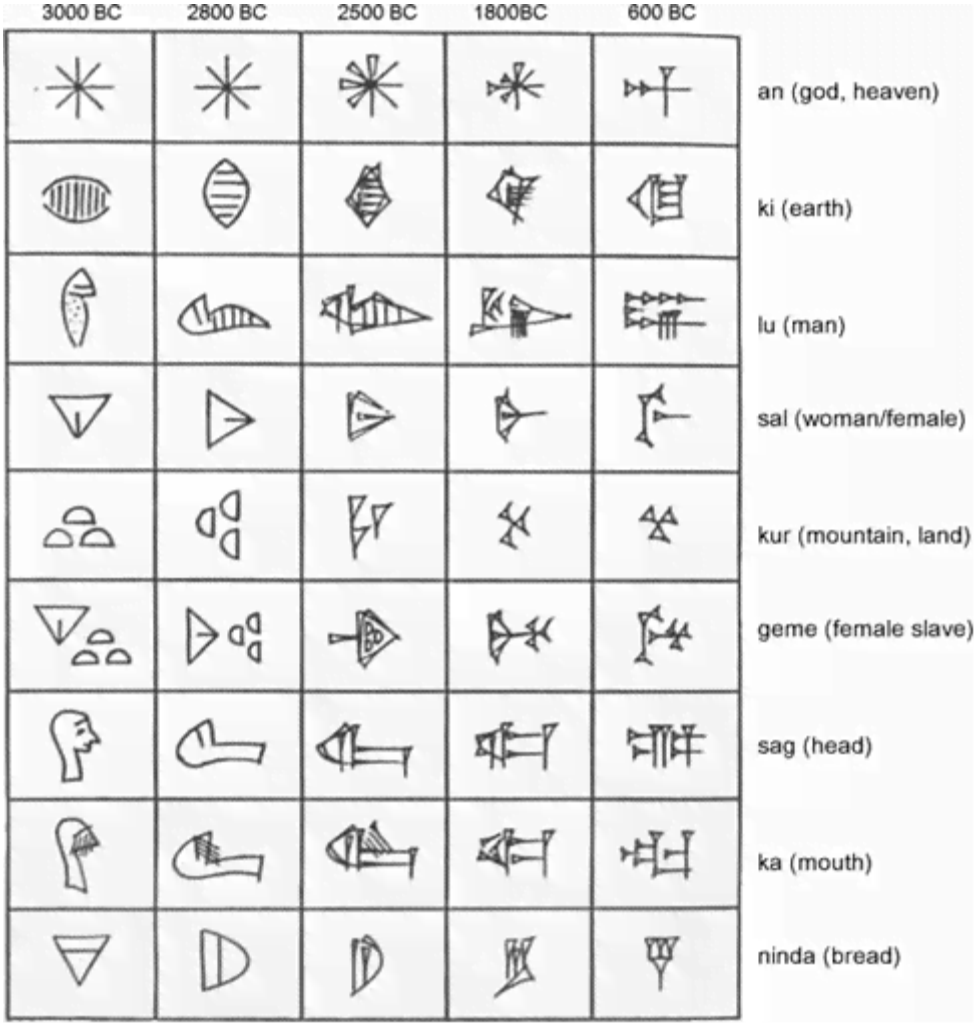

Source: http://pandora. cii. wwu. tmHedu/vajda/ling201/writingsystems/sumeriancuneiform.

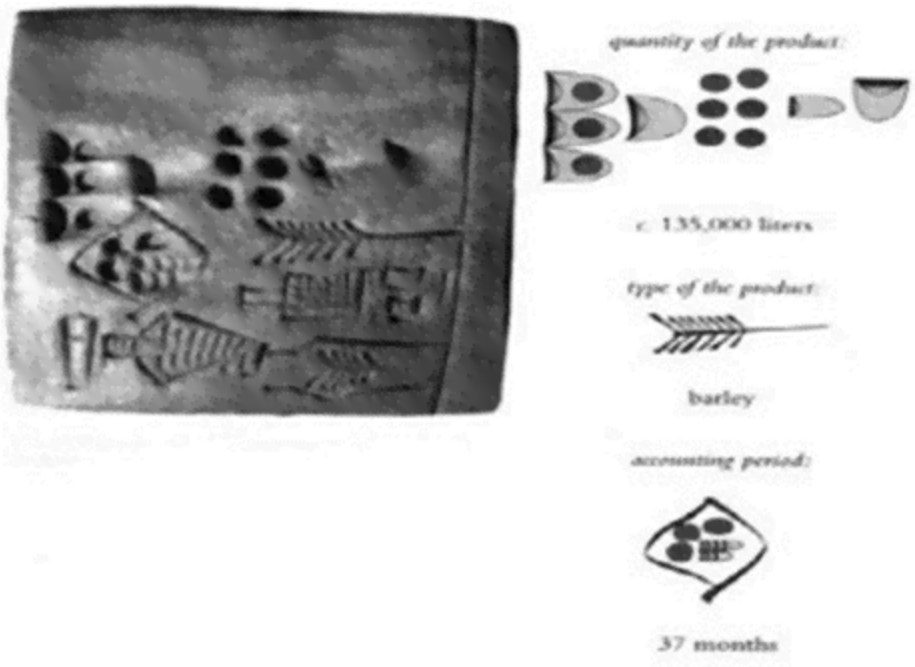

جمل صورية

http://www. ling. upenn. edu/courses/Fall_2003/ling001/reading_writing. Html

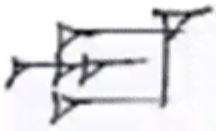

محراث = apin = ʾᵉpinnu = محراثة

حراثة = uru₄ = ereš̃u = حرث

حرث = ereš̃u

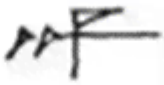

إله = إلُ = an = dingir = ilu

سماء = شَمْ = šamû

الإله آنو = آنُ = Anu

عالٍ = إلِش = eliš̃

يوم = أومُ = UD = ūmu

أبيض = بِصْ = pisû

الإله الشمس = شَمَش = ʿŠamaš

شمسٌ = šamšu

فم + ماء = سقي / شرب = = nag = šaqû

فم + خبز = اكل = = kú = akālu

العلامة المسمارية	لفظها بالإنجليزية	لفظها بالعربية	معناها السومري	مثال مسماري	معناه
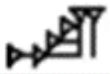	kush	كوش	جلد	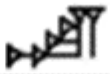	جلد
	DINGIR		إله	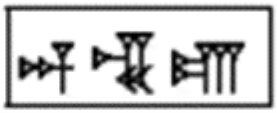	الإله إنليل سيد الهواء
	URU	أورو	مدينة	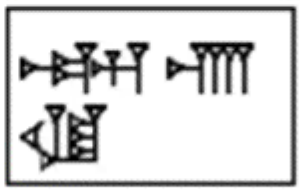	أورو نون كي مدينة أريدو
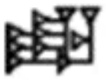	SAR	سار	نبات، عشب	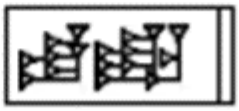	سار شومو ثوم

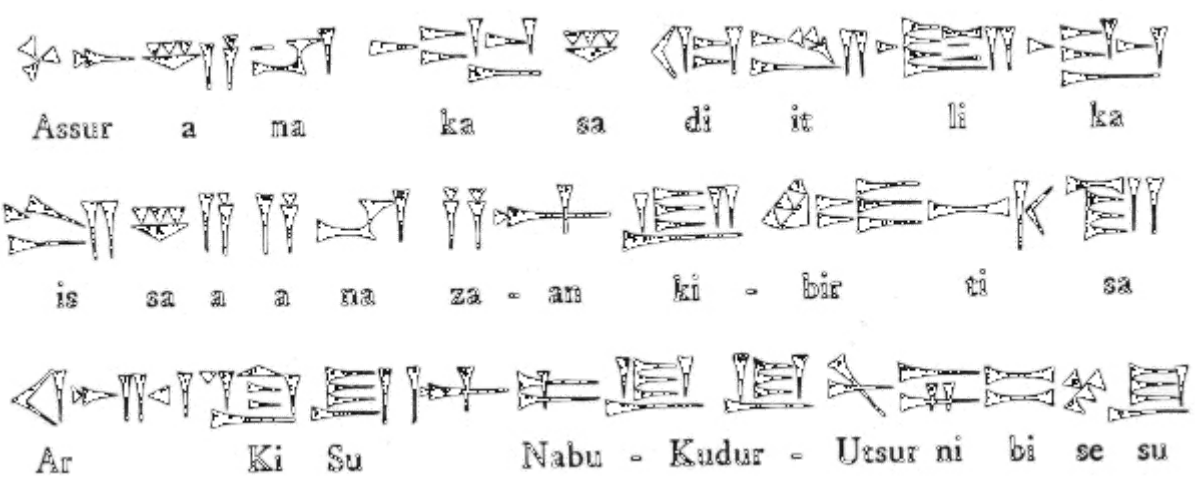

سيلابوغراف

http://www. cyberwitchcraft. com/astrology-historyp1. Html

جدول بطريقة كتابة الأسماء: لاحظ كيف يكتب اسم أورنمّو من ثلاثة مقاطع (أور، إلهة، نمّو) وهو يعني حرفيّاً (أور مدينة الإلهة نمّو)

http://rossbender. org/dingirs. html

كيفية الكتابة على لوح الطين بالقصبة المثلثة الرأس

http://anthrocentric. tumblr. com/post/52581087731/worldofmesopotamia-the-cuneiform-script-is-the

ت	المقطع البدئي الدال على:	كتابته بالحروف العربية	كتابته بالحروف اللاتينية	علامته المسمارية
1	الحمار، الحصان	أنس	ance	
2	الإله	د (دنجر)	d	
3	الأواني	دوج	dug	
4	البنايات والحرف	إي	e2	
5	أسماء النساء والمهن النسائية	ف	f	
6	السلع المصنوعة من القصب	جي	gi	
7	الأبقار	جود	gud	
8	الخشب	يك	jic	
9	أسماء الأنهار	إد	id2	
10	بعد مقاييس السطح	إيكو	iku	

11	المواد المصنوعة من الطين	إم	im	
12	الكحوليات	كاك	kac	
13	بعد أسماء الأماكن	كي	ki	
14	الأسماك	كو	ku6	
15	الجبال والبلدان	كور	kur	
16	الجلود	كوك، كوش	kuc	
17	أسماء الرجال والمهن الرجالية	لو	lu2	
18	أسماء الرجال	م	m	
19	المصنوعات الخشبية (بلغة ايميسال)	مو	mu	
20	بعد أسماء الطيور	موسين	mucen	
21	الكواكب	مول	mul	
22	الصخور	نا	na4	
23	الخبز والمعجنات	نندا	ninda	
24	المواد المضفورة	سا	sa	
25	الخضروات	سار	sar	
26	الخنازير	كاخ	cah2	

27	الملابس	توج	tug2	
28	الرياح	توم	tum9	
29	النباتات	يو	u2	
30	الأغنام والماعز	أودو	udu	
31	البرونز والنحاس	أورود	urud	
32	أجزاء الجسد	أوزو	uzu	
33	البرونز	زَبار	zabar	

قائمة العلامات الدالة: الجدول من وضع المؤلف استناداً إلى القاموس المسماريّ السومري

(sumeriancuneiformdictionary)

كانت العلامات المسمارية في البداية حوالي 2000 علامة، ثم اختصرت في منتصف الألف الثالث قبل الميلاد إلى 800 علامة، ثم اختصرت بعد قرن ونصف إلى 600 علامة ثم إلى 500 مع بداية الألف الثاني قبل الميلاد.

«وفما يخص اتجاه الخط المسماريّ فهو يبدأ من اليسار وينتهي عند اليمين، كما يفضل الكتبة أن تكون سطورهم في الرقم الكبيرة قصيرة لا تمتد على عرض الرقيم، ولذا فهم يسعون في كتابة مثل هذه الرقم إلى أن يقسموها، أولاً، إلى حقول عمودية ليدونوا سطورهم ضمن هذه الحقول». (رشيد 2009: 17).

ويعتبر قاموس أورّاهبولّو أول قاموس في التاريخ يعود لسنة 2300 ق. م اكتشف في إبلا السورية وهو يحتوي على معجم كبير باللغتين السومرية

والأكدية كما في الشكل إلى اليمين.

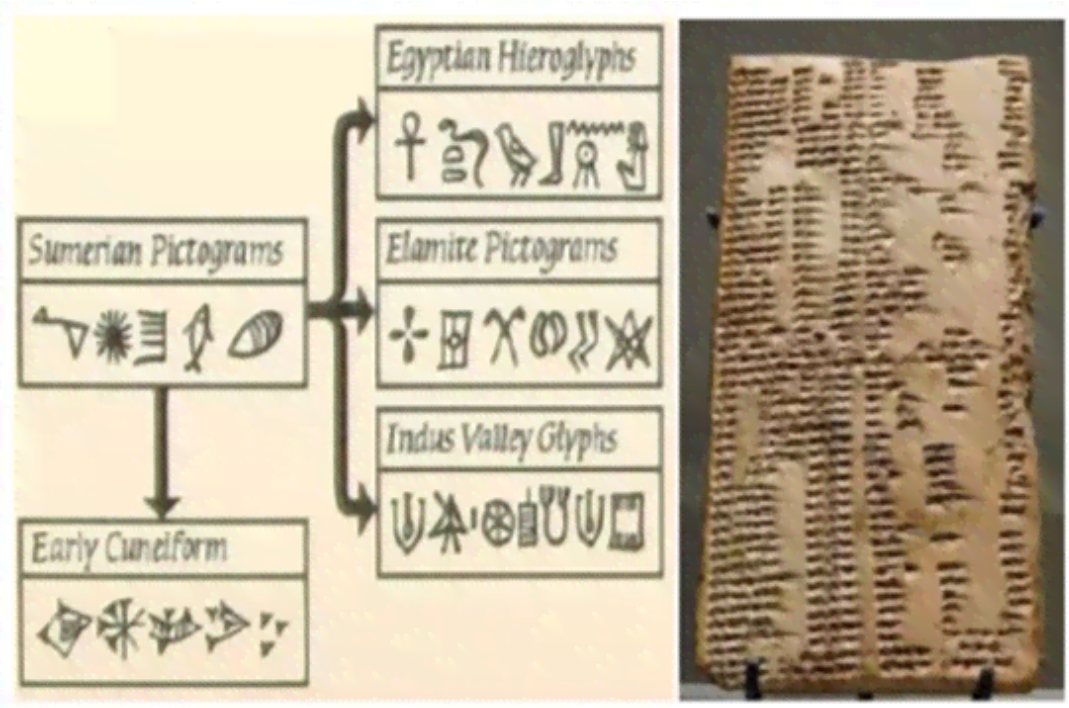

من الكتابة المسمارية العراقية، تفرعت الكتابات القديمة المصرية والعيلامية(الأحوازية) والهندية

http://www. mesopot. com/old/adad5/7. Htm

2. تاريخ اكتشاف الكتابة المسمارية

1621: الرحالة الإيطالي بيترو ديلا فالي: أول من أولى الكتابات المسمارية اهتماماً.

1765: الرحالة الألماني نيبور: استنسخ كتابات مدينة برسي بوليس المسمارية ونشرها.

1798: تايتثن: أوضح دور العلامات المسمارية وأعدادها في تلك الكتابات.

1802: مونتير: قال بأن هذه ثلاثة نصوص وأحدهما هو فارسي.

1802: فردريك جروتنفيد: فك رموز الخط المسماريّ وألقى محاضرة بذلك.

1835: هنري رولنسون: حلّ الرموز الأخرى في الكتابات المسمارية.

1850: أوبرت، تالبوت، مينانت، سهيرادر: وضعوا أسس فك رموز اللغة البابلية والآشورية.

شرادر، ديلج: وضعا قواعد اللغة البابلية والآشورية وقاموساً لها.

لفت انتباهنا ونحن نتصفح في تاريخ اللغة الصينية أنّ هناك حروفاً صينية قد ظهرت في الكتابة اليابانية اسمها (كانجي Kanji) وهذه الكلمة تُذكّر باسم شعب سومر ولغته (كينجي، كينجير)، وكانجي هي طريقة كتابة صينية تستخدم في نظام الكتابة الياباني. يتمّ استخدامها جنباً إلى جنب مع البرامج النصية اليابانية هيراغانا وكاتاكانا. المصطلح الياباني كانجي للأحرف الصينية يعني حرفيّاً «حروف الهان». هو مكتوب بالحروف نفسها في اللغة الصينية للإشارة إلى نظام كتابة الحروف المسمى (هانزي).

جاءت الأحرف الصينية أولاً إلى اليابان على الأختام الرسمية والرسائل والسيوف والعملات والمرايا وغيرها من العناصر الزخرفية المستوردة من الصين. أول مثال معروف لمثل هذا الاستيراد كان ختم الملك نانا الذي قدمه الإمبراطور جوانجو من هان إلى مبعوث ياماتو عام 57 ميلادي، وقد عثر على العملات الصينية المنقوشة بالحروف والعائدة للقرن الميلادي الأول في المواقع الأثرية في فترة ياوي.

في العصور القديمة كانت حروف كانجي ترسم بعناية على ورقة نادرة للغاية على شرائح رقيقة مستطيلة من الخشب. تمّ استخدام هذه الألواح الخشبية للتواصل بين المكاتب الحكومية، وعلامات البضائع المنقولة بين مختلف البلدان، وممارسة الكتابة. أقدم كانجي المكتوبة في اليابان التي اكتشفت حتى الآن كانت مكتوبة بالحبر على الخشب كشريط خشبي يرجع تاريخه إلى القرن السابع. إنه سجل لتداول القماش والملح.

«أقرب استخدام موثق استخدم المسمارية المتطورة من الرموز لكتابة لغته كان استخدامه لكتابة السومرية حوالي 3100 ق. م. اليابانيون في العصر الحديث يستخدمون حروف كانجي الصينية المستعارة من اللغة الصينية (الإيجوجرافية) كأساس لتقليص الكتابة اليابانية، وبالمثل، تستخدم الرموز المقطعية (هيروجاما) اختراعاً يابانيّاً مستقلّاً لتكييف النص الصيني مع هيكل اللغة التي كان كينجي غير مناسب لها». (Helaine 2008: 464)

إشارتنا هذه لا تتضمن تصوراً خاصة للعلاقة بين اللغتين والكتابتين الصينية والسومرية، لكن تشابه الاسمين لفت انتباهنا، وكذلك تشابه شكل كتابة المقاطع في الكتابتين!!

ثالثاً: الأدب السومري

يمكننا القول إن أول أدب بشريّ ظهر في التاريخ هو الأدب السومري وبرغم وفرة نصوصه المحققة والمترجمة الحالية إلّا أنّ هناك مئات الآلاف من الرقم السومرية التي ما زالت تنتظر الفحص والتدقيق والترجمة. ويمكننا القول إن ظهور أقدم نصين أدبيين في سومر والعالم كان حوالي 2600 ق. م وهما نصان من (مدينة شروباك والتي تسمى حاليّاً أبو صلابيخ) وهما:

1. نص شروباك (تعاليم الملك شروباك بن أوبار توتو إلى ابنه الذي سيكون زيوسيدرا بطل الطوفان).

2. نص معبد كيش (ترنيمة أو قداس إلى الإلهة ننتود حول أسطورة خلق رجل وامرأة).

وتأتي أهمية هذا الأدب ليس من أولويته التاريخية فحسب، بل ومن المادة الأدبية والمضامين الكبرى التي عالجها هذا الأدب، فقد تناول المشكلات الكبرى للإنسان كالخلق والموت والمصير والعالم الآخر والحب والجمال والجنس والتفاصيل اليومية وغيرها. وقد كانت هناك أجناس وأنواع أدبية مهمة أتى على ذكرها السومريون كنوعٍ من الاصطلاحات الأدبية والفنية.

يقترب عدد الألواح السومرية المعروفة الخاصة بالأدب من 5000 لوح سومري عثر عليها في مواقع مختلفة إضافة إلى النسخ السومرية التي احتوتها مكتبة آشور بانيبال.

ويرى صموئيل نوح كريمر أنّ هناك ما يقرب من 5000 لوح تضم 20000 بيت شعريّ دوّن عليها الأدب السومري (20 أسطورة و9 ملاحم و100 ترتيلة وأنشودة و20 قصيدة وجدانية و20 مرثية) أي إن مجموعها هو (169) نصّاً أدبيّاً (دينيّاً ودنيويّاً). وهذا هو عددها التقريبي حتى منتصف القرن العشرين تقريباً، أما الآن فقد تضاعف هذا العدد. لكن كريمر لم يفصّل في تصنيفها الدقيق وذكر تصنيفاً عامّاً لها. ويعني ذلك أنّ أكثر من ضعف النصوص التي حددها كريمر قد أضيف لها منذ ذلك التاريخ الذي أعلن كريمر إحصائيته.

قامت، مؤخراً، جماعة نصوص الأدب السومري (ETCSL) بالنشر على موقعها الإلكتروني (ox. ac. uk .etcsl. orint) ما يقارب من (400) نص أدبي سومري ووضعوا لها تصنيفاً مناسباً.

تكمن أهمية الأدب السومري في عفويته وفطريته وفي أنه يشكل النضح الروحي والجمالي للشعب السومري عبر أزمان طويلة، إذ لم يكتبه شاعر واحد أو مؤلف واحد ولم يكتبه أدباء محترفون، بل دوّنه الكهنة والعارفون بالكتابة من أفواه الناس ومن أغانيهم وصلواتهم وأحزانهم وحكايات لياليهم.

ثم إنه أدب أصيل لم يسبقه أدب قبله، ربما كانت هناك نصوص شفاهية هنا وهناك لكن استقرار وصياغة الأدب السومري عن طريق الكتابة المسمارية التي استقر، هي الأخرى، استخدامها الأدبي بعد ما يقرب من 700 سنة على اختراعها من قبل السومريين أنفسهم لأول مرة في التاريخ، ولذا يختلف هذا الأدب عن الأدب الإغريقي مثلاً الذي كتبه أدباء كبار مثل هوميروس وهسيود والمسرحيون العظام (أسخيلوس وسفوكليس ويوربيدس وأرستوفانس وغيرهم) لأن الأدب، في كثير من الأحيان، يفسد العفوية ويصوغها بتحذلق بلاغي مفتعل، في حين يكون الأدب العفوي حاملاً لبلاغةٍ سرية عميقة ومؤثرة.

انتشر الأدب السومري في محيطه الرافديني أولاً فترجمه وقلّده الأكديون وأضاف له البابليون الكثير. أما الآشوريون فكانوا أقل اهتماماً بالأدب.

ثم انتشر في محيطه الخارجي حيث ترجمه الحيثيون والكنعانيون والآراميون والعبريون، وكذلك ظهر الأدب السومري في مصر وربما كان سبباً هامّاً في ظهور الأدب المصريّ القديم.

ولا نشك مطلقاً أنّ الأدب السومري كان نواة العالم القديم كله فقد تأثرت به، بطريقة أو بأخرى، الآداب الإيرانية والهندية والصينية والإغريقية وهو ما يفسر اللقاءات العامة في بنية الأساطير والملاحم وسياق الأغاني والمراثي لشعوب العالم القديم.

1. تاريخ الأدب السومري

يمكننا تقسيم تاريخ الأدب السومري إلى أربع مراحل أساسية وهي:

1. الأدب السومري القديم (2500-2350)ق. م

وهو الأدب الأول الذي ظهر بعد اختراع الكتابة المسمارية بحوالي ستة أو سبعة قرون حين أصبحت هذه الكتابة قادرة على استيعاب المشاعر والمجردات بعد أن كانت في بدايتها نفعية اقتصادية مباشرة، وينتهي عند استيلاء الأكديين على بلاد وادي الرافدين.

2. الأدب السومري الوسيط (2350 - 2113) ق. م

وهو الأدب الذي ظهر أثناء الحكم الأكدي في المدن السومرية الحاضنة له ويمتد إلى الاحتلال الكوتي ونهايته على يد السومريين وبداية حكم أسرة أور الثالثة، وتمتاز نصوص لجش بأهمية فائقة في هذه المرحلة.

3. الأدب السومري الحديث (2113 - 2006) ق. م

وهو الأدب الذي ظهر خلال ما يقرب من قرن واحد إبان حكم الدولة السومرية الحديثة (أور الثالثة)، وهو أدب غزير.

4. الأدب السومري المتأخر (2006 - 1000) ق. م

ويشمل الأدب السومري الذي كتب بعد سقوط الدولة السومرية الحديثة في 2006 ق. م حيث ظلت بقايا الشعب السومري أو من تأثر به يكتب هذا الأدب.

لا يمكننا من الناحيتين النظرية والعملية ونحن ندرس الأدب الذي خلّفته الأقوام القديمة أن نفصل تماماً بين النصوص الدينية والنصوص الأدبية فهي متداخلة متشابكة، لكننا لا نؤيد الفكرة التي تقول بأن جميع النصوص الأدبية والدينية نشأت وتطورت في المعبد. إن النصوص الدينية الطقسية السومرية والبابلية نشأت وتطورت في المعبد وقام بإشاعتها وترديدها، بين الناس، كهنة متخصصون يطلق عليهم اسم الكالا (Gala). أما النصوص الأدبية فقد نشأت وتطورت في المدرسة وقام بإنشائها وإشاعتها مغنون يطلق عليهم اسم النار (Nar) وهم من المغنين والمغنيات المرتبطين بالموسيقى الدنيوية سواء في القصر أو بين الناس.

الأدب العراقي القديم (الرافديني)	
أدب النار (الدنيوي)	أدب الكالا (الديني)
2. الأدب الملحمي ملحمة كلكامش، القصص، سير الأبطال والملوك	1. الأدب الأسطوري أساطير(التكوين، العمران، الخراب، الموت)
2. الأدب الحواري البلبال، الأدمندوكا، الجدل	2. الأدب الطقسي نصوص الطقوس الدينية
3. الأدب الغنائي الشعر، المدائح، المراثي، الأضاحي، الغزل	3. الأدب الروحي الصلوات والتراتيل، الأدعية، الأقوال الإلهية الأناشيد،
4. الأدب الأخلاقي 1. الأمثال ححح- 2. نصوص السخرية والفكاهة والحيوان خخخ- 3. الوصايا ددد- 4. نصوص الحكمة	4. الأدب السحري 1. التعاويذ والتمائم والرقى زززـ 2. نصوص التنبؤات والفأل سسس- 3. نصوص الحلم وتفسيره ششش- 4. نصوص الشفاء

يمكننا من الناحية النظرية، ولأجل الدرس فقط، الفصل بين النصوص الدينية عن الأدبية ويساعدنا هذا على وضع تصنيف بسيط للأدب الرافديني القديم استناداً إلى الحقيقة السابقة التي أوضحناها.

وبذلك ينقسم الأدب العراقي القديم (الرافديني) إلى: أدب دنيوي (ناري) يشمل النصوص الأدبية التي لم تكتب لغايات دينية والتي يغلب عليها الطابع الذاتي أو الانفعالي. وهو ما يشكّل في عصرنا الحالي ما نسميه بـ(الأدب) بمعناه الواسع والشامل. وأدب ديني (كالي) يشمل النصوص المرتبطة بغايات عملية طقسية أو تلك التي ترتبط بالآلهة (الأساطير) أو الخوارق الدينية ويغلب عليها الطابع الموضوعي والميتافيزيقي والأسطوري والسحري.

ورغم أننا لا نجد حدوداً قاطعة وفاصلة بين منطقتي هذين النوعين، ورغم أننا استخدمنا كلمتي(كالا ونار) استخداماً اصطلاحيّاً للدرس قد يخرج بهما عن وصفهما الدقيق في التراث العراقي القديم إلّا أننا نجد ضرورة ما لوضع أجناسية معقولة لأدب وادي الرافدين الزاخر والمشتبك النصوص.

1. كالا (الأدب الديني)

أدب الكالا هو كل ما نضح عن الدين بجميع مكوناته الرئيسة (العقيدة، الأسطورة، الطقوس)، وهو بالتالي يجتمع على نواة المقدس الديني وتكون غايته ووظيفته ذات طابع روحي تهدف بالأساس إلى ترسيخ الدين وجعله شغلاً شاغلاً لحياة الفرد أو الجماعة.

إن (المقدس)، الذي يشكّل جوهر أدب الكالا، يظهر دائماً كحقيقةٍ من نظام آخر غير الحقائق الطبيعية. وتستطيع اللغة أن تعبر بسذاجة عن المخيف أو العظيم أو الخيالي أو الغامض، بمصطلحات مستعارة من ميدان طبيعي أو الحياة الروحية الدنيوية للإنسان، بيد أنّ هذه اللغة غير المنطقية ترجع بالفعل إلى عجز الإنسان عن التعبير عن الإله المطلق. (إلياد 1988: 16).

وتمنحنا فكرة المقدس (الديني) في مقابل المدنس (الدنيوي) إمكانية رائعة لتصنيف الأدب وفق الكالا والنار على التوالي.

إن احتفاء النصوص الدينية بالمقدس يعكس تضافر هذه النصوص وكفاحها في سبيل التعبير عن الإله ومظاهره في الزمان والمكان والإنسان والأشياء، فإذا اتبعنا هذا التحليل ورسمنا سياقاً مناظراً لها لوجدنا أنّ النصوص المقدسة تتحدث إما عن الزمان فتكوّن الأسطورة، أو عن المكان فتكوّن الطقس، أو الإنسان فتكوّن الروحانيات، أو الأشياء فتكوّن السحر والعرافة.

وهكذا نرى أنّ النصوص الرافدينية الدينية التي تشكل أدب الكالا يمكن تصنيفها على ضوء ما سبق إلى:

2. الأدب الديني (ال، گالو، قال)

أدب القال أو الكال هو الأدب الديني السومري، ويعني باللغة السومرية الأدب الكبير أو الأدب العظيم ويعني أيضاً أدب القول أو أدب الكلمة أو الأدب الروحي أو الديني.

وينقسم الأدب الديني السومري إلى ما يلي:

1. الأدب الأسطوريّ (الأسطورة)
2. الأدب الطقسي (نصوص الطقوس)
3. الأدب الروحي (الصلوات والتراتيل)
4. الأدب السحريّ (نصوص السحر والعرافة والأحلام والشفاء)

وقد تناولنا أغلب الأدب الديني في الفصل الخاص بالمظهر الديني.

3. الأدب الدنيوي

نار

يبدو لنا الأدب الدنيوي السومري ثريّاً هو الآخر ويكاد ينافس في ثرائه ما كان عليه الأدب الديني، وقد دوّنه الكتاب والنساخ والشعراء وأحياناً كهنة الـ(نار) المهتمين بشؤون القصر والجوانب الدنيوية.

أ. الأدب الملحمي والقصصي

لم تكتشف ملاحم كبرى، حتى يومنا هذا، في بلاد سومر باللغة السومرية ولكن هناك سيَر وقصص بطولية يمكنها أن تكون بمثابة الأدب الملحمي السومري.

يتضح عصر البطولة السومري من بداية ملوك سلالة أوروك الأولى (2800 - 2700) ق.م، ويشكل الملوك الخمسة الأوائل من عصر البطولة السومري وهم كما في قائمة الملوك السومرية:

وينفرد كل واحد من هؤلاء الملوك بقصص وبطولات تشكل في مجملها ملحمة البطولة السومرية الأوروكية تحديداً.

	بطل / ملك أوروك	سنوات حكمه	صفته في ثبت الملوك السومري	زمنه التقريبي ق. م	ملحمته السومرية (أو قصصه)
1	مسكي كاشر(مش-كي-أنج كاشر) مشكي أنغشير	342	ابن (أوتو) إله الشمس بصفته (إين) وبصفته ملك، ذهب إلى الجبال وذهب إلى البحر واختفى	2900	-
2	أينمركار	420	ابن مسكي كاشر، ملك أنوك، الذي بنى أنوك (أوروك)	2850	1. أينمركار وسيد أرتّا 2. خضوع سيد أرتّا لأينمركار
3	لوكال بندا	1200	الراعي	2800	1. لوكال بندا وأينمركار 2. لوكال بندا وجبل هرّم
4	دموزي (ديموزيد)	100	السمّاك الذي مدينته كوارا، الذي ألقى القبض بمفرده على أينميبراغيشي حاكم كيش	2750	-

5	كلكامش	126	كان والده (لَلاَ)، ملك كولاب، الذي حارب أكا ملك كيش	2700	6 قصص

1 ـ ملحمة أينمركار: وهي ملحمة مؤلفة من قصتين يمكن جمعهما في نص واحد لأنه يخص علاقة أينمركار بمدينة أرتّا.

1. أينمركار وحاكم أرتّا
2. أينمركار يخضع حاكم أرتّا

2 ـ ملحمة لوكال بندا: وهي ملحمة مؤلفة من قصتين يمكن جمعهما في نص واحد لأنه يخص سيرة لوكال بندا.

1. لوكال بندا وأينمركار
2. لوكال بندا وجبل هرّم

قصص كلكامش: وهي ست قصص عن كلكامش لا تؤلف ملحمة سومرية بسبب اختلاف موضوعاتها، تظهر ثلاث من هذه القصص في النص البابلي لملحمة كلكامش المعروفة.

كلكامش / نحت بارز، طين مشوي من أوروك/ موجودة في متحف لندن

http://www. uruk-megacity. de/index. php?page_id=6

لا نعرف إذا كانت هناك ملحمة سومرية كاملة عن كلكامش (ربما لم يعثر عليها بعد) فالملحمة المعروفة هي بابلية أكدية اللغة. أما في اللغة السومرية فتوجد ست قصص عن كلكامش.

وهناك قصص أخرى لملوك سبقوا سلالة أوروك مثل (آدابا) و(إيتانا).

كلكامش يصارع الثور

الملاحم السومرية

لكلّ شعب عصر بطولةٍ مميز، وللشعب السومري عصر بطولة يتمثل في أفعال أبطاله، وبشكل خاص ما قامت به أول أسرة سومرية تأريخية هي أسرة أوروك الأولى التي شغل ملوكها الخمسة الأوائل وهم (ميسكيكاثر،

أينمركار، لوكال بندا، دموزي صائد السمك، كلكامش) ولكل واحد من هؤلاء سيرة بطولية. لكن ما وصل منها هي شذرات قليلة لثلاثة منهم هم (أينمركار، لوكال بندا، كلكامش) أي لكلكامش وأبيه وجده فقد كانوا أبطال سومر الذين تخلدت أسماؤهم من خلال النصوص الملحمية التي ذكرتهم.

1. ملحمة أينمركار

أولاً أينمركار وسيّد أرتّا: ويمكننا أن نلخصها كما يلي:

1. كان أينمركار حاكماً على مدينة أوروك، وكانت مدينة (أرتّا) تقع شرق أوروك على مسافة بعيدة وتفصلها عنها سبع سلاسل جبلية وتقع فوق قمة جبل مرتفع يصعب الوصول إليها وهي مدينة غنية بالمعادن والأحجار الكريمة التي لا توجد في (أوروك).

تبدأ الملحمة بمديح (أوروك) و(كلاب)، والأخيرة جزء من أوروك وتشيد براعيتها الإلهة (إنانا). والغريب أنّ الملحمة تبدأ بعبارة (فيما مضى) أو (كان يا ما كان في قديم الزمان) ثم تكيل المديح للملك أينمركار الذي هو ابن إله الشمس (أوتو) الذي يطلب من إله الشمس التدخل عند الإلهة إنانا أخته وهي (إلهة الحب والحرب) أن تجعل أهل أرتّا يجلبون المعادن والأحجار الكريمة (الذهب والفضة واللازورد وغيرها) إلى أوروك لكي تبنى معابد أوروك وخصوصاً معبد الأبزو (معبد الإله إنكي) الذي كان يُعبد في مدينة أريدو.

«في سالف الأزمان (كان) السيد الذي اصطفته «إنانا» في

قلبها المقدس،

الذي اختارته «إنانا» من بلاد «شوبا» في قلبها المقدس

إنه «أينمركار» ابن الإله «أوتو»،

ومن أخته ملكة الخير...،

التمس من «إناتّا» المقدسة (مخاطباً إياها)

يا أختاه «إنانا» من أجل «أرك»،

دعي أهل «أرتا» يصوغون الذهب والفضة،

دعيهم يأتون بحجر اللازورد النقي من الصفاح،

اجعليهم يجلبون الأحجار الكريمة وحجر اللازورد النقي

ولارك البلد المقدس...،

«ولبيت «أنشان» حيث تقومين هناك،

«دعيهم يبنون...،

وفي الـ«جيبار» المقدس حيث أقمت مسكنك». (كريمر 1956: 70).

2. تستجيب إنانا وتطلب من أينمركار أن يرسل رسولاً إلى حاكم أرتّا بعد أن يعبر جبال أنشان، لكي يجلب ما أراد إلى أوروك وإلّا فإن مصير أرتّا الخراب، ولذلك على الرسول أن يعيد تلاوة (تعويذة إنكي) أمام الحاكم وهي التعويذة التي توضّح كيف أنهى إنكي العصر الذهبي للإنسان حيث كان يسود فيه سلطان الإله إنليل على الأرض.

3. تتحدث الملحمة عن ثلاث زيارات يقوم بها رسول أينمركار إلى حاكم أرتّا لكن هذا الحاكم يماطل في كل مرة، المرة الأولى حمل له تعويذة إنكي فطلب أن ترسل لأرتّا الغلة مقابل أن يرسل لها المعادن والأحجار الكريمة. والمرة الثانية حمل له الصولجان ليبهره بسلطان أينمركار فطلب أن ترسل أوروك له مبارزاً لا يرتدي الملابس السوداء أو البيضاء أو الصفراء، والمرة الثالثة أرسل له رسالة مكتوبة (وأشارت الملحمة إلى أنّ أينمركار هو من اخترع الكتابة وأول من كتب على ألواح الطين) وحينها أغدق الإله إشكور (إله المطر السومري) على أرتّا بالمطر وتكدّس القمح والفول فيها فزاد هذا الأمر من غرور حاكمها وطلب الذهب والفضة من أوروك.

4. ينخرم النص ولكنا نفهم من نهايته أنّ أرتّا تقوم، أخيراً، بإرسال الذهب واللازورد إلى أوروك وتضعه في ساحة معبد الإلهة إنانا (إي – أنّا). والحقيقة أنّ هذه الملحمة تروي خبر خضوع أرتّا لجزية أوروك بطريقة قصصية شعرية جميلة لا تخلو من بعض الخوارق التي تتميز بها الملاحم عادةً.

هذه الملحمة تتكون من (20) لوحاً وكسرةً وهي محفوظة في متحف الشرق القديم في استانبول وقد قام صموئيل نوح كريمر باستنساخها عام 1946 وترجمها، ثم تلت ترجمته ترجمات أخرى بلغات عديدة لها وللملاحم الأخرى.

وفيما يلي ترجمة لمطلع الملحمة: (اقتباس)

وتُستكمل الملحمة بالنص الثاني الذي يتحدث عن سيد أرتّا الذي أتى بعد حاكمها والذي خضع أيضاً في نهاية الأمر إلى أينمركار كما في الفقرة القادمة.

ثانياً: خضوع سيد أرتّا لأينمركار (أينمركار وأنسوكوشير أنا أو إنسوكشد أنّا)

1. يتمرد حاكم أرتّا المسمى إنسوكوشير أنّا) على أوروك ويرسل إلى ملك أوروك أينمركار رسوله المسمى (آنسجَّريا)، وكان وزير أينمركار اسمه (نامنّا دوما) طالباً منه حمل الإلهة (إنانا) من أوروك إلى أرتّا، فيرد عليه أينمركار بأن تخضع أرتّا لأوروك، وحين يصله الخبر يقوم كاهن أرتّا الذي اسمه (أور جرنونا) بالتبجح أمام سيد أرتّا وأنه سيجبر نهر أوروك ويحتل البلدان من البحر إلى جبال الأرز وحده فيبتهج سيد أرتّا ويجهزه بالذهب والفضة.

2. يصل الكاهن إلى أوروك ويتسلل إلى حظائر الإلهة (ندابا) ويقنع أبقارها وعنزها بأن تحبس اللبن والزبد عن أهل أوروك، فتجفّ موائد أوروك وأصيب الرعاة بكارثة، لكن إله الشمس يتدخل ويفسد خطط كاهن أرتّا بمساعدة من الإلهة الأم (ساج برو).

3. يبتكر كاهن أرتّا عدة طرق ليؤذي بها أهل أوروك ولكن الإلهة ساج برو تتمكن من إحباط خططه كلّها ثم تقوم بقتله ورمي جثته في الفرات.

4. سمع سيد أرتّا ما حصل لكاهن مدينته فأرسل رسولاً إلى أينمركار وأعلن الاستسلام لأوروك والخضوع لأينمركار.

طبعة ختم أسطواني من (شيخ حسن)، ميزوبوتاميا، فترة أوروك الوسطى

طبعة ختم أسطواني من أوروك، فترة أوروك المتأخرة

طبعة ختم أسطواني من سوسه، خوزستان (الأحواز)، فترة أوروك المتأخرة

طبعة ختم أسطواني من سوسه، فترة أوروك المتأخرة، ربما كان له علاقة بكاهن أرتّا

http://armchairprehistory. com/2011/08/10/the-black-haired-sumerian-elite/

2. ملحمة لوكال بندا

تتكون ملحمة لوكال بندا من قصتين أيضاً وتضم كلّ منهما أكثر من 400 سطر.

أولاً: لوكال بندا وأينمركار:

1. تكاد هذه القصة تكمل قصص أينمركار السابقة لأنها تتحدث عن ولده (لوكال بندا) الذي يحب السفر والذي يجد نفسه في رحلة إلى أرض بعيدة اسمها (زابو) دون رغبته ولا يعرف كيف يعود إلى بلاده (أوروك)، فيستعين بطير الصاعقة (إم دوجد) المقرر للمصائر بعد أن يعتني بصغار هذا الطائر الإلهي ويقوم بهداية لوكال بندا إلى بلده بعد أن يعبر بحر (كور) وجباله.

2. وحين يصل إلى بلاده يجد والده أينمركار في محنة صد هجوم أقوام بدوية قادمة من الصحراء هم (مارنو)، ويهب لمساعدة والده بأن يذهب إلى مدينة (أرتّا) حيث تقيم الإلهة (إنانا) هناك ليستعين بها مستغيثاً، ويسافر إلى أرتّا وحده رغم خطورة الطريق ويصل ويعرض الأمر على إنانا.

3. تنصح إنانا بأن يقوم أينمركار باصطياد سمك غريبٍ وأن يصنع أوعية خاصة للماء وأن يبني مساكن لصناع المعادن والأحجار الكريمة في أوروك. فيحمل لوكال بندا هذه النصائح ويعود إلى أوروك.

والحقيقة أنّ بعض ما في هذه النصوص لا يفهم بسبب الخروم الكثيرة فيها والتي تجعل فهم النص متعذراً.

ثانياً: لوكال بندا وجبل هُرُّم

1. يسافر لوكال بندا مع أتباعه إلى جبل هُرُّم حيث يمرض لوكال بندا ويصل إلى الموت فيتركه أتباعه ويواصلون سفرهم بعد أن يتركوا معه متاعاً من الطعام والشراب ويبدو أنّ مرضه كان معدياً.

2. يتوسلُ لوكال بندا إله الشمس أوتو فيعيد له صحته بواسطة (طعام الحياة) و(ماء الحياة) ويعيش في البراري ويصيد الحيوانات ويأكل الأعشاب البرية.

3. يحلم بأن إله الشمس (أوتو) يأمره باصطياد ثور وحشي يقدمه قرباناً لأوتو ويسكب دمه في خندق، وحين أفاق فعل ذلك وقدّم شراباً وطعاماً لبقية الآلهة العظام (آن، إنليل، كي، ننخرساج).

4. نهاية النص تالفة وتختتم بتمجيد آلهة الكواكب الثلاثة (الشمس، القمر، الزهرة) وهي (أوتو، نانا، إنانا).

3. قصص كلكامش الست

1. كلكامش وأرض الأحياء: تدور حول سفر كلكامش إلى أرض الأحياء الخالدين، ليقتل هواوا ويسجل اسمه مع الأبطال الخالدين.

2. كلكامش وثور السماء: تدور حول إرسال الإلهة إنانا ملكة السماء ثور السماء ليدمر أوروك لكن كلكامش يتصدى له مع أنكيدو.

3. إنانا وشجرة الحلبو وكلكامش: تدور حول شجرة الحلبو التي عثرت عليها إنانا وحاولت أن تصنع منها سريراً لها لكنها تفزع لوجود الأفعى في قاعدتها وليليث في وسطها وطائر الزو في أعلاها فيتصدى لهم كلكامش فيهربون فتصنع منها كرسيّاً وسريراً لها، وتهدي لكلكامش فروعاً من جذورها وأغصانها (بكو ومكو) وربما يكونان الطبل وعصا الطبل.

4. كلكامش وأنكيدو والعالم الأسفل: ويبدو أنه استمرار للقصة السابقة حيث تسقط (بكو ومكو) في العالم الأسفل فيهبط أنكيدو في عالم الموت ليعيدهما له ويصف له عالم الموت بعد خروجه منه على شكل شبح.

5. كلكامش وأجا ملك كيش: وهو نص قصصي ذو طابع تاريخي يصف طلب حاكم كيش إلى كلكامش للخضوع لسيادته أو الحرب، فيعرض كلكامش الأمر على مجلس الشيوخ فيخيب أمله لأنهم لا يفضلون الحرب، لكن مجلس الشباب يفضل الحرب فيحاصر أجا أوروك ولكنه يفشل ويتدارك الطرفان الحرب ويعقدان الصلح.

6. موت كلكامش: وهو نصٌّ فريد يصف حال كلكامش في العالم الأسفل ومكانته هناك.

4. أورنمّو في العالم الأسفل

كان أورنمّو المؤسس والباعث لعصر جديد من الحضارة السومرية وقد حكم لمدة 18 عاماً وسط تحديات كبيرة، فتمكن من تأسيس دولة سومرية كبيرة تخطت حدود وادي الرافدين وحلّت محلّ الإمبراطورية الأكدية، ولذلك ينظر إليها المؤرخون بأنها إمبراطورية سومرية ختم السومريون تاريخهم بها، ولعلّ أهم أعماله هي ترميمه لمعبد إنليل في نيبور ومدونته القانونية المهمة، وبناء زقورة أور التي اكتسبت شكلها هذا على أنقاض زقورة أقدم وأبسط ظهرت في عصر فجر السلالات، ومشاريع الريّ الكبيرة في سومر، وحروبه مع اللولوبيين.

«وقد وصل إلينا نحو ثلاثين ترتيلة دينية خصصت لهذا الملك، وقد خوطب فيها بتمجيد كأنه إله من الآلهة، وأنه تحدّر من صلب الآلهة مثل لوكال بندا والإلهة ننسون اللذين كانا أيضاً أبوي كلكامش، ولذلك دعي (أورنمّو) في إحدى تلك التراتيل بأنه أخو كلكامش». (باقر 2009: 422).

بعد أن توفي الملك «أور – نمو» ذهب إلى «كور»، وهناك أخذ يقدم أولاً الهبات والقرابين إلى سبعة آلهة من آلهة العالم الأسفل، كل في قصره الخاص به. ثم قدم الهدايا بعدئذٍ إلى إلهين، أحدهما «كاتب» العالم الأسفل، ليضمن عونهما له. وأخيراً نجده يصل إلى موضع خاص هيأه له الموظفون الكهنة في «كور» ليكون مسكنه الخاص. وهنا يحييه ويرحب به بعض الموتى لتزول عنه الوحشة. ثم يتصل به البطل الميت «كلكامش» الذي أصبح «قاضياً في العالم الأسفل» ويلقنه ويعلمه القواعد والأصول التي يسير بموجبها أهل تلك المناطق الجهنمية.

أورنمّو واسمه بالمسمارية / من كنوز المتحف العراقي

http://sumerianshakespeare. com/48601. Html

ولكن بعد أن انقضت سبعة أيام ثم «عشرة أيام» صار يسمع بكاء بلاد سومر ونحيبها. وكانت أسوار مدينة «أور» التي تركها ولم يكمل بناءها، وقصره المشيد حديثاً، الذي خلفه بدون تطهير، وزوجه التي حرم من احتضانها، وطفله الذي لم يعد قادراً على ملاعبته وهو يجلس فوق ركبتيه – كل ذلك أقضّ مضجعه وأقلق راحته في العالم الأسفل. فشرع ينتحب نحيباً مرّاً متواصلاً. (كريمر 1956: 262).

وهذه ترجمة لواحدة من القصص أو الملاحم الصغيرة التي تصف وضع أورنمّو في العالم الأسفل بعد موته (ترجمة مؤلف الكتاب):

أورنمّو في العالم الأسفل

كما لو كان شجرة خشب البقس، وضعوا الفؤوس عنده

كما لو كان شجرة أرزٍ خضراء، اجتُثّت من قصره الذي ينام فيه

وانقطع عن الحبيبة زوجته التي بقيت في القصر بالعاصفة التي أحبتها كزوجة لها.

كان وقته الموعود قد حان، وكان في ريعانه

عندما انتهى كلّ شيء، راح أورنمّو إلى العالم الآخر

قدّم الهدايا إلى البوابين السبعة للعالم الأسفل

وكما الملوك المشاهير الذين ماتوا وكهنة الشفاء والأوماخ والكاهنات

نذر جر الذين ماتوا واختارهم القدر، أعلن مجيء الملك لهذا العالم فحدثت

الضجة هناك، وذبح الملك الخراف والثيران وأعلن عن مأدبةٍ كبيرة له.

الطعام في العالم الأسفل مرٌّ والماءُ مالحٌ

الراعي يعرف شعائر العالم الأسفل ولذلك قدّم له القرابين

قدّم الثيران الصاحيّة والخراف الصاحية

لنرجال، الذي هو إنليل العالم الأسفل، في قصره، قدّم الراعي أورنمّو الصولجان

والقوس الكبير وجعبة السهام والخنجر المسنون وحقيبة الجلد التي توضع

عند الورك

لكلكامش، ملك العالم الأسفل، في قصره، قدّم الراعي أورنمُو الرمحَ وحقيبة الجلد

التي هي سرج مدعوم برأس الأسد السماوي والصولجان، قدّم

الدرع الملقى على الأرض، السلاح البطولي، فأس المعركة المفعمة بحبها أرشكيكال.

لأرشكيكال، والدة ننازو، في قصرها، قدّم الراعي أورنمّو... المملوء بالزيت

وإنا ساغان المكتمل والثوب الثقيل والملابس المحزّزة الطويلة وعرض الرداء

الملكيّ... قوى العالم الأسفل الإلهية.

لديموزيد، زوج إنانا الحبيب، في قصره، قدّم الراعي أونمّو الأغنام،..... الجبل،

صلوجان الذهب المهيب، اليد المشرقة،... والذهب والفضة واللازورد،

دبوس إلى (دمبكوج).

لنمتار، الذي يرسم كل المصائر، في قصره، قدّم الراعي أورنمّو الجواهر الطيّعة.

وألقى الخاتم الذهبي،... مثل سفينة، وحجر العقيق الأحمر الذي تضعه الآلهة على صدرها.

لخوشبيساج، زوجة نمتار، في قصرها، قدم الراعي أورنمّو... الصدر، ومقبض

اللازورد الذي فيه... كل ما هو مهم في العالم الأسفل، قفل الفضة

للشعر المزيّن باللازورد ومشط الملابس النسائية

للمحارب الشجاع، ننكشزيدا، في قصره، قدّم الراعي أورنمّو عربةً بعجلاتها

متألقة مع الذهب، الحمير والخيول الأصيلة... الحمير المرقطة الفخذين، وتابع

وأعطى الراعي لـ(دمبكوج)، الذي يقف إلى جانبه، خاتم اللازورد والدبوس

المتدلي، الذهب والفضة والدبوس برأس الثور الوحشي.

لزوجته، ننازوا، الكاتبة الموقّرة قاطنة (أرالي)، في قصرها، قدّم الراعي أورنمّو

غطاء الرأس مع الأقراط المرمرية، و..... القلم رمز الكاتب، وممساح الخط

اللامع، وقضيب القياس.

لـ..... و.....، كبير العالم الأسفل، قدّم.....

(خروم...)

بعد أن قدّم الملك، بصورة صحيحة، كل هذه التقدمات

بعد أن قدمها بصورة صحيحة و... جلسَ أورنمّو على المنصة الكبرى في العالم الأسفل

وبنى له مسكناً هناك.

عند قيادة أرشكيكال كلَّ الجنود الذين قُتلوا بالأسلحة وجميع الرجال الذين أذنبوا

أعطتهم لأيدي الملك، أورنمّو كان... مع كلكامش، أخيه الحبيب، قال إنه

سيصدر أحكام العالم الأسفل ويجعل قرارات العالم الأسفل... (ترجم النص عن الإنجليزية المنشور في الموقع http://thingsinthree. blogspot. (of-ur-nammu. html-nl/2014/01/the-death

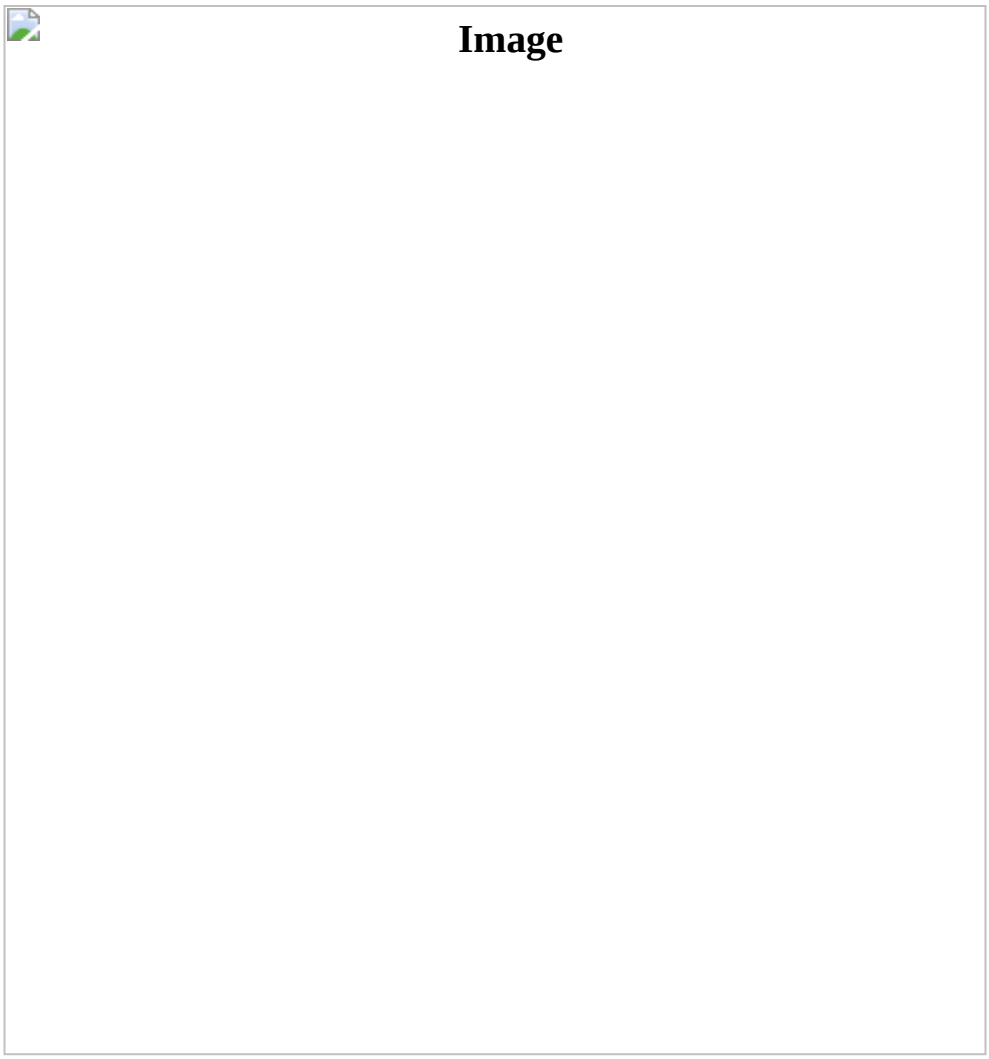

أور نمّو

.(Baker et. al 2010, SUTER—BASEL:321)

5. ملحمة شولجي

هناك من يرى أنّ هذه ليست بملحمة، بل هي نشيد أو قصيدة للملك السومري شولجي (ابن أورنمّو) وقوامها 600 سطر ويسميها البعض (شولجي المنتقم).

وهي تروي معجزة ولادة وصعود الملك شولجي إلى العرش، ثم قرار الملك بالانتقام لموت والده، أورنمّو، الذي تسبب الكوتيون في موته.

ومن الجدير بالذكر أنّ أورنمّو كان يدّعي بأنه ينحدر من صلب لوكال بندا وأنه بمثابة الأخ لكلكامش، ولذلك كان شولجي يدّعي بأنه ينحدر أيضاً منهما ومن إله الشمس (أوتو).

لقد أرسل إله الأحلام، زكار، إلى شولجي حلماً يعده بالمساعدة في دحر الكوتيين ثم تظهر الملحمة على لسان إنانا التي تبدو عاشقة لشولجي، ثم تختتم بمديح شولجي.

ب. الأدب الحواريّ

يمكن أن يكون الأدب الحواريّ نواةً نظرية للأدب المسرحي، لكن المسرح السومري لم يتحقق في الفنون والآداب الدنيوية، بل تحقق في الآداب الدينية وكان جزءاً من الطقوس وخصوصاً طقوس رأس السنة. ولذلك لا يعدّ مسرحاً بالمعنى المعروف، فهو أقرب إلى الدراما الطقسية الدينية.

والأدب الحواريّ السومري وإن كان يترافق أحياناً مع الموسيقى والتراتيل وفيه مؤدٍّ فرد وكورس لكنه لم يرقَ إلى المسرح (الدنيوي) ويمكن عدّه أدباً حواريّاً وغنائيّاً.

ينقسم الأدب الحواريّ السومري إلى:

بلبال (balbal)

«بَلبَال» كلمة سومرية مؤلَّفةٌ من مقطعَين متشابهَين هما: بال بال. والمقطع الواحد يعني بالسومرية «تغيّر» وهكذا يكون معنى الكلمة كلّها هو «تغيّر تغيّر»، وربّما يعني ذلك «تغيّرات» أو «تبدّلات»، وهو يدلّ على نوع من الشعر الذي كان يُؤدَّى بتبدُّلات أو تغيُّرات لحنيّة وإيقاعيّة عديدة.

ويكون البلبال، في الغالب، حواراً بين شخصَين أو حواراً بين شخص ومجموعة (كورس)، لكنه يمكن أن يكون على لسان شخص واحد، وفي كل الأحوال يجب أن يتضمَّن إعادات متغيِّرة اللحن والأداء.

إن الحوارات أو المونولوغات التي تؤشّر كـ«بلبالات» تحتوي على وهلات (مقاطع) متغيِّرة أو ثابتة حسب طبيعة الشعر وموضوعه. وغالباً ما كانت

البلبالات السومرية تدور حول الإلهَين العاشقَين إنانا ودِموزي، أو حول من يُمثِّلهما، الملك والكاهنة العليا، في احتفالات رأس السنة السومرية (زكمك) أو أكيتو لاحقاً، ولذلك فهي تصف لقاءهما الجنسي وهو ما يفسِّر احتواء البلبال، عادةً، على صور وحالات إيروسية مُثقلة بالصور الجنسية الباذخة.

والحقيقة أنّ البَلبَال هو عبارة عن نشيد تلاوةٍ موقَّع بطريقة «الردَّات» الغنائية المعروفة حاليّاً في بعض أشكال الأداء الغنائي للتعزيات الحسينية، وهذا هو بالضبط المقصود من التغيّرات فهي (الردّات) المختلفة الإيقاع. ويتّضح هذا عند «الملايات» المنشدات في العزاءات الحسينية حيث تبدأ الواحدة منهن بالترنيم بصوت رخيم ذي طبقة لحنيّة خافتة وتتبعها النساء اللاطمات بخفّة بترديد هذا اللحن بالطبقة نفسها، لكنها سرعان ما تتصاعد بسرعة لحنية عالية وسريعة ويفعلن ذلك مثلها وهكذا... إلخ.

أما ما يحصل في سومر فقد كان مقتصراً، في الغالب، على الصور الإيروسية والعاطفية بين حبيبَين على لسان منشدة وكورس، حيث تؤدّي المنشدة دور إنانا.

ولعلّ أشهر البَلبَالات السومرية هو بَلبَال الملك شو سين (1972 - 1964 ق. م) من سلالة أور الثالثة، الذي يأخذ دور دموزي مع الكاهنة العليا كوباتم التي تأخذ دور إنانا وهي تنشد له مع مجموعة من المؤدِّيات هذا البلبال الإيروسي الجميل:

«رَجُلي، رَجُل قلبي

لذَّتكَ طيِّبةٌ كالعسل

فتاي، رجل قلبي

لذَّتكَ طيِّبةٌ كالعسل

أنت سحرتني، كلّي لك

مناي، يا حبيبي، تشيلني لمضجعك

أنت سحرتني، كلّي لك

مناي، يا فتاي، تشيلني لمضجعك

دعني أداعبك يا حلو

وأحصل على عسلك

في مضجعك لمرَّات عديدة

دعني أتمتَّع بحلاوتك

دعني أهبك لمساتي

يا حلو... يا حبيبي

دعني أحصل على عسلك.

أصبحتَ فتنتي يا رجل

كلِّم أمَّكَ لأهبك نفسي

كلِّم أباك ليجلب هداياه

أعرف من أين أهبكَ متعة الجسد

نم عندنا يا حبيبي حتى الصبح

قلبك أعرف كيف أبهجه

نم عندنا يا فتاي حتى الصبح

ولأنك وقعت في حبّي

فلا بدّ أن تلاطفني

يا مولاي ويا ملاكي الحارس

يا شو سين الذي يُفرح قلب إنليل

أنت لي طالما تمنحني مداعبتك الحلوة

ضع يدك على هذا المغطّى

أبوس يدك

ضع يدك عليه كما تضعها على كأس المكيال

ثم أطبقها عليه مثلما تُطبقها على كأس الخشب». (الماجدي 2011: 35).

2. أدمندوكا (أدمن- دو- كا) وتعني حرفيّاً (رجلان – كلام) أي كلام رجلين، وتدل أيضاً على حوار بين طرفين. وهي مقطوعات المناظرات والمفاخرات السومرية بين إنسانين أو حيوانين أو نباتين أو شيئين، وتتكون الأدمندوكا من بنية تكاد تكون ثابتة وهي مكونة من ست حركات أو موضوعات وهي:

1. المقدمة: وهي مقدمة أسطورية عادة.
2. المناظرة بالأهمية الكبرى: وهي مناظرة بين الطرفين وأهميته في نظام الكون والحياة
3. المناظرة بالصفات: والردود عليها من الطرف الآخر.
4. تدخل الإله: لجوء المتناظرين إلى أحد الآلهة ليحكم بينهما.
5. حكم الإله: صدور الحكم من قبل الإله لصالح أحدهما.
6. المصالحة: المصالحة بين الطرفين المتناظرين.

ولعل أهم قطع الأدمندوكا السومرية هي:

1. الصيف والشتاء (إيمش وإينيتن)
2. الراعي والفلاح (دموزي وأنكيدو)
3. الطير والسمك
4. الفأس والمحراث

5. الفضة والبرونز
6. الشجرة والقصبة
7. إلهة القمح والماشية.

أدمندوكا الطير والسمك:

هذه مناظرة بين الطير والسمك في أهوار سومر برعاية إله الأهوار والمياه (إنكي، إيا) وهو نصٌّ موجود في أربع نسخ مشوهة ومكتوب باللغة السومرية في الألف الثاني لما قبل الميلاد ونشره صموئيل نوح كريمر عام 1964، وهذا بعض منه:

«عندما (في الأزمنة القديمة الموغلة في القدم)،

تمّ إقرار مصير ملائمٍ

وعندما وضع (آن وإنليل)

مخططهما المتعلق بالكون

(نوديمود الأمير النبيل (؟))، سيد الذكاء

(إنكي الإله (؟) الذي يقرر) المصائر،

تدخل للتنفيذ

فجمّع مياه جميع المناطق

وزع مواضع الماكن القابلة للسكن!

جلب بيديه المياه المحيية

التي سوف تنتج البذور الفائقة الخصوبة

جلب معه دجلة والفرات

وجعل المياه ترفدهما من كل صوب

نظف أقل الأقنية أهمية
وحتى إنه حفر مجاري الريّ!
نشر إنكي المبجل الحظائر والزرائب
معيِّناً لها الرعاة والبقّارين.
أسس في البلاد، المدن والقرى
وجعل فيها الرؤوس –السوداء تتكاثر:
ولرعايتهم، منحهم مَلِكاً
نصّبه على رأسهم، كأمير لهم
وجعله يشع في كل مكان، مثل
نور لا ينطفئ.
بعد ذلك نظّم أنكي منطقة الأهوار:
جعل أصول القصب العتيقة،
ونبتات القصب الغضّة تنمو فيها،
زوّد المستنقعات والأهوار
بالأسماك والطيور
جاعلاً منها غذاء كل ما هو حي (؟)
وخصّصها (المائدة) للآلهة المتسعة.
بعد أن قام نوديمود، الأمير النبيل
سيد الذكاء،
بتشكيل (.....)

وملأ منابت القصب والمستنقعات

بالأسماك والطيور

عيّن لكل منها مكانه

ولقّن كلّاً منها دوره». (الشواف/2: 1997: 45 - 47)

ج. الأدب الغنائي

1. الشعر الوجداني (سر):

ينتشر الشعر الوجداني بين ثنايا النصوص الكثيرة من الأناشيد والقصائد والقصص وحتى الأساطير.

ولعل أكثر أنواع الشعر الوجداني انتشاراً هو البوح العاطفي، حيث نقرأ في هذين النموذجين مدى العاطفة العالية التي يبثها الشاعر فيهما. وهذه نماذج من الشعر السومري ترجمها الشاعر فضل خلف جبر:

1ـ أخت لا مثيل لها

فريدتي، الأخت التي لا مثيل لها

الأجمل بين الجميع

تبدو كنجمة الصباح الطالعة

في بداية سنة سعيدة.

جلدها مشرق ناصع البياض

رائعة نظرات عيونها

عذبة كلمات شفتيها

مع ندرة ما تنطق به.

عنق مستقيم، نهد لماع

شعر من اللازورد الحقيقي
ذراعان تزدريان بالذهب
أصابع مثل أفواف اللوتس
أرداف ثقيلة، خصر نحيل،
ساقاها تستعرضان جمالها،
مع كل خطوة تخطوها على الأرض،
تأسر قلبي بنقلاتها.
تجعل أعناق الرجال
تستدير للنظر إليها،
من تعانقه يفعم بالغبطة،
كأنه المقدم بين الرجال!
حين تخطو إلى الخارج
تبدو وكأنها الشمس.
2ـ أخي يعذب قلبي
أخي يعذب قلبي بصوته
إنه يسلمني للمرض
إنه جار بيت أمي
وأنا لا أستطيع الذهاب إليه
أمي محقة في معاملته هكذا:
«تخلّ عن رؤيتها!»

يؤلم قلبي التفكير به،

إنني ممسوسة بحبه.

في الحقيقة، إنه شخص مغفل

لكنني أشبهه؛

إنه لا يعرف رغبتي بعناقه،

وإلّا فإنه سيكتب لأمي.

أيها الأخ، إنني موعودة لك

من قبل النساء الذهبيات!

تعال إليَّ كي أرى جمالك،

أبي وأمي سيغتبطان!

قومي سيحبونك جميعاً،

سيحبونك، يا أخي!

3ـ قلبي يخفق بشدة

قلبي يخفق بشدة

حين أفكر بحبي لك؛

إنه يجعلني لا أتصرف بعقل،

إنه يقفز من مكانه.

لا يدعني أرتدي ملابسي،

أو ألف شالي حولي؛

لا أصبغ عيوني،

ولم أتمسح بالزيت حتى.

«لا تنتظري، اذهبي إلى هناك» يقول لي.

كلما فكرت فيه؛

يا قلبي، لا تتصرف بغباء كبير،

لماذا تقوم بدور المغفل؟

اجلس مستقرّاً، وسيأتي الأخ إليك،

ومعه عيون كثيرة أيضاً.

لا تدع الناس يقولون عني:

«امرأة واقعة في الحب»

كن هادئاً حين تفكر به،

يا قلبي، لا تخفق!. (ترجمة: فضل خلف جبرhttp://www. alnoor. .se/article asp?id=49375)

2. المدائح (أدب)

كثيرة هي المدائح الموجهة للآلهة والملوك والأمراء. وكانت تكتب لهم أو تلقى في حضرتهم في المعابد أو القصور.

ويبدو أنّ كلمة (أدب) العربية مصدرها أدب المدائح السومري، فهل هذا يعني أنّ الأدب العربي القديم كان منبثقاً من فن المديح الذي عجّ به الشعر العربي وما زال. ولا شك أنّ مفهوم الأدب تغير الآن تماماً وأصبح يشمل أجناساً وأنواعاً كثيرة.

ويمكننا اعتبار النشيد الموجه إلى الإله (إنليل) نموذجاً جيداً للمدائح الإلهية وهذه مقاطع منه:

«بدون إنليل الجبل- الكبير

لن تقام المدن ولن تُرفع البيوت،

ولن تُبنى الحظائر ولن تُشيّد الزرائب...

ولن يحمل الفيضان الغمر المبارك...

والبحر، لن يمنح كنوزه السخية!

ولن تأتي أسماك البحر لتضع بيوضها في وسط المستنقع،

ولن توزع طيور السماء أعشاشها على الأرض الفسيحة!

وفي السماء، لن تفتح الغيوم المحملة بالمطر، ثغراتها!

ولن يُثقل الحصادُ الوفير، الحقول والمروج!

ولن يزيّن بعد ذلك السهوبَ، العشبُ والشجيرات!

وفي البساتين، فإن «أشجار – الجبل» الكثيفة،

لن تحمل ثمارها

ولن تلد البقرات في الزريبة،

وفي الحظيرة لن تضع النعجات حملانها!

والبشرية، هذه الجموع العاجة، لن تستمر في (.....)

ولن تسعى الحيوانات المفترسة ورباعيات القوائم

على إطعام صغارها.

ولن تقبل حتى التسافد فيما بينها!

التي لا مرد لها.

فيضيف الشاعر بصددها: إن هي مسّت السماء: فهذا هو الفيض

إذ تنسكبُ من الأعالي الأمطار الغزيرة!

ولئن مسّت الأرض: فهذا هو الرخاء

فمن الأسفل تطفح الثروات

كلمتك هي النباتات! كلمتك هي الحب!

كلمتك هي الفيض: حياة البلاد جمعاء!..». (الشواف 1996: 75 - 76).

3. المراثي (تيكي):

يشكل أدب المراثي أكبر وأعمق أنواع الأدب الغنائي، وقد حفر عميقاً في شخصية الإنسان العراقي منذ سومر وإلى يومنا هذا لكثرة ما تعرضت له بلاد الرافدين من المآسي والحروب والتدمير والنهب والقتل والسلب.

«ويمكن إرجاع المراثي الأولى في سومر إلى فترة حكم الملك أورو-كاجينا إذ ترك لنا أحد النسّاخ المعاصرين له، لائحةً مفصلةً عن تدمير وتدنيس معابد لكش التي أحرقها وسلب محتوياتها ملك مدينة أومّا عدوة لكش، وهذا التعداد، مع ما رافقه من مرارة وألم وخضوع أمام الإرادة الإلهية يمثل الشكل البدائي لما يتمّ تطويره فيما بعد، وخاصة بعد تأسيس سرجون الكبير لإمبراطوريته الأكدية وكذلك بعد اجتياح قبائل الجوتو، مما جعل الشعراء والمنشدين يؤلفون المراثي للتفجع والبكاء على مدنهم ولكنها كانت تنتهي ببارقة ثقةٍ وبأملٍ في مستقبل يحرر ويعيد البناء». (الشواف 1997: 367 - 368).

ويمكن أن يعدّ أدب المراثي أدباً دينيّاً لأنه كان يجري في المعابد. ولعل أهم المراثي السومرية هي:

1. مرثية نـفـّر
2. مرثية سومر
3. مرثية أور

وقد تشمل المراثي المعابد أو الأشخاص، ولكن المعروف منها هو مراثي المدن.

ولا بدّ من أن نتوقف، ولو سريعاً، عند مراثي المدن السومرية باعتبارها حاضنة لما يمكن أن نسميه (المسرح الديني السومري) وهو مسرح طقوس دينية وليس مسرحاً دنيويّاً كما عند الإغريق. فقد كان يجري في المعبد ومن قبل كهنة (الكالا) الندّابين ومعهم جوقات من الكهنة.

وهذا ما كنا نؤكد عليه دائماً من أنّ المسرح الشرقي بدءاً من المسرح السومري وانتهاءً باليابابي والهندي قبل القرن الخامس قبل الميلاد لم يكن مسرحاً دنيويّاً، بل كان مسرحاً دينيّاً وهو جزء من الطقوس وليس جزءاً من الفن المسرحي التقليدي.

تشكل هذه الثلاثية السومرية من مراثي (نفر، سومر، أور) نموذجاً للمسرح الديني السومري حيث تظهر فيها ملاحظات المخرج الكاهن وجموع الجوقات المؤدية.

وتشكل (مرثية أور) نموذجاً لهذا المسرح، وهذه مقاطع منها:

النشيد الأول:

(المؤدّون: رئيس المجموعة والمجموعة من أجل اللازمة)

رئيس المجموعة:

1. من حظيرته ولّى وغاب، في حرمه

تنفخ الريح.

2. الثور، من حظيرته ولّى وغاب؛

في حرمه تنفخ الريح.

3. سيد كل البلاد، ولّى وغاب؛

في حرمه تعصف الريح

4. الإله مو –أول- ليل من معبده في نفّر

ولّى وغاب؛ في حرمه تنفخ الريح

سيدة كيش، ولّت وغابت؛ في حرمها

تنفخ الريح.

الإلهة جاشان – ماج، من معبدها في كيش،

ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح

مولاة إيسين ولّت وغابت؛

في حرمها تنفخ الريح

الإلهة سيدة أرض إيسين، من معبدها

إي –كال- ماج ولّت وغابت؛

في حرمها تنفخ الريح.

سيدة أرض أوروك، ولّت وغابت؛

في حرمها تنفخ الريح

الإلهة جاشان – آنا من معبدها في أوروك

ولّت وغابت؛ في حرمها تنفخ الريح. (الشواف 1997: 386 - 387).

4. الفخر (تارو):

انتشر شعر الفخر (المفاخرة) واسمه (تارو) بين الكثير من النصوص والأساطير حيث يظهر الآلهة والملوك والأمراء وهم يتفاخرون بأصلهم ونسبهم.

ها هو دموزي يتفاخر بنسبه عندما حاولت إنانا النيل منه بحديثها المتغطرس عن نسبها وفخرها به:

«لا تباشري النزاع أيتها المرأة الفتية

لنتحدث عن ذلك فقط، أي إنانا!

أبي جدير بالاحترام كمثل أبيكِ:

لنتحدث عن ذلك، أي إنانا!

أمي جديرة بالاحترام كمثل أمكِ:

يا ملكة القصر، فلنتفكر في الأمر!

جيشتينانا أختي، هي أيضاً جديرة

بالاحترام مثل أختك:

فلنتحدث عن ذلك، أي إنانا!

وسيرتور (أمي) لا تقل احتراماً عن نينجال:

يا ملكة القصر: فلنتفكر في ذلك». (الشواف 1996: 119).

وها هو الشاعر في نص مزدوج اللغة (سومري/ أكدي) يتفاخر بعشتار وصفاتها:

«تولّي ملكية مُدُني المقدسة!

(وفي كل مكان تُنصبُ فيه تماثيلي،)

أقيمي (أنت أيضاً (.....) على قاعدة إلهية!

ولتعجز) (جميع آلهة) السماء والأرض

عن تحمّل غضبك عندما تثورين،

ولكن، مثل (أعواد قصب أحنتها) العاصفة

فلينحنوا (جميعهم) أمامك»

«السهم الذي مثل إسفين يثقب القلب والرئة،

(اجعليه) يمرّ دوماً بجلال.

أي عشتار، اجعلي الهجوم والالتحام جسداً لجسد

يتواليان (كحركة) حبل القفز!

ومثل طبل تطرقه عصاه، اجعلي (الجيوش)،

يا سيدة المعارك تتجابه وتتصادم!

يا إلهة جولات القتال، قودي المعركة،

وكأنها مجموعة دمى تحرّكها (يدك)!

أي أنين، في كل مكان يعرف صليل السلاح والمذبحة

اجعلي البلبلة لعبتك وكأنك ترمين النرد».

«أي عشتار، عندما مثل إعصار شديد

تحافظين على قساوة التحام المعركة،

عندما، بواسطة الهراوة والبلطة والسيف والحربة،

(تثبتين) تفوق قوتك،

عندما تلبسين درع الغضب،

فينطلق هياج الطوفان!

عندما تعدين الترس ونبال الرمي،

فتهب منطلقة العاصفة!

فليصعق أعداءك سلاحك الرهيب حامل الموت

كما (يصعق) إله النار

أي إنين، عندما تُشهر الأسلحة وتُرفع الشعارات

فلن ينجو منها أحد، عندما ترفعين ساعدك!»

«يا ابنتي، أينما تشائين، (يعود إليك) أمر
إعلاء الشأن أو الإذلال وإقرار التقدم أو التقهقر!
في مكان تقرير المصائر، لن يقف أمامك أيّ عائق
ولتكن أوامرك مماثلة لأوامري!
خلال الأعياد وتقديم الأضاحي والولائم الطقسية،
والصلوات والركعات والابتهالات،
الرجل الذي قدم قرباناً (لتهدئة) إلهه الغاضب،
أو الذي من أجله تتوسط الآلهة،
لن يقبل أيّ إله صلاته، إذا هو لم يسعَ
للأماكن حيث يكسب رضا ألوهيتك».
«في المدينة محط أنظار سومر وأكاد،
حامية (جميع) البلاد
في دور إنكي، أساس جميع الأماكن المسكونة،
حيث يتحقق ارتباط السماء والأرض،
على عرشي الملكي الذي هو من أجل عبادة الآلهة،
قائم على الأرض مثل ثور وحشي
في مقام نفّر، مدينة سلطتي الكليّة
التي تصون البلاد
في حرمي، حيث تسكن الطمأنينة». (الشواف 1999: 290 - 291).

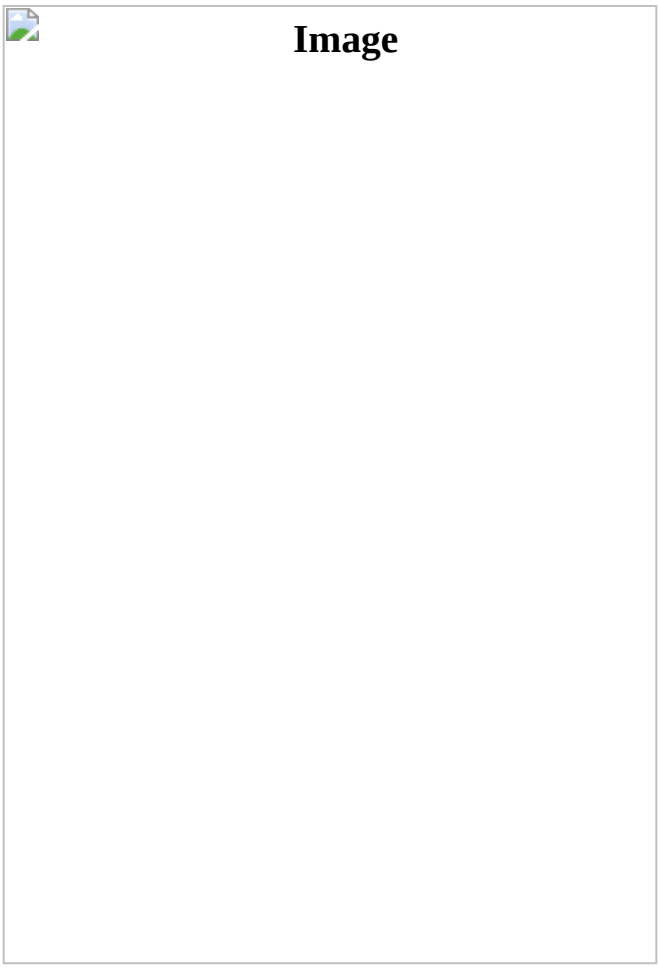

إنانا سيدة النجوم

http://gnosticanthrop. narod. ru

5. الغزل:

يحفل الأدب السومري بقصائد الحب والغزل الرائعة، ولعلّه يشكل أول أدب إيروسي في التاريخ. وتكاد قصائد الغزل والحب والجنس المتبادلة بين إنانا ودموزي تشكل جوهر ومركز هذا الأدب.

يمكننا ترتيب هذه الأساطير والقصائد حسب تسلسل المعنى الذي تقدمه، ولذلك نرى أنّ القصيدة الأسطورية التي تدور حول المنافسة بين دموزي (الإله الراعي) وأنكيدو (الإله الفلاح) لخطب ود إنانا يمكن أن تكون فاتحة هذه الأساطير والقصائد.

وتبدأ هذه القطعة حين يخاطب الإله الشمس (أوتو) أخته (إنانا) حول الكتّان الذي بذر بذوره في الأرض، وكيف أنه عندما يثمر سيجلبه لها من الثمرة فتسأله إنانا (أخي، بعد أن تجلب لي الكتاب من سيحلجه لي) وتستمر سلسلة الأجوبة والأسئلة بينهما حتى يقول لها (أوتو) بأنه سيجلب لها ملاءة العرس، فتسأله من سينام معها بعد ذلك. فيقول لها إن دموزي هو الذي سينام معها فترفض ذلك وتقول له إن أنكيدو هو رجل قلبها فينصحها بأن دموزي هو الأفضل. وتبدأ سلسلة حوارات مفاضلة بين دموزي وإنكمدو أمام إنانا حتى يتأكد لها بأن دموزي هو الأجدر، ويكاد دموزي وإنكمدو يقتتلان، ثم يتصالحان ويدعو دموزي إنكمدو إلى حفلة العرس. ويعد دموزي إنانا أن يجلب لها هدية العرس من حنطة وعدس وغيرها.

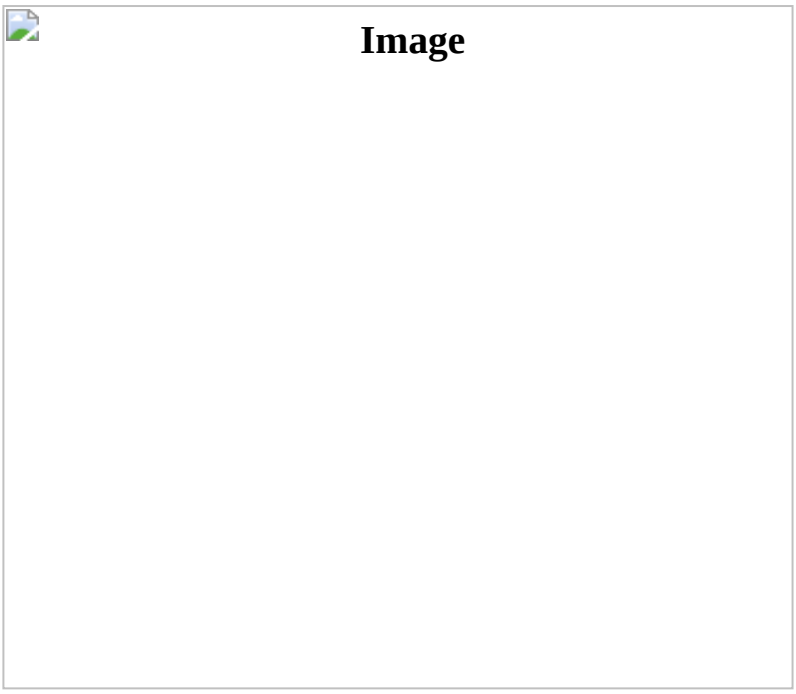

إنانا تستقبل الهدايا

وفي قصيدة أخرى تظهر إنانا وهي تتفاخر بأصلها وتهين دموزي فيقول لها دموزي:

«إنانا كفي عن المساجلة

إن أبي إنكي ليس أدنى محتداً من أبيك نانا

وأمي سرتور ليست أدنى محتداً من أمك ننكال

أختي كشتن أنّا مثل أختك

فلنتفاهم يا مليكة القصر». (الشوك 1992: 51)

ثم يذوب الخلاف بينهما وتطلب منه أن يملأ سطح أرضها وآبارها بالماء وأن يحرث الحجر الذي تلف به جسدها المقدس، ثم تتغزل به وخصوصاً بلحيته اللازوردية.

في قصيدة أخرى وبعد أن تتهيأ أسباب اللقاء كاملة بينهما تختار إنانا دموزي لألوهية البلاد، وهذا يشير إلى تحول هام في وظيفة دموزي، فقد كان إلهاً للرعي والإسطبلات ولكنه أصبح إلهاً لأوروك، وبذلك تحولت مهنته من راعي الأغنام والأبقار إلى راعي الناس وملكهم.

وفي قصيدة أخرى تلتمس إنانا موافقة أبيها القمر (نانا) فبعد أن تتزين إنانا بكامل زينتها وتضع عليها الحلي والأحجار تخرج لترى دموزي واقفاً لها على باب حجر اللازورد (باب جيبار) فترسل عند ذاك رسالة إلى أبيها تخبره فيها بأنها تريد الزواج من دموزي:

«سوف آخذ إلى هناك رجل قلبي

سوف آخذ إلى هناك أمّا أشمو كال أنّا،

سوف يضع يده بيدي

ويضم قلبه إلى قلبي

وضعه اليد باليد – ينعش الفؤاد

ضمه القلب إلى القلب- لذته بالغة الحلاوة». (كريمر 1986: 112).

ثم في قصيدة أخرى، تلتمس إنانا موافقة أمها ننكال بعد أن يأتي دموزي إلى بيتها حاملاً هداياه من اللبن والقشدة والجعة ليطلب يدها، فتبدي إنانا تردداً في قبول مجيئه لكن أمها تحثها على الإذن له بالدخول، ثم تقوم الإلهة إنانا

بالتحضير لاستقبال دموزي فتقوم بتزيين جسدها وملابسها وتفتح له الباب وتعانقه.

وهناك قصيدة تصف اللقاء السري بين إنانا ودموزي حيث يختليان سرّاً تحت ضوء القمر، ولأنها إلهة لعوب، فإنها فجأة تحاول التملص منه وتطلب أن تعود إلى البيت خوفاً من أمها!!، لكن دموزي يعرف كيف يتعامل معها فيقول لها (سوف ألقنك كيف تكذب النساء) وينصحها بأن تقول لأمها بأنها كانت تمرح مع صديقتها بالغناء والرقص. وتستمر القصيدة وتتحدث عن جارتها التي تتحدث لمصلحة دموزي أمام أمها، وكيف أنها سوف ترش الأرضية لاستقباله، وكيف أنها قالت بأن دموزي يليق بحضن إنانا المقدس، وتطلق الجارة نبوءتها بأن دموزي سيصبح صهر نانا.

وهناك عدد من قصائد وأناشيد الزواج المقدس بين إنانا ودموزي يصل عددها إلى اثنتي عشرة قصيدة تمثل أعذب وأقدم قصائد الحب في التاريخ القديم، وهي ما زالت إلى يومنا هذا محتفظة بعذوبتها وطراوتها وتدور القصائد حول مراحل أو أوجه من الحياة التي يحياها دموزي وإنانا أثناء وبعد الزواج حيث يهيّئ الكهنة (لابسو الكتان) الهيكل ويغسلونه بالماء ثم تدخل إنانا إلى المعبد وتجلس على عرشها أو فراشها المخصّب وبعدها يتقدم دموزي نحوها وتعده إنانا بأنها ستحقق الرفاه للبلاد والناس وسيسود العدل، فيطلب منها دموزي أن توزع الشراب والطعام.

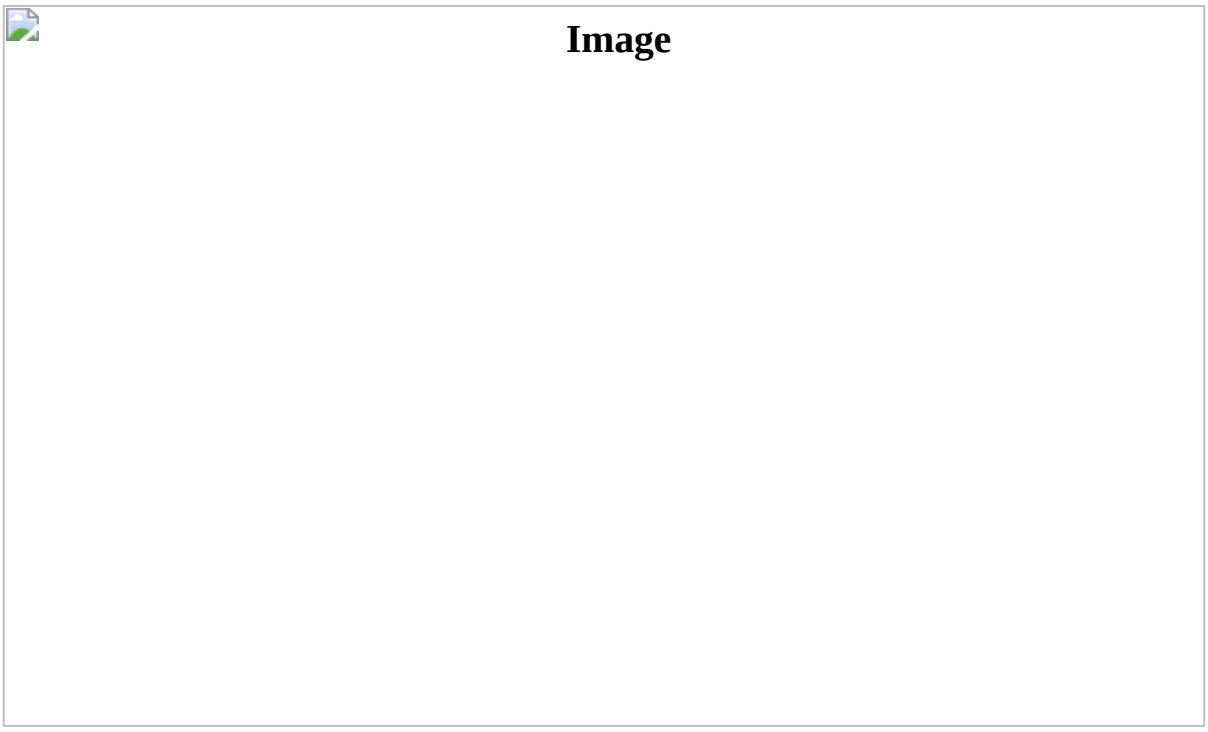

دموزي مانح القوة والحياة للنباتات والحيوانات

http://www. bibleorigins. net/InannaCedarDatePalmNibruKing.
http://www. bibleorigins. net/inannadumuzipictures.=jpg&ir
html&ig=http://t2. gstatic. co

وفي معبد إنانا يقوم إله النار (أليجيبيل) بتطهير الفراش المخصب للإلهين ويزينه بحجر اللازورد ويلتمس من إنانا لتبارك دموزي، ثم تقود وزيرة إنانا (ننشوبر) الإله دموزي إلى حضن عروسه راجية أن تباركه وتبارك حكمه لبلاد سومر وما جاورها، وأن يزيد زواجهما خصوبة التربة والأرحام والوفرة للجميع.

وفي قصيدة أخرى نتعرف على طقس المضاجعة ونشيد النكاح، حيث تكون إنانا قد استحمت وارتدت ملابسها ثم تعرض نفسها له وتطلب منه مضاجعتها، وما إن يتمّ ذلك حتى يتدفق من حضن دموزي (ماء القلب) الذي هو (منيّ) دموزي:

«وبمجرد أن تدفق من حضن الملك (ماء الملك)

فعلى جوانبه انبثقت الزروع، وعلى جوانبه نبت الحب:

وبقربه زخرت بنمو نباتها السهوب والمروج!

بينما في بيت الحياة، في القصر الملكي،

ركنت قرينته إلى جانبه تملأ قلبها البهجة،

في بيت الحياة، في القصر الملكي

بقيت إنانا إلى جانبه مكتملة البهجة». (الشواف: 1996: 123)

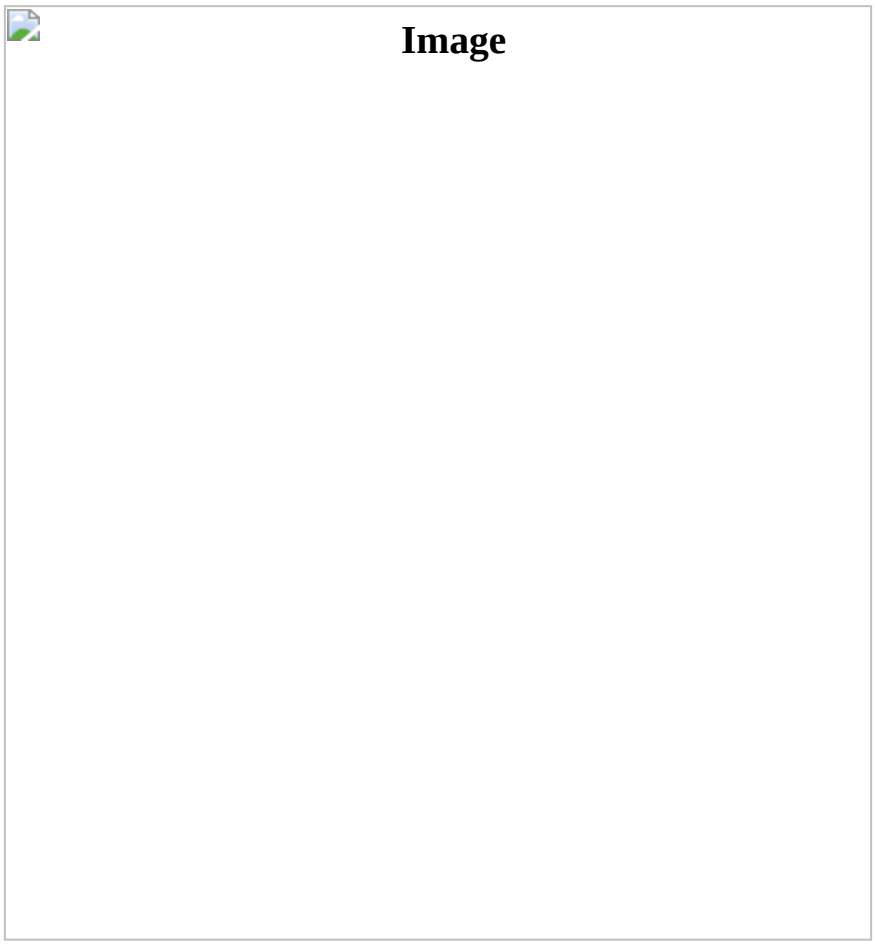

إنانا ودموزي

وهناك قصائد أخرى عن سعادة إنانا وهي نائمة قرب دموزي وعن موسيقى مخضّة الحليب التي تجعل إنانا تتهيج وتفرح. وعن إطفاء القمر والنجوم من قبل إنانا (بعد أن أطفئ القمر والنجوم، وأسحب المزلاج... تعال). وعن الرجل العسل الذي حلقات شعره الجميلة مثل الخس الذي ينمو قرب

الماء، وقصيدة عن صدر إنانا المرتفع وقصيدة عن دخول إنانا إلى حديقة دموزي حيث أنتجت له من خصبها الخضار والحب، وقصيدة يمازح فيها دموزي شقيقته كشتن أنذا حين يشاهدان مسافرات الجداء والحملان، وبلبال (قصيدة حوارية) حول عودة دموزي إلى القصر بعد المضاجعة وأخيراً القصيدة التي نلمح فيها تهديد إنانا لدموزي رغم ما فيها من الغزل والجنس حيث تقول إنانا:

«يا ابن الملوك، أي (أخي يا ذا الوجه الجميل):

لقد أنقذت حياتك، لقد أنقذت حياتك

ولكن ها أنت أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة!

أنقذت لك حياتك خارج أسوار المدينة، أي أخي

ولكن، ها أنت أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة!

أنت الذي لم يستطع العدو بذاته رفع يده ضده،

ها أنت أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة». (الشواف 1996: 140).

وتُظهر لنا هذه الإشارة معلومة أخرى، إذ يبدو أنّ دموزي كان قد تعرض إلى الموت على يد أعداء خارج أسوار المدينة لكن إنانا أنقذته... ويمكن أن تكون هذه الحادثة سبب حبهما ثم زواجهما، ولكنها بعد حين هجرت دموزي وكأنها قد أفاقت، وكان لا بدّ لدموزي أن يواجه المصير من جديد، وكأنها أجّلت مصيره لتتمتع معه ثم تعيده إلى هذا المصير خصوصاً أنّ من صفات إنانا اللهو والعبث والنـزوة. وهناك إشارة أخرى تظهر في القصيدة نفسها تدل على مضمون آخر:

«يا أخي، أنا بدون شك سببت لك مثل هذا المصير

القاسي، يا أخي، يا ذا الوجه الجميل

لقد وضعت يدك اليمنى على فرجي

وكانت يدك اليسرى تداعب شعري

وفمك كان ينضغط على فمي

وعلى فمك كانت شفتاي منضغطتين

ولهذا السبب، أصبحت هدفاً لمصير في منتهى القساوة!

هذا ما سيكون يا (ملتهم» (؟) النساء، يا أخي». (الشواف 1996: 140).

وهذا سبب إضافي لمصير دموزي المهلك حيث تعترف إنانا أنها كانت السبب في هذا المصير عندما أغوت دموزي بجسدها واندفع دموزي ليمارس معها حبّاً جسديّاً شهوانيّاً على طريقة البشر وكان يجب أن يبقى محافظاً على المستوى الإلهي للعلاقة.

لكننا نتذكر أنّ الآلهة كانت تمارس حبّاً جسديّاً شهوانيّاً (كما في أساطير إنليل وننليل، وإنكي وننخرساج)، ولذلك نرى أنّ هذه الإشارة تحمل في داخلها معنى آخر وهو أنّ إنانا كانت إلهة بينما لم يكن دموزي كذلك.

فهل كان دموزي بشراً..... وهل كان هذا هو سبب موته؟

يمكننا القول إن دموزي كان بشراً ولكنه تأله، فهو إنسان مؤله، في حين ذكرت الأساطير بأنه ابن إنكي، وقد كان الإنسان يوصف أيضاً بأنه ابن إنكي. ولأن إنانا تعرف أصله، فإنها تدعوه لأن لا ينسى ذلك ويمارس الحب معها كما يمارسه الآلهة فيما بينهم، حتى لو أغوته هي ودعته إلى ذلك.

لقد كانت إنانا تريد منه أن يبقى خارج الشهوة، وأن يمارس الحب معها دون مشاعر حسية ملتهبة. كانت تريد أن لا تقع هي في أتون هذا الحب الجسدي العارم... لأنها ببساطة لم تذقه مع الآلهة... بل ذاقته مع دموزي (الإنسان المؤله)... وكان هذا يدفعها للتفكير بعد ممارسة الحب بأن تتخلص من هذا النوع الحقيقي من الحب، والنوع الملموس... وهكذا فكرت بالتخلص من دموزي كما سنرى. ولكنها ندمت إيما ندم بعد ذلك، فقد كادت تموت من البكاء على حبيبها الذي أضاعته في لحظة غضب أو عماء.

إنه لم يدعها تفكر في ألوهيتها عندما كان يمارس الحب معها فهو (ملتهم النساء) كما تصفه، لقد كان ينسيها ألوهيتها التي كانت تجري في عالم المثل لا

في عالم الواقع.

د. الأدب الأخلاقي

1. الأمثال:

تنطوي الأمثال السومرية على قيمة حكمية وأخلاقية عالية، فهي نتاج تجربة طويلة عاشها السومري فنضحت على لسان الجماعة السومرية وأصبحت مصدر الأمثال في العالم القديم كله، لكن الجدير بالذكر هو ما تمتاز به الأمثال السومرية من عمق إنساني شامل يتخطى المكان الذي نشأ فيه السومريين جنوب العراق القديم تحديدا.

اكتشفت الأمثال السومرية في العشرينيات من القرن الماضي في نفّر وتعود إلى القرن 18 ق. م ونشرت لأول مرة عام 1930 ثم اكتشفت مجموعات أخرى منها ووصل عددها إلى 12 مجموعة مختلفة يتراوح بعضها بين العشرات إلى المئات من الأمثال:

وفيما يلي بعض الأمثال السومرية التي نثبتها بعد عناوين قصيرة تقدم لها:

* الرجل الفاشل يقول: »ولدت في يوم مشؤوم«

* لكل شيء سببه: هل نرزق الأولاد بدون مضاجعة؟ وهل نسمن دون أن نأكل؟

* الرجل الذي يجلب الشؤوم: إن وضعوك في الماء، تفسده! وإن دخلت بستاناً، أتلفت ثماره!

* بين التبذير والاقتصاد: نحن محكومون بالموت، فلنبذر علّنا أن نعيش طويلاً، فلنوفر.

* عجز الإنسان: الشعير الأول سيكون وافراً؟ أنى لنا أن نعلم؟ الشعير الآخر سيكون وافراً؟ أنى لنا أن نعلم؟

* تعاسة الفقير: إن كان لديه خبز فليس لديه ملح، وإن كان لديه ملح فلا خبز لديه وإن كان لديه لحم فليس لديه خردل، وإن كان لديه خردل فلا لحم لديه!

* الفقراء الصابرون: الفقراء، هم الذين يلوذون بالصمت في سومر.

* الفقير واستحالة التوفير: يقضم الفقير ماله ثم يستدين ليغرق في الهم.

* الفقير والإباء: ليست جميع البيوت الفقيرة متساوية في الخضوع.

* همّ من يملك: الرجل الذي يملك كثيراً من المال هو سعيد بدون شك، والرجل الذي يملك كثيراً من الشعير هو سعيد بدون شك، ولكن الذي لا يملك شيئاً يستطيع النوم.

* الإمكانيات المبددة: أنا حصانُ سباقٍ أصيل ولكنني كُدنَتُ مع بغل كي أجرّ عربة، وأنقلَ رزم القصب والقش.

* المظهر الخارجي: يتودد الجميع للرجل الحسن الهندام.

* الخادم المتعلم: هذا الخادم تعلم حقّاً السومرية.

* الكاتب الماهر: الكاتب الذي تتحرك يده بالسرعة التي يملي فيها عليه الفم هو كاتب جدير بهذا الاسم.

* الكاتب الجاهل: الكاتب الذي لا يتقن السومرية! أيّ كاتب هو إذن؟

* حول الزواج والمرأة: العريس المنتظر لم يأتِ... أمن أجل الرجل المستقر، أم الذي ليس إلّا وهماً سأحفظ حبي؟

* سجن الحياة الزوجية: من لم يقم بتأمين معيشة زوجة وولد لم يحمل قط الحلقة في أنفه

* الزوج الشاكي: زوجتي في المعبد وأمي على ضفاف النهر وأنا هنا أتضور جوعاً.

* المرأة المسرفة: المرأة المسرفة في البيت... تضيف المرض إلى الهموم.

* التفكير بعد الزواج: من أجل اللذة: الزواج... ولدى التفكير: الطلاق.

* الكنة وليست الحماة هي المنتقدة في سومر: القربة في الصحراء هي حياة الرجل، والصندل بؤبؤ عينه، الزوجة مستقبل الرجل، والابن ملاذه، والابنة سلامته... أما الكنة فهي جحيمه. (الشواف 1999: 242-247)

وقد شاع من المثل الأخير عبارة (المرأة مستقبل الرجل) بدلاً من (الزوجة) وأصبحت دالةً على عمق الأدب السومري.

2. أدب السخرية:

عُرف هذا الأدب كثيراً ليشكل تهكماً على بعض العادات والتقاليد التي كانت تأسر المجتمع. وقد جاءت بعض قطع السخرية على لسان الحيوانات، فهذا مقطع من رسالة جاءت على لسان القرد (أوكودلبي) المريض الذي لم يجد نفعاً في المدن العامرة آنذاك حيث كان، بالإضافة إلى مرضه، يكاد يموت من الجوع:

«إلى أمي لودي – لودي

هكذا يقول القرد (أوكو – دل – بي)

إن (أور) مدينة البهجة والمسرّات

و(أريدو) مدينة الرخاء

ولكنني مع ذلك أجلسُ وراء باب قاعة الموسيقى آكل الفضلات

فعساني لا أهلك من الجوع

لم أذق طعم الخبز والجعة

فابعثي برسول منكِ على عجل». (علي 1985: 378).

3. قصص الحيوان:

حفل الأدب السومري بالكثير من قصص الحيوان، إما للسخرية أو لتوضيح حكمةٍ عميقة، فقد لجأ الخيال السومري إلى الحيوان قبل حكايات إيسوب الإغريقي وحكايات كليلة ودمنة الفارسية. وقد جمع منها المؤرخون والمختصون عدداً كبيراً ومنها الفأر والنمس، الكلب والنمس، البعوضة والفيل، الحصان والأتان، الكاهن والأسد وغيرها.

ومن طرائف قصة الثعلب والبحر نجد:

«بال ثعلبٌ مرةً في البحر، فنظر إلى البحر وقال متعجباً متباهياً: أكلُّ هذا البحر من بولي». (باقر 1976: 182)

ولا شك أنّ قصص الحيوان في مغامرة لوكال بندا وهو (أب) أو (جد) كلكامش فيها طرافة وحكمة هي الأخرى حيث يلعب طائر إمدوجد دوراً واضحاً في حياة لوكال بندا.

4. التربية والتعليم:

ظهرت نصوص تربوية وتعليمية كثيرة في التراث السومري، وخصوصاً تلك التي تتعلق بالمدرسة (بيت الألواح – إيدبـّا-) حيث توصف طبيعة التعليم ومراحله وتخصصاته والأمور الروتينية في هذا المجال. لكن ما يلفت الانتباه هو ما وجدناه في نص يتحدث عن الحياة اليومية لتلميذ مبتدئ:

«أين ذهبت أيها التلميذ، منذ نعومة أظفارك؟

- ذهبت إلى بيت – اللوحات

- وماذا فعلت في بيت – اللوحات؟

- استظهرتُ لوحتي. تناولت طعام الفطور،

أعددتُ لوحة جديدة، ملأتها بالكتابة

وأنهيتها، ثم حدد ما عليّ استظهاره.

أعطيت تمريناً جديداً على الكتابة.

وبنهاية الفصل، عدت إلى بيتي، حيث وجدت أبي

جالساً. حدّثت أبي عن تمرين الكتابة،

ثم تلوت عليه لوحتي فامتلأ قلبه بهجة (...)

بعد تلاوة لوحته لأبيه، يتوجه إلى أمه أو إلى الخادمة:

«أنا عطشان، أعطني ما أشربه

أنا جائع، أعطني ما آكله

أغسلي لي رجليّ، أعدّي فراشي،

أريد أن أنام.

أيقظيني باكراً في الصباح

يجب ألّا أصل متأخراً إلى المدرسة

وإلّا فالمعلم الكبير سوف يعاقبني». (الشواف 1999: 309-310).

5. الوصايا:

الوصايا أدب أخلاقي أيضاً يتضمن النصائح والإرشادات التي يقدمها شخص أكثر حكمة أو عمراً أو منزلة لشخص آخر. وفي النص الآتي نصائح رجل لولده:

«كن رجلاً يا بني، لا تعمد إلى ارتياد الحدائق العامة،

ولا تتسكع في الشوارع وعلى الجادات.

عندما تسير في الشارع، لا تنظر إلى ما حولك.

كن متواضعاً وأرِ مناظرك بأنك ترهبه.

إذا ما أظهرت له رهبةً، يرضى عنك.

(.....)

هل ستصل إلى النجاح، لو أنك تتسكع

في الحدائق العامة؟

تمثل بالأجيال السابقة. واظب على بيت – اللوحات

لكي تستفيد منه

تمثل بالأجيال السابقة، استعلم عنها

لقد استجوبت من هم حولي، وقارنت بين الأبناء

فلم أجد بينهم أيّ واحد مثلك.

ما أنقله إليك، يحوّل المجنون إلى عاقل.

ويشل حركة ثعبان كما يفعل السحر،

ويحول دون تصديقك الكلمات الكاذبة.

ولأن قلبي بسببك ملأه اليأس،

ابتعدت عنك ولم أعر اهتماماً لمخاوفك،

ولدمدمات تذمرك. وبسبب صراخك،

نعم بسبب صراخك، حنقت عليك.

ولأنك لم تسعَ لتتحلى بصفات الرجولة،

غضب قلبي وكأنما حملته ريح عاتية.

لقد قضت عليَّ اتهاماتك،

وأنت تقودني إلى عتبة الموت.

لم آمرك في حياتي بحمل الحزم من منابت الأسل

ولم تمسس قط في حياتك حزم الأسل

التي ينقلها الفتيان والصغار

أنا لم أقل لك مطلقاً «اتبع قوافلي»

لم أكلفك قط بأيّ عملٍ. ولم أطلب

منك حراثة حقلي.

لم أقل لك في حياتي «اذهب واتخذ عملاً لكي تعيلني».

كثيرون غيرك يقومون بأودِ أهلهم

من وراء عملهم. (الشواف 1999: 313 - 314).

6. الرسائل:

ربما يكون أدب الرسائل قائماً بذاته، لكننا يمكن أن ندرجه هنا في هذا الحقل لما تنطوي عليه من مستوى أخلاقي رفيع رغم أغراضها المتعددة، فهذه رسالة من ولد إلى أمه يتحدث فيها عن كاتبها (لودنجيرّا) إلى حامل الرسالة ويعطيه خمس علامات لكي يتعرف على والدته الجميلة والأنيقة وكأنه يتغزل بها من فرط حبه لها:

إذا كنت لا تعرف من هي أمي

دعني أعطيك إشارات (التعرّف إليها)

اسمها شات – عشتار

شخصيتها (تطفح) إشراقاً

إنها إلهة رائعة – وكنّة محبوبة

إنها مباركة منذ صباها

وبحيوتها أحسنت الاهتمام ببيت حميها.

إنها هي التي تخدم إله زوجها وهي التي تعرف كيف تهتم

بهيكل (؟) (الإلهة) إنانا

وهي التي تعرف أهمية أوامر الملك.

إنها نشطة ولذا هي تضاعف الممتلكات

وهي المعززة والمليئة بالحياة،

هي الحمل وهي القشدة اللذيذة والعسل

والزبدة طالتي تسيل من القلب».

دعني أعطيك العلامة الثانية للتعرف على أمي:

أمي هي نور الأفق الشديد الإضاءة،

إنها وعلة الجبال،

نجمة الصباح التي تتألق (.....)

إنها نبع ثمين، إنها زبرجد ماوهاشي

إنها حلي العقيق التي تحمل البهجة

وخاتم القصدير وسوار الحديد

إنها عصا من ذهب وفضة براقة

(.....)

إنها تمثال كامل الجمال، كامل البهاء،

إنها ملاك رخامي على قاعدة من لازورد.

دعني أعطيك العلامة الثالثة للتعرف على أمي:

أمي هي المطر في فصله (الملائم)، إنها

الماء (محيي) الحب المدفون

إنها حصاد وفير، شعير فائق الجودة (؟)

إنها بستان رخاء مليء باللذائذ (الثمار)

إنها شجرة صنوبر أحسن إرواؤها،

محملة بالكواز.

إنها ثمرة السنة الجديدة وجني الشهر الأول

إنها القناة تحمل المياه المخصبة

حتى مجاري السقاية

إنها بلح دلمون الشديد الحلاوة

البلح الفائق الجودة والمطلوب (دوماً).

دعني أعطيك العلامة الرابعة للتعرف على أمي:

أمي هي عيد، هي عطية مليئة بالبهجة،

أنها تقدمة – أكيتا تبهر ناظرها

إنها خلية رقص معدة لفرح كبير

إنها وليدة أمير ونشيد وفرة.

إنها عاشقة وقلب محب لا ينضب فرحه.

إنها بشارة السجين العائد إلى أمه.

دعني أعطيك العلامة الخامسة للتعرف على أمي:

أمي هي عربة صنوبر وفراش من خشب البقس

إنها كساء مضمخ بالدهون العطرة

إنها قارورة من صدف السلاحف

مملوءة بأنفس العطور

إنها طوق أزهار رائع الجمال

قل لها (أيها الرسول):

ابنك الحبيب لو – دنجيّرا

يوجه إليكِ أجمل تمنياته. (الشواف 2001: 120 - 123).

الفصل الحادي عشر
المظهر العلمي

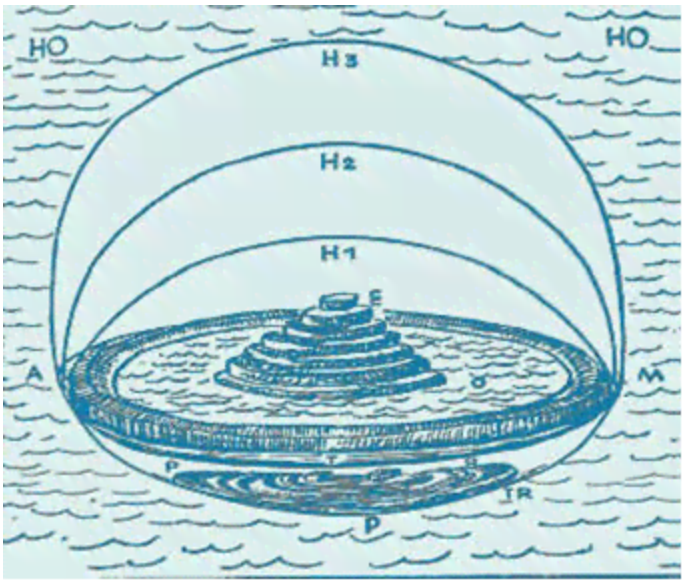

صورة الكون السومري – البابلي من خلال قراءة أفكارهم ومقاييسهم عن الكون

http://freepages.history.rootsweb.ancestry.com/~catshaman/13Sumerian/03Sumerian2.htm

أولاً: العلوم الطبيعية

1. الرياضيات

ظهرت الحاجة لمعرفة الرياضيات من أسس عملية تخص البناء والعمران وهندسة المباني بالدرجة الأولى، ومن جوانب التطور الاقتصادي للسومريين، فهي رياضيات تجريبية في نشأتها.

نظام الأعداد:

استخدم السومريون نظامين للأعداد هما النظام العشريّ والنظام الستيني، فالنظام العشريّ وجدوه قبل استقرارهم في وادي الرافدين وهو العد من (1 - 10). أما النظام الستيني فقد ابتكروه هم وهو العدد من (1 - 60). واستخدموا لهما نوعين من العلامات أحدهما بيضوي والآخر دائري، وحين استقر الخط المسماريّ استخدموا لرقم واحد علامة () وللرقم عشرة العلامة ()، ويتكرر الرقم واحد من (2 - 9).

Image

http://www. mathematicsmagazine. com/Articles/TheSumerianMathematicalSystem. php#. UxCEceNdWl4

ومن (11 - 20) تكون علامة العشرة إلى اليسار وبعدها علامة الواحد، وهكذا، ويكون الرقم (20) بعلامتين للعشرة وهكذا، وحين نصل إلى الرقم (60) تكون العلامة هي واحد أيضاً ولكنها أكبر قليلاً ()، أما علامة عشرة فتمثل الرقم (600) أيضاً ولكن بحجم أكبر. كما في الجدول الآتي:

إذن رقم () = 1، 60، 3600... إلخ وكذلك الكسور 1/60 وهكذا

Image

ورقم ()= 10، 600، 36000... إلخ وكذلك الكسور 1/10 وهكذا

أما الرقم (0) فكان يعبر عنه بمكان خالٍ أو فراغ.

أما العلامات الرياضية فهي:

الجمع = علامة a- na

الطرح = كلمة Lai

الضرب = كلمة rà -a

Image

ow The Jews

القسمة = ضرب العدد في كسره والعودة للجداول

المجموع العام للأعداد: كلمة Su. Nigin

الجذر التربيعي: Ib. Si

الجذر التكعيبي: Ba. Si

جداول الضرب: من (1 - 59) ثم (1× 500 إلى 50 × 500)

جداول لوغارتمية:

Image

النظامان العشريّ والستيني في الأعداد السومرية (توضيح الترادف بينهما)

http://cdli. ucla. edu/pubs/cdlj/2009/cdlj2009_001. Html

2. الميترولوجي السومري

مقداره التقديريّ المعاصر	ترجمته العربية وقياسها بالنسبة للوحدة الأساسية	اسمه السومري	نوع المقياس
0.0025 ملم	حبّة	شي	الطول
17 ملم	إصبع	شو - سي	

17 سم	يد مضاعفة=10 أصابع	شو دوئا	
50سم	ذراع:يد مكعبة وهو الطول القياسي	كوش	
100 سم	أصل الذراع	جيري	
150 سم	قصبة=3 أذرع	جي	
600 سم	عمود = 2 قصبة = 12 ذراع قصب	نندان	
60 م	حبل	إيشي	
6م	عمود =1/60	نندان	المسافة
60م	حبل = 1/6	إيشي	
360 م	كابل = 1	أوش	
10,800 م	عصبة	دانا	
36 سم مربع	عمود مربع	سار مساحة	المساحة
18 سم مربع	عمود مربع xذراع	سار حجم	
لتر		سيلا	السعة
10 لتر	10 سيلا	بان	
60 لتر	6 بان	بريجا	
240 لتر	4 بريجا	ليدجا	
	720 طابوقة	سار الطابوق	الطابوق (الطوب)
x10x515 أصابع	لبنة صغيرة		
1,26,24طابوقة	في النظام الستيني	سار حجم الطابوق	
184, 5طابوقة	في النظام العشري		
7,12سارطابوق			
0. 5 غم	حبّة	أتاتو	وحدات الوزن
9 غم	وحدة أساسية	شيقل، جن	
497. 7 غم	باوند =60	من	
30. 000 غم	حمل =360	جون	
240 ثانية	جيش = 1/360	مو- إيش	وحدات الزمن

7200 ثانية	مراقب = 1/12	دانا
86400 ثانية	يوم = وحدة أساسية	أود
2592000 ثانية	شهر = 30	إيتود
31104000 ثانية	سنة = 360	مو

المترولوجي السومري تصميم: خزعل الماجدي

3. التخطيط الحضريّ (Urban)

لم يكن هناك تخطيط حضريّ مقصود بالكامل في بناء المدن السومرية لكن السومريين توخّوا الأمور التالية في بناء مدنهم:

1. أن تكون عند ضفاف الأنهار أو جداول الأنهار لتوفير مياه الشرب والزراعة وتهجر المدن عادة إذا غيّر النهرُ مجراه أو جفّ.

2. أن يكون في مركزها معبد الإله الذي يرسم هويتها الروحية والدينية ويسمى بإله المدينة. وتكون قصور الملوك ومرافق الحكومة قرب المعبد.

3. أن يكون لها، في الغالب، سور لحمايتها ويأخذ السور أشكالاً هندسية مختلفة.

4. أن تكون المدينة، في الغالب، على أرض مرتفعة.

5. تتراصف البيوت في جدران مشتركة وتطلّ على أزقة غير منتظمة، وقد تكون هناك ساحات بين البيوت، وهناك شوارع مرصوفة تؤدي إلى مركز المدينة.

كانت المدينة تسمى (أورو) وبالأكدية (آلو). أما القرى الفلاحية فاسمها (إي أوروش) و(إي دورو)، وبالأكدية (كفرو، كبرو، خصاره، حضارو).

وتكون المدينة السومرية من ثلاثة أقسام أساسية هي:

1. مركز المدينة ويسمى (أورو) وله باب اسمه (داجيا)

2. ضاحية المدينة ويسمى (أورو- برّا) ويوجد فيه المعبد الخاص بالأكيتو (بيت – أكيتو) والمزارع والبساتين والحظائر.

3. الميناء والمستودع ويسمى (كار) وهو مركز المدينة التجاريّ قرب النهر.

هناك مدن من نوع آخر ليست للسكن، بل هي مدن عسكرية وسياسية تقع على طرق القوافل التجارية ويستخدمها الأمراء والملوك.

4. الهندسية المعمارية

لا شك أنّ الهندسة المعمارية السومرية اعتمدت على علوم هندسية رياضية متطورة ابتدأت منذ بناء القرى والمدن والمعابد الأولى في الجزء الأعلى من حضارات وادي الرافدين قبيل التاريخ في حضاراته النيوليتية والكالكوليتية. وأظهرت أولى المدن السومرية عمراناً متميزاً «وكانت حضارة أريو هي الممثلة لأولى نتاجات حضارة السمريين في جنوب العراق تمثل أيضاً المرحلة الأولى من فترة حضارة العبيد وتتميز هذه المرحلة معماريّاً باحتوائها ثماني عشرة طبقة سكن على الرغم من كونها مباني عامة هي المعابد، فهي توضح أسلوب البناء والمواد الأولية ومثل هذا الواقع المعماريّ الجديد الذي يغطي فترة الألف الخامس مرحلة من بداية الألف الرابع قبل الميلاد يتوضح عمارة مدن سومرية أخرى في جنوب العراق ومنها أور وفلّو والعقير». (نخبة من الباحثين العراقيين، الجادر 1985: 87).

كانت الهندسية المعمارية السومرية تعتمد على مجموعة من الأسس وهي:

1. استعمال اللبن المستوي المحدب.

2. استعمال السقوف المستوية أو الهرمية (الجملون).

3. استعمال الأبواب الخشبية التي تدور عضاداتها على قاعدة من الحجر (سنّارات).

4. استعمال الدعامات التي تساعد في حمل الشرفات والسقوف وكزينة جمالية.

5. استعمال اللبن المستطيل ذي المقطع المربع المسمّى بالألمانية (ريمشن).

6. استخدام الأعمدة.

7. استخدام الفيسيفساء وهي مخاريط ملونة (أحمر، أبيض، أسود) مصفوفة على الأعمدة والجدران.

8. استخدام طريقة التراصف في بناء الجدران من الطابوق اللبني والتي تشبه العمود الفقريّ للسمكة، أما في المناطق الضعيفة للجدران (مثل الأبواب) فهناك طريقة (الحل والشد) التقليدية.

9. استخدام الإسفلت كمادة لكساء الأرضيات لكي تعزلها عن المياه.

10. استخدام الجصّ في طلاء الجدران.

المعابد الأرضية أخذت أشكالاً مختلفة دائرية وبيضوية ومربعة ومستطيلة. أما المعابد المرتفعة (الزقورات) فقد أخذت شكلاً هرميّاً متدرجاً يصعد إلى قمته من خلال سلالم أمامية وجانبية تظهر خارج البناء.

قسم المعماريون أنواع الطابوق الذي استخدمه السومريون إلى أنواع كما يلي:

1. نوع باتزن Patzen وأبعاده 5×40×80 سم وقد ظهر في فترة أوروك الأولى (3600 - 3200) ق. م

2. نوع ريمشن Riemchen وأبعاده 16×16 سم وقد ظهر في فترة أوروك الأولى أيضاً.

3. النوع المستوي المحدب Convex -Plano وأبعاده 10×19×34 سم وقد ظهر في فترة السلالات المبكرة (3100 - 2300) ق. م

Image

البيت السومري المديني

http://www. crystalinks. com/sumergods1a. html

Image

عمارة المعابد في مركز مدينة أوروك

Image

موقع زقورة آنو في أوروك مع مرافقها

http://www. answers. com/topic/uruk

زقورة أور من الجانب ومن الأعلى

5. علم الفلك السومري Sumerian Astronomy

الرياضيات الستينية وعلم الفلك

قبل أن نبدأ بشرح الرياضيات الستينية السومرية سنستعرض الأنظمة الرياضية التي كانت تستعمل في العالم القديم كله... فقد سجلت لنا الأبحاث خمسة أنظمة رياضية استعملتها الأمم القديمة وهي (انظر باقر 1980: 29):

1. النظام الثنائي Binary system: الذي استخدمته القبائل الأسترالية البدائية وهو المستعمل في أجهزة الكمبيوتر.

2. النظام العشريّ Decimal system: الذي استخدم في حضارة وادي النيل وحضارة الشرق الأدنى واستخدم في حضارة وادي الرافدين إلى جانب النظام الستيني.

3. النظام الاثنا عشري Duodecimal system: الذي استخدم في بعض جهات أفريقيا وأميركا الاستوائية.

4. النظام العشريني Vigesimal system: الذي استخدم في حضارة المايا والأزتيك في أمريكا الوسطى.

5. النظام الستيني Sexagesimal system: الذي انفردت الحضارة السومرية باستخدامه وهو أول نظام رياضي سبق الأنظمة السابقة، وأصبح فيما بعد الأساس الذي اعتمدته علوم الفلك والهندسة وقياس الزوايا والموازين والمكاييل.

والجدير بالذكر أنّ السومريين استخدموا النظامين العشريّ والستيني بعضهما بجوار بعض، والحقيقة أنّ هذين النظامين هما أنجح نظامين رياضيين

لأن النظام العشريّ يستخدم في حالات التتالي المستقيمة، بينما يستخدم النظام الستيني في حالات الانحناء والدائرة، وهنا تكمن العبقرية السومرية. إن النظامين أفادا الفلك ولكن النظام الستيني كان هو الأساس الرياضي الذي قام عليه إلى الآن.

يعتمد النظام الستيني على العدد (60) ويكون فيه العدّ الأساسي من العدد (1) إلى العدد (60) ثم يبدأ عدّاً جديداً وهكذا، ولذلك كانت علامة رقم (1) ورقم (60) في الكتابة المسمارية السومرية هي نفسها. أما الرقم عشرة فله هو الآخر علامة مفردة، أما الأرقام التي بين (1،10،60) فهي أرقام مركبة من أكثر من علامة.

إن الدائرة، حسب الرياضيات السومرية، مكونة من 360 درجة أو (كيش) الذي كان يعبر لفظيّاً عن 1،60. واستعمل رقم (60) لأنه رقم أعلى وأعظم ليكون الرقم الرمزي أو السريّ للإله آن إله السماء وأعظم الآلهة... أما الرقم (1) فقد كان يدل على الإنسان، وبين الإنسان وآن تتعدد الآلهة، ولأن السنة كانت تدور على شكل دائرة في مواسمها فهي مكونة (من 360) كيش أو يوم.

تقول مارغريت روثن: «يبدو أنّ النظام الستيني الخليط هو وليد تمازج العدد 10،60 الذي يقبل القسمة على 2،3 فتشكل المجموعة 1،10،60 النظام السومري الذي يطبق سلماً تصاعديّاً أو تنازليّاً للوحدة ذا عنصرين مكونين هما 1 وهو إسفين (مسمار) عمودي بوسعه أن يعبر عن قوة إيجابية أو سلبية للعدد 60 و2 وهو رافد متأتٍّ عن جزءٍ من الدائرة المشوهة، ويساوي العدد 10، لأنه مجموع عشر مرات العدد. فكانوا يكتبون الأرقام كلها، 1،10،60 في السلم التصاعدي ويضربونها بالعدد 60 فيكون الناتج 60،600،3600 أو مضروبة بالرقم 60 فيكون الناتج 3600، 36000، 216000 وإلخ. بينما يقسمونها في السلّم التنازلي فيكون الناتج 60/1، 6/1 أو مقسومة على 60 فيكون الناتج 3600/1، 360/1، 60/1... إلخ وقد أظهر تورو- دانجن في دراسةٍ له حول الرياضيات البابلية بأن للنظام السومري نظام ذو طابع غير متجانس، وكأنه ليس نظاماً ستينيّاً، لأنه يشتمل أيضاً على النظام العشري». (روثن 1980: 114).

إن رياضيات الدائرة وهندسة الكرة التي تسربت إلى الفلك السومري... وسنجد صدى الرياضيات الستينية واضحة عندما نناقش الدورات الكونية في العصر البابلي.

نظام الوقت السومري:

أولى الإنجازات الفلكية وأبسطها هي تنظيم الوقت (اليوم، الأسبوع، الشهر، الفصل، السنة) وقد وضع السومريون أساساً واضحاً للوقت أصبح فيما بعد الأساس الذي سار عليه البابليون وغيرهم من الأقوام في المنطقة وخارجها.

كانت كلمة يوم في السومرية تمثل غروب الشمس. فاليوم يبدأ من غروب الشمس ثم شروقها صباحاً ثم غروبها. ولكن الشمس لم تعطِ انطباعاً متغيراً بالوقت لأنها تشرق كاملة وتغرب كاملة فانتبه السومريون للقمر لأنهم رأوه يتغير فهو يبدأ هلالاً ثم يكتمل بدراً ثم يصبح محاقاً ويختفي ثم يعود من جديد وهكذا... فأوحت لهم أولاً عودة القمر المتكررة بالشهر، ثم انقسم الشهر إلى قسمين حيث لاحظوا أنّ اكتمال البدر يستغرق نصف شهر وأن اختفاؤه يستغرق النصف الآخر، وهكذا قسّموا الشهر إلى الأقسام التالية:

1. الأسبوع الأول: ويبدأ من ظهور الهلال مثل خيط مقوس وحتى يتكون نصف البدر ورأوا أنّ ذلك يستغرق سبعة أيام.

2. الأسبوع الثاني: ويبدأ من نصف البدر حتى اكتمال البدر وكان ذلك يستغرق (14) يوماً.

3. الأسبوع الثالث: ويبدأ من تناقص البدر حتى عودته إلى نصف البدر.

4. الأسبوع الرابع: ويبدأ من نصف البدر حتى ظهور الهلال المحاق.

5. اليومان أو الثلاثة: بين غياب القمر وظهور خيط الهلال الأول من جديد وكانوا يعتقدون أنّ هذه الأيام هي أيام اعتقال القمر من قبل شياطين العالم الأسفل. وهي نوع من الموت المؤقت لإعادة النشاط والحياة بقوة إلى القمر.

أما السنة فكانت تنقسم إلى فصلين متساويين هما (إيميش Emesh) وهو الصيف الذي يبدأ من شباط – آذار (فبراير- مارس) و(إنتين Enten) وهو الشتاء الذي يبدأ في أيلول- تشرين الأول (سبتمبر- أكتوبر).

وعلى المستوى الميثولوجي مثلت الفعاليات الفلكية لتقسيم الوقت كالقمر وعدد الأسابيع وتقسيم الفصول على شكل أساطير. فإذا كان القمر يولد من أمه على شكل عجل تظهر قرونه النحيفة في السماء على شكل هلال خيطي فإنه سرعان ما يكبر ويتحول إلى ثورٍ مجنح في السماء يختطف في آخر أيامه عندما يصبح عجوزاً.

أما الصيف والشتاء فهما الإلهان اللذان يعملان عند إنليل وهما (إيميش وإنتين) حيث يستعرض كلّ منهما منجزاته أمام الإله إنليل متنافسين أمامه فيفصل بينهما مفضلاً الشتاء (إنتين) على الصيف لأنه فصل الزراعة وتكاثر الحيوانات.

وكانت السنة تقاس على الأشهر القمرية وتسمى السنة القمرية، وتقاس السنة نفسها على الأشهر الشمسية، أما فرق الأيام بينهما فينتظر عدة سنوات (حوالي ست سنوات) لإعلان شهر كبيس يضاف إلى السنة القمرية. (انظر كريمرد. ت: 121)

كانت السنة الجديدة في سومر تبدأ في آذار وتحديداً في 21 آذار (من تقويمنا الحالي) وهو بدء الانقلاب الربيعي حيث يتساوى فيه الليل مع النهار، وكان هذا اليوم بمثابة عيد رأس السنة السومرية Ezen) إيزن ومعناه (سنة) كما يوحي لفظها والذي هو عيد الزكمك الأول. عيد الحصاد والربيع والزواج الإلهي، فقد كانت بداية السنة إعلاناً لمجيء الربيع وهو تقليد زراعي ارتبط بقران دموزي (إله الحظائر) مع إنانا (ملكة السماء)، فهي مراسيم زواج إلهي تحول فيما بعد إلى زواج ملكي كانت فيه الكاهنة العليا تنوب عن إنانا وكان الملك ينوب عن دموزي.

وبزواج الملك من الكاهنة العليا تعلن خصوبة الأرض وتبدأ الأفراح، لكن مجيء شهر أيلول (21 أيلول) وهو الانقلاب الشتوي كان بمثابة الكارثة فكانت مناسبات الـ(زكمك الثاني) تبدأ حيث تمارس طقوس النداء ودفن دموزي الذي يذهب إلى العالم الأسفل ليغيب هناك ستة أشهر يظهر بعدها في الزكمك الأول ليعلن مجيء الربيع... وهكذا...

إن بعث دموزي وموته كان هو الشكل الميثولوجي لتقسيم السنة إلى فصلي الحصاد والبذار اللذين كانا يبدآن بالربيع والخريف على التوالي.

وهذا التقسيم السومري يفضل أسماء شهور، الخلابة، يقدم لنا لوحة حياة رعي، كالشهر الذي تأخذ فيه الزروع بالاصفرار، والشهر الذي فيه يحصد القمح ويسمى بشهر المطامير وفيه يجمع القمح، والشهر الذي تحفظ فيه المحاصيل للحيوانات، وقد كان ثمة أعياد تختم الحصاد (كعيد المظال الطقسي لدى اليهود). ومن جهة أخرى، أعياد طقسية كالشهر الذي فيه يأكلون الحنطة على شرف الآلهة، أو الشهر الذي فيه يأكلون الملت، وهذان الأمران يدلان على عادة الموائد الطقسية، وقد كانت مرتبطة بطابع التربة أيضاً والاحتياجات التي تتمّ في بعض الأماكن، كما يدل على ذلك اسم شهر جزّ الصوف. (روثن 1980: 85).

لم تصلنا أسماء ثابتة للأشهر القمرية التي كان يعمل بها في سومر، بل كان لكل مدينة سومرية تقويم خاصّ وأشهر خاصة، فيما عدا تلك الأسماء العامة التي كانت تطلق على مناسبات عامة كالحصاد والمطامير وجزّ الصوف والتي لم تكن تسميات ملزمة للسومريين، فقد اخترعت المدن السومرية أسماء خاصة بالأشهر بعضها مشترك بينهم وبعضها خاص ببعضها «وقد تمكن الباحثون حتى الوقت الحاضر من تثبيت هويتها بصورة كاملة هي خمسة تقاويم وتعود إلى المدن التالية: لجش ودريهم (صيلوش دكان) وأوما ونفّر وأور. وبالتأكيد هناك تقاويم أخرى غير التي ذكرناها لم تسنح الفرصة بعد للتعرف عليها وذلك لأن تنقيباتنا لم تشمل جميع المناطق الآثارية. (رشيد 1986).

فيما يلي جدول الشهور بالعربية والبابلية والسومرية:

	التقويم العربي الحالي	التقويم السومري	التقويم البابلي	الملاحظات
1	نيسان	بارزاجكا BÁR. ZAG GAR.	نيسانو	نيسو: يحرك، شهر الحركة أو البركة
2	أيار	جود سيدي SU/GU. SI. SÁ	آيّارو	أرو=أر=النور=طلوع أوراق جديدة شهر الأزهار
3	حزيران	سيجكا SIG. GA	سيمانو	شهر القمر
4	تموز	شونومنّا SHU. NUMUN	دؤوزو	الابن البار لمياه المحيط الجوفي
5	آب	نينيكار NE. NE. GAR	آبو	شهر الأب، الشمس، الثور، الشهر المعادي بسبب حره
6	أيلول	كن إنّينا	أولولو	الولولة والتهليلة على تموز

		KINdINANNA		عند شهر أيلول يضاف شهر آخر يسمى (كن در) أو (كن كم) أو (كن آ)
7	تشرين الأول	دوكو DU. KÙ	تشرينو	شهر البداية، الأصل
8	تشرين الثاني	ابن دوءا APIN. DU. A	أرخمنا	الشهر الثامن
9	كانون الأول	جان جانّا GAN. GAN. DU .UD	كسليمو	كانون: التنور لأنه يجب أن يوقد في هذا الشهر
10	كانون الثاني	أبّائي AB. BA. DU. DU	طبييتو، ذابيتو	الشهر العابس أو المظلم
11	شباط	أشأم، ززءا ZIZ. A	شباطو	الشهر المدمر
		شيجوركود		الشهر المعتم أو المكتظ بالسحاب
12	آذار	SHE. GUR. KU	آدّارو	عند شهر آذار يضاف شهر آخر كل ست سنوات وهو الشهر الكبيس يسمونه (شي در) أو (در شي)

جدول التقويم السومري العام مقارنة بالتقويمين البابلي والعربي الحالي

وفيما يلي جدول الشهور السومرية العام والبابلية نقلاً عن المصدر الأصلي لمعرفة التصويت بالحروف اللاتينية:

Image

-2-http://gluedideas. com/Encyclopedia-Britannica-Volume-4-Part Brain-Casting/Babylonian-and-Assyrian. html

وفي هذا الجدول نجد أسماء الشهور في أربع مدن سومرية مختلفة هي (لجش، أومّا، أور، دريهم) آثرنا وضعها كما هي بالحروف اللاتينية من مصدرها:

وقد طوّر البابليون أسماء الأشهر وجعلوها عامة وهي الأسماء التي نتداولها الآن في حياتنا اليومية، ومن أجل المقارنة ننقل في هذا الجدول ما جمعه الدكتور فوزي رشيد عن تقويم مدينة دريهم السومرية ونقارنها بأسماء الأشهر بالتقويم البابلي والتقويم العربي الحالي. (انظر رشيد 1986 والراوي 1985).

ويتضح من دراسة هذه التقاويم أنّ السومريين عرفوا كبس الأشهر القمرية ليتلافوا النقص الواضح في الزمن قياساً للسنة الشمسية، وكذلك عرفها البابليون، ومن هنا تأتي أسماء تشرين الثاني وكانون الثاني وواضح أنها كانت أسماء أشهر مضافة.

ويلاحظ أيضاً أنّ السومريين سمّوا بعض الشهور بأسماء أعيادهم مثل (آكيتي) وهو عيد شهر أيلول الذي كان بمثابة رأس السنة الثاني والذي يحتفل به بتتويج الملك، وهو العيد الذي أصبح يعرف عند البابليين باسم (أكيتو) في بداية شهر نيسان. وكذلك شهر إيزن ماخ أي (العيد الكبير). وشهر (إيزن أنّا) أي (عيد السماء) ويعتقد أنه عيد الأمطار، وشهر (إيزن شولكي) الذي كان له علاقة بالملك شولكي وهكذا. وكانت أسماء الشهور على علاقة بالزراعة والريّ وحركات المدّ والجزر.

الكون السومري

تقدم لنا التصورات العقلية السومرية إطاراً ماديّاً يهذب من غلواء الميثولوجيا ويمنحنا تصميماً كوزمولوجيّاً مرهفاً. ويرى السومريون أنّ الصورة النهائية للكون انتهت إلى وضع هذا الكون كله في بحرٍ لامتناهٍ من المياه الهيولية الأولى التي ما زالت تمثلها الإلهة السومرية الأولى (نمّو). وأن هذا الكون يطفو مثل كرة عملاقة فوق هذه المياه.

أما الكون بذاته فقد نشأ عن الجبل الكوني البدئي (آن – كي) ومعناه (السماء – الأرض). ثم كان الهواء الذي فصل بين السماء والأرض. وعلى ذلك فإن الكون في صورته النهائية يتكون من ثلاثة أقسام كبرى:

1. السماء (آن): كان السومريون يتصورون السماء على شكل قبة بيضاء مصنوعة من القصدير، يرقد قرص الأرض الترابي تحتها. أما فوق هذه القبة

وكان هناك العالم الأعلى الذي يسمى (أنوّنا) وهو مقرّ آلهة العالم العلوي.

2. الفضاء (ليل): وهو الهواء الذي يقع بين السماء والأرض، وتعني هذه الكلمة (ليل) الظلمة والريح والهواء والنفس والجو والروح وتمتاز بقدرتها على الحركة والامتداد. ينقسم هذا الفضاء فلكيّاً إلى ثلاث طرق هي طرق (آن، إنليل، إنكي) وتنتشر النجوم والكواكب في هذه الطرق. وتظهر الكواكب السيّارة السبعة في مدارات أو طرق خاصة بها. وكان السومريون يعتقدون أنّ الكواكب والنجوم مكونة من مادة الفضاء نفسها، ولكنها مشرقة وبراقة ربما لأنها المساكن السماوية للآلهة التي كانت مضيئة في نظر السومريين.

3. الأرض (كي): وهي قرص مدور منبسط يطفو على محيط مائي يحيط به من كل الجهات ومن تحته، وكانت المياه التي تسمى بـ(البحر الأعلى) يقصد بها البحر الأبيض المتوسط ومياه (البحر الأسفل) يقصد بها مياه الخليج العربي، أما المياه التي تحت الأرض فتسمى (البحر العميق) أي (أبسو) حيث كان يسكن الإله (إنكي) وتسكن معه أمه وأم الكون (نمّو). أما البحر الأسفل فكان يمثل المكان الذي تشرق منه الشمس، بينما كان البحر الأعلى المكان الذي تغرب فيه الشمس وتعدّهما منفذين للخروج والدخول إلى العالم الأسفل الذي يقع تحت الأبسو.

ولم تكن الأرض في نظر السومريين كما هي عليه، بل كانت مكونة من مركز تقع فيه سومر التي كان مركزها مدينة نفّر حيث معبد الإله إنليل الذي يسمى بـ(رباط الأرض والسماء). وتقع شمال سومر (سوبار) وجنوبها (دلمون) وشرقها (عيلام) وغربها (أمورو).

Image

الكون كما تصوره السومريون

وكان العالم الأسفل (كور) يقع تحت مياه أبسو وهو فضاء مترب تعيش فيه أرواح الموتى سجينةً إلى الأبد، وهناك للعالم الأسفل مدخل رئيس مكون من سبعة أبواب تنتهي بنهر العالم الأسفل الذي اسمه (خبر) الذي يحيط بالعالم الأسفل مثل دائرة. ويقع في قعر العالم الأسفل من منطقته الوسطى قصر (إيكالكينا) الذي هو مقرّ آلهة العالم الأسفل الرئيسة (فرجال وأرشكيكال).

وهكذا يتشكل الكون من العناصر الأربعة (الهواء، والنار، والماء، والتراب) وفق نسب محسوبة وشكل هندسي كروي أو دائريّ منتظم ويكوّن هذا الإيقاع

التصميمي والمضموني نواة للتصورات الكوزمولوجية في كل أنحاء العالم القديم وبشكل خاص في بابل واليونان.

كما يسيطر تقسيم سكنى الكون حيث الآلهة في السماء والناس على الأرض والشياطين والأموات في العالم الأسفل على أغلب التصورات الخاصة بالكون في تلك العصور.

Image

نموذج متخيل للكون السومري

http://www. abovetopsecret. com/forum/thread833168/pg1

خسوف القمر

عرف السومريون خسوف القمر وسجّلوه في إرصاداتهم الفلكية ووضعوا تفسيراً ميثولوجيّاً لهذه الظاهرة. وهناك أسطورة تتحدث عن تحالف بين إله القمر وولديه الشمس والزهرة وذلك بتحريض من أبيه الإله إنليل. حيث تقوم هذه العائلة الإنليلية بمحاولة مقاسمة إله السماء (آن) حكم الكون. حيث يتصدى (آن) لهم ويرسل الإله (سبيتو) التي ربما كان معناها الفلكي نجوم الثريا السبع، ويبدو أنّ الثريا تسبب خسوف القمر وتتخلى الزهرة عن عائلتها وتنضم إلى صف إله السماء يحدوها أمل في حكم السماء بمفردها. ويقوم إنليل بإرسال (نسكو) ابنه ومساعده وهو إله النار والنور إلى إله الحكمة إنكي لإنقاذ القمر من مأزقه فيقوم إيا (وهو فلكيّاً عطارد) بإطلاع ابنه أسالوحي أو ماردوكو (وهو فلكيّاً المشتري) على الأمر ويبدو أنّ الأسطورة تنتهي بتمكن إيا من تحرير القمر. علماً بأن الإله آن في هذه الأسطورة يمثل السماء ويمثل كوكب المريخ.

والحقيقة أنه يمكن تفسير هذه الأسطورة فلكيّاً وتتبع أحداثها على السماء لأن كل أبطالها لهم تفسيرات فلكية. حيث نجد أنّ الكواكب الثلاثة الأولى الكبيرة بالتواطؤ مع كوكب المشتري بمحاصرة كوكب المريخ ولكن المريخ يوجّه نجوم الثريا السبع فتقوم بخسف القمر وجعله مظلماً ويقوم المريخ باستمالة الزهرة، لكن المشتري يرسل ضوءه إلى عطارد ويحاولان من خلال الضوء إنقاذ القمر وينجحان. ومن المؤكد أنّ هذه الأحداث تفسر على طريقتها أحداثاً

فلكية معينة نتركها للمختصين الفلكيين. أما كسوف الشمس فقد عُرفَ هو الآخر وسُجّل ولكننا لا نعرف أسطورة خاصة بتفسير كسوف الشمس.

النظام الشمسي

السؤال المحير لدى العلماء هو: هل عرف السومريون النظام الشمسي بدقة، التناول التقليدي لمعرفتهم يخبرنا أنهم عرفوا خمسة من الكواكب السيّارة واعتبروا الشمس والقمر معهما، وبذلك يكون النظام الشمسي في نظرهم مكوناً من سبعة كواكب هي (الشمس، والقمر، والأرض، والزهرة، والمريخ، والمشتري، وعطارد، وزحل). وقد نسبوا لكل كوكب إلهاً ليكون مسؤولاً عنه كما عرفنا ذلك أعلاه.

لكن هناك دلائل تشير إلى أنهم عرفوا النظام الشمسي بصورة أوسع من هذا، فربما كان الرقيم المشهور الذي يدلّ على هذا الأمر قابلاً للتفسير على هذا الأساس حيث الشمس تتوسط اثني عشر كوكباً سيّاراً، لم يخبرونا عن أسماء كل هذه الكواكب. ولكننا لا نؤيد مطلقاً التأويل الذي ابتكره زكريا ستشن حول هذا الموضوع عندما قرر أموراً لا يقبلها العلم ولا المنطق حول الكواكب الاثني عشر والكوكب الثاني عشر الذي أسماه نبيرو حيث يسكن آلهة الأنوناكي السبعة كما يقول.

إننا نرفض، جملةً وتفصيلاً، نظريته المفبركة هذه والتي تحاول ليّ النصوص السومرية لصالح التوراة، فضلاً عن كونها ترى أموراً حديثة في نصوصٍ قديمةٍ لا علاقة لها بها.

Image

رقيم سومري لمجموعة من النجوم

نرى أيضاً أنّ الرقم المقدس عند السومريين هو 12 والذي رسموا به كرات متفاوتة الحجم حول نجمة كبيرة ربما كانت الشمس، وربما كانت هذه الدوائر دالةً على الأبراج الاثني عشر التي عرفها السومريون حيث وضعوا نجماً أو كوكباً في كل برج منها كرمز له أو كحقيقةٍ تصوروها، وهذا ما نرجحه. ليس الأمر أكثر من هذا ولا يمكن الذهاب لأبعد من هذا، ونحن ندرك حجم التزييف الذي مارسه زكريا ستشن في هذا الموضوع وسنعمل على فضحه ببحوث مفصلّة.

الزقورات السومرية كمراصد:

كانت الزقورات السومرية امتداداً للمعابد الصغيرة والمصليات التي ظهرت على مصاطب مرتفعة، ثم تطورت وتعددت هذه المصاطب وكانت هذه الزقورات بارتفاعها الواضح في وسط المدينة تشير إلى أنّ «السومريين شعبٌ جبليّ الأصل وأن آلهتهم جبلية اعتادت سكنى الأماكن المرتفعة واتخاذ هياكلها فوق كل تلٍّ عالٍ. ولا بدّ أنهم عندما استوطنوا سهول الفرات الرسوبية المنبسطة أسفوا لخلوها من الأماكن المرتفعة المناسبة لعبادة آلهتهم كما جرت عاداتهم بذلك فأقاموا التلول الصناعية ملافاة لهذا الغرض». (وولي د. ت: 68).

ويبدو أنّ الزقورات كانت مختلفة الحجم وكان يصل ارتفاع بعضها أحياناً إلى أكثر من سبعين قدماً، وكانت تتكون من (3 - 7) طبقات وفي قمتها كان هناك المعبد العالي الصغير الذي كان لأغراض عديدة منها استقبال الإله السماوي المخصص له ذلك المعبد والمكان الذي يتعبد فيه كبير الكهنة، وكانت هذه الغرفة أيضاً مكاناً للرصد الفلكي.

وقد ظهرت نظريات عديدة حول وظيفة الزقورات منها أنها معابد للآلهة تعمل على ربط السماء بالأرض أو أنها تشبه عروش الآلهة. يسكن الإله المعبد العالي ويسكن كهنته المعبد السفلي، وقد يصعد الكهنة للإله أو ينزل الإله إليهم. ورأى فيها البعض مراقد للآلهة الميتة ويدل على ذلك اسم زقورة السومري ككمو Gigumu الذي يكاد يشبه اسم غرفة الدفن تحت الأرض وهي ككنو Giginu ويدلل على ذلك الإلهان دموزي ومردوخ. وكانت إحدى وظائف الزقورات هي الرصد الفلكي وخصوصاً في (المعبد العالي) لارتفاعها وتمكن الكهنة من مراقبة النجوم فيها.

كانت أعظم الزقورات السومرية هي زقورات الآلهة الكوكبية مثل زقورة أور (القمر) وزقورة أريدو (الشمس) وزقورة أوروك (الزهرة) ثم لاحقاً في العصر البابلي زقورة مردوخ (المشتري).

ويبدو أنّ المعابد كانت تحتوي على حجرة خاصة بالمنجمين تعرف باسم (بت تمرتي) أي بيت الرصد أو المرصد حيث كانوا يرصدون القمر. (انظر هوك 1987: 156).

Image

صورة الكون السومري

http://www. edybevk. dds. nl/sleepwalkers/sleepwalkers%20tekst. Htm

http://www. forbiddenhistory. info/?q=node/12

Image

الأصل السومري لمجاميع النجوم

http://freepages. history. rootsweb. ancestry. com/~catshaman/02evenst/02followma. Htm

الكواكب السيارة

ت	الكوكب	أسماؤه السومرية	الإله المسؤول عنه ودلالته
1	عطارد Mercury	جود-أود Gu-ad,Gu-Utu,Ubu-idim-gud-ud,Gud-ud	نبو: المعرفة
2	الزهرة Venus .	ننسي أنا، دلبات Nindaranna,Ninsianna,Dibalt,Dilbad,Dilipat:	إنانا: الحب
3	المريخ Mars	سالبتائي Salbatai,Salbatana,Sanumma	نرجال: الموت
4	المشتري Jupiter	أودلتار Babbar,Sagnae-gar,Nibiru--Udaltar,Mul Marduk	مردوخ: الهواء، العاصفة، الطقس
5	زحل Saturn	جينّا Genna,Sagus,Uduidim,Ninib	نينب: البعيد

الكواكب الخمسة السيارة المنظورة

6. الكيمياء والمعادن والأحجار

1. الميتالورجيا (تشكيل المعادن):

ظهرت كيمياء المعادن مبكرةً في وادي الرافدين، ويعود ذلك إلى اكتشاف النحاس في الألف السادس قبل الميلاد حين بدأ العصر الحجريّ النحاسي (كالكوليت) في حدود 6000 ق.م. وقد شاع استخدام النحاس ثم البرونز في العراق القديم، وبرع السومريون في ذلك حين استخدموا هذين المعدنين في صنع الأدوات الحربية كرؤوس الحراب والدروع والخوذ والرماح وغيرها. واستعمل النحاس كما هو دون طرقٍ في بداية الأمر ثم جرت عمليات صهر النحاس وطرقه على نطاق واسع. وقد نقلت عمليات صهر النحاس التعدين إلى مراحل متقدمة حيث ابتكروا قوالب الشمع والطين لصنع ما يرغبون من النحاس ثم البرونز.

وقد اشتهر العاملون في التعدين باسم (تامبيرو) و(أورود)، وكانت أكثر خامات النحاس استخداماً هي الملاكايت (كاربونات النحاس) وأوكسيد وكبريتات النحاس واستعملوا النحاس اللامع الذي يعرف بـ(أبو النحاس، النحاس التيزاب) الذي له لون أصفر كالذهب، وكان سعره غالياً والحصول عليه نادراً.

كانت (دلمون) مصدر النحاس الأساسي وكذلك (مجان) وهي عُمان التي أسماها السومريون (جبل النحاس)، وفي وادي الرافدين عرفوا منطقة (كيماش) جنوب كركوك (وهي جبل حمرين) كمصدر للنحاس والذهب.

أما القصدير فقد عرفه السومريون وخلطوه بنسب قليلة لا تتجاوز 10% مع النحاس لتكوين البرونز.

«ومن المعروف أنّ كورة التسخين Kuru الخاصة بإذابة المعدن كانت تتكون من طبقتين: في الأولى وهي السفلية كان موضع اشتعال النار، وفي الثانية يوضع خام المعدن. ومثل هذه الكور تشابه كُور شيّ الفخار المكتشفة بكثرة وهي تشبه أيضاً الكور المستخدمة للأغراض نفسها حتى اليوم». (نخبة من المؤلفين العراقيين، الجادر 1976: 247).

اكتشف الآثاريون 14 كورة لصنع الفخار في أور من نهايات الألف الرابع قبل الميلاد. وفي مدينة لارسا (سنكرة) اكتشفت كورة لصهر المعادن عبارة عن ساحة مفتوحة على غرفة مستطيلة الشكل منها تتوزع ثلاثة أفران دائرية تطل من الجهة الثانية على غرفتين أخريين كما في الشكل أعلاه.

وقد عرف السومريون الذهب والفضة على نطاق واسع واعتبروهما من أغلى المعادن وصنعوا بهما الحلي والتيجان وأدوات الزينة المختلفة. واستخدمت

الفضة لصنع العملات السومرية وجعلها مقياساً ثابتاً للأسعار.

«استخدم السومريون ثلاثة أنواع من الذهب، فبالإضافة إلى النوع المشخص بالذهب بصفة مطلقة فقد استخدموا التعابير التي تشير إلى الذهب الأحمر والذهب النقي. وكان الاختلاف بين هذه الأنواع يعتمد على نسب خلطه بالمعادن الأخرى وخاصة مع النحاس والفضة أو مع الاثنين معاً. ولقد عرفوا الألكتروم المزيج من الذهب والفضة وبشكل مألوف. وتشخص الكتابات المسمارية مسميات أخرى للذهب حسب مظهره وبعد خلطه مع هذه المعادن. وهكذا يذكر الذهب الأبيض والأخضر والذهب الصافي والذهب من النوعية الجيدة». (نخبة من المؤلفين العراقيين: ج1: الجادر 1976: 252).

عرف السومريون الحديد ولكنهم لم يستخدموه على نطاق واسع لندرة الحصول عليه بسبب عدم نقاوته في مواده الخام، وكانوا يدركون أنّ هذا المعدن موجود في النيازك التي تسقط من السماء ولذلك أسموه (آن- بار) أي (معدن السماء) وأسموه أيضاً (بارجال) أي (المعدن العظيم).

كان الصائغ يسمى (كودم)، وكان الإله إنكي هو الذي يرعى المعادن والتعدين لأن فيها إبداع وابتكار، أما الذهب والفضة فقد كانا ينسبان إلى الإله (إنليل).

2. الكيمياء:

بدأت الكيمياء مع النار واستخدامها في الصناعات المختلفة، ومنها صناعة الألوان الذي تزين به الفخاريات، وقد بدأت هذه الصناعة منذ عصر جرمو وتطورت بشكل واسع مع السومريين.

كانت الكيمياء ترتبط بالآلهة وأسرارها «وتميزت الكتابات المسمارية الكيميائية بالسريّة وصولاً إلى اعتبارها من الأسرار الخفيّة أو من عمل الآلهة، حيث استخدمت الضحايا والقرابين لإنجاح بعض العمليات الكيميائية لصنع الزجاج. والأكثر من ذلك أنّ نصوصاً تكنولوجية أو كيميائية قد ذيلت بالآتي: دع الملقّن (للصنعة) يريها للملقَّن ولا يراها غير الملقَّن، إنها تخص الأشياء المحرمة للآلهة العظام». (نخبة من المؤلفين العراقيين: ج1: الراوي 1976: 341).

كانت أهم الأدوات التي تستخدم في العمليات الكيميائية هي (المدق، والهاون، والمطاحن، والأوعية، والدوارق، وقوالب الصب، والوقود والأفران) كانت كيمياء الألوان هي الأقدم وهي التي اعتمدت على تحضير المركبات المعدنية وصناعة الألوان منها فضلاً عن بعض صناعات الألوان الخاصة

بالنباتات والصمغ والغري وغيرها. وكانت تستخدم للرسم أساساً ولتزيين الجسد البشري.

أما كيمياء الأدوية والأعشاب فقد كانت هي أساس الكيمياء العضوية، فقد ا ستخدم الأطباء السومريون ملح الطعام (كلوريد الصوديوم) ورماد الصودا (كاروبونات الصوديوم) وملح النشادر (كلوريد الأمونيوم) والشب (كبريتات الألمنيوم والبوتاسيوم) والجبس (كبريتات الكالسيوم)، وملح النيتر (نترات البوتاسيوم).

وكانت بعض وصفات الأطباء تحتوي على مصادر حيوانية مثل الزيت واللبن وجلد الثعبان وغطاء السلحفاة، وبعضها من النباتات مثل الآس والزعتر والصفصاف والكمثرى والتين والبلح.

واستخدم الأطباء المرهم من الزيوت النباتية والدهون الحيوانية مخلوطة بالأدوية المناسبة، فمثلاً ينصح الطبيب السومري بما يلي:

«انخل واعجن معاً، الكل مع بعضه، ترس سلحفاة ونبات التاجا (المحتوي على الصوديوم) في أول تبرعمه، والملح والخردل، اغسل (البقعة المريضة) ببيرة جيدة أو ماء ساخن. حكّ (البقعة المريضة) بكل هذا. بعد الحك ادهن بزيت نباتي ثم غطّ بمسحوق التنّوب». (كوب ووايت: 2001: 23) عن (Kramer 1963: 96 - 97).

وهناك أيضاً كيمياء المشروبات الروحية كالبيرة والنبيذ، فقد كان يتمّ تحضير الإيثانول (الكحول) عفويّاً من الخميرة الموجودة مع الكروم أو مع القمح ويتمّ تحويل السكر إلى كحول في ظروف التخمير المعروفة، وقد ورث السومريون هذه التقنية من ماضي الإنسان قبلهم والذي كان قد اكتشفها مبكراً في العصور الحجرية.

Image

رقيم مقادير تخمير البيرة 3000 ق. م

http://www. mpg. de/4987500/sumerian_beer?filter_order=L

وكانت هناك أنواع أخرى من الكيمياء الغذائية بمختلف أنواعها كالفواكه والخضر والحبوب: وهناك كيمياء الملابس وأصباغها المختلفة باختلاف أنواعها (الصوف والقطن، والكتّان) وهي أصباغ هايدروكاربونية، وهناك مثبتات للأصباغ. وهناك كيمياء المستحضرات الخاصة بالتجميل ومستحضرات العطور، والمطهرات والصابون (من الطينخاوه وأصماغ الأشجار). وهناك صناعات الدهن الحيواني والزيوت والشمع، وهناك صناعة الدباغة والجلود وكلها تتطلب معرفة بمبادئ الكيمياء العضوية ومراساً طويلاً يعتمد على التجربة والانتقاء.

أما أهم العمليات الكيميائية التي عرفها السومريون فهي التقطير، فقد عثر المنقبون على جهاز للتقطير في موقع تبه كاوره يعود لحوالي 3500 ق. م «وجهاز التقطير عبارة عن وعاءٍ مخروطي الشكل ذي حافتين، الأولى داخلية أقيمت بشكل مستقيم مع البدن وترتفع نحو الأعلى بمستوى الحافّة الخارجية. أما الحافّة الثانية فبرزت نحو الخارج عن سطح البدن مكونة قناة بينها وبين الحافة الداخلية الأولى. ويقرن الباحثون هذا الجهاز بأجهزة التقطير المعروفة عند العرب المسلمين. وموجز طريقة استخدام هذا الجهاز هو تكرار عملية غلي المحلول أو الماء أو الزيت وامتصاص ما يتكثف من بخار في أعلى الوعاء بواسطة قطعة قماش بين الحين والآخر». (نخبة من المؤلفين العراقيين: ج1، الراوي 1976: 346).

أما العملية الأخرى فهي الاستخلاص وهناك عملية التصعيد (التسامي) وكلها مرتبطة بعملية التقطير.

عرف السومريون صناعة الزجاج من الرمل في حدود 3000 ق. م، وارتبطت هذه الصناعة بالخزف والفخار أولاً. ومن الأملاح الأخرى: ملح النهر، وملح الجبال، ونترات البوتاسيوم الأبيض والأسود والمغسول وغير المغسول، والبورق والطين والجص والكبريت الأسود والأصفر والقار.

3. الأحجار الكريمة:

اهتمّ السومريون بالأحجار الكريمة وأنواعها وحرصوا على استيرادها وصناعتها وأهم تلك الأحجار هي اللازورد (لابيس لازولي) التي ظهرت في الكثير من الآثار السومرية. وكان أغلب الأحجار الكريمة يستورد من الهند ومن دلمون. أما الأحجار الأخرى فهي حجر العين اليمنى وحجر عين الطير واليشب (حجر أخضر يميل للسواد) وحجر العقرب وحجر السمك وحجر العشرين أي حجر الطلق.

Image

الذهب واللازورد يصنعان تمثال جدي واقف على عمود ذهبي مورق من الذهب

http://sumerianshakespeare. com/106901. html

7. علم الأحياء (الحيوان والنبات)

علم الحيوان

وصف السومريون حيواناتهم ووضعوا لها قوائم طويلة وميّزوا بين أصناف كل نوع ووصفوها، فقد أسموا الحيوان (دودونا)، (إيرين)*، (إيرنبرج)... وأعطوا أسماءً لأجزاء جسمها وأعضائها.

ومن الحيوانات التي فصّلوا في ذكرها (الماشية، والحمير، والأسماك، والطيور، وبعض الحيوانات اللبونة الأخرى كالقردة والغزلان والخنازير).

تضمنت قائمة الأغنام، على سبيل المثال، الأنواع الآتية للأغنام:

(أشور، بارسال، دِمّا، جابا، جورجو، شارروميوم، أورّي، زلكوم، زوسيجا).

وهناك الحيوانات البريّة التي سجّلوا أسماءها وأوصافها كالنمور والأسود والفهود وغيرها.

Image

ولا شك أنّ السومريين عرفوا كيفية التخمير ودوّنوه في رقيم طيني يعود إلى حوالي 3000 ق. م وهو يحوي حسابات للمواد الأساسية التي تدخل في صناعات البذور والحبوب كصناعة البيرة.

في حفريات تل العقير (80 كم جنوب بغداد) كان هناك وعاء يحتوي على خمسة أقراص طينية منقوش عليها علامات صورية رمزية (igograms) معظمها على شكل وتد ولها علاقة بالأمور الطبية والعلاجية، اللوح الخامس يحتوي على علامات تكميلية توضّح تعدد الأصوات عندما يكون هناك أكثر من معنى واحد للصورة الرمزية على اللوح.

يمكن تصنيف علامات العقير إلى سبع مجموعات، ترجم بعضها إلى عبارات مثل:

1. أنتوكومشي إيجي ومعناها: طالما أنّ الأولى

2. أول إيش ومعناها: حُبُّ الماء وبمعنى أدق الذوبان

وغيرها، وقد قام (جوب فان دير ميل) من جامعة أمستردام بتفسير أو تأويل هذه العلامات بمساعدة الدكتور فالنسيا والدكتور بوبرسكي على أنها أسماء لمجموعة من البروتينات والأحماض النووية وقد تلقى ردّاً قاسياً حول هذه التأويلات. (انظر Joop van der Miel, Archaeologyconspiracies. com)

ونحن، بطبيعة الحال، لا نؤيد مثل هذه التفسيرات ولكننا نودّ الإشارة إليها فقط.

علم النبات

ذكر السومريون قوائم طويلة من النباتات وصنفوها واحتلت النباتات الطبية مركزاً مهمّاً، فضلاً عن الأنواع الأخرى المألوفة. فهناك الحبوب كالشعير والحنطة والذرة والحمص وهناك الخضار كالثوم والبصل والخس، وهناك الفاكهة كالتفاح والعنب والرمّان والتوت والتمر والكمثرى. كان النبات يسمى (أنش)، وهناك قاموس للنباتات في وادي الرافدين بالأسماء السومرية والأكدية وضعه كامبل تومبسون يحتوي على (405) صفحات بأنواع النباتات والأعشاب والعليق والأشجار وغيرها. وقد حظيت النباتات باهتمام ديني كبير وكانت آلهة النبات والزراعة كثيرة مثل:

1. إيميش: النبات

2. أنكيدو: الفلاحة

3. إنتين: فصل الزراعة (الشتاء) وخصوبة النبات

4. آبو: إله الخضر

5. ندابا (نصابا): إلهة الحبوب والحصاد والكتابة

6. أشنان: إلهة الغلّة والزرع

إلهة الزراعة في رقيم طيني

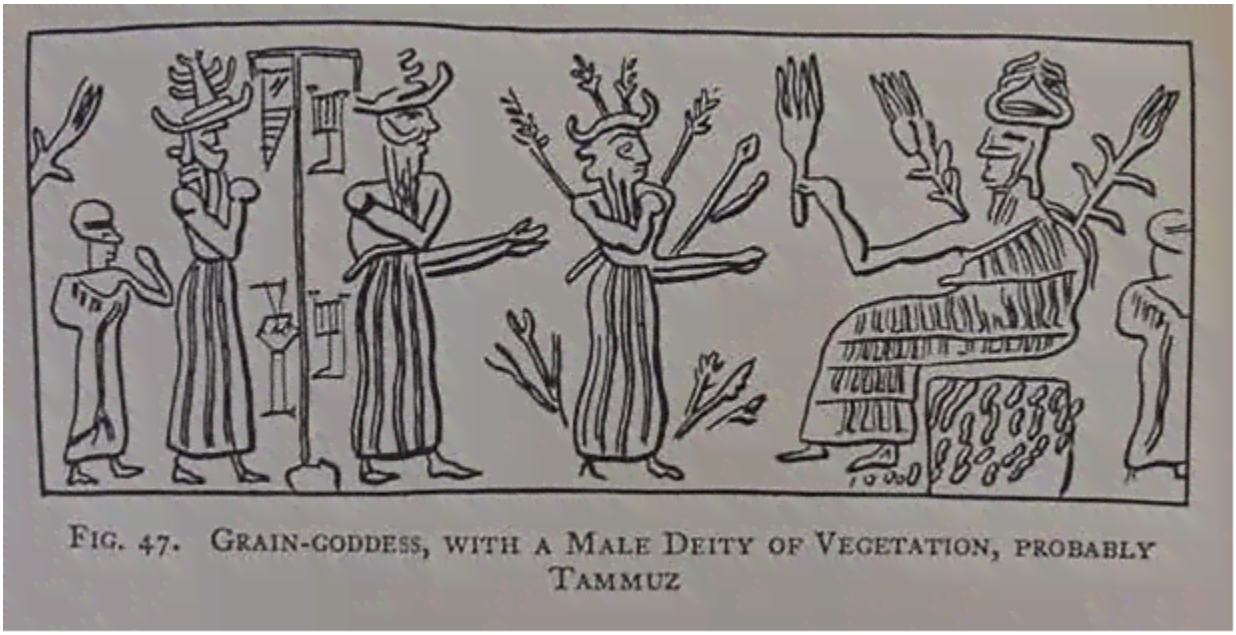

FIG. 47. GRAIN-GODDESS, WITH A MALE DEITY OF VEGETATION, PROBABLY TAMMUZ

الإلهة نصابا إلهة الحبوب أمام إله الخضرة والنباتات ويحتمل أن يكون ديموزي

الإلهة نصابا: لها عدة أسماء أخرى هي (نيدابا، نانيبجال، نونبارشكونو والأخيرة تعني السيدة التي جسدها مرقط بالشعير) هي إلهة الحبوب وإلهة الكتابة والمحاسبة في الوقت نفسه، وهي ابنة الإلهين آن إله السماء وأوراش إلهة الأرض وأخت ننسون، وزوجها هو الإله هيا أو حيا وهو إله المخازن، وهي أم الإلهة ننليل (سيدة الهواء وزوجة إنليل)، وتحافظ نصابا على سجلات الآلهة، ولها صور تظهر فيها بشعر غزير ولها تاج مكون من الهلال وآذان الذرة لأنها ترتبط بمواسم الحصاد، ويعني اسم نصابا (السيدة التي تحصص الحبوب)،

ولهذا فهي تحسب الحبوب وتعدها وتكتبها وهو ما يفسد علاقتها بالكتابة والمحاسبة والحبوب معاً.

Image

آبو إله الخضار

ولعلّ أهم النباتات التي حظيت بعناية خاصة في سومر هي النخلة.

النخيل (الجمّار) وأهميته في سومر

كان التمر يسمى بالسومرية زولومّا Zulumma. وقد ظهرت العلامة المسمارية للنخلة مبكراً ثم ظهرت إشارات واضحة ومهمة لبساتين النخيل في عصر الدولة السومرية الحديثة تقع في المنطقة الممتدة بين بلدتي «أوما» و«لگاش» وتعود إلى معبد إله «أوما». وقد قسمت البستان إلى ثمانية أقسام حسب عمر النخل ودرجة ثماره. وكان إنتاج البستان للتمر تقدر كميته بالكيلة حجماً لا بالوزن. وتصف المصادر المسمارية أصنافاً كثيرة من التمر تتجاوز السبعين صنفاً. وتذكر أصناف التمر بأسماء مواضع خارج بلاد وادي الرافدين مثل: تمر دلمون (البحرين)، تمر مجان (عمان)، تمر ملوخا.

Image

قطف ثمار التمر من النخلة

«سمى العراقيون القدماء النخل باسم جشمار giammar أو gisimmaru وهو يقرب من لفظة (الجمّار) كما عرفوه باسم ثمره أي التمر: suluppu وقد دلت المخلفات الآثارية من عصور قبل التاريخ في العراق على معرفة العراقيين بهذه الشجرة وغيرها من خلال المتفحمات التي اكتشفوها. ويؤيد ذلك ويدعمه وجود العلامة الصورية الخاصة بالنخل على أقدم الرقم الطينية التي يرقى زمنها إلى حوالي نهاية الألف الرابع ق. م وحتى منتصف الألف الثالث ق. م. وبتقدم الزمن وزيادة التدوين كثرت الإشارات إلى النخل وأنواعه وما يمكن أن يعمل منه. وكان العراقيون يقدسون هذه الشجرة العظيمة لما تقدمه لهم من منافع حتى إن المؤرخ سترابو قال بحقها في معرض حديثه عن أهل العراق «تجهزهم النخلة بجميع حاجاتهم ما عدا الحبوب». وقال بلجريف palgrave بأنها «خبز البلاد، ومادة الحياة وعماد التجارة». (نخبة من الباحثين العراقيين ج2، فاروق ناصر الراوي 1985: 357).

وكانت النخلة تحظى بعناية فائقة من قبل المزارعين وينظر إليها كشجرة مقدسة حيث يقول المثل السومري: (يدللون ملوكهم كما تدلل نخيل دلمون)، وأغلب الظن أنّ زراعة النخل ظهرت في وادي الرافدين وتحديداً في (نيبور) وليس كما يرى البعض أنّ مصدر زراعة النخيل جاء من دلمون التي اشتهرت بنخيلها.

ويرد في نص شعريّ عن مدينة إنليل (نيبور) يقول:

«مدينتي نيبور وجدت قبل دلمون

وقد نبتت فيها شجرة النخيل»

أساطير النخلة السومرية

1. شجرة الحياة: في الختم الأسطواني الشهير الذي يظهر رجلاً وامرأة وبينهما نخلة وتقف الأفعى وراء المرأة هناك الكثير من الإيحاءات التي تُذكر بأسطورة آدم وحواء التوراتية وطردهما من الفردوس، لكننا للأسف نفتقر إلى النص الذي يحكي قصة هذا الختم المهم، ومهما يكن فلا شك أنّ النخلة في الختم تشير إلى شجرة الحياة أو شجرة المعرفة التي تجعل من يأكل ثمرها خالداً أو حكيماً ومبصراً.

Image

ختم أسطواني يظهر النخلة كشجرة للحياة بين إلهين وفيها إيحاءات لقصة آدم وحواء

http://solvinglight. com/features/SlimeSnakeMonkey. htm

2. أسطورة نشوء النخلة من الكحل: تسمى أسطورة إنانا والفلاح شوكليتودا بأسطورة نشوء النخلة أيضاً، ففي بداية هذه الأسطورة يظهر حوار بين الإله إنكي والغراب حيث يأمر إنكي الغراب بأن يأخذ كحل إنكي ويفتته ويزرع حبيباته عند البركو ذات الكرّاث، فتظهر النخلة ذات الورق الذي يشبه ورق الكرّاث، حينها يفرح الغراب ويأكل من تمرها. وتقول الأسطورة إنّ لسان هذه الشجرة يمنح اللب ولحيتها تمنح الحصران وزوائدها تمنح مساطر القياس وسعفها يمنح النسق لحفلات الملوك وتمنح أضاحي الشجر في المعابد.

3. شجرة الوحي: هناك ما يشير إلى أنّ النخلة كانت مرتبطة بالوحي بحكم قداستها فهي تربط بين السماء والأرض لأنها باسقة فتوصل كلام الآلهة إلى الناس وهو ما يفسر عناية إنكي بها لأنه كان راعياً للصلة بين السماء والأرض، وقد ورد في نص سومري ما يلي:

البنية الغامقة؛ أحمل في يدي شجرة إنكي

الشجرة التي تخبر ما قدرته السماء العظمى

السلاح الباسط، أحمل في يدي

شجرة النخل، شجرة الوحي الكبرى، أحمل في يدي.

النخلة تظهر خلف إنانا وأمام إنكي

الإله إنكي يمسك النخلة: شجرة الوحي

http://www. bibliotecapleyades. net/sitchin/stairway_heaven/stairway10. Htm

إنانا وأمامها النخلة وطائر الزو ويرقد عند قدميها أسدها، رقيم سومري (2004-2212) ق. م

http://www. matrifocus. com/SAM04/spotlight. htm

3. شجرة الشفاء: وهي شجرة الشفاء لما فيها وفي ثمرها من منافع طبية كثيرة عرفها السومريون، وكانت إلهة الطب باو (بابا) وهي طبيبة السومريين تظهر وهي تحمل نخلة في يدها.

4. شجرة الخصب: كانت النخلة رمزاً للخصب فهي علامة الإله ديموزي إله الخصب الراعي، وكانت تظهر بينه وبين إنانا دلالة على علاقتهما العاطفية والجنسية المميزة.

8. الفلاحة وهندسة الريّ

كيف عادت الزراعة إلى سومر بعد الطوفان؟

لعبت لجش دوراً فريداً في تاريخ سومر قبل وبعد الدولة الأكدية، وكان دورها قبل أكد يتمثل في أهميتها الاستثنائية كمدينةٍ أعادت الزراعة بعد الطوفان، حيث قام إله المدينة (ننجرسو) بذلك، حيث وضع الفأس والقفّة والمحراث والمعزق والشادوف، وهو جهاز لنقل الماء من الأنهار للإنسان وجعله يعتمد على الريّ وليس على الأمطار.

ظهر ذلك على لوحٍ متأخر تمّ تأليفهُ في 1800 - 1700 ق. م وهو محفوظ في المتحف البريطاني.

يتألف اللوح من أربعة أعمدةٍ نال التلف عمودين، ونصف منه هو نصف العمود الثاني والعمودين الثالث والرابع باستثناء جملٍ قصيرةٍ هنا وهناك.

ويتحدث العمود الأول عن عودة نشاط الإنسان بعد الطوفان وكيف أنّ الآلهة كانت قد صنعت خمس أدوات زراعية مهمة لكنها لم تنزلها على الإنسان وهي (الفأس والقفّة والمحراث والمعزق والشادوف).

«على الرغم من أنّ الطوفان كان قد جرف كل شيء،

ونشر الدمار على الأرض

فإن استمرار البشر بقي مؤمّناً،

وذريتهم مصونة،

- وكان بإمكان «ذوي الرؤوس السوداء» وقتئذٍ،

الخروج من جديد من طينهم

ولكن عندما، آنو وإنليل

دعيا من جديد البشر إلى وجودهم

وإذا ما كانا أسّسا أصول الحكم

والملكية، جوهرتي المدن،

- فلم يكونا بعد عَمدا إلى إنزالهما على الأرض!

ومن قبل ننجرسو فلا الفأس ولا المعزق،

ولا القفة ولا المحراث التي من شأنها إحياء الأرض

لم تكن كذلك قد وضعت، بيد جمهور

الذين خلفوا البشرية البائدة».

كان عمر الإنسان المتكون من مئتي عام كان ينقضي نصفه الأول بالعمل الشاق وحين يبدأ النصف الثاني يبدأ الإنسان بالموت لأنه لا ينجز أعمال الفلاحة بشكل صحيح بسبب غياب هذه الأدوات فينقص عدد البشر وتنقرض ماشيتهم الصغيرة، وكانت لجش ينقصها الماء وكانت المجاعة تنتشر في جرسو (وهي مدينة تلّو الحالية المتصلة بلجش).

«في ذلك الوقت، كان البشر

يصلون إلى عمر مئة عام،

- وعندما كانوا يصلون إلى هذا العمر المتقدم

كان يتبقى لهم مئة عام أخرى!

إلّا أنه بسبب عدم إنجازهم

الأعمال الضرورية

فإن عددهم كان يتناقص، ويتناقص كثيراً {..... }

وفي الزرائب، بدأت الماشية

الصغيرة تنقرض!

- ولما كانت لجش ينقصها الماء آنذاك

فإن المجاعة انتشرت في جيرسو

لأنه لم تكن الأقنية قد حُفرت بعد

ومجاري الريّ لم يكن يتمّ تنظيفها

ولا الشادوف كان يروي الأرياف الفسيحة

- وحتى لو كان الماء متوافراً بكثرة، فلم

يكن يستخدم في ريّ الحقول

لأن البشر كانوا يعتمدون فقط

على مياه الأمطار!

و(أشنان) الحبوب لم تكن إذن

تنتج الشعير – المبرقش:

لم تكن الأثلام قد شُقت بعد

ولم تكن تعطي نتاجها

- ولم تكن أيّ أرض قد شُغلت

لكي تعطي ثمارها

ولم تكن المناطق ولا جمهور البشر

يقدمون للآلهة القرابين السائلة:

الجعة والخمر و{..... }

- والخمر – الحلو و{..... }

وإنه بغية توفير ذلك،

لم تكن الأرض المتسعة

تُشغَلُ بالمحراث أبداً

(فقدان عشرة أسطر في نهاية العمود الأول)

العمود الثاني

يتحدث العمود الثاني، في بدايته، كيف أنّ الآلهة وضعت تحت تصرف الإنسان هذه الأدوات فانتعشت الزراعة وظهر الريّ من الأنهار وظهر ملوك لجش حيث يتمّ تعدادهم حتى يصل إلى جوديا، وهو ما يشغل كتابة العمودين الثالث والرابع.

ويتضح من آخر سطرٍ أنّ النصّ كُتب في مدرسةٍ ويحيي إلهة الكتابة (نصابا) أو (نيدابا).

«الأقنية {..... }

الحقول {..... }

- من أجل حفر الأقنية

وتنظيف مجاري الريّ،

وإرواء الأرياف الفسيحة،

بالشادوف،

واستعمال الماء الغزير لإرواء

الحقول والمروج

- وضع الآلهة تحت تصرف البشر

- الفأس والمعزق والقفة والمحراث

- التي تحيي الأرض!

ومنذ ذلك الحين بدأ البشر

بجعل الشعير ينبت!

عند ذلك، وأمام أشنان التي ما زالت

فتية وحاضرة هنا، صبروا،

- ليل نهار (صبروا)، والزمن اللازم

عليها سهروا!

وعند ذلك، أمام أشنان المنتجة

للشعير – الذي- يُبذر،

سجدوا قبل مباشرتهم العمل.

أمام أشنان، منتجة الشعير – الآخِريّ،

- إنهم {..... }. (الشواف: 1999: 44 - 47)

تقويم نيبور الزراعي:

اكتشفت بعثة التنقيبات الأثرية الأمريكية في العراق (1949 - 1950) وكانت مؤلفة من المعهد الشرقي لجامعة شيكاغو ومتحف جامعة بنسلفانيا، في خرائب المدينة القديمة (نفر) في (عفك) أول تقويم زراعي في العالم مكتوب باللغة السومرية، وقد شرحناه وحللناه في الفصل الخامس الخاص بالمظهر الاقتصادي.

وكانت الأنهار مهمة في الزراعة وهو ما طوّر هندسة الريّ، فنهر الفرات يمرّ بالمدن الآتية (كيش، نيبور، شروباك، أوروك، أريدو). تفرع منه شمال غرب كوثا نهر (الآراحتو) أو (كرابنس) وهو النهر الذي تقع عليه مدن بابل ودولبات ومرد ويصب في مجرى الفرات الرئيس عند أوروك.

وكان يصب في هذا الفرع نهر اسمه (أبكلاتوم) وهو فرع الهندية الحالي. وتتفرع من الفرات إلى شمال سبار قناة مهمة اسمها زوبي (أو قناة جمدت نصر) التي تصب بمجرى الفرات شمال تل أبو الصلابيخ قرب الدغارة.

وهناك أيضاً قناة الآرنينا المارة بكوثا والتي تصب في الفرات شمال كيش، وهناك الكثير من القنوات والفروع والجداول التي تعطينا فكرة واسعة عن استثمارها في هندسة الريّ.

وتفسر طبيعة النهرين لماذا كانت مشاريع الريّ وهندستها على الفرات أكثر منها على نهر دجلة وذلك بسبب بطء سير الفرات وثباته وقلة فيضاناته قياساً لدجلة الهائج دائماً.

أهم أدوات الريّ كانت (الدالية) وهي آلة سقي بسيطة تتكون من عمود خشبي يقف على مسند فإذا ارتفع رأس منه نزل الثاني وهكذا، وهناك الناعور المائي.

Image

مشهد حراثة من ختم أسطواني من مدينة نيبور، المحراث عليه قمع البذور أثناء الحراثة وإله الشمس أوتو يرعى الزراعة برمزه الصليبيّ أعلى المشهد

9. الطب السومري

1. أصناف الأطباء السومريين

عرف الطبيب في السومرية بلقب (آزو AZU) وتعني حرفيّاً (العارف بالماء) أو الشخص الذي يكتشف المعرفة من الماء كما يقول كونتينو، وكذلك (إيازو IAZU) وتعني حرفيّاً (العارف بالزيت). (انظر كريمر د. ت: 131).

أو ربما تنطلق هذه التسمية من حقيقة أنّ إله الماء (إنكي) ابن إله المياه العميقة (أبسو) وهو الإله المسؤول عن الشفاء والموصوف بأنه (إله الطب الأكبر)، وتأتي هذه القرينة بين الطب والماء من حقيقة أنّ الطب يعني الحياة والماء هو مصدر الحياة ومنه ظهر الكون والآلهة والإنسان، ومن دور الإله إنكي في خلق الإنسان والحرص عليه، ولا شك أنّ مثل هذه التسمية تعكس لنا النظرة العميقة الثاقبة لدى السومريين وتطلق هذه التسمية على الطبيب الممارس أو السريري (physician). وقد كان لمثل هذه النوع من الأطباء الأهمية الكبرى في الحياة السومرية. فقد وصل إلينا أقدم لوحين طبيين من

سومر يؤكدان على أهمية الطب السريريّ الخالي من الجوانب السحرية والأسطورية والدينية، حيث كان الطبيب السومري كقرينه الطبيب الحديث يلجأ إلى المصادر النباتية والحيوانية والمعدنية لعمل وصفاته الطبية، وكانت مواده المعدنية المفضلة هي كلوريد الصوديوم (ملح الطعام) وقار النهر والزيت الخام، وكان يستخدم من المملكة الحيوانية الصوف والحليب وترس السلحفاة وحية النهر. ولكن أغلب أدويته كانت تستحضر من عالم النبات كالزعتر والخردل وشجرة البرقوق والكمثرى والتين والصفصاف ونبات الـ(من) والتنوب والصنوبر ومن منتجات مصنوعة كالجعة والنبيذ والزيت النباتي. (كريمر د. ت: 129).

أما الصنف الثاني من الكهنة فيسمون بـ(أشيبو) «ويقومون بمجموعة من الواجبات الدينية ومن ضمنها طقوس التعزيم التي تهدف بالدرجة الأولى إلى طرد الأرواح الشريرة من أجسام المرضى. كما يمارس أيضاً طقوس (غسل الفم)، وهذه الطقوس في حقيقتها تتمثل بالخطوات الأساسية التي يجب أن تتبع أثناء تقديم الثور قرباناً إلى الإله، ويقوم أيضاً بتطهير المعبد. وقد أكدت النصوص المسمارية المختلفة على أنّ هذا الصنف من الكهنة كان عارياً تماماً عندما يقوم بتأدية واجباته الأساسية». (نخبة من الباحثين العراقيين، رشيد ج5 1985: 194).

أما الصنف الثالث من الأطباء فهو نوع من الكهنة أيضاً ويسمى (بارو) ويمكن أن نطلق عليه (العراف) «وأحسن تشبيه له هو (الفوال) الذي كان يجوب المحلات قبل ثلاثين أو أربعين سنة، ويتولى هذه الصنف من الكهنة مهمة الكشف عن الطالع باستخارة الفأل بأنواعه المختلفة. وعلاوة على هذه المهمة فقد كان كاهن البارو يقوم بمهمة تفسير الأحلام». (نخبة من الباحثين العراقيين، رشيد ج5 1985: 195).

أما النوع الرابع فهو من الذين كانوا يدخلون الحقل الطبي من حقل السحر هؤلاء كهنة يطلق عليهم (كسبو أو كشفو) أي (الكاشف) ويطلق على هذا النوع الضار في الغالب من السحر اسم السحر الأسود، ولا شك أنّ هؤلاء السحرة هم امتداد لسحرة الشامان الذين ظهروا في العصور الحجرية. وهكذا نرى في هذا المشهد الطبي السومري أفضل صورة لارتباط الطب بالسحر والعرافة والكهانة من خلال (الأسو، الكشفو، البارو، الأشيبو) وستبقى هذه الصورة مسيطرة على الطب العراقي القديم مع اختلاف نسبة تأثير واحد من هذه الأركان الأربعة وظهورها الأكبر في عصر من العصور. إن العلاقة بين الطبيب والساحر والعراف والمعزّم هي، في حقيقة الأمر، تتراوح بين ثلاث قوى أو

عناصر هي: العلم والسحر والدين، وقد ساهم كل واحد منها بتطوير الطب من زاويته الخاصة.

2. آلهة الطب وشياطينه (أسباب المرض وأسباب الشفاء):

تقوم الفلسفة الدينية للطب السومري على مسألة في غاية الأهمية أصبحت أساساً مهمّاً للطب العراقي القديم وربما للطب القديم بأكمله، وهي أنّ سبب نشوء الأمراض إنما هو غضب إلهي يحلّ على الإنسان بسبب خطأ ارتكبه، فإما أنه كان مقصراً في أداء واجبات للبشر ولذلك كانت الآلهة تأمر بإنزال لعنة المرض كنوع من اللعنات التي قد تؤدي إلى الموت لكن الآلهة لا تقوم بنفسها بإحداث المرض، بل تأمر به وتسخّر كائنات العالم الأسفل للقيام به من آلهة وشياطين وأرواح موتى، وفي ذلك ترميز واضح إلى أنّ المرض هو ضربة من العالم الأسفل أي من عالم الموت تمهيداً لإحلال الموت نهائيّاً.

المرض، إذن، ريح قادمة من عالم الموت تقوم بنقلها كائنات العالم السفلي ويعتبر الإله إنكي (إيا) رب الطب الأعلى وهو يميل إلى الشفاء والصحة، فهو إله الماء الذي هو مادة الطب، لكن الإله آن والإله إنليل هما الإلهان اللذان يأمران، في الغالب، بإحداث الأمراض ويستخدمان في ذلك آلهة النار (كيرا ونسكو) وآلهة العالم السفلي (نركال) (نمتار) و(إيرا) وشياطين العالم السفلي المختصة بالأمراض. لكن الغريب في الأمر أنّ الأساس الفكريّ الذي يقوم عليه الشفاء من الأمراض مشابه للأساس الذي يقوم به السحر، حيث يقوم الكاهن المعزم في الغالب (الأشيبو) بالتوسط بين المريض والآلهة فيتوسلها لأن ترفع عن المريض غضبها وتتعهد نيابة عن المريض بأنه سيقوم بأداء واجباته نحو الآلهة كما يجب. وهكذا تأمر الآلهة تلك الشياطين بالكف عن أذى المريض... ويحتاج المريض إلى بعض الأمور الطقسية ليتمّ ذلك كما يحتاج إلى (الآسو) ليقوم بإعطائه الأعشاب والأدوية، لكن ذلك يتم، في الغالب، عن طريق آلهة الشفاء التي في العالم السفلي أيضاً وأهمها (ننازو) سيد الأطباء و(ننكشزيدا) إله الطب و(باو) إلهة الطب وتسمى (بابا) طبيبة ذوي الرؤوس السود و(ننكراك) إلهة الصحة.

نستنتج من هذا أنّ أوامر المرض والشفاء تصدر من الآلهة العليا الكبيرة، أما ممارسة المرض والشفاء فتصدر من آلهة العالم السفلي وكائناته، وستستمر هذه القاعدة اللاهوتية في فهم الطب خلال جميع عصور الحضارة العراقية

القديمة. وقد ظهرت أساطير سومرية عديدة تذكر الأمراض وتؤكد على ما ذكرناه.

3. شعار الطب السومري (الكاديكيوس السومري):

«وضع السومريون شعاراً للطب يتمثل بثعبانين يمثلان الإله (ننكشزيدا) إله الطب السومري يلتفان على عصا، وذلك منذ أواسط الألف الثالث قبل الميلاد. وقد انتشر هذا الرمز شرقاً وغرباً فما زال في الهند يعتبر هو نفسه قادراً على إعطاء الخصوبة للنساء العاقرات. وانتشر نحو اليونان وصار رمزاً لإله الطب اليوناني إسكلابيوس، وارتبط عند الرومان بسنابل القمح كرمز للخصب وأسموه اليونان والرومان بالكاديكيوس. ونستطيع ملاحظة وجود هذا الرمز واستمراره حيّاً في الشرق القديم من حكاية حية النحاس التي رفعها موسى في القفر لشفاء العبرانيين فتلك الحية لم تكن سوى أفعوان ملتف على عصا». (السواح 1993: 153).

ويستمر ظهور هذا الرمز للطب في العصر الحديث حيث تكون الحية الملتفة على عصا هي رمز الطب، وكذلك رمز الأفعى الملتفة على كأس واضعة رأسها عند فوهتها وهو الشعار الذي نراه على أبواب الصيدليات ولافتاتها. والحية تشير، بين ما تشير إليه، إلى الشفاء والخلود الذي امتازت به الأفعى في الأساطير السومرية، وهي أحد رموز الإلهة الأم التي تحتفظ في جسدها بقوة الشفاء.

الكادكيوس السومري (شعار الطب) والأفعوانان المتقابلان يمثلان الإله ننكشزيدا / لجش الألف الثالث ق. م

4. جذور فلسفة الطب السومرية:

يستمد الطب السومري فلسفته العميقة من فلسفة الخليقة أو التكوين السومرية وعناصرها المتمثلة بـ(الفناء والخلود، الولادة والموت، شجرة الحياة).

إن ما ذهبنا إليه يؤكد على أنّ المرض هو نوع من أنواع الموت لأنه يخرج للإنسان من العالم الأسفل (عالم الموت) ولا يكون أمام الإنسان إلّا طريق من اثنين: إما أن يشفى فيعود إلى الحياة الطبيعية، وإما أن يذهب إلى عالم الموت نهائيّاً. وكذلك يبدو لنا الشفاء على أنه قادم من الخلود (من عالم

الآلهة) فهو أمر تقرره الآلهة وتنفذه الآلهة، وتظهر لنا الأدوية والأعشاب مثل إكسير الخلود أو عشبته فهي قادمة أيضاً من عالم خالد، إنها قادمة من جسد الإلهة الأم مانحة الخلود والتكاثر والصحة، ولذلك نرى أنّ الأعشاب لها حظ أوفر من غيرها لأنها تنبت من الأرض التي هي الإلهة الأم القادرة على التجدد والشباب والصحة.

وتبدو لنا الولادة أمراً أقرب إلى الصحة والشفاء. أما الموت فهو أقرب إلى المرض. وإذا كان الإنسان يعيش بين حدين قاطعين اسمهما الولادة والموت، فإنه يكرر أشكال الولادة والموت بينهما بصيغتي الصحة والمرض، ونلمح في أساطير خلق الإنسان السومرية ما يدل على أنّ الإنسان يولد ومعه الأمراض التي هي عنصر فناء داخل حياته لكن الشفاء يغالبها حتى النهاية بالمرض الأخير الذي هو الشيخوخة فالموت.

أما شجرة الحياة السومرية فتدل بالطريقة نفسها على أنّ ما تُخرجه الأرض من نباتات سيكون كفيلاً بإدامة حياة الإنسان وربما بخلوده، وهكذا أوضح ختم سومري شجرة الحياة التي تدلت منها ثمرتان حيث يجلس عن يمينها ويسارها رجل وامراة يمدان يديهما لاقتطاف الثمر وتظهر وراء المرأة الحية منتصبة وكأنها تهمس في أذن المرأة... ونلمح في هذا الختم جميع عناصر قصة سقوط الإنسان في الرواية التوراتية. وكأن هذه الشجرة تدل على الحياة والمعرفة، في الوقت نفسه، وكأن الرجل آدم والمرأة حواء والأفعى إبليس.

لقد أعطت هذه العناصر التكوينية السومرية للطب جذوره الفلسفية واللاهوتية العميقة وأكسبته عمقاً سنراه في الحضارات العراقية اللاحقة.

5. أول الأطباء السومريين

يخبرنا المؤرخ والكاهن البابلي - الهلنستي بيروسوس Berosous الذي عاش في القرن الثالث قبل الميلاد بأنه خلال مدة حكم الملك ألوروس Aloros الذي حكم قبل الطوفان خرج الوحش أوئنس Oannes من البحر وكان على شكل إنسان في لباس سمكة، وعلم الملك وشعبه مختلف أنواع الحرف والقوانين والعلوم التي منها الطب. (انظر الأحمد 1994: 83).

ويبدو من النظر في اسم الملك ألوروس في قائمة بيروسوس، وهو الملك الأول في ثبت الملوك السومريين، أنّ المقصود به هو الملك (ألولم Alulim)الذي حكم في أريدو بعد أن هبطت الملوكية من السماء مباشرة، أما الوحش أوئنيس الذي خرج من البحر فيقترب في صورته من شكل الإله (إيا) الذي كانوا يمثلونه على شكل إنسانٍ في لباس سمكة، ودليلنا في ذلك أنّ

اسم أوئنيس يقترب من اسم إيا أيضاَ، وهذا يعني أنه عندما هبطت الملوكية في أريدو حكم الملك (ألولم) ظهر الإله (إيا) من البحر وهو إله الحكمة والمياه والإله الأعلى للطب، وأعطى العلوم ومن ضمنها الطب إلى الملك وبذلك فإنه يكون (حسب هذه الرواية ذات الطابع الأسطوري) أول ملك سومري وأول طبيب في التاريخ.

أما الثابت تاريخيّاً فإن أول طبيب سومري ورد ذكره في النصوص (طبيب ممارس) اسمه (لولو) وقد ظهرت الكلمتان (لولو، الطبيب) على لوح عثر عليه في مدينة (أور) من قبل السير (ليونارد وولي) ويعود في تاريخه إلى حدود سنة 2700ق. م وكان الطبيب بكل تأكيد يتمتع بمكانة اجتماعية عالية نسبيّاً، ونستدل على ذلك من أنّ واحداً من أطباء (لجش) اسمه (أورلوكال أيدينا) الذي وصل إلينا خاتمه الأسطواني والكتابة المدونة على حجر (جوديا). (كريمر د. ت: 132).

Image

ختم أسطواني يعود إلى الطبيب السومري (أورلوكال أدنا) وتظهر فيها آلاته الطبية لجش، الألف الثالث ق. م

ويظهر ختمه في بعض الآلات الطبية التي تشبه الدوارق والإبر والمباضع وأحقاب الزيت والأعشاب الطبية. وتبرز هذه الأمثلة المكانة الرفيعة التي كان يحتلها الطبيب السومري فهو إما إله أو ملك أو مقرب من الملك، كما تشير إلى قدم مهنة الطب وجذورها الضاربة في عمق التاريخ السومري. ومن الفترة نفسها يظهر أول كتاب طبي سومري في حدود 2200 ق. م.

Image

أول كتاب طبي سومري في حدود 2200 ق. م

http://www. drhajar. org/English/index. php?option=com_content&view=article&id=18:arabian-gulf-cradle-of-medicine&catid=17:history-of-medicine&Itemid=2

وقد كانت اللغة السومرية تستعمل كلغة خاصة بالطب في الوصفات الطبية حتى في العصور البابلية والآشورية غالباً، حيث كان الأطباء يستعملون: دساتير سومرية كما كان الأطباء الفرنسيون يستعملون اللاتينية ولا تزال اللاتينية اللغة العلمية في المصطلحات الطبية. ولعل أطباء العراق القديم

كانوا يتقصدون استعمال السومرية التي لا يفهمها المرضى فيزداد نفوذهم وشهرتهم. كما أنّ تلك النصوص يغلب عليها الإيجاز والاختصار. (باقر د. ت: 374).

ومن الجدير بالذكر أنّ الملك السومري (أنميدارأنـّا) وهو الملك السابع قبل الطوفان في ثبت الملوك ويسمى أيضاً (أنميدار إنكي) هو الذي اخترع الطريقة الخاصة بالعرافة والتي تسمى (عرافة الإناء Lecanomancy) وتعتمد على صب الزيت والماء في إناء أو طشت ومعرفة ما يعانيه المريض أو معرفة المصائر بعامة من خلال ذلك.

6. أول دستور أدوية (أقرباذين) Pharmacopocia

اخترنا من بين الرقم الطينة الطبية السومرية أن نتحدث عن أول دستور أدوية سومري، وهو أول دستور في التاريخ لنؤكد ما ذهبنا إليه من شيوع الطب الخالي من السحر في سومر رغم أنّ ذلك لا يعني عدم وجود الطب السحري ويرجع عصر هذه الوثيقة إلى نهاية الألف الثالث وقد خلت من ذكر أيّ إله أو شيطان أو تعزيم أو رقية.

يوضح هذا الأقرباذين السومري مصادر صناعة الأدوية الثلاثة (النباتية والحيوانية والمعدنية) وتشمل النباتية منها أعشاباً هي: (القاسيا، القثاء الهندي، الأسي، الحلتيت (الجزيفة)، الزعتر، وأشجار هي الصفصاف، الكمثرى، الشربين (الشوح)، التين، التمر، وتكون إما على شكل بذور أو جذور أو أغصان أو لحاء أو صمغ. أما الحيوانية فتشمل (اللبن، جلد الحية، صدفة السلحفاة). وأما المعدنية فتشمل (ملح الطعام: كلوريد الصوديوم) و(ملح البارود: نترات البوتاسيوم).

كذلك يوضّح الأقرباذين هيئتها، فهي إما مراهم وإما قطرات، ويعطي وصفاً دقيقاً لطريقة تحضير كلّ منها، وتقترب طريقة التحضير من الطرق العلمية الحديثة لتحضير الأدوية من خاماتها الأولى وتعتمد عليه فصل المركبات المعدنية على طريقة علمية حديثة أيضاً هي طريقة (التبلور الجزئي Fractional Crystalization). ثم يوضح هذا الأقرباذين طريقة الاستعمال الخارجي للأدوية سواء بالدلك أو الرش أو الغسل، أما الأدوية ذات الاستعمال الداخلي فيوصف تحضيرها ومزجها مع الجعة وتبدو لنا غالبية الأدوية المذكورة مستعملة كمعقمات وكمطهرات وكقوابض، ويخلو الأقرباذين من ذكر الأمراض التي تستخدم لها هذه الأدوية، كذلك يخلو من ذكر المقادير وعدد مرات الاستعمال، ويرجّح أن يكون المقصود من مثل هذه النواقص في الأقرباذين هو التكتم

المهني أو الغيرة المهنية، إذ يرجح أن يكون الطبيب السومري قد أخفى عمداً تفاصيل المقادير حفظاً وصوناً لأسراره من أن يتطفل عليها غير أهل المهن الطبية. ولعله أخفاها حتى عن زملائه الأطباء. وقد يكون ذلك بسبب شعوره بعدم أهمية ذلك وأنه بالمستطاع معرفة مقاديرها أثناء التجربة عند تهيئة الأدوية واستعمالها. لقد جاء هذا الأقرباذين من مدينة (نفّر) التي اشتهرت بمهنة الطب واشتهر أطباؤها. (انظر كريمر 1965: 129-136).

Image

جمجمة مثقوبة لأغراض طبية من العصر السومري

http://www. mitchellteachers. net/WorldHistory/MrMEarlyHumansProject/MrMSumerianCivilizationAchievements. Html

أثبات الملوك السومري

http://www. galaxie. com/article/bspade16-4-04

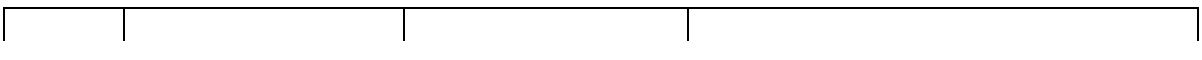

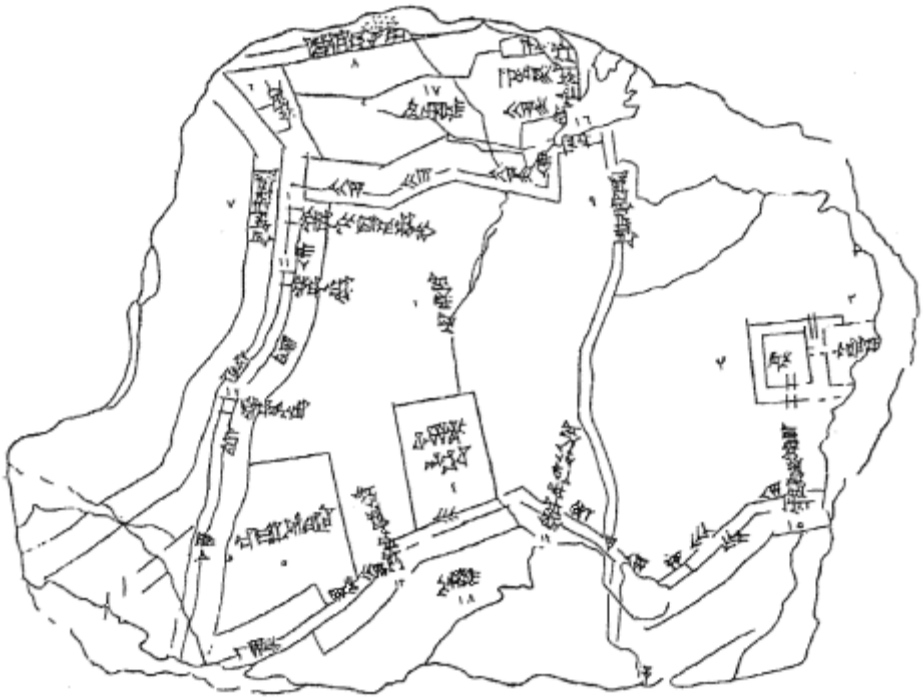

خريطة مدينة نيبور (نفّر) استنساخ الدكتور أينز برنهاروت الأمين العام المساعد لمجموعة ألواح هلبرشت في جامعة فريدريك شيل في بنيا. (كريمر 1956: 398)

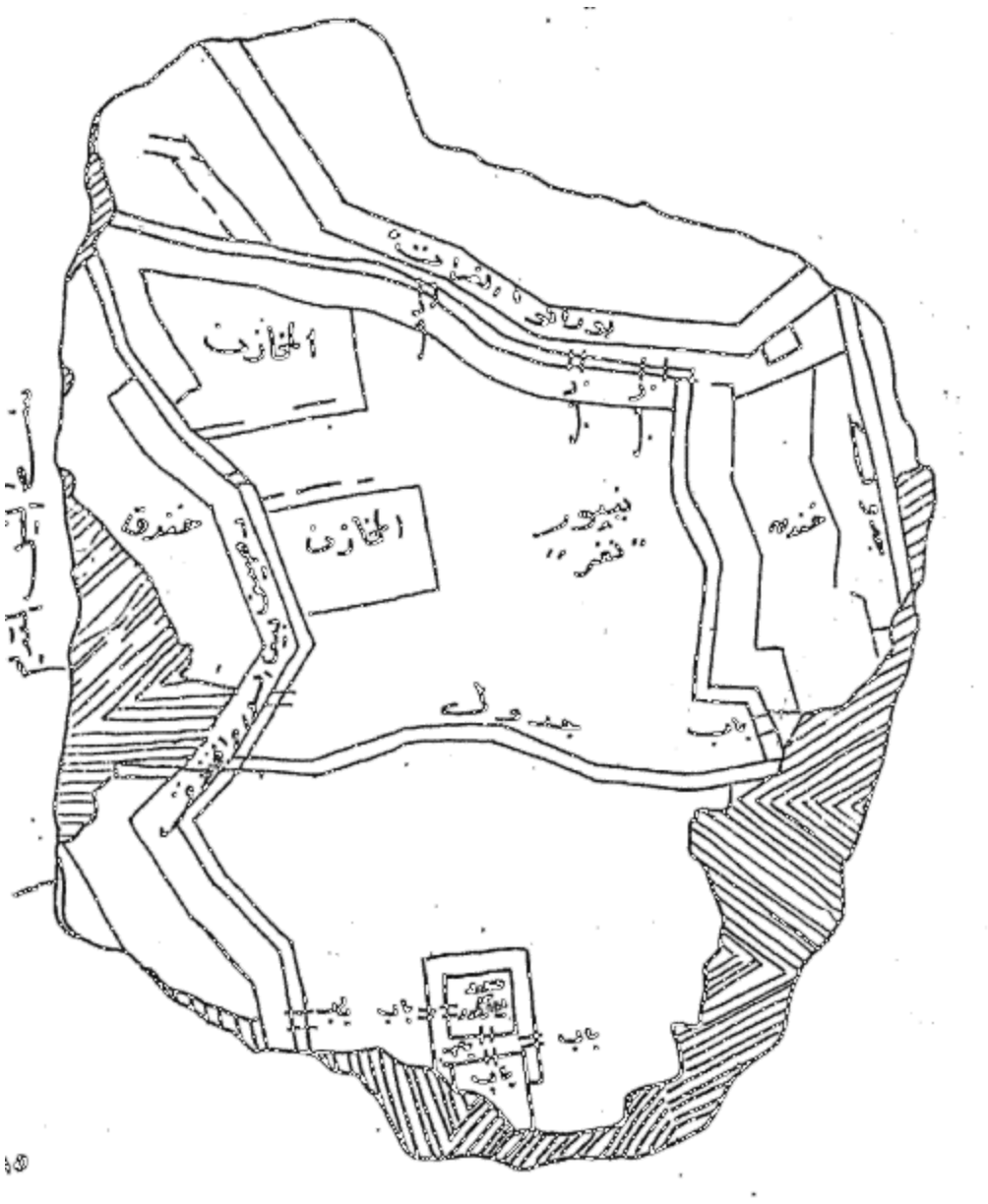

خريطة مدينة نيبور (نفّر) بمعالمها العامة. (نخبة من المؤلفين العراقيين ج1، الراوي 1967: 285).

وهناك خرائط مساحة صغيرة لكثير من الحقول والمشاريع مثل هذه الخارطة التي رسمت أثناء السنة الثانية من حكم الملك بورسين من سلالة أور الثالثة:

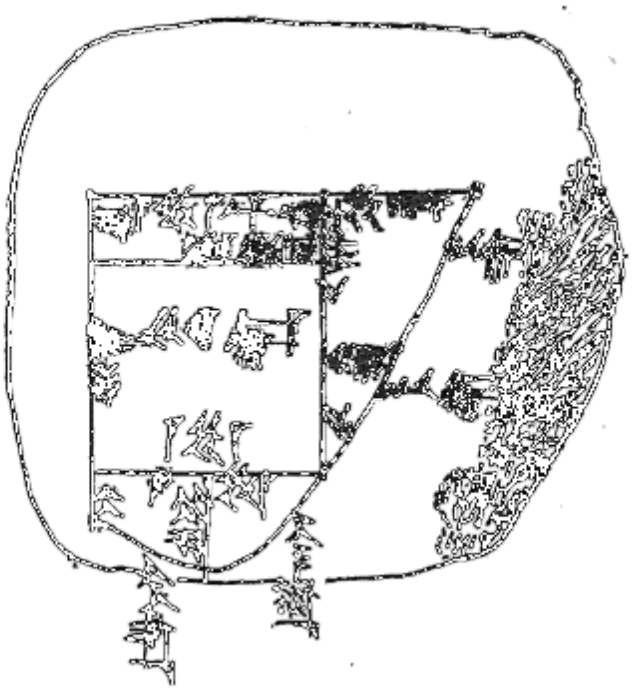

(نخبة من المؤلفين العراقيين ج1، الراوي 1976:287)خارطة مساحة حقل

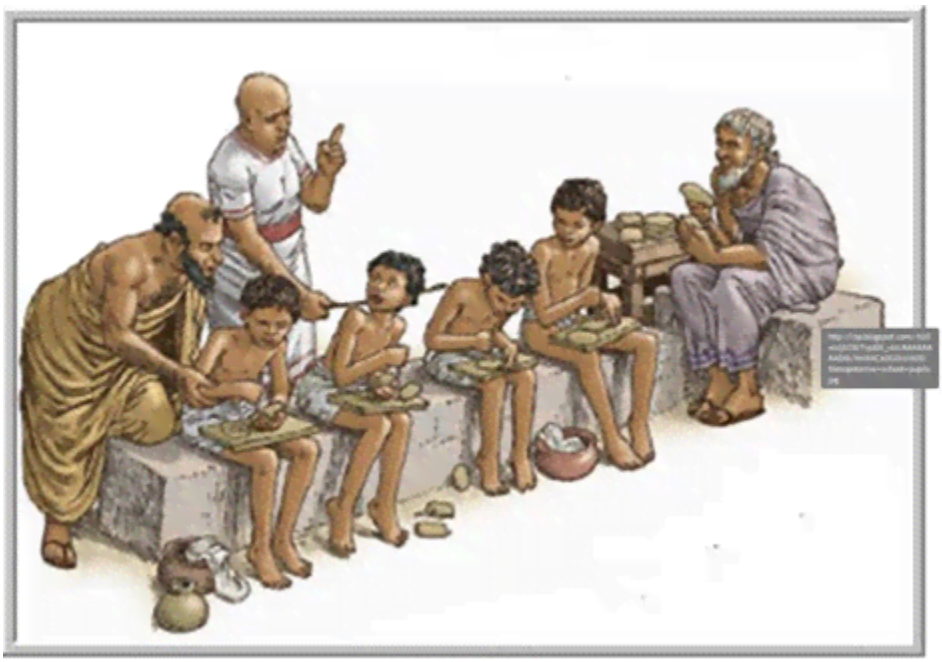

بقايا مدرسة سومرية /حوالي 2000 ق. م

مدرسة سومرية

/http://prezi. com/gmh7plmv7c1a/sumerian-culture

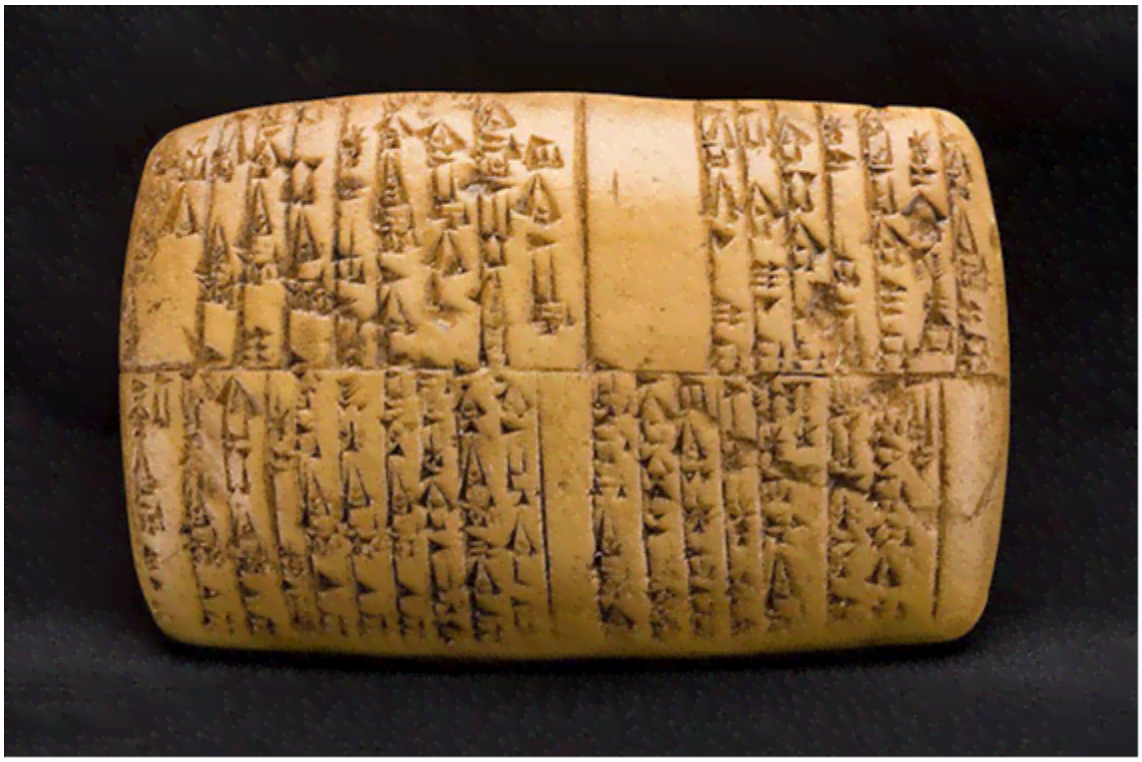

رقيم سومري من القرن العشرين ق. م يحصي أبقار وممتلكات معبد الإلهة إنانا السومرية

http://forces. si. edu/soils/04_00_38. Html

الكاتبان السومريان كورليل ودودّو
صورة الكاتب والأديب السومري الشهير (دودو) عثر عليها في لكش
http://zmediat. com/magazine/index. php?option=com_content&view=article&id=384%3A2012-03-08-15-13-49&Itemid=36

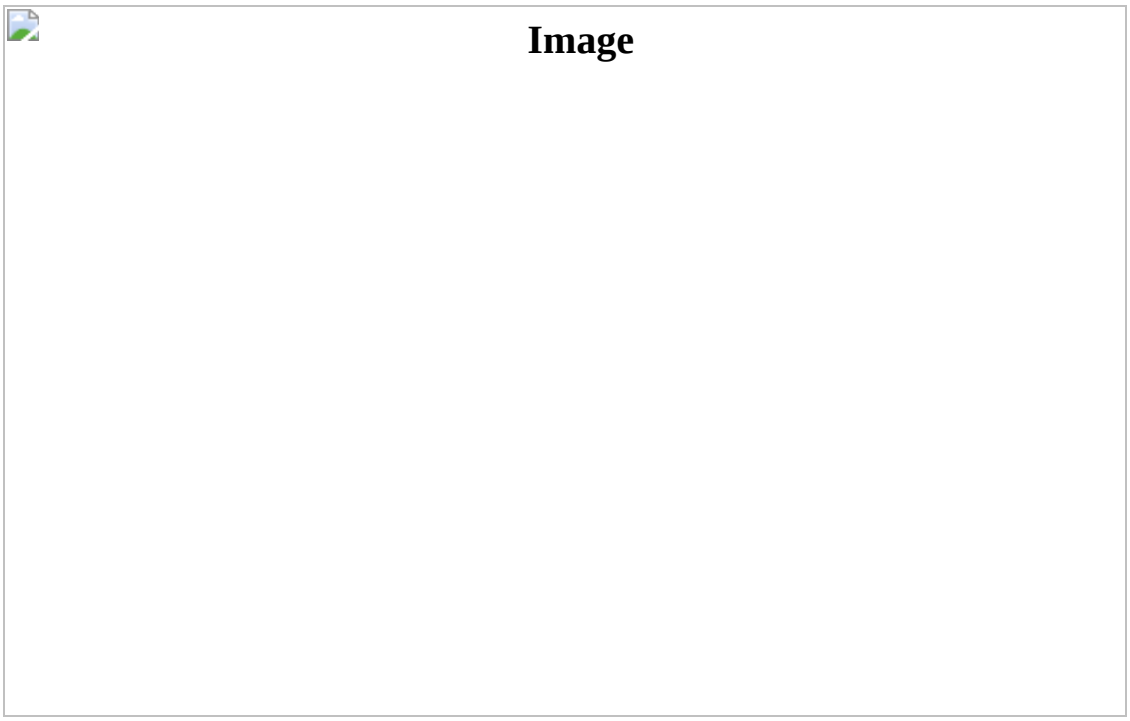

إله السحر والعرافة الإله إنكي

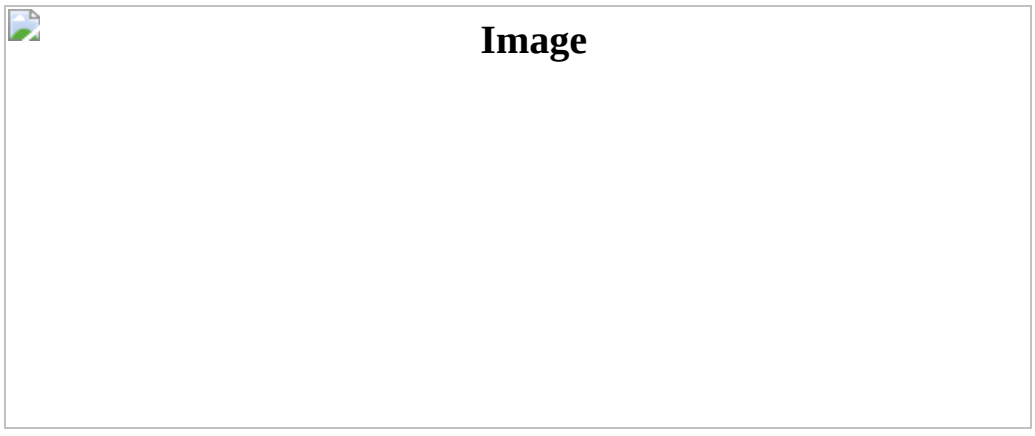

تمثال إلهة العين الطاردة للشر ورمزها في معبد تل براك

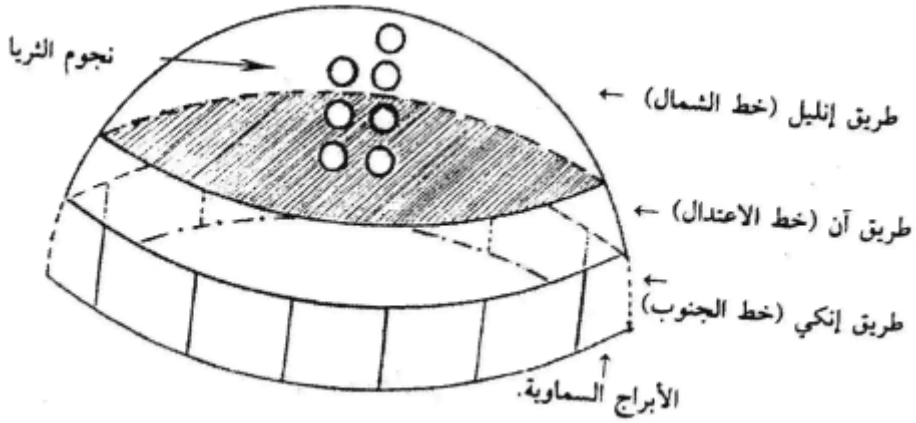

خطوط القبة الفلكية السومرية

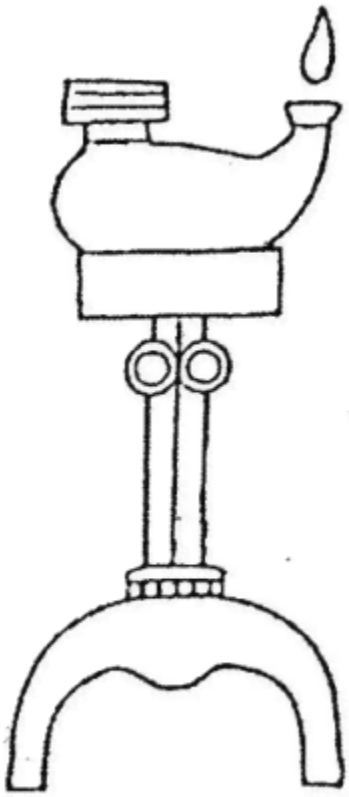

رمز الإله نسكو

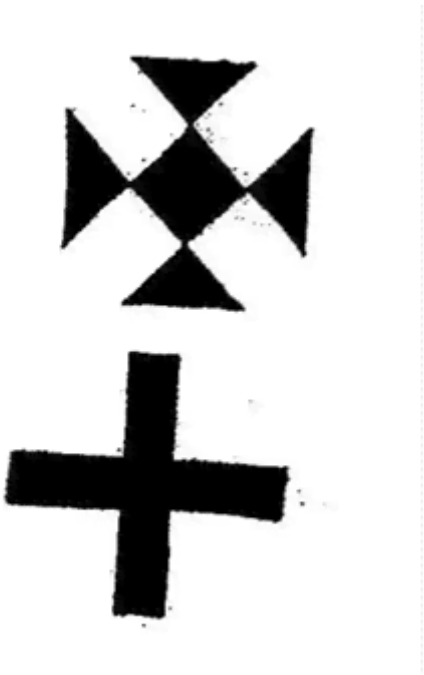

رموز إله الشمس نهاية الألف الخامس ق. م

الإله الشمس يخرج بين جبلين

http://www. abovetopsecret. com/forum/thread833168/pg1

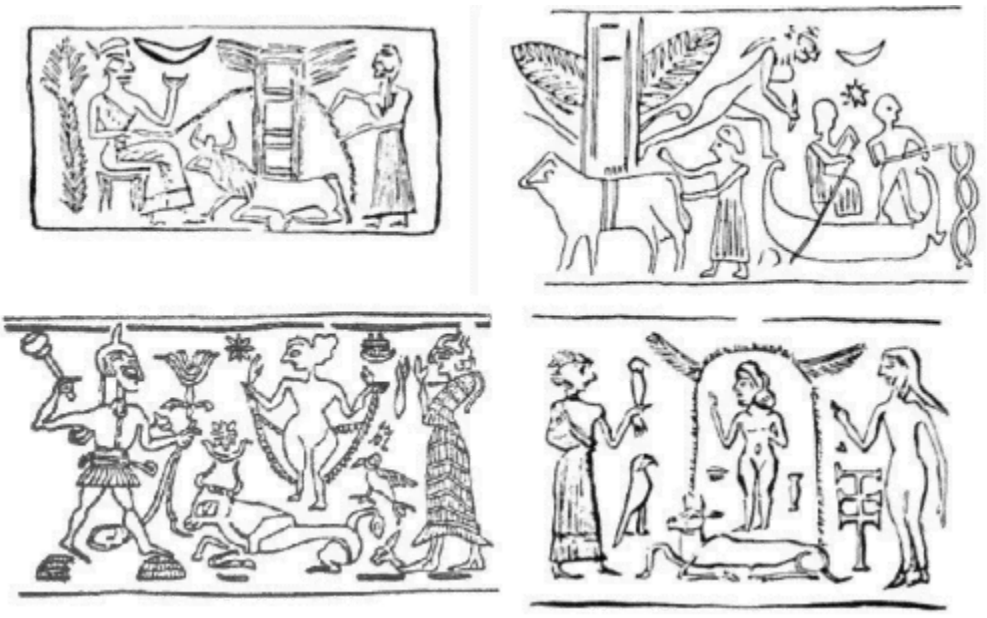

الإلهة إنانا في أختام مختلفة باعتبارها كوكب الزُّهرة

http://www. abovetopsecret. com/forum/thread833168/pg1

نظام الكواكب السيارة عند السومريين

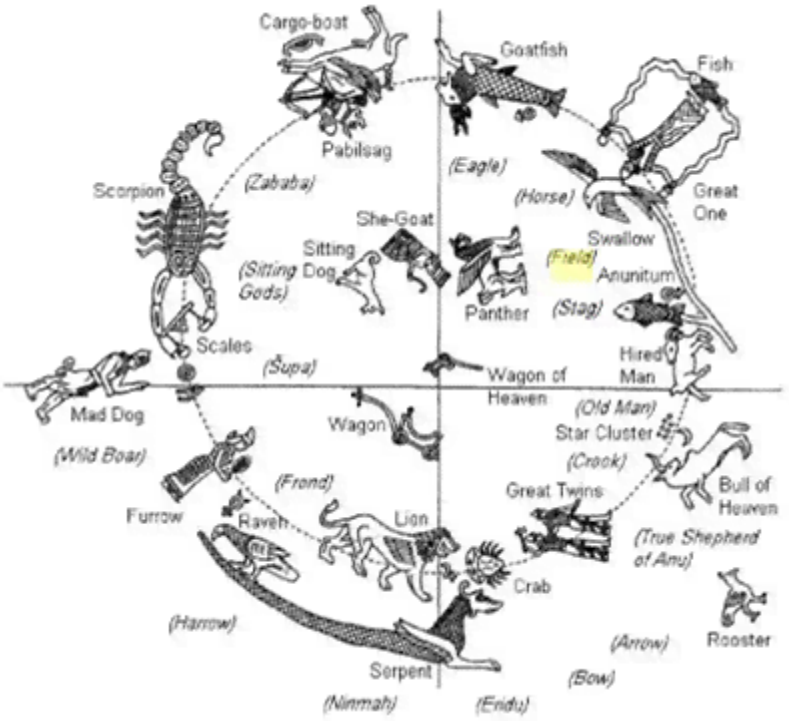
Cargo-boat
Goatfish
Fish
Pabilsag
(Eagle)
(Horse)
Great One
Scorpion
(Zababa)
She-Goat
Swallow
(Field)
Sitting Dog
(Sitting Gods)
Anunitum
Panther
(Stag)
Scales
(Šupa)
Hired Man
Wagon of Heaven
(Old Man)
Mad Dog
Wagon
Star Cluster
(Wild Boar)
(Crook)
(Frond)
Great Twins
Bull of Heaven
Furrow
Raven
Lion
(True Shepherd of Anu)
Crab
(Harrow)
Rooster
(Arrow)
Serpent
(Bow)
(Ninmah)
(Enidu)

التسلسل	اسم البرج	اسم البرج السومري	معنى الاسم السومري	صورته السومرية
1	الحمل	كومال، لوهونجا	ساكن الحقل	
2	الثور	مول، جو - أنّا	ثور	

3	الجوزاء	ماش، ماشتابا	توأم	
4	السرطان	دب، نانجار	كماشة، ملقط	
5	الأسد	أورا، أوركولا	أسد	
6	العذراء	أب سين	الأب هو سين (والدها القمر)	
7	الميزان	زيبانيتو، زيبا أنّا	المصير السماوي	

8	العقرب	جرتاب	المخالب والمقاطع	
9	القوس	بابل ساج، با	المدافع	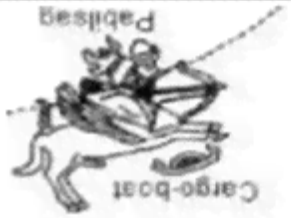
10	الجدي	سهور ماش، سهور	السمكة الماعز	
11	الدلو	كو	رب المياه	
12	الحوت	سمّاج، زب	أسماك	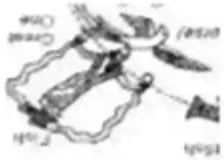

الأبراج السومرية تصميم المؤلف

الفصل الثاني عشر
المظهر الفني

تماثيل من معبد آبو في تل أسمر حوالي 2500 ق. م من الصخر المغلف بالجبس

http://www. crystalinks. com/sumerart. html

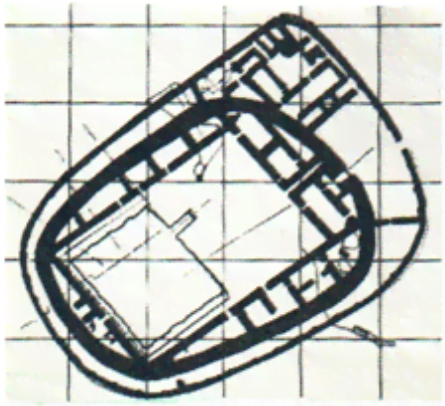

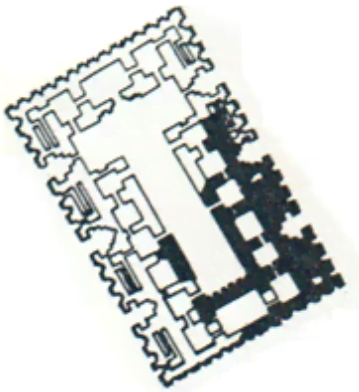

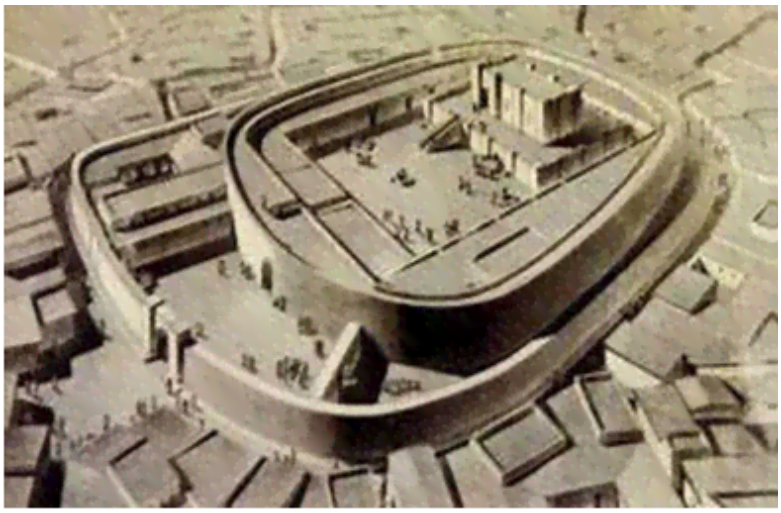

المعبد البيضوي في خفاجه

بقايا أعمدة الفسيفساء في معبد الوركاء 3200ق. م

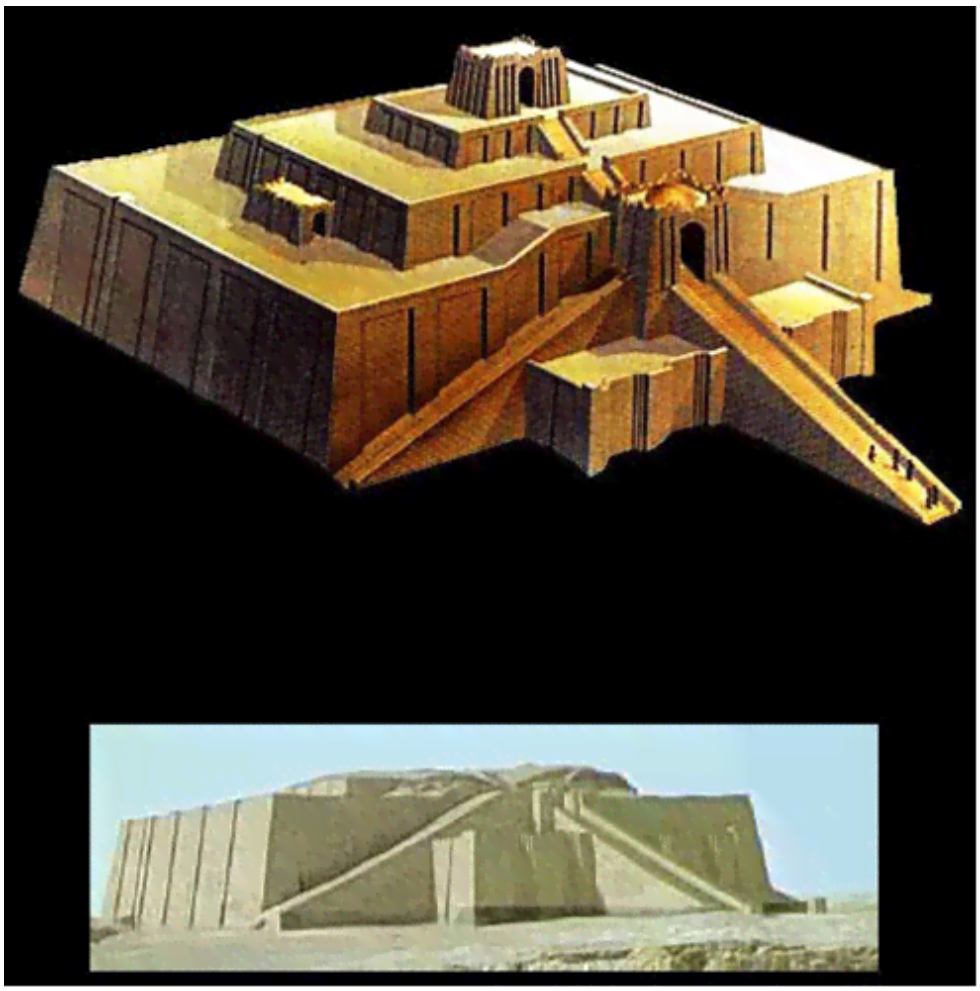

(زقورة أور)

قناع سيدة أوروك (ارتفاعه 20سم)

مرحلة جمدت نصر حوالي 3000ق. م (المتحف العراقي، بغداد)

وجه سومري منحوت بعناية فائقة يعود لحوالي 2700 ق. م

http://www. pinterest. com/pin/545217098610965747/

تماثيل مدينة أشنونا

https://www. blendspace. com/lessons/aep16-mxTeDW9g/mesopotamia-s-religion-by-lana

رأس زوجة الإله آبو ضمن المجموعة السابقة (تلاحظ العيون الكبيرة الخاصة بالآلهة)

رجل دين من أشنونا 2500ق. م تمثال من المرمر والجبس والحجر الجيري الأسود

http://witcombe. sbc. edu/ARTHneareast. html#AncNearEast

تمثال من الحجر لرجل من مدينة (ماري) (المتحف العراقي)

com/thread/122 .http://enenuru. proboards

تمثال لرجل سومري مع زوجته في حدود 2600 ق. م مصنوع من الجبس وقد عثر عليه تحت أرضية معبد في نيبور، قياساته 3. 5 إنج من الأسفل وعيونهم مصنوعة من قشر اللازورد.

http://www. mitchellteachers. net/WorldHistory/MrMEarlyHumansProject/MrMSumerianCivilizationAchievements. html

تمثال الأمير جوديا من حجر الديورانت 2150 - 2100 ق. م، مدينة لجش (جرسو، حاليّاً تلّو)

http://www. myartprints. co. uk/a/mesopotamian/gudea-prince-of-lagash-st. html

تمثال الملك أورنمو 2010 ق. م

http://www. talariaenterprises. com/product_lists/mesopotamian. html

لوحة تشييد المعبد	لوحة الكاهن والإله ننجرسو الذي يقبض على أسدين وفي اللوحة تشكيل لبقرة جاثية والسطر الأخير زخرفة لولبية الشكل.

1. لوحة الملك أورنانشه (ملك لجش) وهو يحمل في السطر الأول سلّة البناء ليبني معبداً، وفي السطر الثاني يحمل كأساً محتفلاً مع أولاده ببناء المعبد.

أورنانشه ملك لجش محاطاً بأبنائه وحاشيته

http://www. cumorah. com/index. php?target=view_other_articles&story_id=3&cat_id=3

نحت بارز لننسون وهي أم كلكامش

لوحة أعمال أورنمّو

http://sumerianshakespeare. com/106901. html

نقش الإله إنليل

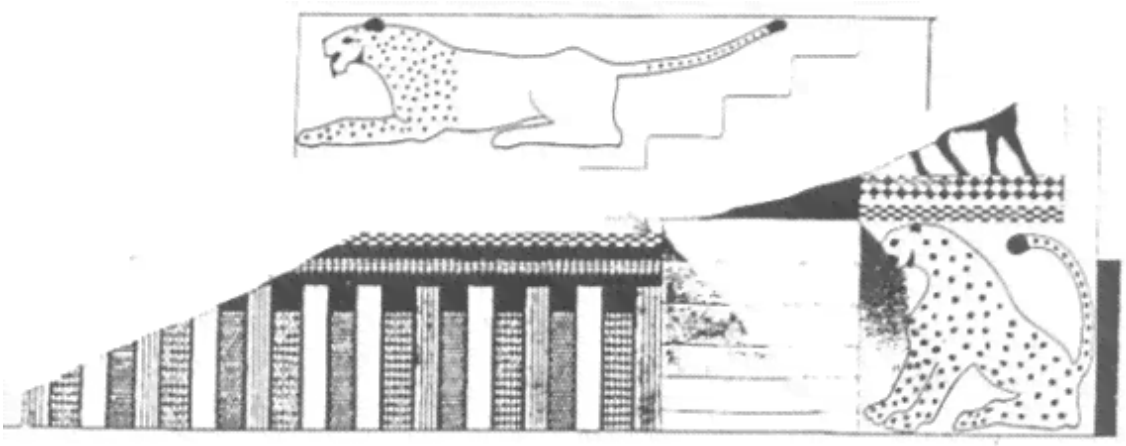

.Lloyd & Safar, JNES 2, 1943, pl. X

http://langkjer. dk/origin/1-02. Htm

النموذج المهم للرسم السومري هو ما نقش على الإناء النذريّ لمدينة أوروك في حدود 3100 ق. م

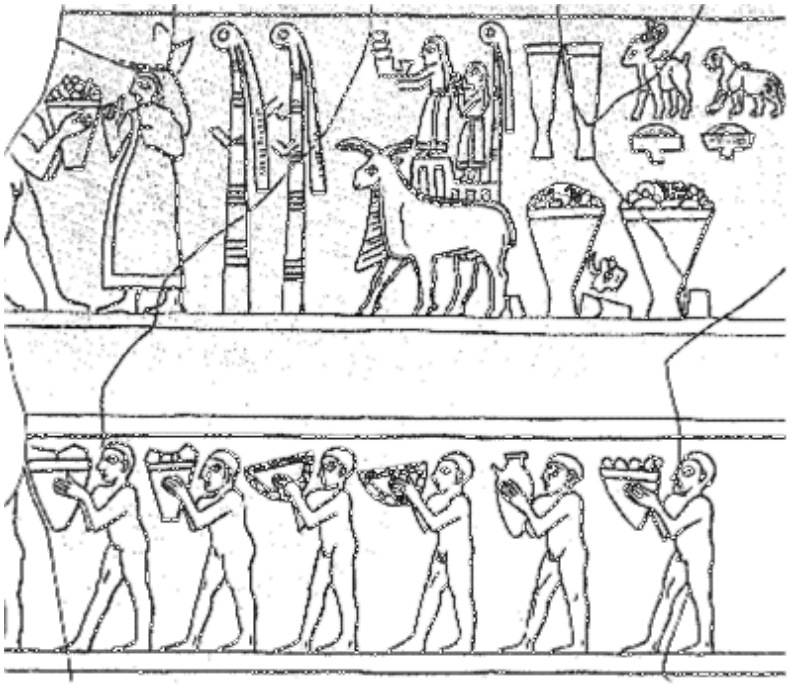

رسومات الإناء النذريّ / أوروك 3100 ق. م

http://aurnabarc. wordpress. com/2011/03/26/art-and-architecture-of-ancient-sumerian-civilization/

لوحة القيثارة السومرية العليا والوسطى، لوحة بلاطة داخلية من منزل سومري النصف الأول من الألف الثالث ق. م تظهر بثلاثة رسومات حيوانية

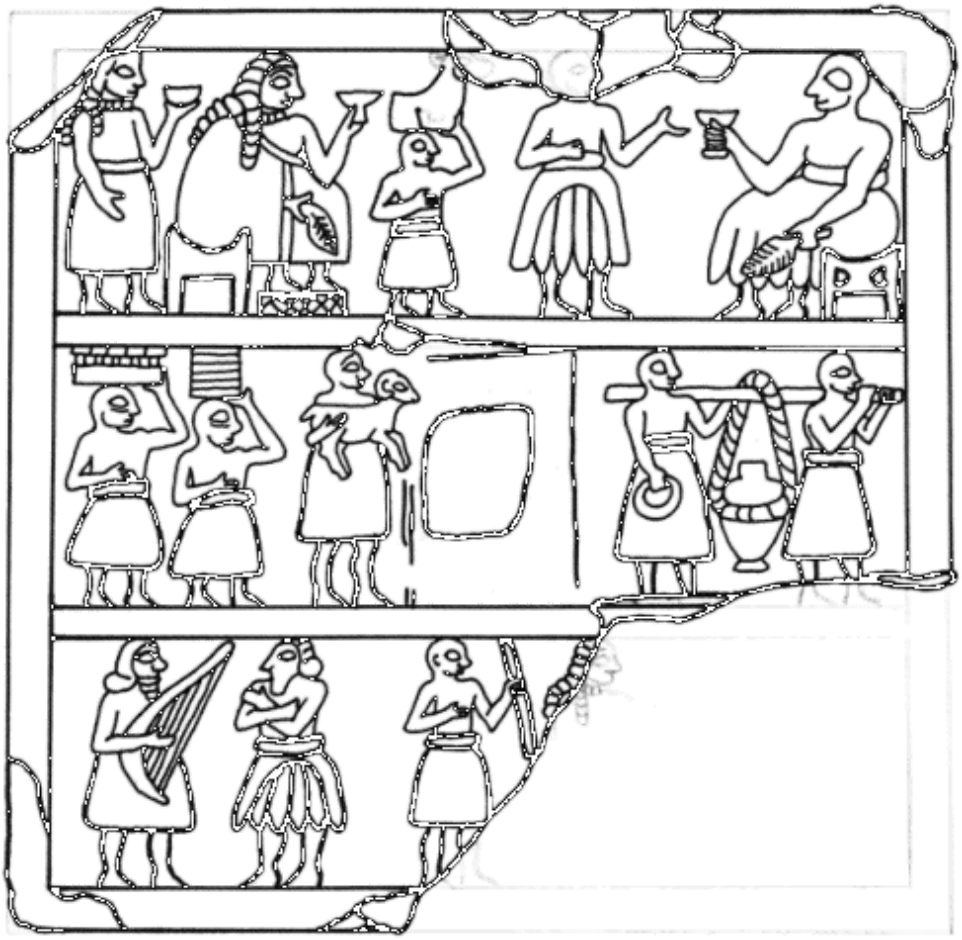

لوحة المأدبة

http://www. matrifocus. com/SAM06/spotlight. Htm

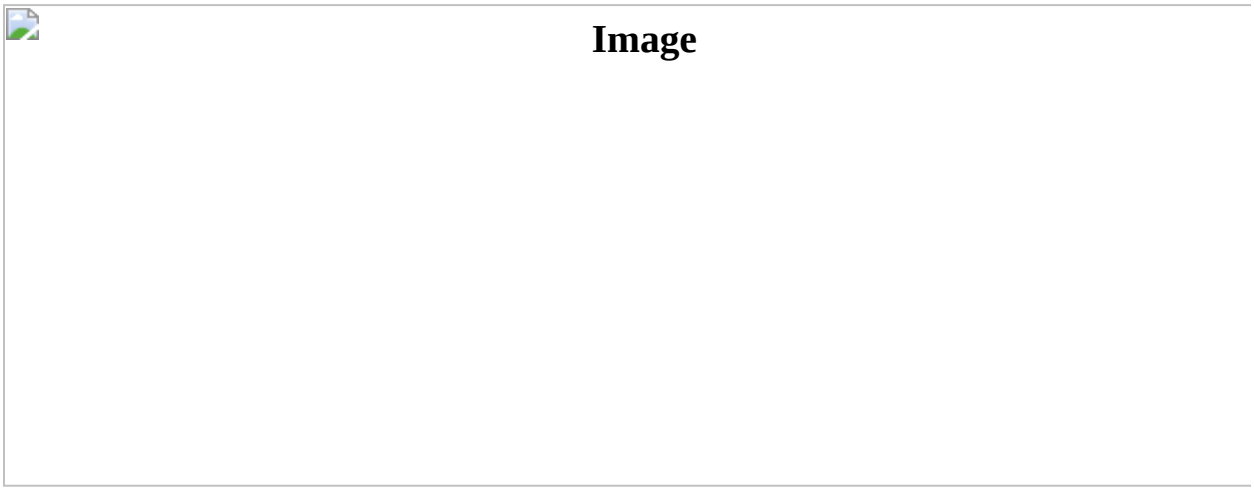

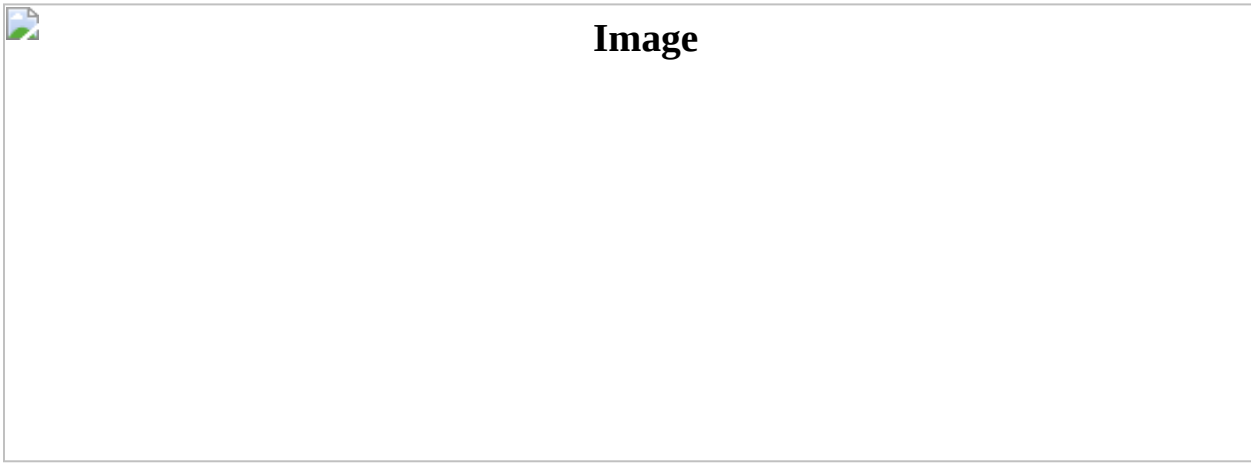

الأعلى: صيد الحيوانات

الأسفل: كلكامش يتوسط الأسود والثيران

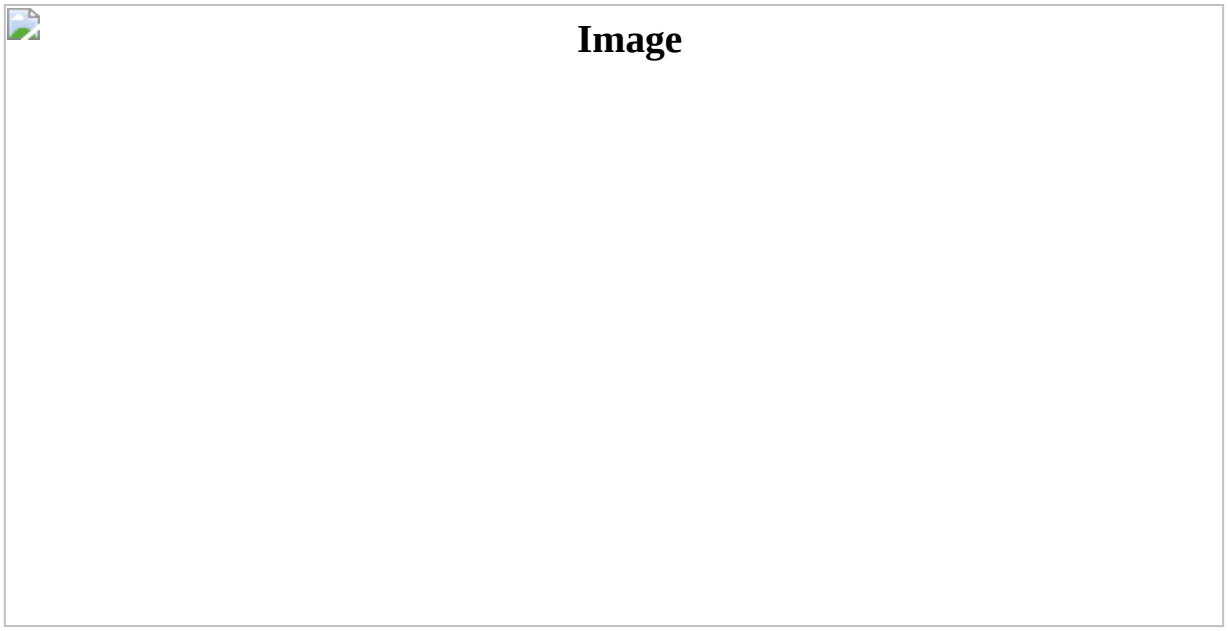

الإله ننكشزيدا يقدم حاكم لجش إلى الإله إنكي / ختم أسطواني

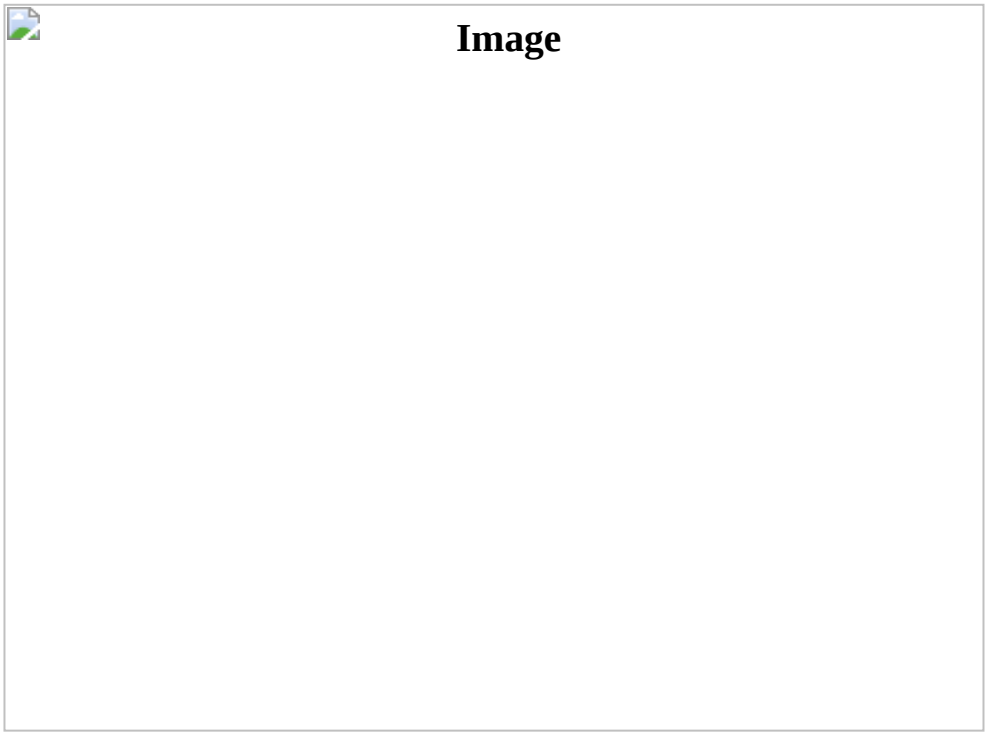

أختام مسطحة

http://lexicorient. com/e. o/sumer. Htm

الأختام الأسطوانية:

Cylindrical seals

هي أسطوانات حجرية صغيرة منحوتة بالشكل المعكوس، تمّ استخدامها لإحداث طباعة صحيحة على الطين الرطب. معظمها مصنوعة من الحجر الجيري أو الأحجار شبه الكريمة مثل العقيق أو اللازورد وبعضها مصنوع من النحاس أو البرونز أو الذهب أو العاج أو العظام. وكانت تستخدم لإثبات الملكية أو الهوية. وهي أعمال فنية دقيقة وحساسة، محفورة بطريقة مرهفة بشخصيات صغيرة من الآلهة والوحوش والرجال، وعادة ما تتعلق بأسطورة أو مأدبة أو عمل بطولي، وقد شكلت مرجعاً مهمّاً من مرجعيات الأساطير والتأريخ.

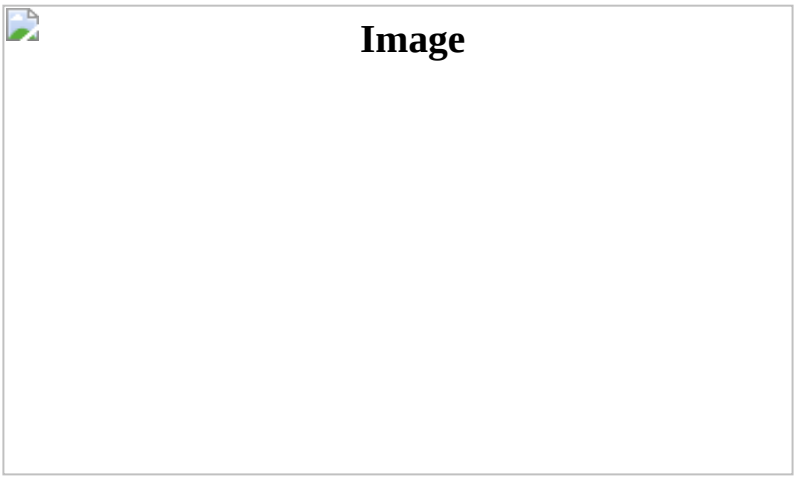

ختم شبعاد (بو آبي)

2800 ق. م

html .http://web. me. com/kbolman/Mesopotamia/Sumerian_Plaques

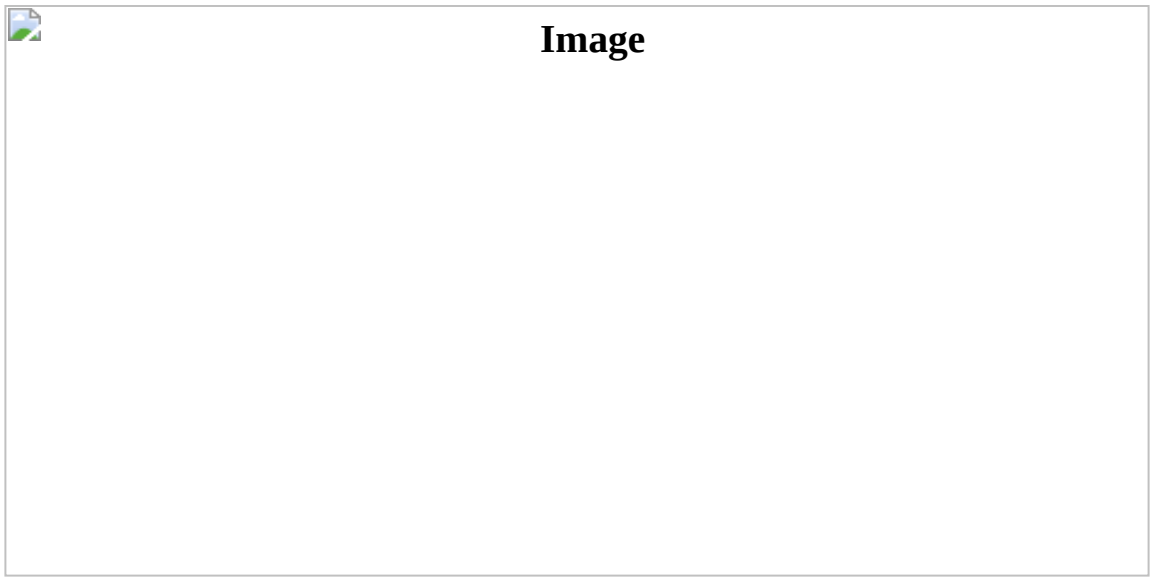

منظر صيد

2250 ق. م

http://web. me. com/kbolman/Mesopotamia/Sumerian_Plaques. html

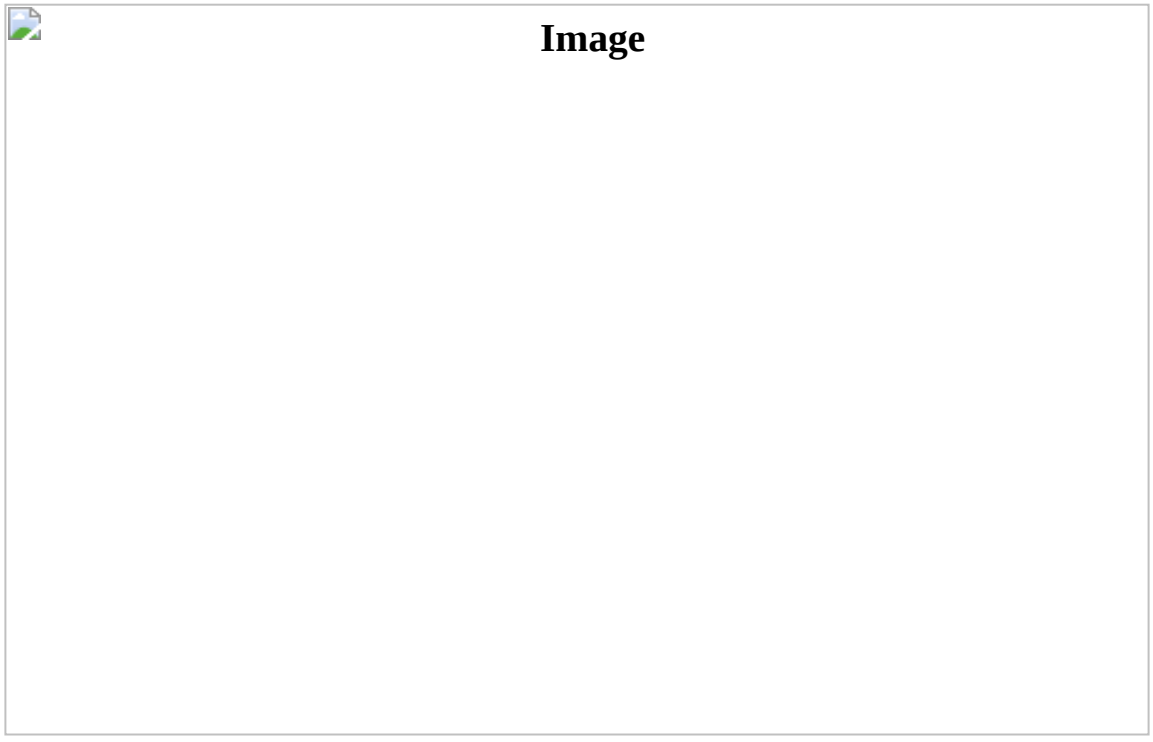

ملكة السماء (إنانا)ورموزها المبكرة

http://web. me. com/kbolman/Mesopotamia/Sumerian_Plaques. html

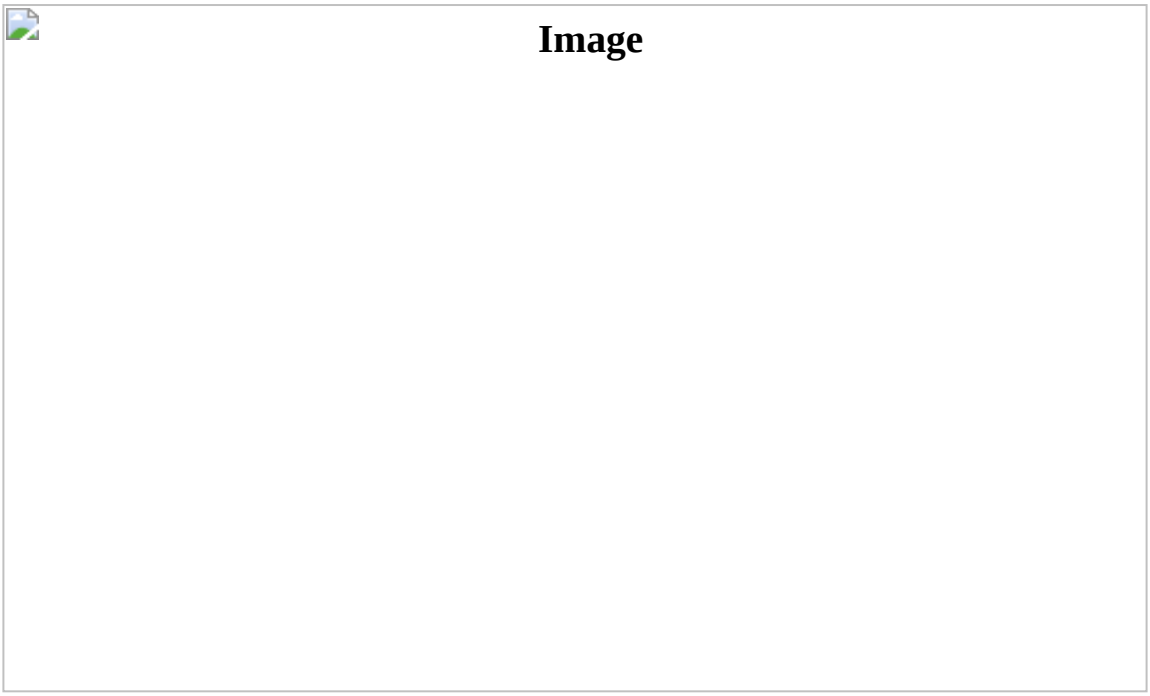

حرب الآلهة

http://web. me. com/kbolman/Mesopotamia/Sumerian_Plaques. html

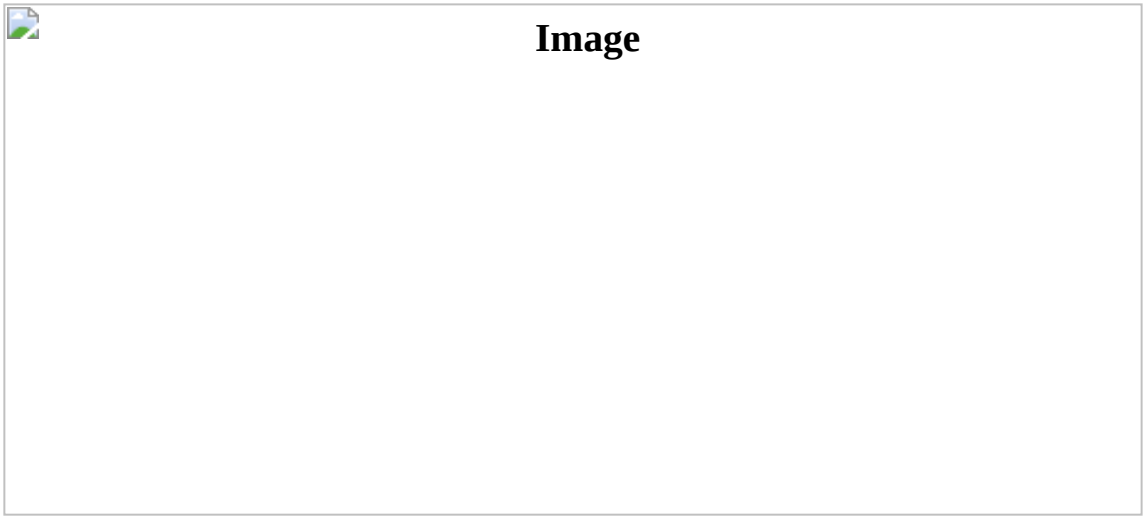

دموزي (ختم في مقبرة أور)

http://web. me. com/kbolman/Mesopotamia/Sumerian_Plaques. html

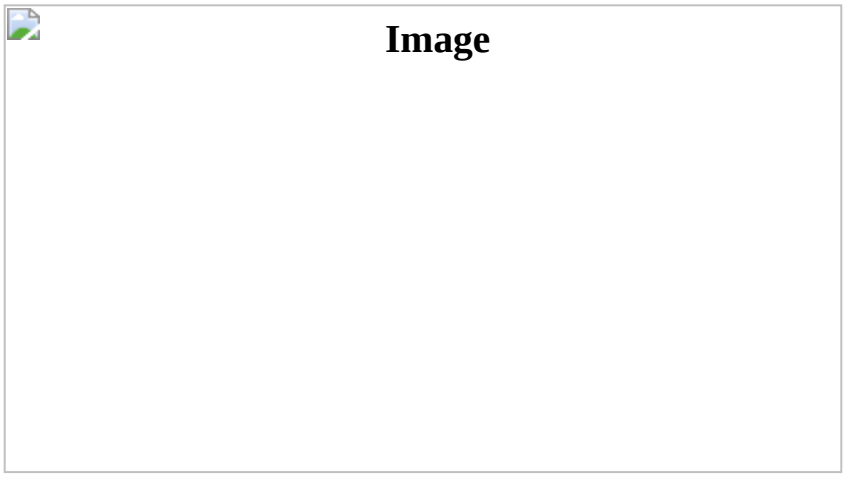

Image

الراعي بين حيواناته

http://web. me. com/kbolman/Mesopotamia/Sumerian_Plaques. Html

2. البرونزيات: مثل لوحة إلهة الريح (أمدوجد) في النحت السومري البارز.

3. النحاسيات: من النحاسيات السومرية تمثال لمصارعين يحملان وعاءين على رؤوسهما تظهر فيه البراعة الفنية من خلال حركة المصارعين واندماج الوعاءين وتمثال من النحاس لرجل يصلي عثر عليه في خفاجه. وهناك تمثال من أوروك 3300 - 3100 ق. م.

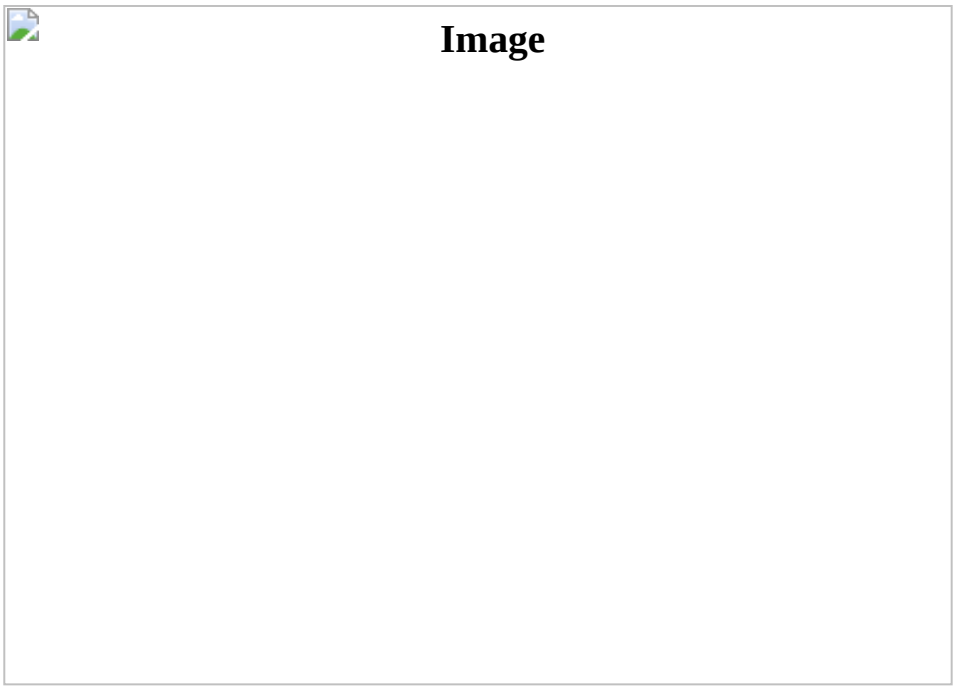

تمثال نحاسي لإله أو كاهن من النحاس 3300-3100ق. م من أوروك الرابعة

تمثال نحاسي لجوديا من لجش وهو يضع حجر الأساس لمعبد 2100 ق. م

http://blog. beardtoken. com/post/25583365694/myhistoryblog-a-sumerian-copper-figure-of-a

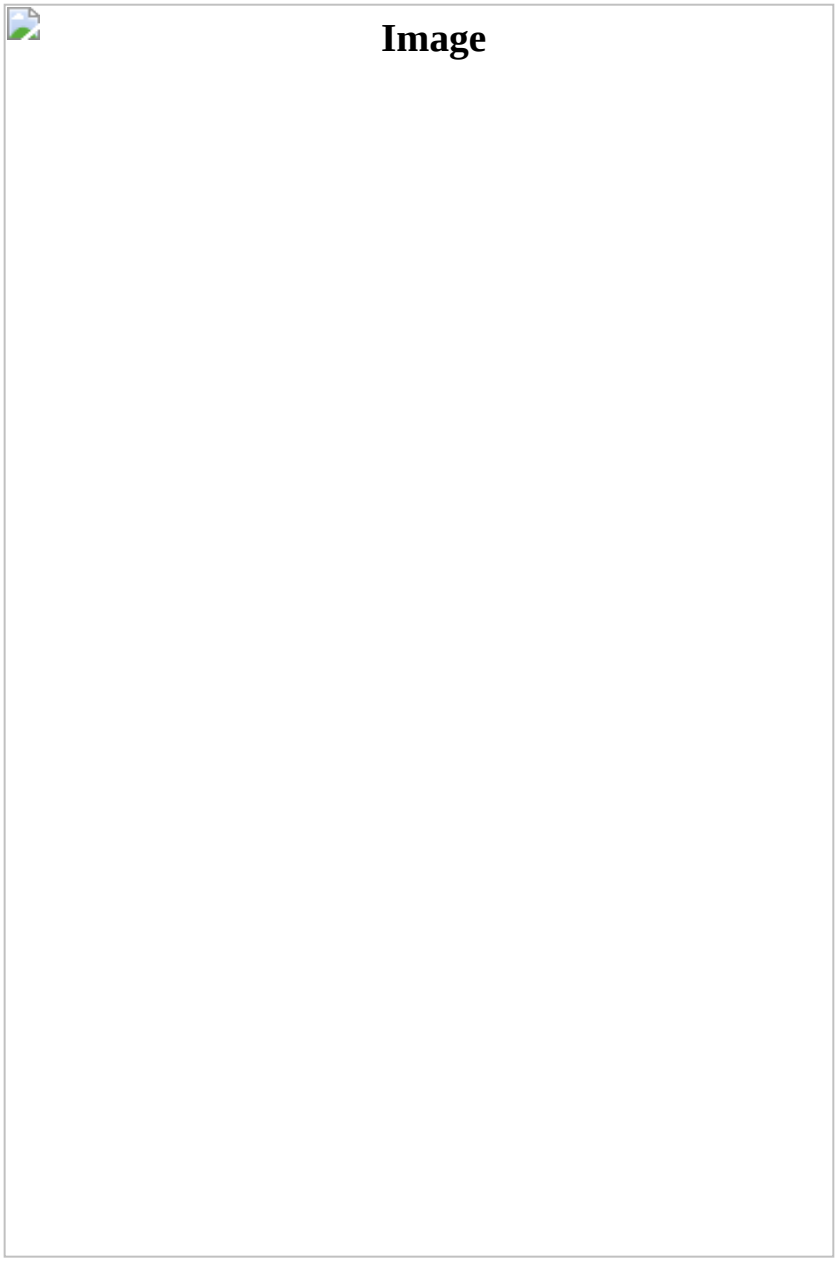

السطح الأمامي لجسم القيثارة الخشبي وفيه زخارف حيوانية من الصدف لوحدات هندسية

القيثارة السومرية: أحد عشر وتراً

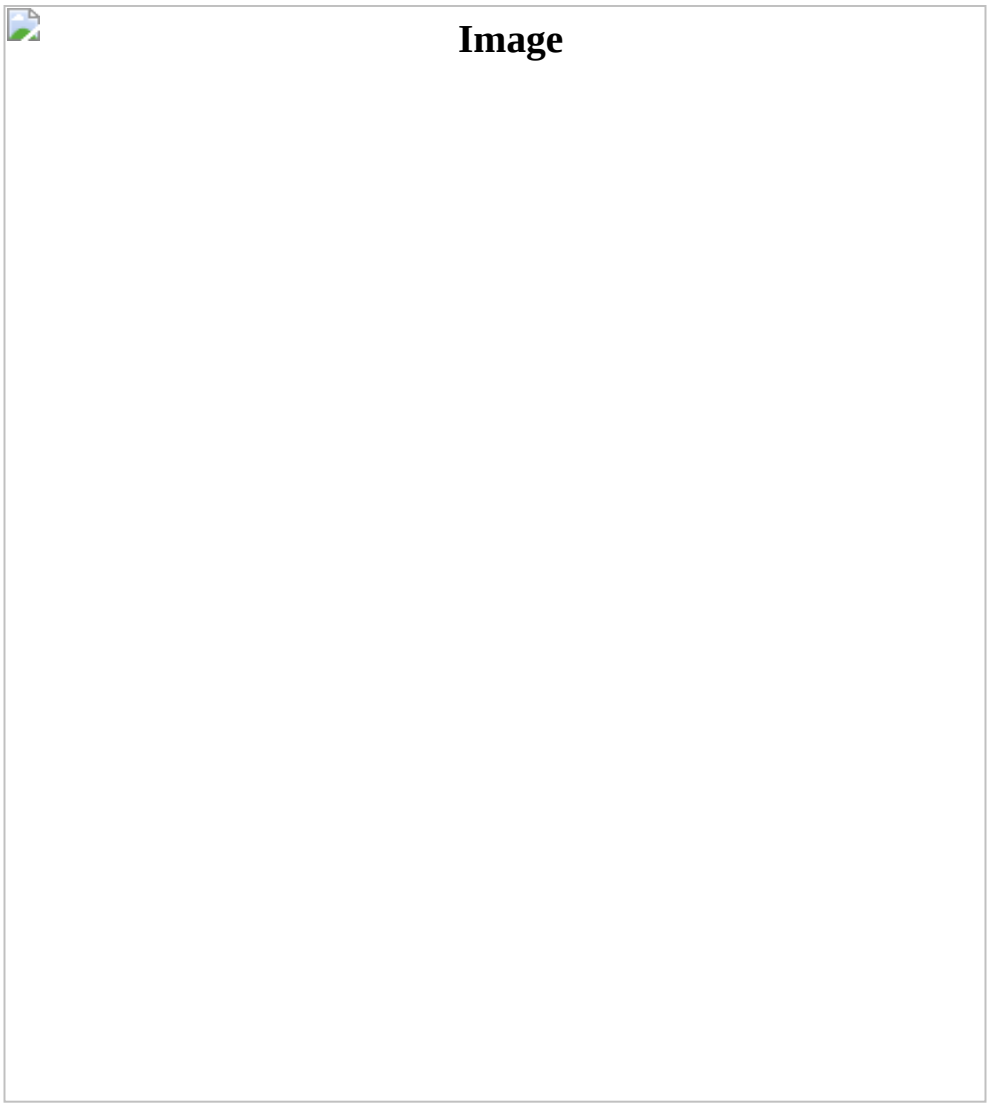

الإله زو من الذهب مع أجنحة من اللازورد

http://www. abovetopsecret. com/forum/thread963192/pg1

7. الديكور: زلاجة من مقبرة أور

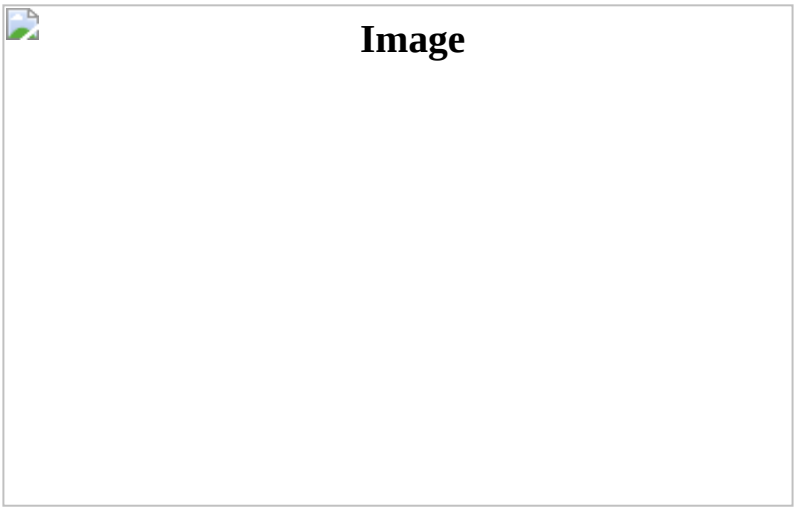

زلاجة أو زحافة مزينة عثر عليها في قبر ملكة أور (بو آبي)

http://sumerianshakespeare. com/106901. Html

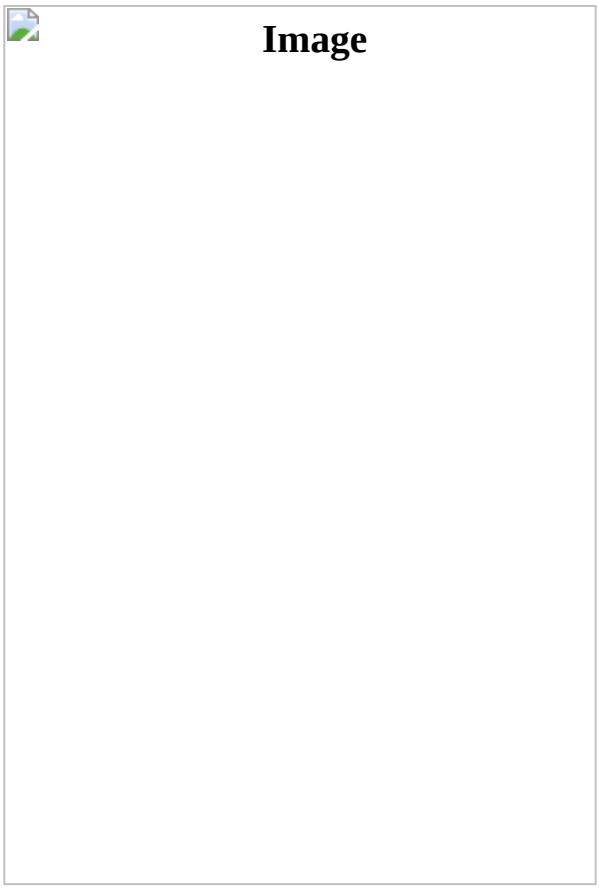

جزء من ديكور عربة يظهر فيها نحت حمار من المعدن

صولجان ملكي مصنوع من قشرة ذهبية ولازورد من مقبرة أور

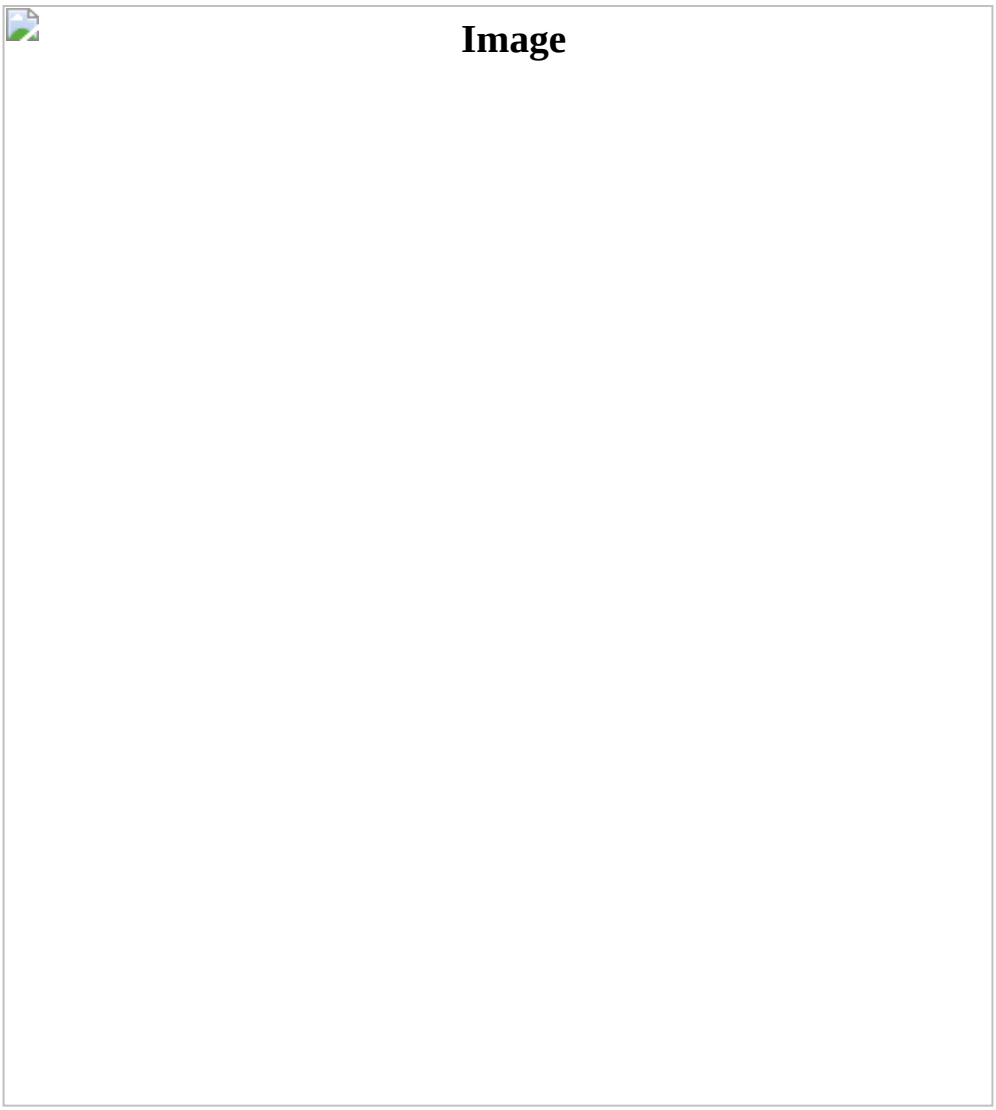

لوحة نذرية مخصصة للإله دموزي من قبل لوكال زاكيزي

http://sumerianshakespeare. com/748301/903801. Html

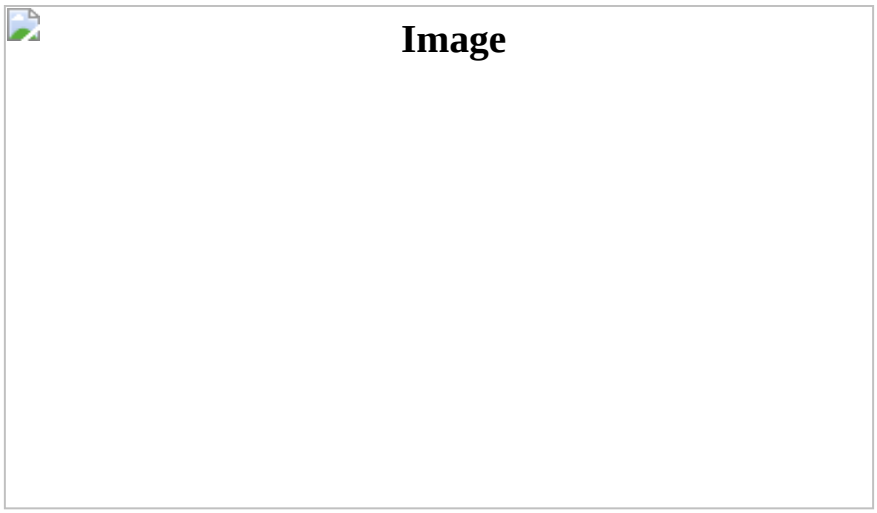

ختم أسطواني سومري 2400-2200 ق. م يظهر حفلة موسيقية

http://www. clintgoss. com/flutopedia. com/img/BM_102417_Highlighted_lg. jpg

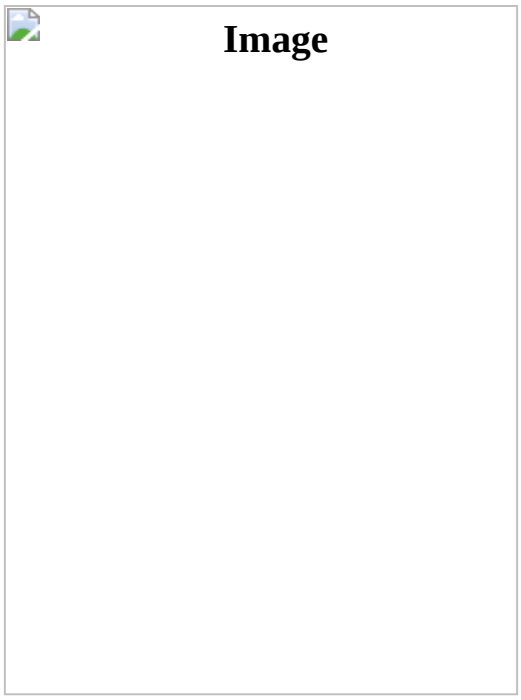

امرأة سومرية تعزف على الناي(2500-2600) ق. م متحف المتروبوليتان

http://www. clintgoss. com/flutopedia. com/mesopotamian_flutes. Htm

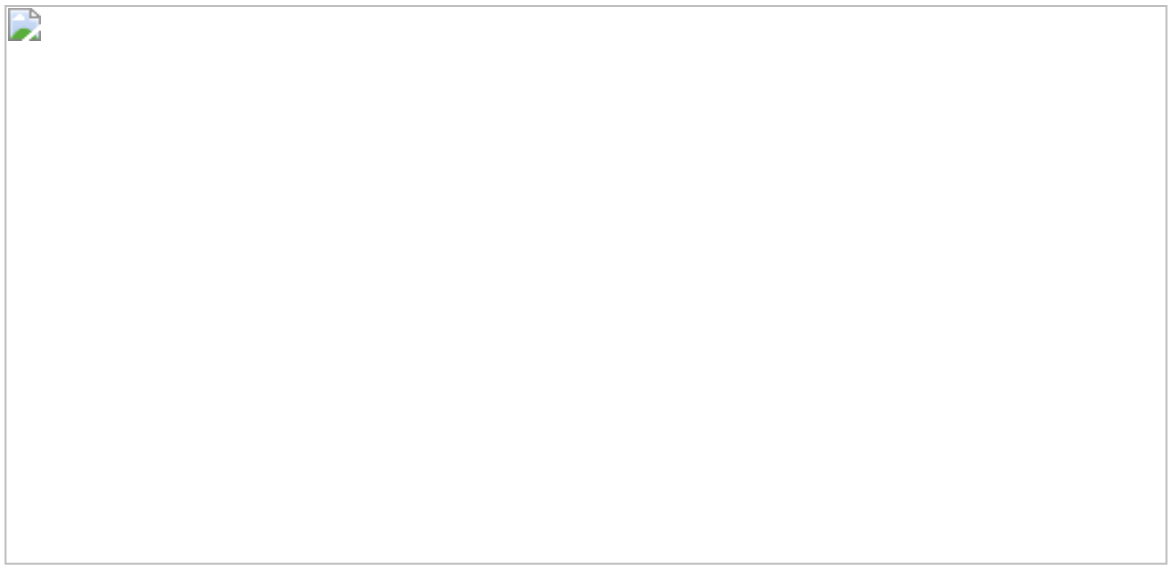

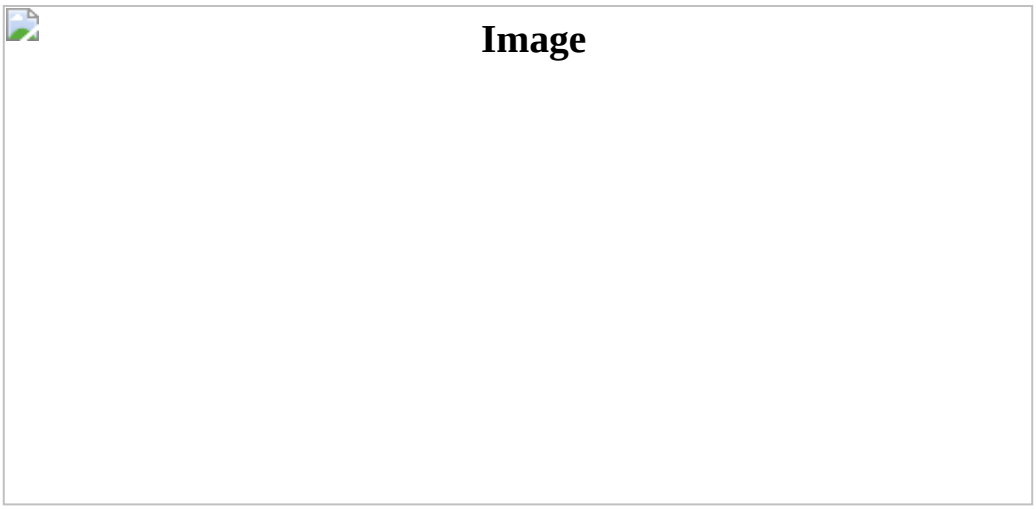
Image

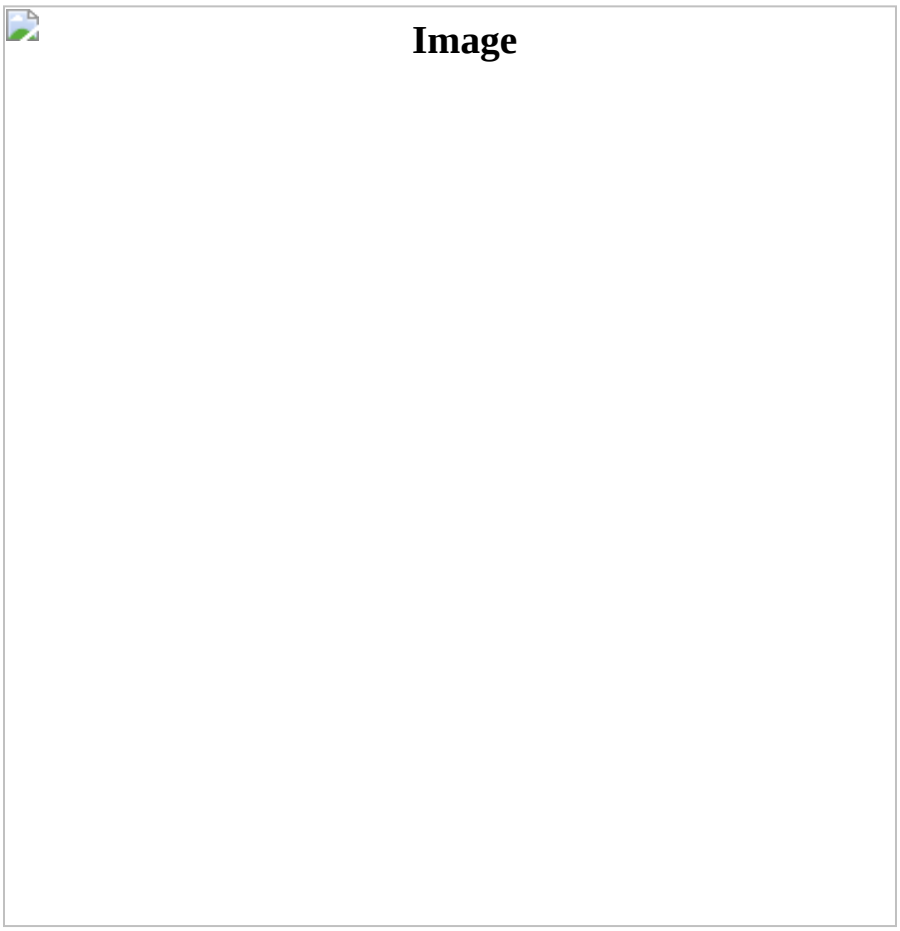

قيثارة أور الخشبية: أحد عشر وتراً

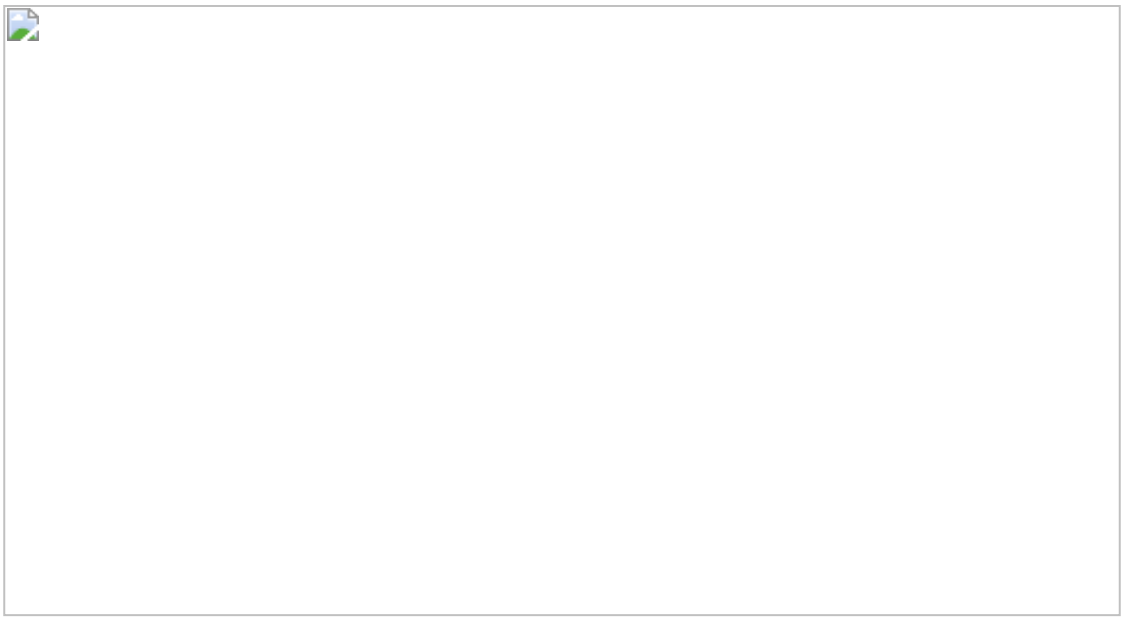

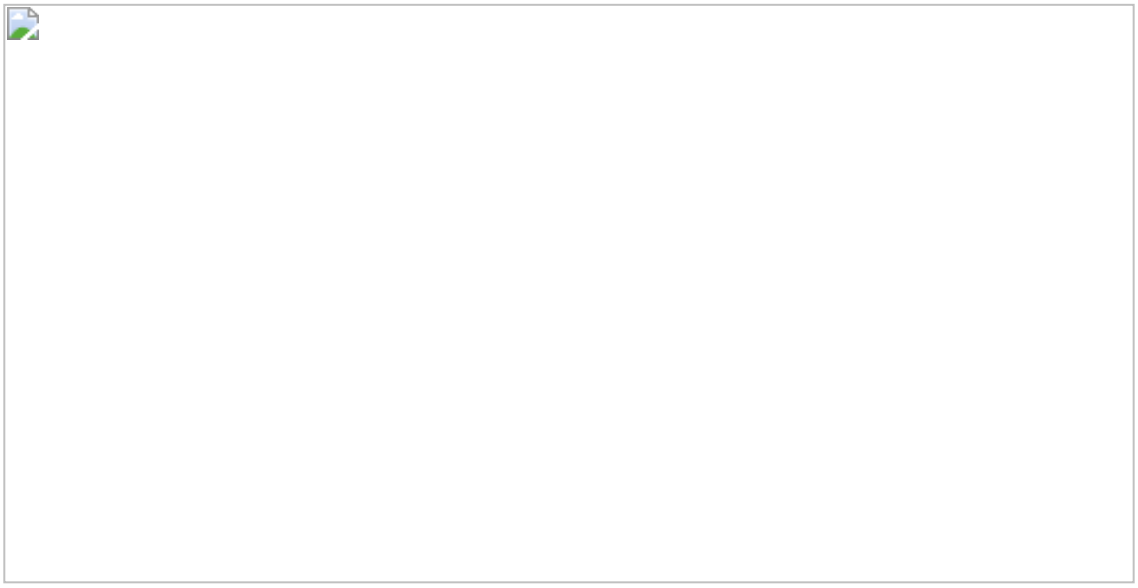

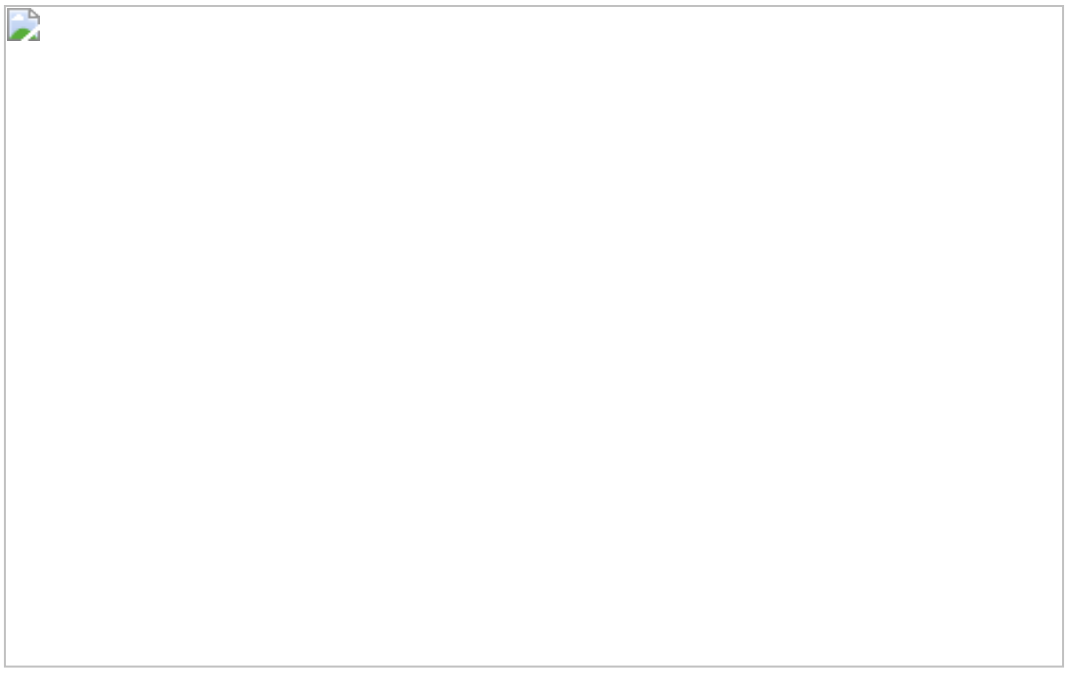

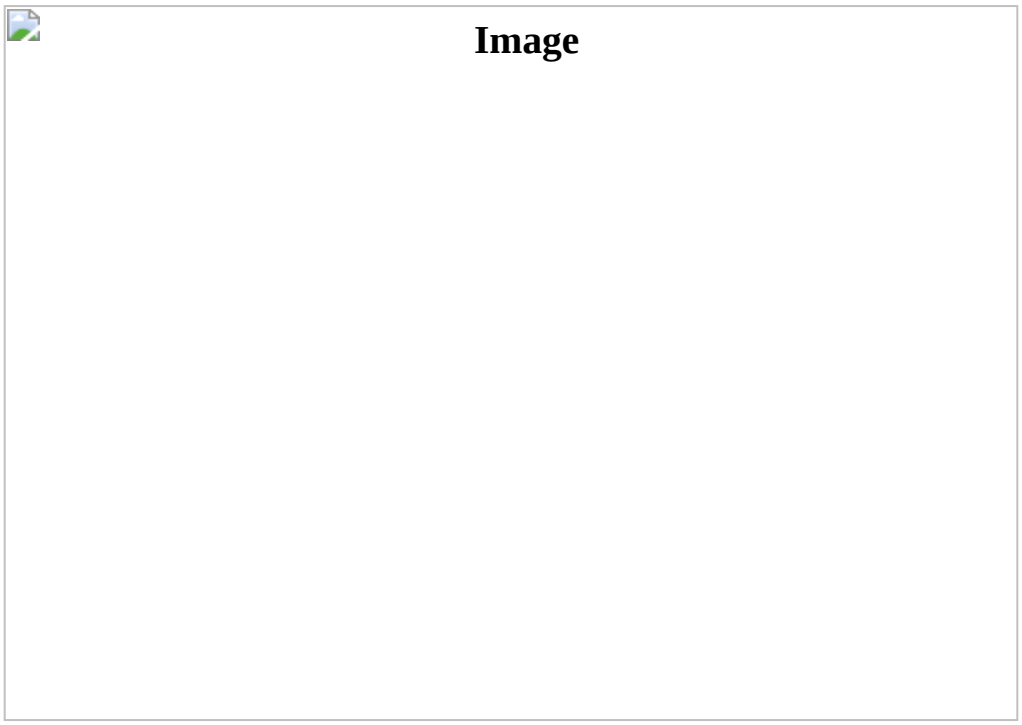

الكوناكس السومري: التنورة، والستر: الثوب السومري الطويل للفتيات

http://di-ta. com/fashion-in-ancient-

sumerian/ancient_sumerian_gals_by_scargut_the_gutless/

http://marybawa. com/ancient/sumer/sumer2. html

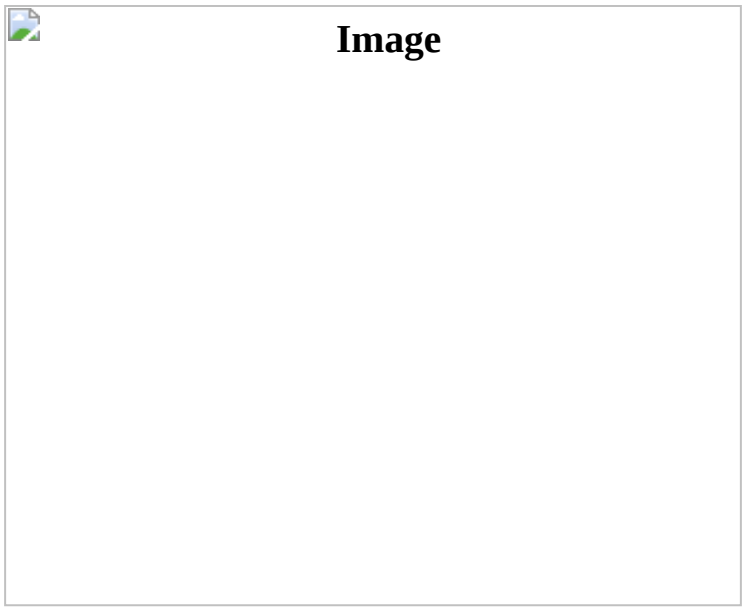

الزي النسائي والرجالي السومري التقليدي

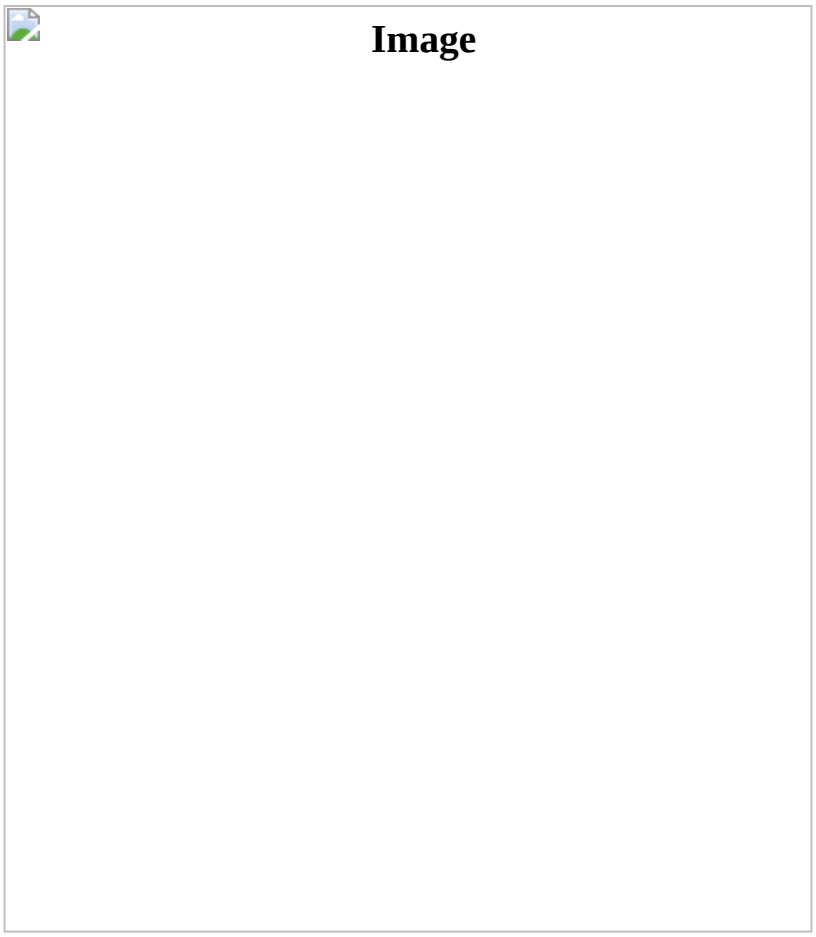

التسريحات وغطاء الرأس

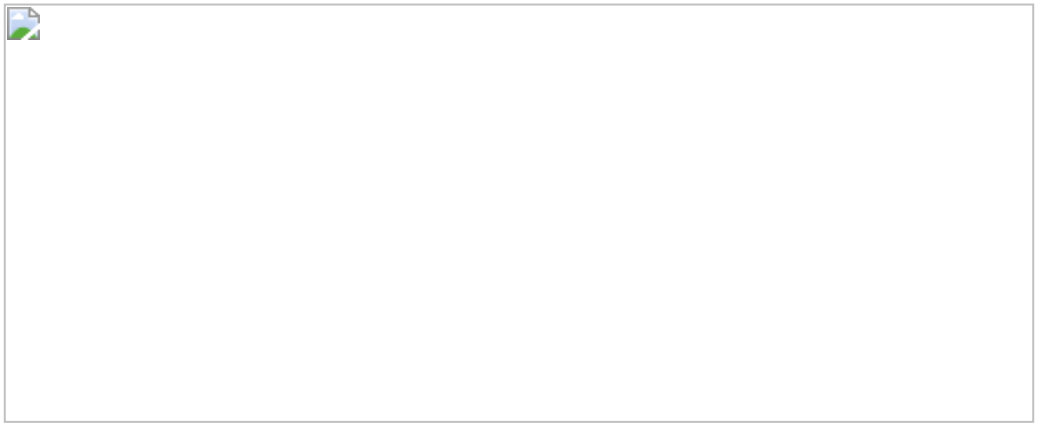

3. الحلي السومرية

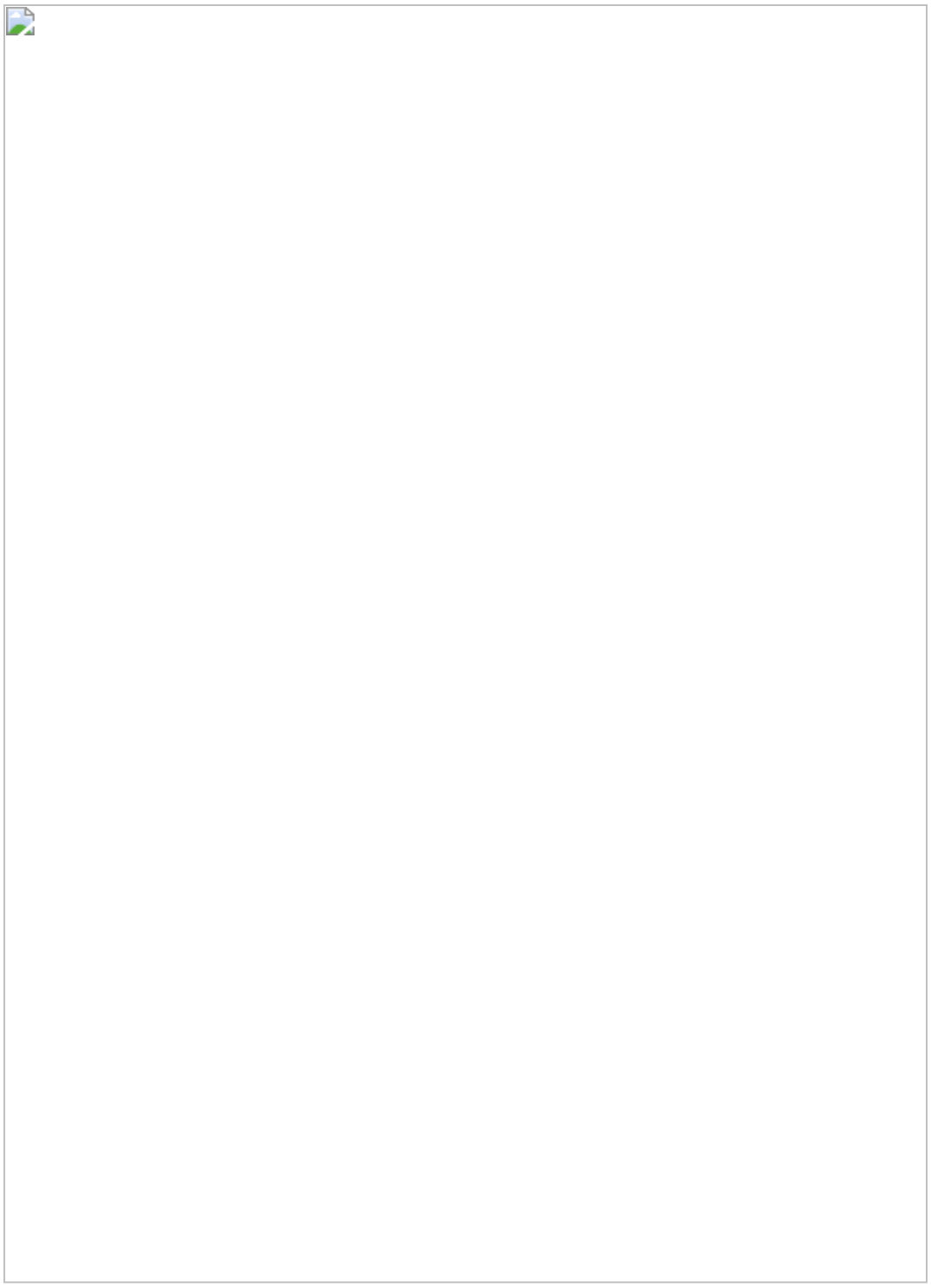

الحليّ السومرية

http://sumerianshakespeare. com/106901. html

http://www. pinterest.
com/tibettenzin/iraqmesopotamiababylonassyrian-and-the-sumerian

مجموعة من أدوات وديكور القصر السومري

http://www. historyandcivilization. com/Picture-Gallery---The-Royal-Graves-of-Ur. Html

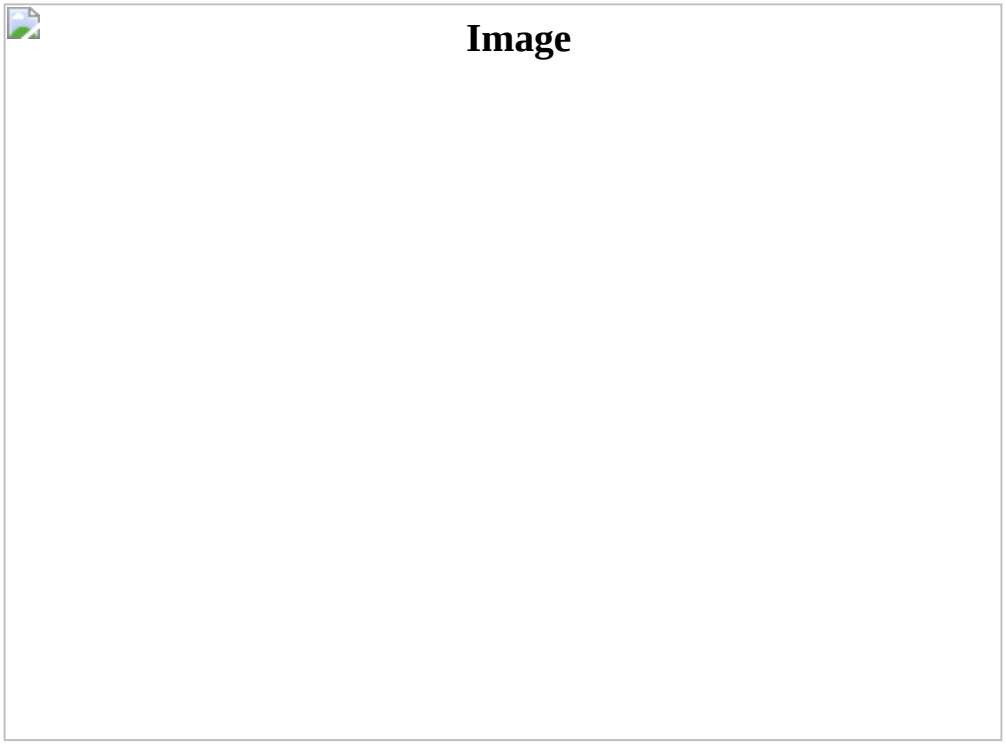

زخارف سومرية

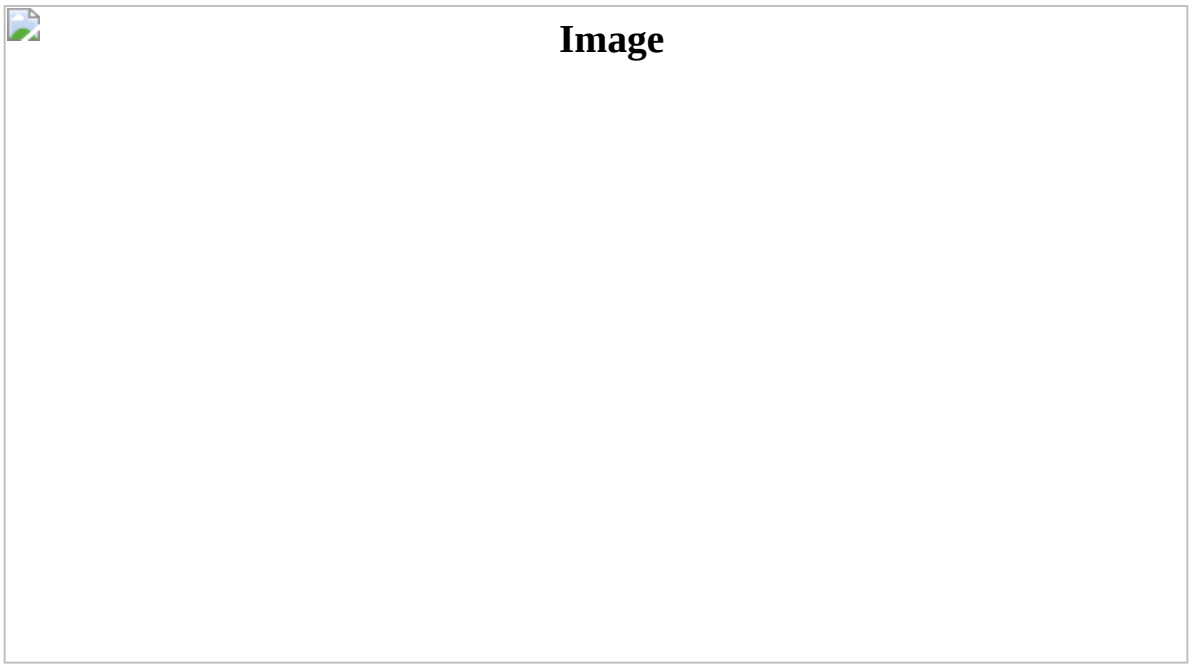

عيد رأس السنة السومري

الفصل الثالث عشر
المظهر الأخلاقي والمعايير والتقييم الحضاري

Moral (Ethics), Standardizations& Evaluation aspect

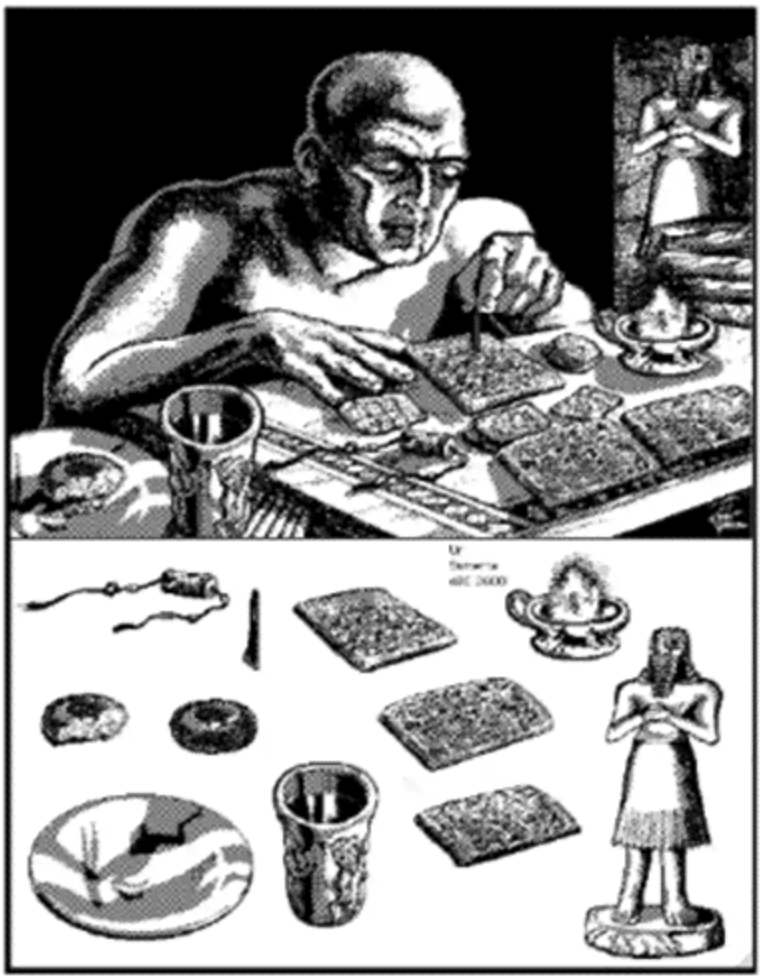

http://tricivenola.

wordpress. com/2013/02/19/rocking-the-cradle-of-civilization-drawing-on-the-hasankeyf-train/

المبحث الأول: الأخلاق وعلم الأخلاق

هذا المكوّن هو بمثابة بيضة القبّان التي توازن بين المكوّنات المادية السبعة والمكونات الثقافية السبعة، وهو الذي يضبط توازن الحضارة الداخلي والخارجي، وهناك فرع من الأخلاق يبحث في أخلاقيات الحضارة (علم أخلاق الحضارة) يعرّفنا بأخلاق كلّ حضارة.

تعرف بعض المعاجم الأخلاق على أنها «معرفة الفضائل وكيفية اكتسابها لتزكو بها النفس، ومعرفة الرذائل لتتنزّه عنها، وعلم الأخلاق هو النظر في أحكام القيم وفي المبادئ الأخلاقية، بينما تتعلق الأخلاق بالأفعال الصادرة عن الإنسان محمودة كانت أو مذمومة». (سعيد 2004: 23).

المعجم الفلسفي يعرّف الأخلاق بأنها «علم السلوك وموضوعه الفضائل والرذائل وطبيعتها وظهورها وكيفية اقتنائها أو توقيتها، ومن ثم كان قيام هذا العلم على تشكيل قواعد السلوك». (الحفني 2000: 31).

ولا شك أننا سنتناول الأخلاق النسبية وليس الأخلاق المطلقة، فيما يخص السومريين لأننا سندرس طبيعتها في زمانٍ ومكانٍ محددين، وهذا هو ما يحدد الأخلاق النسبية عموماً.

أولاً: الأخلاق

هذا المكوّن هو بمثابة نقطة تعادل الميزان التي توازن بين المكوّنات المادية السبعة والمكونات الثقافية السبعة للحضارة، وهو الذي يضبط توازن الحضارة الداخلي والخارجي، وهناك فرع من الأخلاق يبحث في أخلاقيات الحضارة (علم أخلاق الحضارة) يعرّفنا بأخلاق كلّ حضارة.

مقدمات تعريفية:

الأخلاق Ethics: هي طريقة تصرف الناس ومعرفة ما ينبغي كسلوك صحيح يتسبب في الخير والحياة الجيدة والسعيدة. والكلمة مشتقة من الكلمة اليونانية (أثوس Ethose) – أي العرف أو العادة – والإثيكس تشير عادة إلى الأخلاق النظرية وأحكام القيم وهو (فلسفة الأخلاق)، وله علم افتراضي (غير موجود) إيثاكولوجي Ethicology وهو علم الأخلاق النظرية.

وإن من يتأمل الصلة بين الأخلاق والدين يجد أنه لا يمكن حصرها في وجه واحد، بل لها وجوه عدة (تاريخية، أو نفسية أو اجتماعية أو معرفية) أي وجود مبادئ، ومعايير أولى، تنزل منزلة الأصول التي تتفرع أو تتأسس عليها، سواهما وقد تكون علاقة كيانية (وجودية) علة وجودها، مشرع إلهي أو إنساني يضمن نفعاً للأفراد والجماعات. (عبد الرحمن 2000: 30).

الأخلاق العملية Morals: وهي أخلاق الأوامر والنواهي أي الحلال والحرام (التابو). وتعبر عن الأخلاق العملية في المجتمع.

لا بدّ، أولاً، من تعريف الأخلاق، ولذلك سنُدرج مجموعة من التعريفات المهمة وهي:

ت	تعريف الأخلاق	المرجع
1	وهي:Moralis من Moralityفي اللاتينية: (الطريقة والشخصية والسلوك الصحيح) هو التمييز بين النوايا والقرارات والإجراءات بين تلك التي تتميز بأنها مناسبة وتلك غير المناسبة	Sedley 1987: 366
2	معرفة الفضائل وكيفية اكتسابها لتزكو بها النفس، ومعرفة الرذائل لتتنزّه عنها، وعلم الأخلاق هو النظر في أحكام القيم وفي المبادئ الأخلاقية، بينما تتعلق الأخلاق بالأفعال الصادرة عن الإنسان محمودة كانت أو مذمومة.	سعيد 2004: 23
3	ليفي بريل: إن ميولنا الحسنة أو القبيحة التي نجيء بها إلى هذا العالم عند ولادتنا، هي طبيعتنا.	دراز 1953: 7

	فكيف نكون مسؤولين عن طبيعة، هي ليست من عملنا، أو على الأقل ليست من عملنا الاختياريّ	
Stanford Encyclopedia of Philosophy 2014	مجموعة من المعايير أو المبادئ المستمدة من مدونة قواعد سلوك من فلسفة أو دين أو ثقافة معينة، أو يمكن أن تستمد من معيار يعتقد الشخص أنه يجب أن يكون عالميّاً.	4
دراز 1953: 7	هيوم: إن شعورنا بالحرية ليس إلّا وهماً خدّاعاً.	5
ألبرت شفايتزر: اضمحلال واستعادة الحضارة. الحضارة والأخلاق(1923)	شفايتزر: الحضارة ترتبط أساساً بالاستعدادات الذهنية لدى الأفراد والأمم... أما العناصر الفنية والسياسية والاجتماعية فإنها، في هذا السياق، لا تعود تتخذ أهمية أولى، بل تصبح ذات أهمية ثانوية، شأنها في هذا شأن كل ضروب التقدم التقني والعلمي، التي ستكون دون فائدة إن لم يكن البعد الأخلاقي رائدها.	6

ويمكننا، أيضاً، تعريف الأخلاق من خلال الحقول المعرفية التي تعطي من منظورها وجهات نظرٍ مختلفة ومتباينة انطلاقاً من معطياتها.

تعريف الأخلاق من خلال حقول معرفية مختلفة

المرجع	تعريف الأخلاق من خلال حقول معرفية	الحقل المعرفي	ت
موسوعة لالند الفلسفية 2012: 839	مجموعة من القواعد السلوكية معتبرة صالحة بلا شرط	الفلسفة	1
al. Bzdok, D. et» .96–2012: 783	التفكير الأخلاقي يرتبط برؤية الأشياء من وجهات نظر الأشخاص الآخرين واستيعاب مشاعر الآخرين. تقدم هذه النتائج دليلاً على أنّ الشبكة العصبية التي تقوم عليها القرارات الأخلاقية ربما تكون عالمية النطاق (أي، قد لا تكون هناك أشياء مثل «الوحدة الأخلاقية» في الدماغ البشري) وقد	علم الأعصاب	2

		تكون قابلة للانفصال في النظم الفرعية المعرفية والعاطفية.	
الحفني 2000:31	موضوعه الفضائل والرذائل وطبيعتها وظهورها وكيفية اقتنائها أو توقّيها، ومن ثم كان قيام هذا العلم على تشكيل قواعد السلوك.	علم السلوك	3
Gilligan and Kohlberg: Ethics, Vol. 98, No. 3 (Apr., 1988), pp. 472–91	علم النفس الأخلاقي الحديث، يعتبر الأخلاق تتغير من خلال تنمية الشخصية. قام عدد من علماء النفس بإنتاج نظريات حول تطور الأخلاق، والتي تمر عادة بمراحل من الأخلاق المختلفة. لورنس كولبرج وجان بياجيه وإيليوت توريبل لديهم مقاربات معرفية للتطور في التطور الأخلاقي. لهؤلاء المنظرين أشكال الأخلاق في سلسلة من المراحل أو المجالات البناءة	علم النفس	4
The Internet Encyclopedia of Philosophy (IEP) https://www. iep. utm. edu/moral-SH2g#/re	النسبية الأخلاقية حيث الفضائل الأخلاقية صحيحة أو خطأ فقط في سياق وجهة نظر معينة (على سبيل المثال، المجتمع الثقافي). بمعنى آخر، ما هو مقبول أخلاقيّاً في ثقافة ما قد يكون من المحرمات في ثقافة أخرى. يزعمون أيضاً أنه لا يمكن إثبات أيّ فضيلة أخلاقية بشكل صحيح أو خطأ	علم الإنسان	5
بدوي: مقدمة كتاب الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، 2000: أ	الإنسان الذي يعيش في مجتمع معين لا بدّ من أن يعكس المبادئ الأخلاقية والعادات السائدة في مجتمعه والضمير الأخلاقي عند الإنسان يتقيد كثيراً بما يسود في المجتمع من معتقدات وعادات وتقاليد. ولذلك فإن الإنسان يحكم على الأفعال والتصرفات لا من خلال ضميره فحسب، بل من خلال ضمير المجتمع.	علم الاجتماع	6

7	علم السياسة	الأخلاق هي الإجابة عن سؤال «كيف يجب أن نعيش» على المستوى الفردي، ويمكن اعتبار السياسة على أنها تتناول السؤال نفسه على المستوى الاجتماعي، على الرغم من أنّ المجال السياسي يثير مشاكل وتحديات إضافية.	Weber, Eric Thomas. 2011.
8	الحضارة	احترام كل مظهر من مظاهر الحياة سواءً منها الشخصية أو الروحية تجاه الكون، الحضارة تنهار حين تضعف الأخلاق فيها.	ألبرت شفايتزر: اضمحلال واستعادة الحضارة. الحضارة والأخلاق(1923)
9	الدين	الدين والأخلاق ليسا مترادفين. الأخلاق لا تعتمد على الدين، على الرغم من أنّ البعض يعتبرها «افتراضاً تلقائيّاً تقريبيّاً». ووفقاً لمعجم ويستمنستر للأخلاقيات المسيحية، يجب تعريف الدين والأخلاق بشكل مختلف وليس لهما صلات تعريفية بعضهما مع بعض. من حيث المبدأ تعتبر الأخلاق ونظام القيم الدينية نوعين متميزين من أنظمة القيم أو أدلة العمل.	Rachels, (2011). Childress, James F. Macquarrie, (ed) (1986) John

ثانياً: علم الأخلاق

تعريف علم الأخلاق

علم الأخلاق Denontology: وهو العلم الذي يعتني بموضوعة الأخلاق من جوانب الخطأ والصواب ويركز على جوانب فضيلة الأخلاق، وهو مصطلح مشتق من الكلمة اليونانية (ديون Deon) التي تعني (الالتزام أو الواجب). وأول من استخدمها هو س. د. برود (C. D. Broad) عام 1930 واعتبرها علماً وليس فلسفة.

يعرف وليام ليل علم الأخلاق بأنه علم معياريّ (كالمنطق والجمال والأخلاق) وهي علوم تختلف عن العلوم الوصفية أو الوضعية في أنها لا تقتصر على الوصف وإنما تتجاوز الوصف إلى الحكم. ويرى أنّ الأخلاق «علم معياريّ للسلوك، والسلوك اسم جمعي للأفعال الاختيارية. وهذا الاختيار وتلك الحرية هما ما يميز سلوك الإنسان من غيره من أفراد الحيوان. ومن ثم فإن الأفعال الاختيارية تشتمل على كل أفعال المشيئة أو الإرادة، وتشتمل كذلك على الأفعال اللاإرادية والاعتيادية». (ليل 2000: 27).

فالإنسان كائن أخلاقي، في المقام الأول أي إنّه مسؤول عن أفعاله ومصيره وعن تحقيق الكمال الممكن، لطاقاته، وملكاته مؤهل للتمييز بين الخير، والشر، وهو يقيم الوقائع التي تجري من حوله في ضوء الغايات التي ينشدها، وهذا الكمال هو الذي يتعلق به وجدان كل إنسان، باعتباره قيمة تفرض نفسها على عقلنا المعياري. (الكتاني 2011: 14).

ت	تعريف علم الأخلاق	المرجع
1	البحث عن المبادئ وترتيبها واستنباطها والكشف عن أهميتها للحياة الأخلاقية، مع بيان الواجبات التي يلتزم بها الإنسان.	أرسطوطاليس 1924: 8
2	العلم الذي يبحث في القواعد التي ينبغي توفرها في السلوك الأخلاقي.	هويدي 1989: 63
3	شوبنهاور: يولد الناس أخياراً أو أشراراً، كما يولد الحمل وديعاً، والنمر مفترساً، وليس لعلم الأخلاق إلّا أن يصف سيرة الناس وعوائدهم كما يصف التأريخ الطبيعي حياة الحيوان	دراز 1953: 6
4	أحد العلوم المعيارية الذي يهتمّ بدراسة أخلاق الإنسان	نصّار 1982: 17 - 18
5	نسق معرفي لمجموعة وقائع جزئية مترابطة تدور حول أخلاق الإنسان والحكم عليها باستخدام المعايير الأخلاقية التي تميز بين الفعل الصائب والفعل الخطأ	نصار1982: 36 - 40
6	علم يوضح معنى الخير والشر، ويبين ما ينبغي أن	أمين 1985: 2

	تكون عليه معاملة الناس بعضهم بعضاَ، ويشرح الغاية التي ينبغي أن يقصدها الناس في أعمالهم وينير السبيل لعمل ما ينبغي.	

قد يكون علم الأخلاق، في بعض الأحيان، متسقاً مع العبادة الأخلاقية (الاعتقاد بأن بعض الإجراءات خطأ بغضّ النظر عن العواقب المترتبة عليها)، ولكن ليس بالضرورة. على سبيل المثال، جادل إيمانويل كانط بأنه من الخطأ دائماً الكذب، حتى لو كان القاتل يسأل عن مكان وجود ضحية محتملة. ولكن البعض الآخر، مثل د. روس روس (1877 - 1971)، يرى أنّ عواقب عمل مثل الكذب قد تجعل في بعض الأحيان الكذب الشيء الصحيح للقيام وهذا ما يؤكد نسبية الأخلاق.

ويرى وليام ليل، أنّ هناك ستة من الأنساق الأخلاقية وهي: (ليل 2000: 35)

1. العلم الوضعي للأخلاق: وهو الذي يصف المعايير الأخلاقية للناس في المناطق المختلفة وطبقاً لتنوع سنوات العمر.
2. العلم المعياريّ للأخلاق: وهو الذي يقرر صحة المعايير الأخلاقية.
3. الفلسفة الأخلاقية: وهي تبحث صحة تلك المعايير من خلال موضعها في إطار كلّي عام.
4. علم الأخلاق التطبيقي: وهو يطبق المعايير الأخلاقية الصحيحة على حالات عينية جزئية.
5. التهذيب الأخلاقي: وهو يستهدف تحسين السلوك وتشذيبه.
6. فن مزاولة الحياة الصالحة.

رغم وجود اتجاهات لجعل علم الأخلاق علماً وضعيّاً قياسيّاً منضبطاً بقوانين ومعايير ثابتة، لكنه يظهر لنا من خلال مجمل تعريفاته التقليدية العامة بأنه علم معياريّ «أي يدرس ما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني فيضع

بذلك قوانين الأفعال الإنسانية ومثلها أو المبادئ العليا لها، وكان هذا هو الاتجاه التقليدي «المعتمد بين جمهرة الأخلاقيين فهم هذا العلم وتحديد منهجه. ولكن مدرسة من علماء الاجتماع في فرنسا قد اتجهت بالأخلاق في نهاية القرن الغابر ومطلع القرن الراهن اتجاهاً اجتماعيّاً صورت فيه علم الأخلاق فرعاً من علم الاجتماع موضوعاً ومنهجاً». (انظر سدجويك 1949: 10).

ولا شك أننا سنتناول الأخلاق النسبية، وليس الأخلاق المطلقة، فيما يخص السومريين لأننا سندرس طبيعتها في زمانٍ ومكانٍ محددين، وهذا هو ما يحدد الأخلاق النسبية عموماً.

المبحث الثاني: الأخلاق والدين والمجتمع

أولاً: الأخلاق والدين

لم يكن الدين هو مصدر الأخلاق، فالأخلاق مواضعات اجتماعية قبل كلّ شيء، ثم كان لا بدّ للأديان من أن تتدخل وتحاول احتواء الأخلاق، لكن الأخلاق بقيت في يد المجتمع وما يراه مناسباً لتوازنه.

كما أنّ الأخلاق نسبية وليست مطلقة، فهي تخضع لزمنٍ ومكانٍ معينين، وهذا بحدّ ذاته يكشف ضعف مرجعيتها الثيولوجية والدينية، ولكن الدين يحاول أن يعطيها طابعه بسبب نزعته الشمولية.

ورغم أنّ الأخلاق في بلاد سومر كانت رهينة بيد ملوك وكهنة البلاد واعاضد المصالح الدينية والسياسية، لكن السومريين رسموا صورة أخلاقية شاملة عميقة لعلاقتهم ببعضهم وبالطبيعة والآلهة. لكنهم من ناحية أخرى كانوا يعكسون تصوراتهم الأخلاقية في قصص وصفات الآلهة، وهذا يعني أنهم أسبغوا على الآلهة أخلاقهم في الأساطير التي دونوها.

«كانت الآلهة، أيضاً، كما ذكر الحكماء السومريون، يفضلون ما هو أخلاقي وصالح على الفساد والخروج على مبادئ الأخلاق. ونجد جميع الآلهة العظام، تقريباً، قد مجّدوا في التراتيل السومرية بصفتهم محبين للخير والعدل وللصدق والاستقامة. والواقع أنهم خصّصوا عدة آلهةٍ بالإشراف على النظام الأخلاقي بكونه وظيفتهم الأساسية، كإله الشمس (أوتو). وذكرت في النصوص، بين حينٍ وآخر، إلهة خاصة بمدينة (لجش) هي (نانشه) (على أنها خصصت نفسها لرعاية الصدق والعدل والرحمة. ولكن لم يتسنَّ لنا إلّا الآن

فقط أن ندرك مبلغ الدور المهم الذي كانت تقوم به تلك الآلهة في دائرة السلوك والأخلاق عند البشر». (كريمر د. ت: 193).

كان إله الشمس (أوتو) إله العدل والأخلاق بشكل عام بحكم ما يبينه من ضوء ووضوح واستقامة في أشعته، وكانت نانشه إله الكتابة تمثل هذا الدور بعده لما تمثله من الكتابة من إظهار للحقيقة وحفظها من خلال التدوين وكذلك يمثل نبو ذلك. وفي جميع الأحوال كانت هذه الآلهة صدى لرغبات الإنسان في الاستقامة والحاجة للأخلاق وليس العكس.

شرحنا في كتابنا (الديانة السومرية) تفاصيل دقيقة عن طبيعة الأخلاق السومرية، وعن الأعراف الأخلاقية التي أورثتها للسومريين والتي ألهمت الساميين في العراق ثم ألهمت شعوب الأرض القديمة كلّها.

كانت وصايا شروباك، في حدود 2600 ق. م، هي المدونة الأخلاقية الأولى التي جاءت بالنواهي المخالفة للخلق الإنساني (لا تلعب مع امرأة شابة متزوجة فقد يكون الافتراء خطيراً. لا تحدد حقلاً على طريق، لا تحفر بئراً في حقلك، ستؤذي به الناس، لا تقتل، لا تسرق... إلخ).

انظر (Biggs1974, Lambert 1996, Beaulieu2007: 4)

ارتبطت الأخلاق السومرية بالدين من ناحية، وبالضمير الشخصي من ناحية أخرى، فقد كان السومريون عموماً، يشعرون بالخوف من الانحراف عن المثل الإلهية التي كانت هي المُثل العليا، وكانوا يجدون في السلوك السويّ منهجاً عامّاً يتناسب مع طبيعة الإنسان، وقد جاءت القوانين السومرية لتعبر عن هذا الميل عموماً.

كان السومريون يرون أنّ الإنسان مسيّر لا مخيّر، لأنهم يؤمنون بقوة سيطرة الآلهة على مصيرهم، ولذلك تعلقوا «بحب الخير والصدق، والقانون والنظام، والعدالة والحرية، والصلاح والاستقامة والرحمة والرأفة. كما كانوا يمقتون الشر والكذب والزور وعصيان القانون، والإخلال بالنظام والظلم والاضطهاد وارتكاب المعاصي والضلال والصرامة وتحجر القلب. وكان حكامهم وملوكهم يتباهون دائماً بأنهم أقاموا القانون والنظام في البلاد، وحموا

الضعيف من القوي، والفقير من الغنيّ، ومحوا الشرّ والظلم والعنف». (كريمر د. ت: 192).

كان الإلهان (أوتو: إله الشمس) و(نانشه: إلهة الأخلاق وتفسير الأحلام والطالع) مسؤولين عن الأخلاق بالدرجة الأساسية. كانت نانشه تعتني بالأرملة وتنشد العدالة للفقراء وتؤوي الضعفاء المظلومين في حضنها، كما تقول الترتيلة السومرية عنها.

وكانت تقوم بحساب السومريين في عيد رأس السنة، وتقف إلى جانبها الإلهة ندابا وهي إلهة الكتابة والحسابات، وفي هذه المقطوعة تصف الأشرار الذين وقع سخطها عليهم:

«من سلك سبيل العدوان واغتصبت يده ما ليس له... (؟)

من تخطّى حدود النظم المقررة ونقض العقود والعهود،

من نظر نظرة رضا إلى مواطن الشرّ...،

من بدّل الوزن الكبير بالوزن الصغير،

من بدّل الكيل الكبير بالكيل الصغير،

من أكل ما ليس له ولم يقل (أكلته)...،

من شرب ما ليس له ولم يقل (شربته)

من قال لآكلنّ ما حُرّم

ومن قال لأشربن ما حُرّم». (كريمر د. ت: 195).

ثانياً: الأخلاق والمجتمع

كان المجتمع السومري هو من يزن الأخلاق ويقيمها وفقاً لمعاييره ولمعايير نظرته المتوازنة للحياة والطبيعة، وكان يعتبر أنّ الشر موجود فينا وعلى الأخلاق كبح جماح هذا الشر دائماً.

كان السومري يرى في احترام الوالدين وإطاعة كلامهما وخصوصاً الأم نوعاً من الاستقامة الأخلاقية فالمثل الذي يردده هو (أطع كلام أمك كأنه أمر إلهي). وكانوا يحاولون وضع سلوك نسبي للموضوع الواحد (نحن محكومون بالموت... فلنبذّر. علينا أن نعيش طويلاً... فلنوفّر).

كان المجتمع هو الذي يمنح التوازن للأخلاق بحكم تعامله الواقعي الذي يخدم حياته. ولنتأمل هذا النص المدوّن باللغتين السومرية والأكدية والذي يرفض الأخلاق الرديئة:

«من ينام مع (يلقح) زوجة رجلٍ فذنبهُ عظيم

من يقسم بأنه سيعمل أعمالاً رديئة، من يشتم

من يصف عائلته (إخوته) بكلمات شائنة،

من يظلم التابع،

من يسلم الضعيف إلى القويّ...

يستحق الملامة (؟)». (ساكز 1979: 485).

الأخلاق والدولة والشرائع: ساعدت الدولة على نشر الأخلاق بوضع القوانين الضابطة لها، ولا شك أنّ شعب سومر انفرد بريادته في هذا المجال. فقد ظهر ما يقرب من خمس مدونات قانونية تتضمن ضوابط أخلاقية عالية، ذكرناها في مكانها في هذا الكتاب.

المبحث الثالث: المعايير الأخلاقية للحضارة السومرية

تعتبر معايير وقياس الحضارات من أصعب الأمور وأعقدها، وهي تتطلب الدقة والموضوعية وعدم الانطلاق من خلفيات أيديولوجية أو دينية أو عرقية، ولا بدّ من الحياد والدقة والموضوعية. ولذلك يتطلب الأمر موازنة علمية مرهفة». على أنّ تقويم الحضارة أمر عظيم الصعوبة، وهذه الصعوبة تتمثل في أمرين: أولهما أننا لكي نقدر الحضارة ينبغي علينا أن نُلمّ إلماماً كبيراً بظواهر تنتمي إلى مجالات مختلفة كل الاختلاف، وأن نعمل على تحقيق التوازن بين هذه الظواهر المختلفة. والحق أنّ تحقيق هذا التوازن أمر يصعب الوصول إليه، إن لم يكن مستحيلاً؛ فلنفرض أننا بإزاء مرحلتين من مراحل الحضارة تتميز إحداهما بتفوق في ميدان الفكر والعلم النظري، وتخلف في ميدان التطبيق العملي لهذه المعلومات النظرية، وتتميَّز الأخرى بعكس ذلك؛ أي بتفوقها في النواحي العملية على النظرية، فكيف نصدر حكمنا على هاتين المرحلتين؟ وكيف نفاضل بينهما؟ لا شك في أنّ من الضروريّ في هذه الحالة أن نتأمل مختلف الظواهر الحضارية في مجموعها على نحوٍ تركيبي، ولكننا سنضطر عندئذٍ إلى تغليب نواحٍ معينة. وهنا قد يختلف الباحثون فيما بينهم اختلافاً شديداً فيؤكد بعضهم، مثلاً، أنّ تفوّق اليونان في الميدان النظريّ جعل مرحلتهم الحضارية أرقى من المرحلة المصرية القديمة، بينما يؤكد البعض الآخر أنّ مستوى الفنون العملية الذي بلغته حضارة قدماء المصريين، وخاصة إذا صاحبَه إدراك لتقدمهم الزمني على اليونان، يجعلنا نصدر حكمنا في صالحهم». (زكريا 2017: 31).

ويمكننا، إجمالاً، وضع معايير تساعدنا على التقييم والمعايرة وهي ما يلي:

1. المعيار الحدسي 2. المعيار الوضعي 3. المعيار القانوني 4. المعيار النفسي 5. معيار اللذة 6. المعيار التطوريّ 7. معيار الكمال 8. معيار القيمة 9. معيار الفضيلة 10. أسلوب الحياة

المعايير هي قواعد تنظيم سلوك الفرد والجماعة، يعرف المعجم الفلسفي المختصر الحدس على أنه مناقض للعقل وقريب من الإحساس الغريزي، فهو نوع من الإشراق أو الوحي، وهو قريب من الإدراك اللاشعوريّ لطبيعة الأشياء، أي إنّه إدراك مباشر لا يحتاج إلى عملية استدلالية. وهو بعكس المعيار الوضعي الذي يُخضع الأمور لاستدلال عقليّ وهو يرى أنّ الخير، مثلاً، هو «مجرد اصطلاح تعارف عليه الناس في زمانٍ معينٍ ومكانٍ معينٍ ومحدد. وهو يتغير بتغير هؤلاء الناس، بل يتغير إذا تغير مستوى الفهم والتفكير عند الناس في عصرٍ واحدٍ. وبهذا رفض الوضعيون التسليم بوجود علمٍ للأخلاق يكون معياريّاً (يبحث فيما ينبغي أن يكون) وبهذا انتقل موضوع الأخلاقية من دراسة السلوك الإنساني بما هو كذلك إلى بحث في سلوك الإنسان الذي يعيش في جماعةٍ معينةٍ تحيا في زمانٍ معينٍ ومكانٍ محددٍ، وتحولت غايته من وضع مثلٍ عليا للسلوك الإنساني إلى وصف لهذا السلوك لدى الأفراد والجماعات البشرية، ومن أعلام هذا الاتجاه أوجست كونت وإميل دوركهايم وليفي برول وغيرهم». (إمام 1985: 45 - 46).

لا شك أنّ السومريين استلهموا الأخلاق بحدسهم المتوازن والمتواضع والمتواشج مع الطبيعة والفطرة، ولا شك أنّ دراسة هذا المعيار الحدسي تتمّ من خلال المعيار الوضعي لزمن محدد ومكانٍ محدد. فقد كان السومريون أقرب إلى الفطرة الأخلاقية السليمة التي كانت ترى بحدسها الخير وتميزه عن الشر، وكان كل تأريخهم وتراثهم يقول بهذا، فهم أبناء الطبيعة الخصبة والتكائر وحب البقاء والتوازن مع ما يحيط بهم.

من اليسير فحص ومعايرة الأخلاق التي قامت عليها الحضارة السومرية، فهناك نصوص وأحداث توفر لنا ذلك وتجعلنا قادرين على اشتقاق القوانين الأخلاقية وعلى فحصها ومعايرتها.

1. لا بدّ أولاً من التمييز بين مستويات التطور الأخلاقي في المجتمع السومري. «هناك ثلاثة مستويات، هي مستوى الغريزة حيث يكون السلوك صائباً حين يتوافق مع الحاجات والميول الفطرية، وهناك مستوى العادة حين تتوافق عادات الفرد مع تقاليد المجتمع كله، وهناك مستوى الضمير حين يكون هناك استحسان وقبول الضمير وغير ذلك إذا رفضه الضمير». (انظر ليل 2000: 65).

ولا شك أنّ هذه المستويات تداخلت في بناء الأخلاق السومرية لكن مستوى العادة كان شائعاً بحكم التوازن الذي أشاعته آليات نموّ الحضارة السومرية، فقد انتقل من المستوى البدائي للغريزة، ولا شك أنه وصل عبر نخبته الاجتماعية والسياسية والثقافية إلى مستوى الضمير.

الحضارة السومرية أنتجت الشرائع والقوانين لكي تثبّت مستوى العادة وتجعله سارياً بقوةٍ، فيتحول، مع الزمن، إلى مستوى الضمير. وهذا إجراء عظيم جعل هذه الحضارة المؤسسة للحضارات الأولى في مقام رفيع.

2. لا شك أنّ الدين السومري كان أحد أكبر مصادر الأخلاق السومرية، وتكون معايرة الأخلاق هذه من خلال الدين السومري في مكانها، فالآلهة هم المثل الأخلاقية العليا والشياطين هم انحدار الأخلاق لحضيضها. لكن الآلهة السومرية كانت مشوبةً بالكثير من الأخطاء الأخلاقية، وهو ما يعكس الطبيعة العملية للأخلاق الدينية فهي، في النهاية، مأخوذة من الإنسان وسلوكه المتباين.

وفي كل الأحوال تتأسس الأخلاق على نظام القيم وليس على النظام المعرفي. ويكمن جذر القيم في الاهتمام بما يفيد الاعتبارات الاقتصادية والاجتماعية وغيرها ويجري تمييزها وفقاً للثلاثية المعروفة بـ(الحق، والخير، والجمال) وهكذا نصل إلى نتيجة مهمة وهي أنه بالرغم من أهمية الدين السومري في نشأة الأخلاق في المجتمع السومري لكن منظومة القيم تنهل من حاجة المجتمع السومري ونفع وضرر بعض اعتباراته الدنيوية منهلاً واسعاً، ولذلك تكون منظومة القيم، الدينية والدنيوية، هي التي أسست الحضارة السومرية وشكّلت نظرة المجتمع للحياة وتصوره للعيش فيها.

3. أخلاق المدينة كانت هي التي تحكم المجتمع السومري ولا وجود لأخلاق البداوة، في حين كانت أخلاق الريف خاضعة للمدينة التي هي مركز الحكم. كان الدين في سومر يعني دار القضاء، لأنه مصدر الشرائع ولأنه ابن النظام المديني الذي كان قد ابتدأ في وادي الرافدين منذ أريدو في الألف السادس قبل الميلاد وكان الإله إنكي إله الحكمة والمعرفة المصدر العميق الأول للشرائع لكن التطور الثيولوجي، في سومر، جعل الإله إنليل هو مصدرها، ثم تولى الإله (أوتو) أو (شمش) إله الشمس المسؤولية عن العدالة والقضاء.

ربما يكون المصدر الأساسي للحضارة السومرية نبذها للطابع البدوي للعيش ورفضها الكامل للبداوة وتحصنها ضدها، فقد رفضت قيمها واستبدلتها بقيم حضارية جديدة تعتمد على القانون والأدب والفن والحكمة والدين المنظم. وكان حذرها من تسلل القيم البدوية في محله تماماً، فقد تسربت هذه القيم وحاول أهل البداوة من أكديين وأموريين اقتحام حواضر الحضارة السومرية وتمكنوا مرتين من إسقاطها.

4. السومريون يمجّدون السلام ويعتبرونه الأساس الأخلاقي للعلاقة بين المدن السومرية في نظام دول المدينة، وبين سومر وجيرانها، ولذلك نراهم يسعون نحو تنظيم هذه العلاقات عن طريق سن القوانين والمعاهدات والحوار، لا يلجؤون للعنف ولا يعتبرونه الحلّ الصحيح في علاقاتهم الخارجية والداخلية.

5. التوازن بين الجانبين الديني والدنيوي في حضارتهم وعدم التطرف في أحدهما وجعل الحياة مكاناً للدنيا والدين معاً، فقد كان تصورهم عن ما بعد الموت خالياً من تصورات الفردوس والجحيم والعقاب والثواب... وكانت أغلب تصوراتهم الدينية صدًى لحياتهم الدنيوية رغم أنهم رفعوا التصورات الدينية لمستوى المثال الذي يسعون إليه.

6. الاكتفاء ومحاربة الجشع المادي وعدم استعمال القوة (إلّا نادراً) في حل الخصومات والنزاعات، فقد استمر النزاع بين دولتي لجش وأوما حول المياه أجيالاً طويلة لمئات السنين وكان يُحلّ دائماً بالمفاوضات والسلم، حتى

جاء لوكال زاكيزي من أوما واحتل لجش كخطوة أولى لبناء دولة سومرية واحدة في وادي الرافدين تمتد من شماله إلى جنوبه وقد نجح في ذلك وكان، للأسف، أول من نهج منهج القسوة والقوة، ولذلك كان آخر ملوك العصر السومري القديم الذي انتهى على يد سرجون الأكدي الذي أسر لوكال زاكيزي واحتل دولته كلها، بمنهج العنف والتوسع، وبدأ العصر الأكدي.

هذا مثال ناصع على أنّ العنف لم يكن سبيلاً من سبل السومريين لحل مشاكل الجشع والنزاعات.

7. كان السومري على علاقة مباشرة مع الآلهة ولم يكن بحاجة إلى وسطاء روحيين، وكان عمل رجال الدين هو تنظيم الحياة الدينية ولم يكونوا مثل الأنبياء أو الأولياء كما في الشعوب الأخرى، ولذلك يجد السومري نفسه قريباً من تمثل أخلاق الآلهة وعدالتها وهو ما جعل الدين السومري حاضنة للأخلاق العامة.

8. كان الدين السومري الذي تسيطر عليه قيم الأخلاق والاعتدال، مصدر العلوم الأولى الطبيعية والإنسانية كالخيمياء والفلك والتنجيم والرياضيات، وقد شرحناها مطولاً ولمسنا فيها نبرة التأسيس الرصين العميق. ومن الصعب مطالبة أول حضارة بشرية بأن تكون علومها دنيوية صرفة رغم الفصل الواضح، في الحضارة السومرية، بين العلوم الملتصقة بالدين كالتنجيم والخيمياء، والعلوم المتصلة بالدنيا كالفلك والكيمياء. وفي كل الأحوال كانت هناك موازنة خفيّة نادرة يمكن أن نقول إن الأخلاق بمفهومها الشامل كانت سبباً في موازنتها العميقة.

9. امتثل السومريون لما تأمرهم الآلهة به من خير، ولذلك تجنبوا الشرّ وسعوا نحو الإصلاح وخدمة بعضهم «لقد تعلق السومريون، كما يؤخذ مما كتبوه ودوّنوه، بحب الخير والصدق والقانون والنظام والعدالة والحرية والصلاح والاستقامة والرحمة والرأفة. كما كانوا يمقتون الشرّ والكذب والزور وعصيان القانون، والإخلال بالنظام والظلم والاضطهاد وارتكاب المعاصي والضلال وتحجر القلب. وكان حكامهم وملوكهم يتباهون، دائماً، بأنهم أقاموا

القانون والنظام في البلاد وحموا الضعيف من القوي، والفقير من الغني، ومحوا الشر والظلم والعنف». (كريمر 1956: 192)

10. الآلهة أيضاً هي مصدر الشر وليس الشياطين فقط فقد خلقت نواميس الحضارة (مي) التي تحتوي على عناصر الكذب والعداء والرثاء والخوف. وقد نتساءل لماذا فعلت الآلهة ذلك، ونرى أنّ الجواب على ذلك يكون بالعودة إلى خلق الإنسان الذي لم يكن كاملاً، بل تخترقه الأمراض وتعتري جسمه النقوصات، وهذا يعني أنّ الشر موجود مع الخير في خلقهم لكي لا يخلقوا عالماً أرضيّاً كاملاً منزهاً مثل عالمهم، وأن أفضل طريق للإنسان هو التمسك بالفضيلة وعدم الشكوى والتساؤل عن مصدر الشرور والخطايا، ولذلك فإن السبيل الصحيح الذي كان على (أيوب) السومري أن يسلكه هو ألّا يتساءل ولا يحاجج ويتشكى إذا ما حلّت به بلايا لا مبرر لها في الظاهر. فما عليه إزاء ذلك إلّا أن يتضرع ويندب ويعترف بخطاياه وذنوبه التي لم يكن منها بد. ولكن هل يستجيب له الآلهة، وهو العبد الفاني الوحيد العاجز، إذا ما تضرع واستغاث في صلاة صادقة منبعثة من القلب؟ إن هذا غير مضمون كما كان يبدو للحكماء والسومريين، لأن الآلهة كانوا، في نظرهم، مثل الحكام من البشر الفانين في جميع العالم مشغولين بأمور وشؤون ينبغي التفرغ لها، لأنها أهم وأخطر...». (كريمر 1956: 197).

ما الحلّ إذن؟ وكيف يتصرف الإنسان؟

لم يلجأ السومريون إلى رجل الدين أو الكاهن الأعلى أو الملك، بل ابتكروا فكرة (الإله الشخصي) الذي كان بمثابة الملاك الحارس له ولأسرته، وهو الأب الإلهي للإنسان والذي ولده، وله كان يشكو ويصلي ويتضرع لكي يحل مشاكله ويجد الخلاص.

أسلوب الحياة السومرية:

كانت الحياة السومرية العامة تتسم بالبساطة والتناغم مع مكونات البيئة الطبيعية، فالبيوت السومرية بدأت من أشكال الأكواخ الفلاحية التي كانت في تصميمها الأرضي هندسية الأشكال على هيئة مربع أو مستطيل أو

دائرة، كان الفلاح السومري يغرس أعواده حول محيطها ثم يجمع نهاياتها العليا حتى تلتقي بعضها ببعض فيربطها وتتشكل منها القبة والعقد والقوس، وهي أشكال معمارية أولى بدأت بها العمارة. الأثرياء بنوا قصوراً مرتفعة الجدران ومبنية من الآجر، وذات لوالب ومقرنصات ومثلثات ونوافذ.

كانت ملابسه من الصوف المنسوج على شكل قطع متراكبة تسمى الكوناكس، وكانت مقتنيات الذهب راقية الصنع، ورغم بساطة المظهر لكن حرصه على لمسات الزينة والألوان كان أمراً شائعاً.

عاشت النساء المترفات من الطبقة الحاكمة حياة مترفة وراقية «فالأدهان والأصباغ والجواهر من أظهر العاديات في المقابر السومرية. وقد كشف الأستاذ «وولي» في قبر الملكة «شوب - آد» عن مدهنة صغيرة من دهن أزرق مشرَّب بالخضرة، وعلى دبابيس من الذهب رؤوسها من اللازورد، كما عُثر أيضاً على مثبنة عليها قشرة من الذهب المخرّم، وقد وُجِدت في هذه المثبنة التي لا يزيد حجمها على حجم الخنصر ملعقة صغيرة لعلها كانت تستخدم في أخذ الصبغة الحمراء من المدهنة. وكان فيها أيضاً عصا معدنية يستعان بها على ملوسة الجلد، وملقط لعله كان يُستخدم لتزجيج الحاجبين أو لنزع ما ليس مرغوباً فيه من الشعر، وكانت خواتم الملكة مصنوعة من أسلاك الذهب وكان أحدها مطعماً بفصوص من اللازورد، وكان عقدها من الذهب المنقوش واللازورد، وما أصدق المثل القائل إنه لا جديد تحت الشمس وإن الفرق بين المرأة الأولى والمرأة الأخيرة ليتسع له سم الخياط». (ديورانت 2001: 33).

كانت حياة الناس مشغولة بالعمل المتواصل لتوفي الحدّ المعقول من العيش الجيد، فبين حرفٍ وفلاحة وبيع وشراء ومقايضة مرّت الحياة هادئة لكنها، دون قصد، أنشأت البدايات الأولى في كل شيء تقريباً.

مشاهد من الحياة اليومية في سومر

المبحث الرابع: التقييم العام للحضارة السومرية

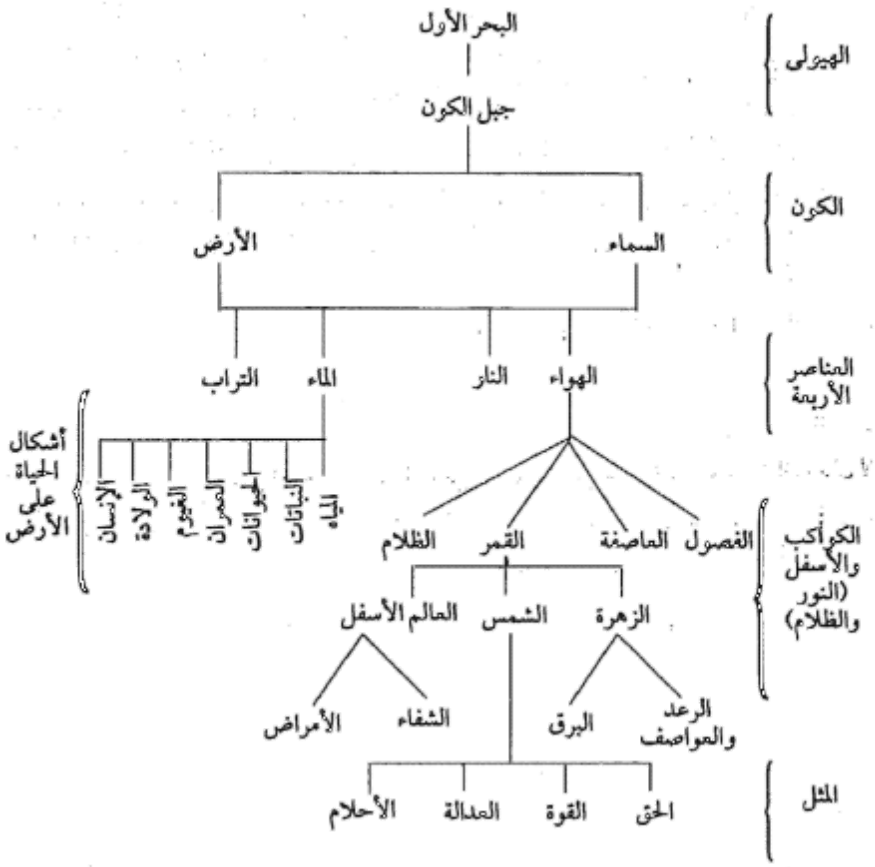

العمق الفيزيائي والبايولوجي لبانثيون الآلهة السومرية وشجرتها

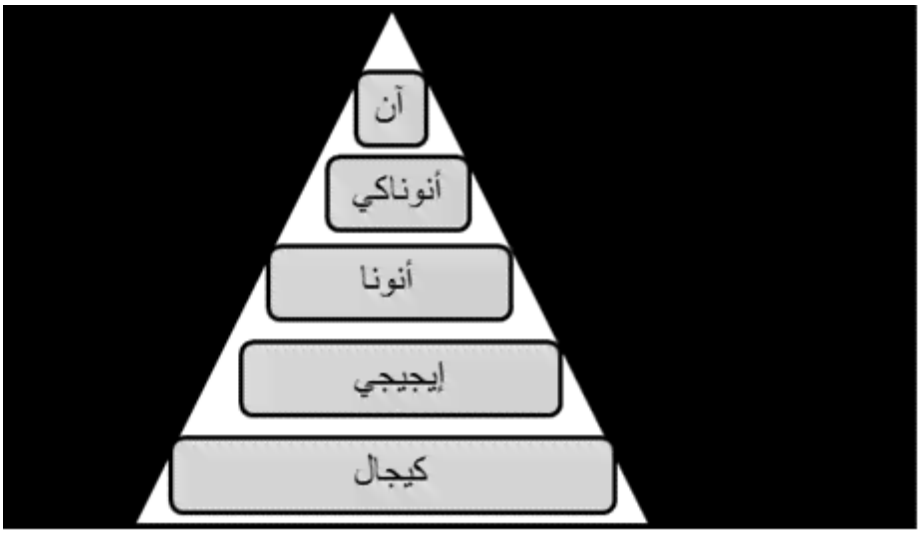

التدرج الهرمي للآلهة السومرية

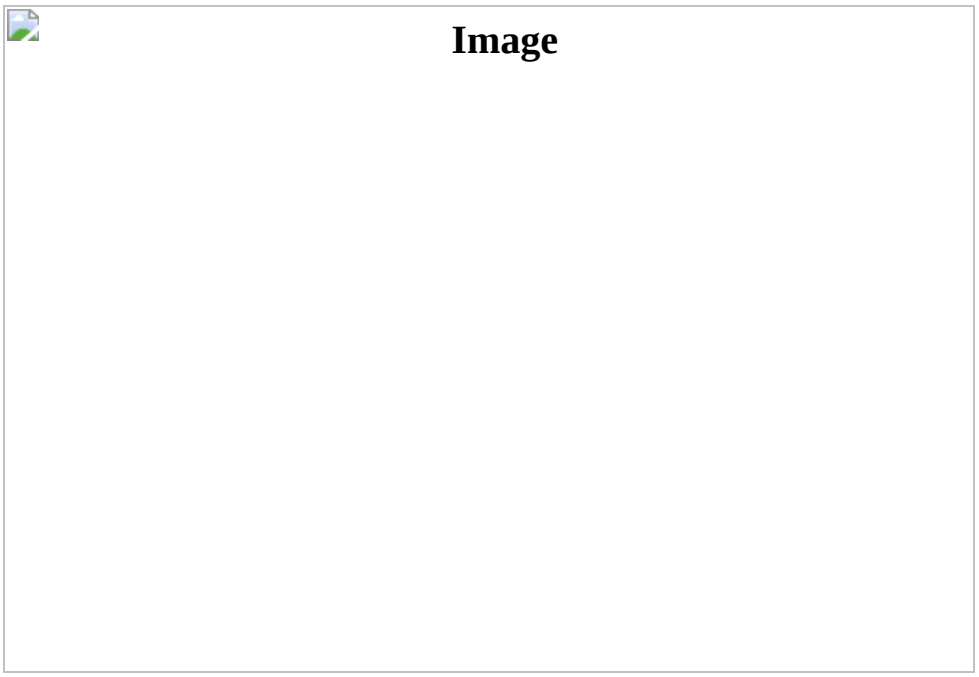

تناظر التدرج الهرمي السياسي والاجتماعي في سومر مع التدرج الهرمي للآلهة السومرية أعلاه

المبحث الخامس: المنجزات المتفردة للحضارة السومرية (الاختراعات والاكتشافات التي تنفرد بها وسبقت بها غيرها)

لا شك أنّ سومر اخترعت أغلب مقومات الحضارة الرئيسة في كل المجالات بحكم قدمها العريق، ولا شك أنّ هناك مفردات كثيرة قامت الحضارات الأخرى باختراعها، وقد مرّ بنا الكثير من المنجزات الأصيلة التي انفردت الحضارة السومرية بإنجازها، سنوجزها أهمها، مجتمعة هنا، ولكن شروحها المفصلّة موجودة في تضاعيف الكتاب يرجى العودة لها ومعرفة الكثير عنها:

1. الكتابة والنصوص الأولى في تأريخ البشرية:

كانت الكتابة هي المفصل والوسيلة التي انتقلت بها عصور ما قبل التأريخ إلى العصور التأريخية، فقد تمّ تطوير الكتابة المسمارية بين 3500 و3000 قبل الميلاد وتحديداً في 3200 ق. م في أوروك، من قبل السومريين. كان هذا النمط من الكتابة على شكل إسفين (مسمار). تمّ استخدام القلم القصبي المثلث الرأس لإنتاج شخصيات وتصويرات مختلفة على قطع أو ألواحٍ من طين الناعم الذي كان يُفخر بعد الكتابة عليه. وكانت بداية الكتابة صورية بسيطة ثم بدأت تظهر النصوص القصيرة الاقتصادية منها بشكل خاص، أما أول النصوص الأدبية والدينية فقد ظهرت في حدود 2600 ق. م.

واستمر استخدام ذلك من قبل أحفاد السومريين مثل البابليين والآشوريين والأكديين بأسلوب الكتابة المسمارية من أجل الاحتفاظ بالسجلات المعبدية والملكية. لقد بدأ السومريون باستخدام مسمارية تصويرية معروفة باسم بروتو- مسمارية التي أصبحت فيما بعد أكثر تعقيداً.

وكانت الرموز المستخدمة كثيرة للغاية في بداية الكتابة، وبحلول عام 3000 قبل الميلاد، أصبحت تمثيلاتها أكثر بساطة. وأصبحت العلامات تنقل فكرة الكلمات بدلاً من طبيعتها الإشارية. كان هناك أيضاً انخفاض في عدد الأحرف من 1000 إلى 600. وبهذا التخفيض، أصبح الأسلوب أكثر لفظية. في الكتابة المسمارية القديمة، كان اتجاه الكتابة من اليسار إلى اليمين، وبالتدريج تمّ إدخال قلم ذي إسفين والذي أعطى ضربات أوضح. استخدم الناس النص لأكثر من ثلاثة آلاف من السنين حتى استبدله شكل أبجدي مع الأوغاريتيين ثم الفينيقيين بشكل خاص.

2. النظام الستيني في الرياضيات وتطبيقاته في نظام الوقت والفلك:

كان السومريون أول من قام بتطوير مفهوم العد والأعداد وكتبوا لها رموزاً رياضية، وقد استخدموا الأعداد بتطوير مفهوم الوقت، وقسموا الوحدات الزمنية إلى 60 جزءاً، مما أدى في النهاية إلى 60 ثانية و60 دقيقة. وقاموا بتقسيم اليوم إلى 12 ساعة مضاعفة (24 ساعة)، واليوم يبدأ عندهم من غروب الشمس إلى غروبها في اليوم اللاحق. ورقم 12 هو ضعف الرقم 6، أي إن اليوم ينقسم إلى أربع وحدات متصلة اثنتان منها لليل واثنتان للنهار.

ساعد النظام الستيني على تطوير مفاهيم مثل الدائرة بزاوية 360 درجة و12 شهراً. وكان النظام العُشريّ مستخدماً أيضاً ضمن النظام الستيني، لكنه تطور وساد في زمن البابليين وأصبح النظام الستيني مقتصراً على الوقت والفلك والتنجيم.

أما الصفر فقد كان السومريون والبابليون لا يضعون له علامة، بل يتركون مكانه فارغاً وهو ما أضاع عليهم فرصة اختراع الصفر الذي قامت به الحضارة الهندية.

3. القوانين السومرية:

برع السومريون بوضع أول القوانين التي تنظم الحياة الاجتماعية في سومر، كانت قوانين أورنيمينا السومري من سلالة لجش هي أقدم القوانين والإصلاحات ثم جاءت قوانين أورنمّو التي دونت قوانين العقوبات وتحديد

الجرائم، وكانت ذات نزعة إنسانية، ظهر ما يقرب من ست مدونات قانونية باللغة السومرية قبل ظهور قانون حمورابي البابلي.

4. نظام المَلَكية في سومر:

لا شك أنّ أول نظام ملكي كان في مدينة أريدو، وأول ملكٍ في أريدو كان (ألولم) ثم (ألالجار)، وهما اللذان تحولا إلى (آدم) و(شيث) في التوراة عبر طريقة ملتوية لوضعهما كرأس سلالة البشرية الأولى التي ظهرت على الأرض، واستمرت الملكية في خمس مدن من خلال عشرة ملوكٍ، وكان أغلب الملوك يحملون أسماء سومرية قبل الطوفان.

أما بعد الطوفان فقد أطلق السومريون على بلادهم «أرض ذوي الرؤوس السوداء». وكان هؤلاء الأشخاص ذوو الرؤوس السوداء مسؤولين عن تطوير أول نظام حكم ملكي. فبعد أن كان الكهنة يحكمون الدول السومرية ظهر الملوك الذين يجمعون الصفتين الدينية والدنيوية، ثم ظهر الملوك المدنيون فقط والذين واصلوا حكم سومر حتى نهايتها. وقام جميع هؤلاء بتخصيص الحقول للناس بعد مسح الأرض وتوزيع الحصاد عليها. كما حكموا على النزاعات، ونظموا طقوساً دينية مهمة، وإدارة التجارة، وقادوا الجيش. رأى السومريون أنّ سلطة الملوك يجب أن تستند إلى الانتقاء الإلهي في بداية الأمر. وفي وقت لاحق بدؤوا يعتقدون أنّ الملك نفسه كان قوة إلهية يجب أن تعبد لكنه لم يتحول إلى إله إلّا في حدود ضيقة.

5. التخطيط الحضري:

بدأ سكان بلاد ما بين النهرين مفهوم التحضر والتخطيط الحضري، ولذا يطلق عليها، في كثير من الأحيان (مهد الحضارة). Civilization A Cradle of

فقد وضعت بلاد ما بين النهرين مفهوم التحضر. لأول مرة في التاريخ، فبعد اكتشاف الزراعة بدأ البشر في الاستقرار في البيوت وصار من الممكن إطعام المزيد من الناس والحيوانات التي تعيش في مكان واحد، وتعلم الناس المهن والتجارة، ونشأت المدن خلافاً للقرى، وتمّ تطوير مفهوم الضرائب.

صارت مدن سومر أولى مدن العالم التي تمّ بناؤها بالطوب (الطابوق الطيني) المجفف بالشمس. ثم بدأ التوسع الحضريّ في بلاد ما بين النهرين في فترة أوروك (3300 - 3100 قبل الميلاد)، وتمّ تنفيذ أكبر مستوطنة في تاريخ البشرية على الإطلاق، آنذاك، وبُنيت المباني الضخمة المبنية من الطوب حوالي 3200 قبل الميلاد. كانت أغلب المدن محاطة بأسوار ضخمة.

6. الأسلحة النحاسية والبرونزية:

وفقاً للسجلات القديمة، كان الشعب السومري هو الذي استخدم الأسلحة النحاسية لأول مرة، وقاموا باختراع الرماح والسيوف والسدود وآلات السقي والنواعير الرافعات. كانت المناجل شائعة الاستخدام في المعركة، ثم صنعت السيوف إلى جانب الرماح والفؤوس. وطوروا اختراع العجلة وصنعوا العربات العسكرية التي تجرها الحمير والبغال. ثم طوّر السومريون الصناعات البرونزية واستخدموها في صناعة الأسلحة والشؤون الحربية عموماً.

7. هندسة الريّ: Irrigation Engineering

بعد أن قام الفلاحون السومريون بزراعة القمح والشعير والخيار وغيرها من الأطعمة والخضروات المختلفة واخترعوا المجرفة والمحراث، قاموا بتدجين مياه الأنهار عن طريق الريّ وهندسته فأقامو السدود والخزّانات والجسور المائية وشق القنوات وجعلوا نهري دجلة والفرات وفروعهما وروافدهما وسيلة أسهل للزراعة وتطويعها. تعلم سكان بلاد ما بين النهرين التحكم في تدفق المياه من النهر واستخدموه لريّ المحاصيل. خلال موسم النمو الرئيس، تمّ تنظيم تدفق المياه بشكل صحيح. ووضعوا القوانين التي تُنظّم استعمال المياه وكمياتها وسمح لكل مزارع بكمية معينة من المياه التي تمّ تحويلها من قناة إلى خندق الريّ.

8. العجلات والعربات: and trolleys Wheels

اخترع العبيديون، قبل السومريين، العجلة والسفينة والشراع ـ ولم يتمّ استخدام تلك العجلة الأولى في النقل. بل استخدمت كعجلة لصناعة الفخار، وكان يُعتقد أنها كانت موجودة في حوالي عام 3500 قبل الميلاد. ثم استخدمت

العجلة كشكل من وسائل النقل للأثرياء فقط، وكانت تستخدم أيضاً في الريّ وصناعة الفخار والطحن. ثم استخدمت العربات التي تجرها الحمير والبغال في الحروب.

بمرور الوقت، كانت المركبة أول وسيلة للنقل الشخصي، وقد استخدمت لسنوات في الحروب والرياضة والاستخدام العام. كان هيكل المركبات الأولى من الخشب الخفيف مع حافة الخشب. ظهرت أول عربة في حوالي عام 3200 قبل الميلاد في بلاد ما بين النهرين، وتمّ تبنيها من قبل كل حضارة تقريباً إلى أن ظهرت المواصلات الآلية. تمّ استخدام العربات بشكل أساسي للنقل الشخصي بواسطة الملوك والأثرياء.

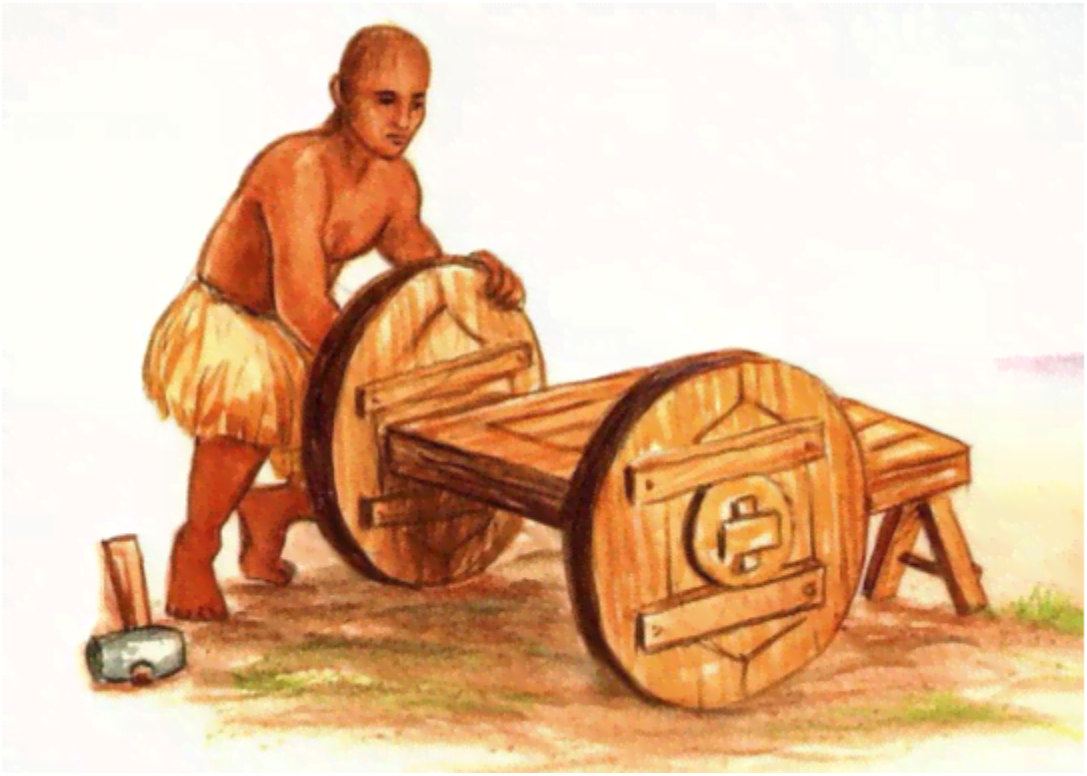

بداية تطويع العجلة في المركبات البدائية

9. المراكب الشراعية Ancient Sailboat

اخترع العبيديون المراكب والأشرعة وكانت بدائية ومحدودة، لكن السومريين جعلوا من هذا الاختراع واقعاً عمليّاً منتشراً وطبيعيّاً، فقد كان

النقل البريّ صعباً ويستغرق وقتاً طويلاً. فأدرك السومريون أنّ النقل عبر الأنهار والبحار سيكون أسهل بكثير وأكثر راحة. فطوروا القارب الأول واستخدموه كوسيلة نقل. وكانت المراكب الشراعية الأولى مصممة تصميماً بسيطاً وبدائيّاً وتساعد في التجارة وتستخدم في البداية لعبور الأنهار ولصيد الأسماك واستكشاف مناطق أخرى.

10. الخارطة: Map

تمّ اكتشاف أقدم خريطة في سومر لمدينة نيبور حوالي عام 2300 قبل الميلاد. الخرائط القديمة المستخدمة كانت عبارة عن رسومات بسيطة على ألواح من الطين. توضح إحدى الخرائط الطينية المكتشفة تغطي مساحة صغيرة وكانت تستخدم، في الغالب، كخريطة لمدينة للحملات العسكرية، والصيد، والتجارة.

11. الأختام الأسطوانية:

اختراعها كان فريداً من نوعه في الألف الرابع قبل الميلاد، ثم تطورت واستمرت وأصبحت تستعمل في أغراض مهمة كثيرة. أهمها أنها بمثابة الهوية للشخص، فكان الختم يحفر بثقب عبر الحجر بحيث يمكن ارتداؤه كقلادة أو دبوس. وغالباً ما كانت الأختام الأسطوانية مغطاة بغطاء معدني لحفظها. وكانت تمثل مالكها، وبدت من الوثائق المهمة، واستخدمت كتميمة واقية.

استخدم الكثير من الناس الأختام الأسطوانية: التجار، الجنود، الكتبة، الكهنة، الحرفيون، الطهاة، الخدم، الملوك وحتى العبيد الذين قاموا بأعمال تجارية لأصحابها. كانت تستخدم للتوقيع على صفقات تجارية، ولإظهار ملكية البضائع، ولتوقيع المعاهدات والخطابات وعقود الزواج. وكان لها استخدام سحري، حيث استخدم رجل ختمه كتعويذة أو تميمة للحماية. غالباً ما كانت الأختام المصنوعة من الأحجار شبه الكريمة أو الأحجار الكريمة تنقل هذا الاستخدام الوقائي السحري.

12. الفلك والتنجيم والوقت: Astronomy and Astrology& Time

نرى أنّ بداية مراقبة السماء كان في بدايته من أجل ضبط أوقات الزراعة والتقويم، أي إنّها كانت بدايات فلكية، وقد تطورت من تشخيص وضع الشمس والقمر ككوكبين يدوران حول الأرض، التي هي مركز الكون عندهم، ثم اكتشفوا الكواكب السيارة الصغيرة الحجم في رؤيتها بالعين البشرية قياساً إلى الشمس والقمر وهي (عطارد، الزُّهرة، المريخ، المشتري، زحل). وطوروا مراقبتهم للنجوم، وكانوا يرمزون للنجمة بشكل شعاعيّ سداسي، وحين يريدون وصف مجموعة من النجوم يضعون عدداً من الدوائر الصغيرة حسب عدد النجوم وقربها النجمة السداسية دلالة على أنّ هذه مجموعة نجمية أقرب إلى الثبات في مكانها. فمثلاً الثريا مجموعة من سبع نجوم لامعة يرمز لها بسبع دوائر وقربها نجمة سداسية.

قاموا بتحديد حركة السماء والشمس والنجوم والقمر، وكانوا يستخدمون للتنبؤ بالأحداث السماوية مثل الكسوف. واستخدموا الرموز الفلكية للتنبؤ بالمعارك المستقبلية وثروات الدول المدينة. بدأ شهرهم مع غروب الشمس والهلال الأول للقمر الجديد. شوهد هذا لمدة 18 ساعة بعد 36 ساعة عندما اختفى الهلال القديم. كان الهلال أنحف بكل أشكاله.

كانوا أيضاً أول من وضع التقويم القمري. استخدمت مراحل القمر لحساب 12 شهراً من السنة. كان للسومريون موسمان في عامهم. الأول كان الصيف الذي بدأ بالاعتدال الربيعي والآخر كان الشتاء الذي بدأ مع الاعتدال الخريفي. تمّ تنفيذ طقوس الزواج المقدس في اليوم الأول من العام الجديد. بإضافة شهر إضافي كل أربع سنوات، تمكنوا من تحديد «سنة الفصول» التي كانت مختلفة عن السنوات الثلاث الأخرى.

تمّ ظهر التنجيم خلال الفترة السومرية عندما كان للحوادث اليومية معنى روحي. كان يعتقد أنّ كل شيء جيد أو سيّئ حدث لسبب ما. وأن للكواكب والنجوم والتجمعات النجمية دوراً في التأثير على حياة ومصائر الأفراد والملوك والمجتمعات والدول.

لاحظ المنجمون القدماء موقع الكواكب ونصحوا الناس في المناصب الاجتماعية أو السياسية العالية وفقاً لهذه الملاحظات. وظهرت الأساطير التنجيمية، وتمّ تحديد شكل هذه التجمعات بطريقة تقربها من أشكال معينة كالدلو والميزان والجوزاء التوأم والأسد... إلخ. وهذا هو الذي ساهم في نشوء الأبراج وأخذت به شعوب وحضارات كثيرة وما زال إلى يومنا هذا. لقد تمّ استخدام الأبراج في الأنشطة اليومية. ثم الاعتماد عليها للاحتفال بموسم حصاد أو بذر المحاصيل.

13. المدارس:

بعد اختراع الكتابة ظهرت الحاجة لوجود أماكن لتعليمها فكانت المدارس التي نشأت أول الأمر في المعابد المرتبطة بالكاهن. وكان التعليم للعائلات الغنية. ركز السومريون فقط على دراسة قواعد الكتابة. وكان الطلبة من الذكور. وجاء الجزء الأكبر من الطلاب من الأسر الأكثر ثراء. كان الطالب الجيد يجازى بالثناء، وكان غير الجيد يعاقب بجلد أو بضربٍ بالعصا.

كانت المدرسة تسمى (إيدبّا) أي (بيت الألواح) أول نظام تعليمي رسمي معروف (المدارس). وكان الطالب يقضي سنوات عديدة لتعلم اللغة المكتوبة (المسمارية) ونظام الأرقام وطرق ووسائل الكاتب والنظام الستيني في

الرياضيات، ثم أصبحت الكتابة مهنة من المهن المهمة والرفيعة الشأن، وكانت ضرورية في التعاملات الاقتصادية والإدارية، ولحاجات المعابد والقصور.

14. الصابون:

ذكر السومريون استعمالهم للصابون على الألواح الطينية التي يرجع تاريخها إلى حوالي 2500 قبل الميلاد، حيث تحدثوا عن استخدام الصابون في غسل الصوف. وقد استخدم السومريون ملاطاً من الرماد والماء لإزالة الشحوم من الصوف والقماش الخام حتى يمكن صبغه. طهر الكهنة والسومريون المعبدون أنفسهم قبل الطقوس المقدسة، وفي غياب الصابون، ربما استخدموا الرماد والماء. وقد أدركوا أنّ القليل من الشحوم قد حسن أداء القلويات، فشرعوا في صنع محاليل الصابون مباشرة عن طريق غلي الدهون والزيوت في القلويات قبل استخدامه للتنظيف. تمّ العثور على إرشادات محددة لصنع أنواع مختلفة من محلول الصابون على ألواحٍ مسمارية حين وصفوا الصابون المصنوع من الماء والقلويات وزيت الكاسيا.

15. اللعبة الملكية في أور (لعبة العشرين مربع، لعبة الطاولة أو الطاولي): The Royal Game of Ur

والتي تعود لزمن يتراوح ما بين (2600 - 2400)ق. م تمّ العثور على بقاياها من قبل السير ليونارد وولي في مقابر أور الملكية وهي محفوظة الآن في المتحف البريطاني في لندن.

يستخدم في اللعبة نرد ذو أربعة وجوه وأقراص صغيرة بلونين مختلفين للاعبين متقابلين، وكل قرص مثقوب بخمس نقاط.

فهرس المراجع

المراجع العربية

1. الأحمد سامي سعيد: الطب العراقي القديم مجلة سومر، المجلد 30، مديرية الآثار العامة، بغداد (1974).

2. الأحمد، سامي سعيد: المعتقدات الدينية في العراق القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1988).

3. الأحمد، سامي سعيد: السومريون، سلسلة الموسوعة التاريخية الميسرة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد(1990).

4. اذزارد، وجماعته: قاموس الآلهة الأساطير، ترجمة محمد وحيد خياطة. مكتبة سومر، حلب – السلمانية (1987).

5. أرسطو طاليس: كتاب علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ج1، ترجمه من اليونانية إلى الفرنسية بارتلمي سانتهلير، نقله إلى العربية أحمد لطفي السيد، مطبعة الكتب المصرية بالقاهرة(1343هـ -1924م).

6. إمام، عبد الفتاح إمام: فلسفة الأخلاق، دار الثقافة، القاهرة (1985).

7. أمين، أحمد: كتاب الأخلاق، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة (1985).

8. إلياد، مرسيا: تاريخ المعتقدات والأفكار الدينية. ترجمة عبد الهادي عباس، ج1، دار دمشق للطباعة والنشر. مطابع الشام، دمشق، (1986، 1987).

9. إلياد، مرسيا: المقدس والمدنس. ترجمة عبد الهادي عباس. دار دمشق للطباعة والنشر. دمشق(1988).

10. باقر، طه: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة ج1، دار الوراق للنشر المتحدة، لندن (2009).

11. بدوي، السيد محمد: الأخلاق بين الفلسفة وعلم الاجتماع، دار المعرفة الجامعية، القاهرة (2000).

12. بشور د. وديع: الميثولوجيا السورية (أساطير أرام)، مؤسسة فكر للأبحاث والنشر بيروت (1981).

13. بشور، وديع: سومر وأكاد، د. ن، دمشق (1981).

14. بوتيرو، جان: الديانة عند البابليين. ترجمة د. وليد الجادر. جامعة بغداد. بغداد(1970).

15. بوتيرو، جان: بلاد الرافدين الكتابة العقل الآلهة – ترجمة الأب ألبير أبونا مراجعة د. وليد الجادر، دائرة الشؤون والثقافة العامة، بغداد. (1990).

16. بيبي جيوفري: البحث عن دلمون. ترجمة أحمد عبيدلي، دلمون للنشر نيقوسيا. قبرص (1982).

17. آل تاجر علي محمد علي: الرؤية التشكيلية المعاصرة لملحمة الخليقة البابلية (رسالة ماجستير) كلية الفنون الجميلة. جامعة بغداد (1991).

18. جماعة من علماء الآثار السوفييت: العراق القديم (دراسة تحليلية لأحواله الاقتصادية والاجتماعية) ترجمة وتعليق سليم طه التكريتي، منشورات وزارة الإعلام – الجمهورية العراقية، بغداد (1976).

19. الجميلي، عامر عبد الله: الكاتب في بلاد الرافدين القديمة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق (2005).

20. حبى، سليم ملحم: منهل الشرائع، دار الفارس للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت. (د. ت).

21. الحفني، عبد المنعم: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، ط3، القاهرة (2000).

22. حنون نائل: عقائد ما بعد الموت، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1986).

23. حنون، نائل: حقيقة السومريين ودراسات أخرى في علم الآثار والنصوص المسمارية، دار الزمان، دمشق (2007).

24. الحوراني يوسف: البنية الذهنية الحضارية في الشرق المتوسطي الأسيوي القديم، دار النهار للنشر بيروت (1978).

25. الدباغ، تقي ووليد الجادر: عصور قبل التاريخ. مطبعة جامعة بغداد، بغداد (1983).

26. دراز، محمد عبد الله: كلمات في مبادئ علم الأخلاق، المطبعة العالمية، القاهرة (1953).

27. ديورانت، ول: قصة الحضارة، المجلد الأول (2)، ترجمة د. زكي نجيب محمود، ومحمد بدران، (2001).

28. الراوي، فاروق ناصر: حضارة العراق ج2، ف8 المبحث 3 (الرياضيات والفلك)، دار الحرية للطباعة، بغداد (1985).

29. رشيد، فوزي: نصوص إدارية من العصر السومري الحديث، مجلة سومر، المجلد 24، دائرة الآثار العامة، بغداد (1968).

30. رشيد، د. فوزي: من هم السومريون؟ مجلة آفاق عربية. السنة السادسة. العدد (12) آب بغداد (1981).

31. رشيد فوزي: المعتقدات الدينية، المبحث الأول، الفصل الخامس من كتاب حضاره العراق ج1 بغداد(1985).

32. رشيد د. فوزي: فضل البابليين في علم الفلك، دراسات الفلك عند العرب، ج1، جامعة بغداد، مركز إحياء التراث العلمي العربي(1987).

33. رشيد، فوزي: قواعد اللغة السومرية، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق(2009).

34. رشيد، عبد الوهاب حميد: حضارة وادي الرافدين ميزوبوتاميا، دار المدى للثقافة والنشر، دمشق (2004).

35. رزوق، رزوق فرج: حقائق الاستشهاد، دار الرشيد للنشر، بغداد (1982).

36. روثن ماركريت: علوم البابليين، تعريب وإيضاحات د. يوسف حبى دار الرشيد للنشر، بغداد(1980).

37. زكريا، فؤاد: الإنسان والحضارة، مؤسسة هنداوي، لندن (2017).

38. زيدان، عبد الكريم: الوجيز في أصول الفقه، مطبعة سلمان الأعظمي، بغداد (1964).

39. ساكز، هاري: عظمة بابل. ترجمة د. عامر سليمان إبراهيم. جامعة الموصل. الموصل(1979).

40. ساكَز، هاري. و. ف: الحياة اليومية في العراق القديم، ترجمة كاظم سعد الدين، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد (2010).

41. سدجويك، هـ: المجمل في تاريخ علم الأخلاق، ترجمة توفيق الطّويل، ترجمة عبد الحليم محمود، الجزء الأوّل، د. ن، القاهرة (1949).

42. سفر، فؤاد: مسلة من بدرة، مجلة سومر، المجلد 27، العدد 1-2، دائرة الآثار العامة، بغداد (1971).

43. سعيد، جلال الدين: معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية، دار الجنوب للنشر، تونس(2004).

44. سمكوغ، برزج: الشركس في فجر التاريخ، منشورات علاء الدين للنشر والتوزيع والترجمة، دمشق (1995).

45. السواح، فراس: لغز عشتار، دار علاء الدين للتوزيع، ط 5 دمشق(1993).

46. الشواف، قاسم: ديوان الأساطير (سومر وأكاد وآشور) الكتاب الأول أناشيد الحب السومرية، قدم له وأشرف عليه أدونيس، دار الساقي. بيروت (1996).

47. الشواف، قاسم: ديوان الأساطير (سومر وأكاد وآشور) الكتاب الثاني الآلهة والبشر، قدم له وأشرف عليه أدونيس، دار الساقي. بيروت(1997).

48. الشواف، قاسم: ديوان الأساطير (سومر وأكاد وآشور) الكتاب الثالث (الموت والبعث والحياة الأبدية)، قدم له وأشرف عليه أدونيس، دار الساقي. بيروت(1999).

49. الشواف، قاسم: ديوان الأساطير (سومر وأكاد وآشور) الكتاب الرابع (الحضارة والسلطة)، قدم له وأشرف عليه أدونيس، دار الساقي. بيروت(2001).

50. الشوك، علي: من روائع الشعر السومري، منشورات الجمل، ألمانيا (1982).

51. عبد الحليم، نبيلة محمد: معالم العصر التأريخي في العراق القديم، مؤسسة الثقافة الجامعية، القاهرة (1997).

52. عبد الرحمن، طه: سؤال الأخلاق مساهمة في نقد الأخلاق الغربية، المركز الثقافي العربي، بيروت (2000).

53. عبد الرحمن، يونس: عبادة الإله شمش في حضارة وادي الرافدين (رسالة ماجستير) كلية الآداب، قسم الآثار، جامعة بغداد(1975).

54. عقراوي، ثلما سيان: المرأة ودورها ومكانتها في حضارة وادي الرافدين. وزارة الثقافة والفنون. بغداد(1978).

55. علي، جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج1، أوند دانش للطباعة والنشر، ط1، د. م (2006).

56. علي. فاضل عبد الواحد:عشتار ومأساة تموز. منشورات وزارة الإعلام. بغداد(1973).

57. علي، فاضل عبد الواحد: أقدم حرب للتحرير عرفها التأريخ، مجلة سومر، العدد 20، مجلد 30 مديرية الآثار العامة، بغداد (1974)

58. علي، فاضل عبد الواحد: طرق العرافة في النصوص المسمارية. مجلة كلية الآداب. جامعة بغداد. العدد 25، بغداد(1979).

59. علي، فاضل عبد الواحد: من ألواح سومر إلى التوراة، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1989).

60. فارس، شمس الدين وسلمان عيسى الخطاط: تاريخ الفن القديم، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، بغداد (1980).

61. الغانمي، سعيد: حراثة المفاهيم، منشورات الجمل، بغداد – بيروت(2010).

62. فالكنشتاين، أ: ترتيلة أريدو، مجلة سومر ج2 م7، مديرية الآثار العامة، بغداد(1951).

63. الكتاني، محمد: منظومة القيم المرجعية في الإسلام، ط-2، دار أبي رقراق، الدار البيضاء (2011).

64. كجه جي، صباح أسطيفان: الصناعة في تاريخ وادي الرافدين، د. ن، د. م (2002).

65. كريمر، صموئيل نوح: السومريون، ترجمة د. فيصل الوائلي، منشورات وكالة المطبوعات، الكويت (د. ت / أ) (1973).

66. كريمر، صموئيل: من ألواح سومر، ترجمة طه باقر، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ومكتبة المثنى ومؤسسة الخانجي، بغداد، القاهرة(د. ت / ب).

67. كريمر صموئيل نوح: الأساطير السومرية، ترجمة يوسف داود عبد القادر، نشر جمعية المترجمين العراقيين بغداد(1971).

68. كريمر، صموئيل نوح: طقوس الجنس المقدس عند السومريين. إنانا ودموزي، ترجمة نهاد خياطة. العربي للطباعة والنشر والتوزيع. دمشق(1986).

69. كريمر صموئيل نوح: الأساطير السومرية، ترجمة يوسف داود عبد القادر، نشر جمعية المترجمين العراقيين بغداد (1971).

70. كوب، كاتي ووايت، هارولد جولد: إبداعات النار، ترجمة د. فتح الله الشيخ، مراجعة شوقي جلال، عالم المعرفة (266)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت(2001).

71. لالند، أندريه: الموسوعة الفلسفية، الأخلاق، ترجمة خليل أحمد، ط2، منشورات عويدات، باريس (2012).

72. لوكاس، كريستوفر: حضارة الرقم الطينية وسياسة التربية والتعليم في العراق القديم، ترجمة يوسف عبد المسيح ثروة، منشورات دار الجاحظ، وزارة الثقافة والإعلام، الموسوعة الصغيرة (61)، يغداد، آذار (1980).

73. ليل، وليام: مقدمة في علم الأخلاق، ترجمة وتقديم وتعليق دكتور علي عبد المعطي محمد، الناشر المعارف، الإسكندرية (2000).

74. الماجدي، خزعل 1992أ: عاد والسومريون، مجلة ألف باء العدد 1258 في بغداد 4/11/1992.

75. الماجدي، خزعل 1992 ب: حول رموز القرآن الكريم، جريدة الجمهورية، بغداد، العدد 8334 في 8/11/ 1992.

76. الماجدي، خزعل: بخور الآلهة (دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين). منشورات الأهلية للنشر والتوزيع. عمان(1998).

77. الماجدي، خزعل: متون سومر (التاريخ، الميثولوجيا، اللاهوت، الطقوس). منشورات الأهلية للنشر والتوزيع، عمان (1998).

78. الماجدي، خزعل: الدين السومري. منشورات دار الشروق للنشر والتوزيع. عمان(1998).

79. الماجدي، خزعل: العَود الأبدي (العودة إلى الأصول والصراع بين الأسطورة والتاريخ)، الدار العربية للموسوعات، بيروت (2011).

80. مارغرون، جان كلود: السكان القدماء لبلاد ما بين النهرين وسوريا الشمالية، ترجمة سالم سليمان العيسى، منشورات دار علاء الدين، دمشق (1999).

81. مجموعة من المؤلفين: شريعة حمورابي وأصل التشريع في الشرق القديم، ترجمة أسامة سراس، دار علاء الدين، ط2، دمشق (1993).

82. مورتغات، أنطوان: تموز، ترجمة د. توفيق سليمان، دار المجد، دمشق (1985).

83. هوك س. هـ: ديانة بابل وآشور، ترجمة نهاد خياطة، العربي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق (1987).

84. الوردي، بهاء الدين: حول رموز القرآن الكريم، الدار البيضاء (1983).

85. وولي، السير ليوناردو: وادي الرافدين مهد الحضارة، ترجمة أحمد عبد الباقي، مكتبة دار المثنى، بغداد (د. ت).

86. نخبة من الباحثين العراقيين: حضارة العراق، الأجزاء 2و3 و4، دار الجيل، بيروت (1985).

87. الندوي، د. محمد إسماعيل: تاريخ الصلات بين الهند والبلاد العربية، دار الفتح، د. ت (بيروت).

88. ابن النديم، محمد بن إسحاق: الفهرست، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت (1978).

89. نصار، محمد عبد الستار: دراسات في فلسفة الأخلاق، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، الكويت (1982).

90. النعيمي، راجحة خضر: أعياد رأس السنة البابلية، مجلة سومر، المجلد 47، الدائرة العامة للآثار، بغداد (1990).

91. هويدي، يحيى: مقدمة في الفلسفة العامة، ط9، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة (1989).

92. يونغ، كارل غوستاف: الإنسان ورموزه، ترجمة سمير علي، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد (1984).

93. يونغ، كافن: العودة إلى الأهوار، ترجمة د. حسن الجنابي، منشورات المدى، دمشق (1998).

المراجع الأجنبية

Badiny, F. J., ed.: The Sumerian Wonder, School of Oriental1.
Studies, University of Salvador, Buenos Aires,(1974).

Baqir, Taha,: The Ishnuna law that was found in Baghdad in the2.
area of Tell Harmal in 1945, was studied by and published in Sumer Jnl Vol 4, (1948).

Ball,C. J & litt ,M. A. D: Chiness and Sumerians. Oxford3.
University Press,Humphry Milford. London (1913).

Beaulieu, Paul-Alain: «The most significant piece of wisdom4.
literature in Sumerian», in Richard J. Clifford, ed., Wisdom Literature in Mesopotamia and Israel, 2007:4.

Bzdok, Danilo et al.: Parsing the neural correlates of moral5.
cognition: ALE meta-analysis on morality, theory of mind, and empathy. Brain Struct Funct, 2011». Brain Structure and Function. 217 (4): 783–96. Doi:10. 1007/s00429-012-0380-y. PMC 3445793. PMID 22270812.

Biggs, Robert D.: «Inscriptions from Tell Abū Ṣalābīkh».6.
Oriental Institute Publications. University of Chicago Press. (1974).

Bladwin, John. D, PreHistoric Nations, by, New York: Harper &7.
Brothers, (1869).

Cheikh, Anta Diop, The African Origin of Civilization, Chicago:8.
Lawrence Hill Books,(1974).

HALL, H. R.: The Ancient History of the Near East, Methuen &9.
CO. LTD, LONDON(1913).

Childress, (ed) James F. ; Macquarrie, (ed) John (1986). The10.
Westminster Dictionary of Christian Ethics. Philadelphia: The Westminster Press. P. 401. ISBN 978-0-664-20940-7.

Churchward, Albert: Signs & Symbols of Primordial Man,11.
Brooklyn:A&B Books Publishers,

Gelb, A.: Sumerians and Akkadians in Their Ethno-Linguirtic12.
relationship», ACSA, Genere (1960)

Jacobson, Thorkild: The sumarian king list,Chicago(1939).13.

G-D,The Sumerian Swindle (How The Jews Betrayed Mankind)14.
,vol. 1, Bamboo Delight Company (2010).

Gilligan and Kohlberg: «Implications for Moral Theory»15.
Author(s):

Lawrence A. Blum Source: Ethics, Vol. 98, No. 3 (Apr., 1988),16.
pp. 472–91.

Helaine ,Selin: Encyclopaedia of17.
the History of Science, Technology, and Medicine in Non-Western Cultures.
Editors (Ed.) The second edition(2008).

Jacobson Thorkild 1970: «Toword The Image of tammuz and18.
other essays on Mesopotamian history and culture ,edited by William L.
moran Harvard university massochausetts

Kramer S. N: The Sumerians, Chicago(1963/1964).19.

Lambert W. G.: Instructions of Shuruppak, Babylonian Wisdom20.
Literature. (Eisenbrauns, Winona Lake, Indiana) Includes on-line English
translation of the text(1996).)

Landesberger: «Die Anfaenge Der Zirilisation in21.
Mesopotamien», Journal of The Faculty of Longaages, History and
Geography of The University of Ankara, II,(1944)

Langon S. H: «Sumerian Liturgies and psalm, ed.22.
Philadelphia(1919).

Langdon S. H: «Encyclopadia of Religion and Ethics (ERE).23.
New York(1958).

Parot ,andre:Sumerian Art,United Nations Educational and24.
Cuitural Orgnization ,New York (1970).

Plessner,Hermes:Encyclopaedia of islam. vol. 3 New edition.25.
Bril,EJ. Ledien. luzac. London. (1960).

Rachels, (ed) James; Rachels, (ed) Stuart: The Elements of26.
Moral Philosophy (7 ed.). New York: McGraw-Hill. ISBN 978-0-078-
03824-2. (2011).

Reiner Erica: «Surpu A Cllection of Sumerian and Akkadian in27.
cantations». ed Graz,(1958).

Van Dijk J. J. A: «La Sagesse sumero Accadienn». ed Leiden E.28.
J. Brill(1953).

Waddel L. A:Sumerian origins of egyption civilzation, London29.
(1930).

Walker,chritopher:Episodes in the history of Babylonian.30.
Asranomy. society for mesopamian studies. Toranto. (1982).

Weber, Eric Thomas... Morality, Leadership, and Public Policy31.
(London: Continuum). (2011).

Wells,H. G, A Short History of the World, New York:32.
MacMillan,(1922).

Wooly C. Leonard: «Excavation at Ur». London(1963).33.

Wooly C. Leonard: «Ur of the chaldess: New York (1965).34.

المراجع الشبكية(الإنترنيت)

http://www. stim. com/Stim-x/10. 1/origins/origins. htm

http://www. ishtartv. com/en/viewarticle,35322. html#sthash. iccBCkvZ. dpuf

(sumeriancuneiformdictionary

etcsl. orint. ox. ac. uk

article. asp?id=49375/http://www. alnoor. se ترجمة: فضل خلف جبر

Joop van der Miel, Archaeologyconspiracies. com.

موقع الدكتور أبو الصوف: العراق في تاريخ الاقتباس في 1 / 4 / 2019.

http://www. iraqinhistory. Com